

السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن و بانوقدسية دراسة مقارنة

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



الإعداد

رافعه بي بي

المشرف المشارك

الدكتور رفعت علي محمد سيد

الأستاذ بجامعة الأزهر-مصر

عميد كلية اللغة العربية بأسسوط سابقا.

المشرف

الدكتور نورزمان

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي، ٢٠٢٤ م

السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن و بانوقدسية دراسة مقارنة

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات



قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي، ٢٠٢٤ م

© رافعه بي بي





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد خرجوا بنتائج طيبة حولها
ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن وبانو قدسية دراسة مقارنة

رقم التسجيل: PhD/Ara/F١٩-٨٧٤.

إعداد: رافعة بي بي

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور نورزمان

التوقيع

المشرف

الدكتور جميل أصغر

التوقيع

عميد كلية اللغات

اللواء (المتقاعد) شاهد محمود كياني

التوقيع

رئيس الجامعة

التاريخ: -----

يمين الباحثة

أعلن أن رسالتي السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية دراسة مقارنة التي أعدتها تحت إشراف الأستاذ الدكتور نورزمان، و الأستاذ الدكتور رفعت علي محمد سيد، وهذه الأطروحة التي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل.

رافعة بي بي

الباحثة

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

فهرس المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	يمين الباحثة
ج	فهرس المحتويات
و	Abstract
ز	الإهداء
ح	كلمة الشكر
١	المقدمة
٧	التمهيد
الباب الأول: دراسة حياة الأديبتين	
١٩	الفصل الأول: حياة عائشة عبدالرحمن وأعمالها الأدبية.
٥٧	الفصل الثاني: : حياة بانو قدسية وأعمالها الأدبية.
الباب الثاني: دراسة أسلوبية وملامح لكتب "السيراتي للكا تبتين."	
الفصل الأول: أسلوب السرد والعرض لكتاب على الجسر بين الحياة والموت لعائشة عبدالرحمن.	
٧٢	المبحث الأول: عرض الكتاب في سيرة عائشة عبدالرحمن.
٨٧	المبحث الثاني: المكونات الثقافية والفكرية لشخصية عائشة عبدالرحمن.
١١٠	المبحث الثالث: الإطار الاجتماعي.

الفصل الثاني: أسلوب السرد والعرض لكتابي راه روان و مرد ابريشم لبانو قدسية.	
١١٩	المبحث الأول: عرض الكتاب راه روان لبانو قدسية.
١٤٠	المبحث الثاني: عرض الكتاب مرد ابريشم لبانو قدسية.
١٨٦	المبحث الثالث: المكونات الثقافية والفكرية لشخصية بانو قدسية.
الباب الثالث: موضوعات فن السيرة الذاتية لكاتبتين.	
الفصل الأول: الخصائص الفنية لفن السيرة الذاتية لكاتبتين (عائشة عبد الرحمن وبانو قدسية) .	
١٩٩	المبحث الأول: الميثاق السير الذاتية .
٢٢١	المبحث الثاني: عتبات النص.
٢٣٦	المبحث الثالث: الدوافع والصراع في السيرة.
٢٥٤	المبحث الرابع: الزمان والمكان.
٢٧١	المبحث الخامس: الوصف والسرد والحوار.
٢٨٣	المبحث السادس: الشخصيات.
٢٩٤	الفصل الثاني: أسلوب الاستخدام اللغوي لكتاب على الجسر بين الحياة والموت لعائشة عبد الرحمن و لكتابي مرد ابريشم، و راه روان لبانو قدسية.
الباب الرابع: الدراسة المقارنة بين سيرتي الأدبيتين	
٣١٤	الفصل الأول: أوجه التشابه بين سيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية.

٣٣٩	الفصل الثاني: أوجه الاختلاف بين سيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية.
٣٤٨	الخاتمة والنتائج
٣٥٢	التوصيات والاقتراحات
٣٥٤	الفهارس الفنية
٣٥٦	فهرس المصادر والمراجع

Abstract

Title of the PhD Dissertation: Autobiographies between Ayesha Abdul Rahman and Bano Qudsia, A Comparative study.

This study presents a comparative analysis of the autobiographical works of two prominent female writers: “Ayesha Abdul Rahman (Bint al-Shati') in Arabic literature and “Bano Qudsia” in Urdu literature. The research explores their narrative techniques, thematic concerns, and stylistic approaches to understand how they articulate personal and societal struggles within their cultural and religious contexts. The primary texts examined include "On the Bridge Between Life and Death" by Ayesha Abdul Rahman and "Mard-e-Abrasham" and "Rah-e-Rawan" by Bano Qudsia. The objective of this research is to highlight the challenges faced by women, particularly in conservative or patriarchal societies, and to inspire readers through their personal struggles and how they overcome them. The study adopts the methodology of qualitative literary analysis, focusing on comparative close reading, thematic exploration, and linguistic examination. Key findings reveal that both writers employ autobiography as a medium for self-reflection, resilience, and spiritual introspection, yet their stylistic approaches differ significantly. Ayesha Abdul Rahman's work reflects a structured, analytical narrative rooted in Islamic scholarship, whereas Bano Qudsia's writing incorporates Sufi mysticism and poetic fluidity. Despite these differences, both authors challenge traditional gender roles and highlight women's intellectual contributions in Muslim societies. The study concludes that their autobiographies serve not only as personal memoirs but also as socio-cultural commentaries on faith, identity, and empowerment. Recommendations include further research on Islamic feminist narratives in autobiography and expanded comparative studies between Arab and South Asian literary traditions. This study contributes to existing scholarship by bridging gaps between Arabic and Urdu autobiographical literature and highlighting the voices of two influential Muslim women writers.

“Key words:” Autobiography, Ayesha Abdul Rahman, Bano Qudsia, Comparative Literature, Islamic Feminism.

الإهداء

إلى من ضمّ الله ﷻ ذكره واسمه مع ذكره واسمه في النداء وشهادة الإيمان

من مدحه في لوحه المحفوظ قبل وجود السماوات والأرض، من صبر على عدوان عشيرته واضطر للارتحال حتى بشّره الله ﷻ بإتمام دينه المتين وجعله أسوة كاملة لكافة الناس والجان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات و جميع الأنبياء المكرمين الذين دعوا إلى كلمة الله وإبلاغ رسالة الله في مشارق الأرض ومغاربها.

وإلى والدي الكريمين رحمهما الله ﷻ الذين رفعا رؤية العلم والتدريس،

والذين علّمانى الصلاة والقرآن وعنيا بتربيتي وشجعاني على تحصيل العلم. اللهم نور قبرهما بنور الجنة والقرآن واجعل قبرهما روضة من رياض الجنة.

وإلى وإخوتي وأخواتي الذين بذلوا كل جهودهم في تقديمي ودعموني

وشجعوني أكثر من قدرتهم واستطاعتهم.

وإلى مشرفي الدكتور نورزمان والأستاذ الدكتور رفعت علي محمد والأستاذ

الدكتور كفايت الله همداني وجميع أساتذتي الذين درّسوني من المرحلة الابتدائية إلى درجة الدكتوراه وصديقاتي وإلى كل من ساعدني في مجالات حياتي.

كلمة الشكر

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم. وبعد !
قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^١

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من لا يشكر الناس لا يشكر الله.^٢
مطبوعاً بقول الله والحديث أولاً أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مدّ إلي يد العون في هذا البحث، و أشكر جميع الأساتذة الذين درسوني من القاعدة القرآنية الابتدائية إلى درجة الدكتوراه، أو قاموا بتربيتي في المراحل المتنوعة لحياتي، وكل من علمني ووقف معي مخلصاً في رحلة طلب العلم من الأساتذة والمربين وصديقاتي وزميلاتي وأفراد أسرتي وتحملوني وصبروا على أخطائي.

وبخاصة الأستاذ الدكتور محمد أبو بكر بهته رئيس القسم اللغة العربية؛ وكذلك أقدم شكراً جزيلاً للدكتور كفايت الله همداني الذين شجعني إلى اختيار هذا الموضوع، وقد أعاناني في مراحل التعليم الجامعي، كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لسعادة الأستاذ الفاضل مشرفي الدكتور نور زمان المحترم الذي تكرم بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة، وقد علمني الأشياء الكثيرة، ثم مشرفي الأستاذ الدكتور رفعت علي محمد الأستاذ بجامعة الأزهر وعميد كلية اللغة العربية بأسبوط سابقاً الذي حمل مسؤولية الإشراف على هذا البحث في مصر وقدم إلي يد العون والمساعدة في كل مشكلة وقد علمني الأشياء الجديدة الكثيرة، ما أعرض عنى بأية

^١ . (سورة إبراهيم، رقم الآية/ ٧)

^٢ . أخرجه الترمذي من طريق أبي هريرة (رضي الله عنه) في كتاب البر والصلة من سننه ٣٣٩/٤ باب

(ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) حديث رقم ١٩٥٤

ساعة من الساعات، ولم ييخل بتوجيهاته ونصحه طيلة فترة إعداد هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كذلك أشكر أخي الكريم محمد فياض الذي ما احت حجت لشيء في امور التربية والتعليم في المدرسة والجامعة وفي جميع الساعات واللحظات إلا واستجاب لي، بل كان يدعو لي دائماً، فكان لي حقاً كبنيان مرصوص من جانب الله.

ولا ينبغي لي أن أنسى الشكر والتقدير للأستاذ المخلص الدكتور حيات الله المكرم الذي لم ييخل عليّ بمشورته وتوجيهه ونصحه أثناء كتابة البحث ويشرفني بالنصائح، وكذلك أشكر "الأستاذ "عمر البيومي" و الأستاذ "الدكتور رضا رجب" من مصر الذي لم ييخلا علي بمشورتهما وتوجيههما ونصحهما أثناء كتابة البحث، فجزاهم الله أحسن الجزاء في الدارين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان و علّمه البيان و أرسل رسله بالهدى والبيان.
والصلاة والسلام على محمد سيد الأنام وعلى آله و أصحابه وسلم.

أما بعد:

عندما نسمع كلمة سيرة يأتي في أذهاننا سيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم التي تزخر بها المكتبات الإسلامية وقد حاول كل كاتب من العرب والعجم الكتابة عن إمام الأنبياء و سيد الخلق، والتعريف بحياته و معاملاته مع عامة الناس عامتهم وخاصتهم وكان لسيرته أثر عميق في بناء الأجيال.

أما السيرة الذاتية حالياً فهي نوع من أنواع الأدب الحديثة و هي ترجمة حياة إنسان كما يراها هو حسب قول عبدالعزيز شرف^١ "هي نوع أدبي جميل يكتب في صورة مذكرات و يصور صاحبها الأحداث التاريخية عن البيئة والمجتمع و تجاربه الشخصية بعناية."^٢
وإذا نلقي نظرة إلى الأدب العربي الحديث فنرى عدة سير ذاتية كتبت بيد أدباء في العصر الحديث من أبرزهم سيرة الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي المعروفة باسم الأيام وسيرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ). وهي كانت أدبية مميزةً ألفت سيرتها الذاتية باسم "على الجسر بين الحياة والموت" تحدثت فيها عن أهم قصص حياتها و تجاربها بالتزام الصدق لواقع حياتها و حياة أسرتها وهي أمر صعب أو ربما مستحيل مهما حاول صاحبها وهذه السمة جعلتها مميزة بين السير الذاتية في عصرها.

١ . عبد العزيز شرف (٥ نوفمبر ١٩٣٥ - ٣١ مايو ٢٠٠٤) كاتب وشاعر وباحث وأستاذ جامعي مصري، له العديد من المؤلفات المتخصصة ولاسيما في الإعلام.

٢ . أدب السيرة الذاتية لدكتور عبد العزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، اونجمان، مصر، ١٩٩٨ ص: ٤٠.

و عندما بحثت عن بعض السير التي كتبت في العصر الحديث وجدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) من بين أصحاب الفكر الإسلامي التي تكشف عنها سيرتها الذاتية و تجارب حياتها والتي تعكس المجتمع الذي تعيش فيه ملتزمة بالحق والصدق. و كذلك عندما ننظر في الأدب الأردني الحديث فنرى عدة سير ذاتية التي كُتبت بيد أدباء في العصر الحديث و أبرزهم **بانو قدسية**. وهي كانت أديبة مميزةً ألّفت سيرتها الذاتية باسم "مرد ابريشم و راه رواں". تحدثت فيها عن أهم قصص حياتها و تجاربها بالتزام الصدق لواقع حياتها و حياة أسرتها وهي أمر صعب كما ذكرتُ أو ربما مستحيل مهما حاول صاحبها وهذه السمة جعلتها مميزة بين السير الذاتية في عصرها.

أهمية الموضوع:

- فن السيرة الذاتية من أهم أنواع الأدب في العصر الحديث.
- يعد الموضوع مدخلا لمعرفة مدى التأثير والتأثير بين الأدبين العربي والأردني في فن أدب السيرة الذاتية.
- يبرز الموضوع اهتمامات الأديبتين الفكرية والثقافية والسياسية والدينية أثناء سيرتهما.

أسباب اختيار الموضوع:

- هناك بعض الأسباب لاختيار هذا الموضوع، يمكن إيجازها في الآتي:
- أولاً:** إبراز جماليات أدب السيرة الذاتية في العصر الحديث و كشف الستار عن شخصيات كان لها دور إيجابي في تغيير المجتمع و نشر الوعي فيه.
- ثانياً:** التشابه والتقارب الأدبي والفكري بين الأديبتين عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) و بانو قدسية.

ثالثاً: جدة الموضوع وأصالته؛ إذ لم يحظ هذا الموضوع بالدراسة والبحث من قبل، أعني المقارنة بين الأدبيين المذكورين.

رابعاً: قلة الدراسات والبحوث المقارنة بين السيرة الذاتية في اللغة العربية والأردية.

خامساً: لم يكتب في هذا الموضوع "السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية. دراسة مقارنة" قبل ذلك.

سادساً: كشف التحديات التي تواجه المرأة في المجمعات المحافظة والذكورية، و إبراز سبل مواجهتها كمنهج يُتخذ.

الدراسات السابقة للموضوع:

كتبت كثير من الكتب والرسائل حول أدب السيرة الذاتية منها ما تتعلق بالسيرة الذاتية، ومنها ما تتعلق بدراسة السيرة الذاتية وتحليلها، مثل:

١. فن السير والتراجم عند ابن الجوزي (سيرة عمر بن عبدالعزيز نموذجاً) رسالة

قدمت لنيل درجة الماجستير الفلسفة في اللغة العربية وآدابها كلية اللغات قسم اللغة

العربية. إعداد فوزية رشيد تحت إشراف الدكتور حافظ محمد بادشاه الأستاذ

المساعد بقسم اللغة العربية الجامعة الوطنية اللغات الحديثة، إسلام آباد والمشراف

المساعد الدكتور محمد إسماعيل (رحمه الله) الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

الجامعية الوطنية اللغات الحديثة، إسلام آباد العام الدراسي، ٢٠١٥-٢٠١٨ م.

٢. فن السيرة الذاتية عند نجيب الكيلاني (دراسة تحليلية نقدية) أطروحة قدمت لنيل

درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية اللغات. إعداد محمد سيف الرحمن

الإشراف الدكتورة فضيلة داؤد أستاذة بقسم اللغة العربية الجامعة الوطنية اللغات

الحديثة، إسلام آباد. العام الدراسي ٢٠١٧ م.

٣. فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين رشيد مهراڤ عيسى-جامعة الإسكندرية كلية الآداب ١٩٧٥م.
٤. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث حتى القرن الثامن عشر يحيى إبراهيم عبدالدايم- جامعة عين الشمس كلية الآداب. ١٩٦٥م.
٥. الترجمة الذاتية في النشر المصري الحديث- شوقي محمد طلبة المعامل-جامعة القاهرة علية دار العلوم-١٩٨٢م.
٦. بانو قدسية: احوال و آثار مقاله برائے پی-ایچ-ڈی (اردو) اقلیم ناز نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز-اسلام آباد-جنوری ٢٠١٥.

أسئلة البحث والتحقيق:

١. هل هناك التأثير والتأثير بين الأدبين العربي والأردني في فن السيرة الذاتية أم لا؟ و ما هي الجوانب والنواحي التي أثر فيها؟
٢. ما هي أوجه التشابه بين سيرتي الأدبيتين؟ وما هي الفروق بينهما؟
٣. ما هي تأثيرات وأفكار الأدبيتين عن السيرة التي كتبها، مثل: "على الجسر بين الحياة والموت" و مرد ابريشم و راه رواں؟

أهداف البحث:

١. التعريف بشخصية الأديبة السيرة الذاتية بين عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) والأديبة بانو قدسية، وملامح السيرة الذاتية عندهما، والصور الفنية والقصصية في مشاهداتهما، وأفكارهما.
٢. دراسة القواسم المشتركة، وأوجه الاختلاف بين الأدبيتين.

منهج البحث:

سأتبع في البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وذلك بقراءة سيرة الأديبتين وقراءة مؤلفاتهما خاصة عن السيرة الذاتية، ثم بجرد مشاهداتهما، وبيان أفكارهما، وأسلوبهما الفني والقصصي، واستخلاص أوجه التشابه والاختلاف بين الأديبتين ودراسة المقارنة بين السيرتين.

تبويب البحث

الخطوة التي اعتمدها في كتابة هذا البحث تشتمل على: المقدمة، والتمهيد، وأربعة أبواب، والخاتمة، والتوصيات والاقتراحات، وها هي تفاصيل الأبواب:

- الإهداء.
- كلمة الشكر.
- المقدمة.
- التمهيد، فن السيرة الذاتية في اللغة العربية (بدايته وأبرز أعلامه وسرد لأهم المؤلفات في العصر الحديث).

● الباب الأول: دراسة حياة الأديبتين.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: حياة عائشة عبدالرحمن و أعمالها الأدبية.

الفصل الثاني: حياة بانو قدسية و أعمالها الأدبية.

الباب الثاني: دراسة أسلوبية و ملامح لكتب السيراتي

للكاتبتين.

وفيه فصلان.

الفصل الأول: أسلوب السرد والعرض لكتاب على الجسر بين الحياة

والموت لعائشة عبدالرحمن.

الفصل الثاني: أسلوب السرد والعرض لكتابي مرد ابريشم،

و راه روان لبانو قدسية.

الباب الثالث: موضوعات فن السيرة الذاتية للكاتبين.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الخصائص الفنية لفن السيرة الذاتية للكاتبين

(عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية).

الفصل الثاني: أسلوب الاستخدام اللغوي لكتاب على الجسر بين الحياة

والموت لعائشة عبدالرحمن و لكتابي مرد ابريشم، و راه روان لبانو قدسية.

الباب الرابع: الدراسة المقارنة بين سيرتي الأدبيتين .

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أوجه التشابه بين سيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية.

الفصل الثاني: أوجه الاختلاف بين سيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية.

- الخاتمة.
- نتائج البحث.
- التوصيات والاقتراحات.
- الفهارس الفنية.

التمهيد

فن السيرة الذاتية في اللغة العربية (بدايته وأبرز أعلامه وسرد

لأهم المؤلفات في العصر الحديث).

أولاً: تعريف السيرة الذاتية لغةً و اصطلاحاً:

فمن الناحية اللغوية:

عند البحث عن أصل كلمة سيرة في اللغة نجد أنها مأخوذة من المادة اللغوية (سَيرَ) وهي اسم مشتق من الجذر الثلاثي (س ي ر) الذي يدل أصل معناه على الماضي والانطلاق كما ورد في معجم لسان العرب حين قال:

"السير: الذهاب؛ سار يسير سيرا وتسياراً ومسيرة و سيرورة، والتسيار: تفعال من السير، وسايه أي جاره فتساير. و بينهما مسيرة يوم وسيرة من بلده: أخرجه وأجله. وسيرتُ الجُلَّ عن ظهر الدابة: نزعتَه عنه، والسيرة: الضرب من السير، والسيرة: الكثير السير والسيرة: السنة، والطريقة يقال؛ سار بهم سيرة حسنة والسيرة: الهيئة، وفي القرآن الكريم: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^١ وسير سيرة حدث بأحاديث الأوائل".^٢

والسير: الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة. والسيرة: الضرب من السير، والسيرة بالكسرة: السنة والطريقة والهيئة.^٣

^١ .سورة طه، رقم الآية ٢١

^٢ . لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤ء مادة (س.ي.ر)، ج ٤ ص ١٣٨٩ و ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مجموعة محققين و مراجعين نشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. ج ١٢، ص ١١٦.

^٣ . القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبعة ثانية، ١٩٨٧، ص: ١٤٣.

و في المعجم الوسيط: "والسَّيرة: السَّنة، والطريقة والحالة الَّتِي يكون عليها الإنسان وغيره.. و يقال: قرأت سيرة فلان تاريخ حياته.^١
فالدلالة المعجمية: هي سيرة حياة الإنسان و ما يكتنفها من أحداث و مواقف تستحق التسجيل.

التعريف العام للسيرة:

تعريف السيرة العام هو: بحث يكتب فيه الكاتب حياته أو حياة أحد المشاهير مشيراً من خلاله الإنجازات التي تحققت في مسيرة حياته أو حياة المتحدث عنه.

التعريف الأدبي للسيرة:

التعريف الأدبي لفن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإتباع القصصي، ويُراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته.^٢

السيرة اصطلاحاً:

و جاء مصطلح سيرة ذاتية أول مرة إلى حيز الوجود في أوائل القرن التاسع عشر في المعجم الإنجليزي أو أكسفورد في مقال لروبرت سلوثي عن حياة المصور البرتغالي فرانسيسكو فبيرا. (ومفهوم كلمة السيرة يدل على الجنس الأدبي الذي يتناول حياة إنسان ما، و لها أشكال وأنواع متعددة في الأدب، فهي التعريفات المتعددة تبعاً للنوع والشكل)^٣ إلا أن أشهرها وأهمها نوعان :

١: السيرة الغيرية.

٢: السيرة الذاتية.

١. المعجم الوسيط إبراهيم أنيس وآخرون: نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ

٢٠٠٤م ص ٤٦٧.

٢. المعجم الأدبي لدكتور جبور عبد النور، دار العام للملايين، بيروت - لبنان، طبعة ثانية، ١٩٨٤ ص ١٤٣

٣. أدب السيرة الذاتية لدكتور عبد العزيز شرف، الشركة المصرية العالمية للنشر، اونجمان، مصر، ١٩٩٨ ص: ٤٢

١. السيرة الغيرية:

السيرة الغيرية هي أيضا تتعلق بحياة شخص آخر والأديب عندما يتأثر من الأمور والمواهب والأسرار في حياة شخصية العظيمة فهو يريد أن يذكر ويتعرف هذه الأحوال إلى أفراد المجتمع كي يُقتدى به ويتعلم من حياته ومواهبه، وهو يحكي قصة حياة شخص شهير وذا مكانة عالية في المجتمع والكاتب عندما يكتب السيرة الغيرية هو يستعمل ضمير الغائب (هو، هي)، ومع ذلك عرفت السيرة الغيرية بتعريفات عديدة كما ذكر عبد العزيز شرف في كتابه: أدب السيرة الذاتية والسيرة الغيرية: "بأنها البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها والوقائع التي واجهها في محيطه والتأثير التي خلفه في عهده."^١

ويعرفها محمد صابر عبيد: "بأنها شكل من أشكال السيرة، وفيه يتطوّر راوي السيرة الغيرية لرواية حياة إبداعية في مجال حيوي ومعرفي معين الشخصية منتخبة يعتقد بأهميتها و ضرورتها حضورها فضلا عن صلاحيتها للتقديم فيذهب إلى قراءة مستفيضة وحشد كل ما هو ممكن من معلومات حولها وصولا إلى خلف إحساس عال بها يساعده في تلمس خفاياها وإزالة الغموض عن باطنيتها على أن تجعل الشخصية إلى قدوة ضاغطة يبعد الأديب عن الروح الموضوعية للسرد، إذ لا بد أن يكون عنصر التوازن والشفافية في مقدمة العناصر المشتغلة والفاعلة في مسير بناء السيرة الغيرية."^٢

وحدد عبد اللطيف الحديدي في كتابه "فنّ السيرة: "أنها بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة."^٣ وبعد هذه التعريفات علمنا أن السيرة الغيرية هي ذكر قصة وأحوال أشخاص آخرين.

^١ . أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف، ص: ٣٠٤ الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط: ١ ١٩٩٢ م. م.

^٢ . مظهرات التشكل السير الذاتي، محمد صابر عبيد، ص: ١٨ منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ٢٠٠٥

^٣ . فن السيرة الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي الحديث، عبد اللطيف حديدي، دار السعادة للطباعة،

٢. السيرة الذاتية:

إن العصر الروماني يمثل انطلاقة حقيقية لفن السيرة الذاتية، ومنذ ظهور هذا الجنس في الأدب شهد اهتماما كبيرا في الآداب العالمية عامة، والأدب العربي خاصة، وبدأت الدراسات في تناوله، فوضعوا له عدة تعريفات، وإن كانوا لم يضعوا له حتى اليوم تعريفا واضح المعالم يبين حدوده، وربما يعود السبب في ذلك إلى مرونته، وإلى اتصاله بغيره من الأجناس الأدبية الأخرى، فلذا تعددت تعريفاته، فها هو ذا عبد العزيز شرف يُعرف هذا الفن بقوله: "السيرة الذاتية تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان كما يراها."^١

ويقول يحيى إبراهيم عبد الدايم "الترجمة الذاتية الفنية، هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة، على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح كما سلف، وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كاملا، عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المتنوعة الخصبة. وهو الأسلوب الذي يقوم على جمال العرض وحسن التقسيم، وعذوبة العبارة، وحلاوة النص الأدبي، وبث الحياة والحركة في تصوير الوقائع والشخصيات، فيما تمثله من حوار مستعينا بعناصر ضئيلة من الخيال لربط أجزاء عمله."^٢ ويتحدث علي شلق عن السيرة الذاتية "السيرة الذاتية نوع من الأدب الحميم الذي هو أشد التصاقا بالإنسان من أي تجربة أخرى يعاينها."^٣

و عند مراجعة التعريفات السابقة نجد أنها قد جاءت إما وصفا لطريقة الكتابة أو لتبين الفرق بين السيرة الذاتية وغيره من أجناس الأدب.

١. أدب "السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف، ص ٢٧.

٢. الترجمة الذاتية في الأدب الحديث لدكتور يحيى عبد الدايم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، طبعة أولى

١٩٧٤، ص: ١٠

٣. لنشر العربي في نماذجه المتطورة لعصري النهضة والحديث لعلي شلق، دار القلم، بيروت، طبعة أولى، ١٩٧٤

وربما كان أكثر التعريفات وضوحاً ودقة لفن السيرة الذاتية هو تعريف (فيليب لوجون) إذ يقول بأن السيرة الذاتية هي: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية أو على تاريخ شخصيته بصفة خاصة."^١ فبهذا التعريف وضع لوجون أربعة خطوط عريضة لسيرة الذاتية باعتبارها جنساً قائماً بذاته وهي: شكل اللُّغة (حكي ونثر)، والموضوع المطروق (حياة فردية وتاريخ شخصية معينة)، و موقع المؤلف (إنه لا بد من التطابق بين السارد والشخصية الرئيسية) و منظور الحكي؛ إذ يجب أن يكون استعادياً. و يعد هذا التعريف أكثر التعريفات شمولية لهذا الفن، مع إمكانية المرونة في استعماله.

و على الرغم من دقة تعريف (لوجون)، فإنه أغفل التركيز على ضرورة إتباع النسق الفني في الكتابة، و هذا الأمر اشترطه يحيى إبراهيم عبد الدايم، إذ يقول: "وأخص ملامح الترجمة الذاتية التي تجعلها تنتمي إلى الفنون الأدبية، أن يكون لها بناء مرسوم واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به، ويصوغها صياغة أدبية محكمة."^٢

فبدون هذا النسق والتسلسل لا نستطيع أن نعد السيرة سيرة فنية. ومما يجدر ذكره أنني سوف أعتمد في دراستي هذه، على تعريف (فيليب لوجون) مع المرونة في استخدامه.

والسيرة الذاتية من الفنون التي تبني جسوراً من الثقة بين المؤلف والقاري، لذا يتوجب على المؤلف التزام الصدق، بصورة أو أخرى، عند كتابة سيرته، ذلك مما يقربه إلى قلوب القراء، بعد أن يكون قد صور نفسه من أجل تسهيل الحكم عليها، مع محاولته التجرد من الرابطة العاطفية التي تربطه بها. ولكن إلى أي مدى يمكن أن يكون صادقاً مع نفسه في سرده

^١. السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي لفيليب لوجون، ترجمة عمرحلي، دار النهضة العربية، بيروت،

طبعة - أولى، ١٩٩٤، ص: ١٠

^٢. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ليحيى إبراهيم عبد الدايم ص: ٤

لسيرته؟ و يجب على هذا التساؤل إحسان عباس حين يقول: "الصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل، والحقيقة الذاتية صدق نسبي، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها.^١ و لا بد لكاتب السيرة أن يفصح عن دوافعه التي جعلته يكتب سيرته، والدوافع كثيرة، فقد تكون تفسيراً للحياة نفسها، أو تكون تذكراً اعترافياً موجهاً إلى قارى متعاطف كما يقول إحسان عباس".^٢ أو تكون رغبة من المؤلف في نقل تجربته للآخرين.

يتحدث يحيى إبراهيم عبد الدايم: "إن الترجمة الذاتية تحقق الغاية المرجوة التي يؤديها العمل الفني، إذ إنها مراح رحب لكاتبها يتخفف فيها من ثقل التجارب التي خاض غمارها بنقلها من داخل نفسه إلى خارجها، وهو بهذا يعرض خبراته على الآخرين بغية مشاركتهم له فيها"^٣ و هذا الأمر يعود إلى جسور الثقة التي مدت بين المؤلف والقارئ. وليس هناك من عمر محدد لكتابة السيرة، فقد يكتبها المرء في سن الأربعين أو بعد ذلك. لكن مما لا شك فيه أن كتبة السيرة في مرحلة متأخرة من العمر تعطي كاتبها فرصة التعرف على الحياة بصورة ناضجة و من زاوية محكمة، وتعطيه فرصة الاستفادة من تجارب حياته، و مساعدته على الاستفادة من الشخصيات والأحداث التي مرت به، فتجعله يكتب سيرة متكاملة لا تقف عن سني الحياة الأولى.

تطور كلمة السيرة:

إذا نحن تتبعنا تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي في عصوره القديمة والوسطى، لنتبين تطور هذا الاصطلاح، وجدنا أن "السيرة" كانت تدور على معنى تاريخ الحياة" وقد اتخذ التاريخ للفرد صوراً مختلفة لدى العرب، وكانت "السيرة" أولى هذه الصور، وقصد بها حياة الرسول صلى الله عليه وسلم و مغازيه و إن لم يمنع ذلك، وجود سيرة معاوية و بني أمية لعوانة

^١. فن السيرة لإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، طبعة ثانية ١٩٥٦، ص: ١١٣

^٢. المرجع نفسه ص ١٠١-١٠٥

^٣. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ليحيى إبراهيم عبد الدايم ص: ١٠-١١

الكلي (المتوفي ٤٧ ٥١) و قد ظهرت فيما يبدو في وقت ظهور "سيرة ابن إسحاق" (المتوفي ١٥١ م) .

وظلت السيرة عصورا يقتصر استعمالها على بيان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تطور الاستعمال في عصور تالية، فاستعملت معنى حياة الشخص بصفة عامة من ظهور سير كثيرة منذ القرن الرابع الهجري، كسيرة "أحمد بن طولون"، لابن الداية (المتوفي ٥٣٥٤)، وسيرة "صلاح الدين" لابن شداد (المتوفي ٥٦٢٢).

ثم تعددت أنواع التأريخ للأفراد بعد ذلك، كان "الجرح و التعديل و الطبقات" ثم "التراجم" في العصور المتأخرة التي تلت عصر الرواية والتدوين، و كل هذه الأنواع هي الأقسام التي ينحل إليها "التاريخ للأفراد" عند العرب.^١

• الفرق بين "السيرة" و "الترجمة":

كشفت لنا بعض الكتب أن كلمة "ترجمة" أيضا تدور على معنى "تاريخ الحياة في العصور المتأخرة، فهي كلمة دخلت إلى العربية عن اللغة الآرامية. ولم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها، فيما يبدو إلا في أوائل القرن السابع الهجري، حين استخدمها "أبو عبد الله ياقوت الحموي" في مولفه (معجم الأدباء) بمعنى "حياة الشخص". وعلى مرور العصور، نرى كلمة "ترجمة" يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على "تاريخ الحياة الموجز للفرد وكلمة سيرة يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة". وإذا كان السابقون على ما نرى - يفرق في الاستعمال بين اللفظتين فان الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما كثيرا، بل يستخدم إحداها مرادفة للأخرى، ومن ثم جاء الاصطلاح المعاصر "السيرة الذاتية" أو "الترجمة الذاتية". ولم يكن القدماء يعرفون بطبيعة الحال هذا المصطلح، رغم أنهم كتبوا عن أنفسهم.^٢

^١ . الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث لحي إبراهيم عبد الدايم ص: ٣٠.

^٢ . نفس المرجع ص: ٣١.

• الفرق بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية.

السيرة الذاتية تعتمد، شأنها في ذلك شأن السيرة الغيرية على وحدة البناء وتطور الشخصية وقوة الصراع، وكلاهما يعتمد على الحقيقة التاريخية والسرد الأدبي، و هما أقرب صلة بالإنسان، لأنه المجال الذي يدور حوله اهتمام كل منهما. أما السيرة الذاتية أوثق صلة بالإنسان من السيرة الغيرية، لأن السيرة الغيرية تعتمد على النقد الموضوعي، وعلى الوثائق والمدونات والمشاهدات والملاحظات، و القراءات وغيرها من وسائل النقد الغير المباشر من داخل الذات وباعتمادها على التذكر القوي للأفكار والمواقف المؤثرة.

و عند محاولة رصد العلاقة بين السيرة الذاتية والغيرية، نجد أن معظم الباحثين قد أجمعوا على أن أهم فرق بينهما، هو أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد والشخصية الرئيسية والمبدع، أما السيرة الغيرية فلا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسية "ويقعد انعدام التطابق بين الراوي والشخصية الرئيسية بالسيرة الغيرية عن أن تكون سيرة ذاتية."

ويشترك السيرة الذاتية و السيرة الغيرية في محاولة الإعادة والخلق لجزء من الوجود الإنساني الفردي ويختلفان في تناول الحقائق التي يجدر بكاتب كل منهما أن يسجلها.^١

"المذكرات والسيرة الذاتية":

إن المذكرات تولي اهتماما للأحداث حول الكاتب و خارجه أكثر مما تولي للكاتب نفسه. و من المذكرات تعرف قدرا كبيرا عن المجتمع الذي يدور حوله موضوع المذكرات، وقليلًا عن الكاتب نفسه.^٢

أي كاتب المذكرات لا يتحدث عن نفسه بالضرورة، و لكنه يتحدث عما يدور حوله من أحداث، يدونها ويؤرخ لها، و هو لا ينقل عن نفسه إلا الشيء القليل.

١. السيرة الذاتية في الأدب العرب لتهاني عبد الفتاح شاکر، طبعة الأولى، ٢٠٠٢ م، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت، ص: ١٨

٢. أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شريف، ص: ٤٤.

وقد جاء تعريف المذكرات بأنه: "سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دور، وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف، وشهدها، و سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته." ^١

و من هنا نجد أن المذكرات تهتم بالحياة العامة من خلال الحياة الخاصة للكاتب، في حين أن السيرة الذاتية تعني ترجمة حياة إنسان كما يراها هو. و هناك فرق آخر بين المذكرات والسيرة الذاتية يكمن في أن السيرة تعتمد على الذاكرة، لتستعين بها على تسجيلات ما مر بها وقد تكون المذكرات جزءاً مهماً يعين كاتب السيرة على تذكر ماضيه، أما المذكرات فهي تعتمد على الوقائع التاريخية ولا دخل للذاكرة فيها.

و مثال على ذلك مذكرات محمد عزة دروزة التي بدأ نشرها عام ١٩٤٨م وجاءت تحت عنوان (مذكرات وتسجيلات مائة عام فلسطينية).

السيرة الذاتية في مفهومها الحديث:

السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية أو الترجمة الشخصية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله وآثاره ويذكر أيام طفولته وشبابه و كهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضول تبعا لأهميته، وهي مظنة الإغراق والمغالاة غالباً، وشرك للحديث عن النفس والزهو بها وإغلاء قيمتها. ^٢وما أصدق الدكتور يحيى إبراهيم عبد الدائم في كتابه الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:

"الترجمة الذاتية الفنية، هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح، وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كاملا عن تاريخه الشخصي على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، و هذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، و حسن التقسيم، وعذوبة العبارة، وحلاوة النص

١. المعجم الأدبي لجبور عبد النور، ص: ٢٤٦.

٢. التراجم والسير لمحمد عبد الغني حسن ص : ٢٣

الأدبي، وبث الحياة والحركة في تصوير الوقائع والشخصيات، وفيما يتمثله من حوار مستعينا بعناصر ضئيلة من الخيال لربط أجزاء عمله، حتى تبدو ترجمته الذاتية في صورة متماسكة محكمة، على ألا يسترسل مع التخيل والتصور حتى لا ينأى عن الترجمة الذاتية".^١ ويتحدث إليهم عنها، في صدق وصراحة، وأمانة وتجرد، مصورا واقع حياته الملموس الذي شكّله ماضيه، بما كان يزخر به هذا الماضي، من نقائص، وفضائل وعيوب ومآثر، وما كان يحمله من زلات وحسنات، و هنا ينطبق على السيرة الذاتية قول الدكتور صمويل جونسون الأديب الإنجليزي المشهور "إن حياة الرجل حين يكتبها بقلمه هي أحسن ما يكتب عنه".^٢ كذلك يقول عبد العزيز شرف في تعريف السيرة الذاتية "السيرة الذاتية تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان كما يراها هو".^٣

ولا يشترط فيه أن يكون أدبيًا، كما لا يشترط فيمن يكتبها أن يكون أيضًا أديبا، أو يمتلك فنيات أو تقاليد أدبية تجعل إنتاجه يتسم بطابع فني.^٤

"متى يكتب الإنسان سيرته الذاتية".

إن كل سيرة ذاتية في حد ذاتها هي تجربة ذاتية لكل شخص من الأشخاص فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج وأصبحت في نفس كاتبها نوعا من القلق الفني وأصبحت تلح عليه للإفضاء بها للناس دون أي حرج، فإنه لابد أن يكتب سيرته الذاتية. وإن الإنسان الذي يعجز عن أن يرى مرتبته في الحياة بكل وضوح وليست له نظرة عميقة ونظرة خاصة في تجربة حياته لايناسب له أن يكتب سيرته.^٥

١. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ليحي إبراهيم عبد الدائم ص ١٠

٢. التراجم والسير محمد عبد الغني حسن ص ٢٣.

٣. أدب السيرة الذاتية للدكتور عبد العزيز شرف ص: ٢٧.

٤. فن التراجم والسير الذاتية، أندريه مورورا، ١٩٩٩ م، المجلس الأعلى للثقافة، ص: ٩٧.

٥. في السيرة للأستاذ إحسان عباس، ص ١٠٥.

الغاية لكتابة السيرة الذاتية:

إن الهدف و الغاية التي تحققها كتابة السيرة الذاتية من صاحبها هي تخفيف العبء عن عاتقه بنقل التجربة الذاتية إلى الآخرين، و دعوتهم إلى المشاركة فيها، فهي توفر فرصة للفنان يريح نفسه بالإعتراف ولإيضاح موقفه من المجتمع ويعني ذلك أنه يكتب ليستفيد بالتنفيس عن مكنونات قلبه وإطلاق نفسه من عقاها، وليحصل على المتعة الفنية المستحدثة عن الصدق والقدرة على التأثير، و يكتب ليفيد الناس بتجاربه الذاتية ومشاركته لهم:

١. فإذا كان يحس بالاضطهاد من المجتمع، تخفف من هذا الشعور بالحديث عنه.
٢. وإذا أحس بوقع ذنوبه وآثامه، أراح ضميره بالإعتراف بهما، و قمع نفسه بالإعلان عن سيئاتها، ووقف منها موقف المتهم والقاضي معاً.
٣. إذا مر بصراع نفسي أو روحي أو فكري وخرج منه سالماً رسم صورة لذلك الصراع و أنهى قصته بهدور الذي يعقب العاصفة، والاستبشار الذي يأتي بعد اليأس.
٤. إذا فشل وأخفق أو هزم أو أتهم، فهو يرضى ضميره وهو يظهر الاعتذار والتعليل والتبرير لما حصل. فالكشف عن دخائل نفسه هو الطريق الصحيح ليقدره الناس من حوله وظهور صدقه.^١

وإن كل هذه العوامل والأسباب تكون وراء الغاية والهدف من كتابة السيرة الذاتية.

ثانياً: نشأة هذا الفن و تطوره و فوائده:

مبدأ السيرة الذاتية:

إن السيرة الذاتية هي التي يتحدث فيها الكاتب بقلمه عن أحواله الذاتية فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، و يذكر أيام طفولته وشبابه و كهولته، وما جرى له فيها من أحداث الفرح والترح، تعظم وتضئول تبعاً لأهميتها، و قد نسجل فيها الوقائع و

^١. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث للدكتور يحيى إبراهيم عبد الدائم، ص : ١٦-٢.

الأحداث يوماً فيوماً أو بصورة متقطعة بعد أن تجمع عناصرها من مصادر متعددة، و يعرف قاموس أوكسفورد السيرة الذاتية كما يلي: "كتابة الشخص التاريخ و قصة حياته بقلمه" و قد ورد في "معجم مصطلحات الأدب" أن السيرة الذاتية "سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية".

و إن السيرة الذاتية نكهة خاصة، لأن الكاتب يتحدث فيها عن نفسه، فنحس بأن الكلفة قد رفعت بيننا وبينه كما يقول الدكتور إحسان عباس في كتابه: "وكاتب السيرة قريب إلى قلوبنا، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته حديثاً يلقي منا آذانا واعية، لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، ويوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسرارهِ وخباياه، وهذا شيء يبعث فينا الرضى.^١

إن فن السيرة الذاتية قديم في الأدب العربي وليس من الفنون المستحدثة كما يظن البعض في عصرنا، فكتب بعض القدماء من أعلام الفكر والأدب و العلم عن حياتهم، ومن أهم كتب السيرة الذاتية العربية القديمة "الاعتبار" لأسامة بن منقذ، و "المنقذ من الضلال" للإمام الغزالي، وفي العصر الحديث اتجه كثير من الأدباء إلى كتابة السيرة الذاتية بالأسلوب الحديث والتحليل النفسي الممتع ومنها: "الأيام" للدكتور طه حسين، و "حياتي" الأستاذ أحمد أمين، و "أنا" لعباس محمود العقاد.^٢

إن السير أو التراجم هي قسم من الأقسام الأدبية بأخذ الأخبار والمعلومات بمعاش أشخاص، سواء كان التعريف طويلاً أو قصيراً، و يتعمق أو يبدو على السطح يناسب وضع الزمن التي ألفت فيه الترجمة، و مناسب لحضارة مؤلف الترجمة ونطاق قدرته لخطط ورسم شكل كامل بارز يحتوي على كل المعارف والمعلومات التي توفرت عنده حول المترجم له.^٣

١. فن السيرة للأستاذ إحسان عباس، ص ١٠١

٢. نفس المرجع ص ٨٣.

٣. السير والتراجم، محمد عبد الغني حسن، ص ٩.

الباب الأول

الباب الأول

دراسة حياة الأديبتين.

وفيه فصلان.

الفصل الأول: حياة عائشة عبدالرحمن و أعمالها الأدبية. 

الفصل الثاني: حياة بانو قدسية و أعمالها الأدبية. 

الفصل الأول

حياة عائشة عبدالرحمن و أعمالها الأدبية. 

الفصل الأول

حياة "عائشة عبدالرحمن" و أعمالها الأدبية.

هي كاتبة وباحثة ومفكرة مصرية، وأستاذة جامعية في الأدب العربي والتفسير، وصحفية.

اسمها وكنتيتها:

عائشة محمد علي عبد الرحمن البنالحسيني. تكنى "أم الخير" ^١. "أم أكمل".

لقبها و شهرتها:

اشتهرت باسم "بنت الشاطئ" نسبة إلى شاطئ النيل في بلدتها دمياط، وقد أطلقت على نفسها هذا اللقب لأسباب منها:

- انتمائها إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط التي ولدت بها ^٢ أي شاطئ دمياط الذي أحبه عندما كانت طفلة.
- جهودها في تعزيز العلاقة بينها وبين القراء ومقالاتها التي كتبتها في مجلة المرأة النهضة النسائية وجريدة الأهرام.
- نظرا لشدة محافظة أسرتها، وحرصا منها على شعور والدها، "ثم فكر في الاختباء باسم مستعار حتى لا يعلم والدها بالأمر فيغضب ويرفض ويصدر قرارا بمنعها من الكتابة في الصحف والاتصال بها. فذلك ما لم تكن تقاليد البيئة والجيل تسوغه لحريم العلماء" ^٣

نسبها و مولدها:

قال إسماعيل عبد الرحمن ^٤ بأن نسبهم يتصل بالحسين بن علي رضي الله عنه.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت لبنت الشاطئ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٩٩م،

ص ٢٤

^٢ . نفس المرجع ص ٨٠

^٣ . بنت الشاطئ من قريب لحسن جبر، ص ٢٤٩.

^٤ . وهو أخ عائشة عبد الرحمن من أبيها، لقيت معهم في ١١ فبراير ٢٠٢٤ في الدمياط.

ولدت عائشة عبد الرحمن في محافظة دمياط في شمال دلتا مصر، في نوفمبر ٦ سنة

١٩١٣م.^١

أسرتها:

على مستوى البيئة الخاصة تنتمي عائشة عبد الرحمن إلى أسرة وجيهة فاضلة اشتهرت بالدين والتقوى وعاشت في بيت عزّ وشرف وعلم.

والدها:

محمد بن علي بن عبد الرحمن من كبار علماء الأزهر بدمياط، شريف ابن شريف ينتهى نسبه إلى "الحسين بن علي ابن أبي طالب"^٢ فهو معدود من الأشراف، وهاجر جده الأكبر من الحجاز إلى صعيد مصر (المنيا) ثم انتقل إلى المنوفية^٣ حيث ولد فيها والدها بقرية (شبرا بخوم) عام ١٨٧٥م، وحفظ القرآن الكريم صغيراً في كتاب القرية، حتى أنه لم يكد يتم عامه العاشر حتى انتقل من مسقط رأسه إلى الأزهر الشريف عا ١٨٨٢.^٤ وقد شجعه على إكمال علمه عالم القرية "يوسف الشلبي الشبرا بخومي" وفر إلى العاصمة مع عدد من أصدقائه، وتابع دراسته حتى حصوله على الشهادة، ثم تعيينه مدرسا بمدرسة دمياط الأميرية الابتدائية للبنين، وبذلك انتقل إلى دمياط ليبدأ مشواراً جديداً في حياته، ويقال: أنه عندما قدم المدينة جذب الأنظار بجمال لباسه ومرونة فكره وحيوية شخصيته^٥ وفي دمياط الكثير من المساجد المزدهمة والمقامات المباركة، فتضفي على أفق المدينة القديمة جواً من العظمة الروحية.

^١ . انظر على الجسر بين الحياة والموت لبنت الشاطيء، ص ١٢٢، وينظر: خليل أحمد خليل، موسوعة

العرب المبدعين في قرن عشرين، دار الفارس، عمان، ط، ٢٠٠١، ص ٧٥٣

^٢ . موسوعة نساء ورجال من مصر لمعي المطيعي، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٠٠٣، ص ١١٤

^٣ . بنت الشاطيء لحسن جبر من قريب، ص ٢٠.

^٤ . رحلة في أمواج الحياة لالغزالي، مجلة كتاب اليوم، ص ١١.

^٥ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٢

وهذا ما تظنه عائشة عبد الرحمن سببا في جذب والدها إلى طريق التصوف، لقد انغمس فيه إلى حد أنه كان مقيدا بالتعليم الحديث في المدرسة الابتدائية. واجتهد حتى نقل من هناك إلى المؤسسة الدينية بمسجد البحر، وأخذ مكانه بين مشايخ المعهد^١ وتزوج من إحدى الأسر التي تسكن دمياط. ولعل سبب اختياره لها لأنها حفيدة الدمهوجي الذي كان شيخاً للجامع الأزهر. وهكذا استقر الشيخ محمد في دمياط أستاذا بالمعهد الديني، وكان يعود إلى قريته في عطلة الدراسة، ومعه أسرته التي بدأت تزداد عاما بعد عام، وكان إماما لمسجد قريته^٢ وكان معاصراً لكبار مشايخ معهد دمياط في أوائل القرن العشرين. و منهم الشيخ عبد الله دراز والشيخ كامل الخدري رحمهما الله. التقى في هذه المدة بشيخه منصور أبو هيكال الشرقاوي وبدأ معه التزام طريق التصوف، ولا ننسى أن موافقة والدها على مواصلة ابنته تعليمها إنما كان بأمر شيخه إذ قال له: "فليكمل تعليمها، وسيكون لها شهرة عظيمة إن شاء الله".

توفي رحمه الله في ١١ محرم لعام ١٣٩٨ هـ، الموافق لـ ٢١ فبراير لعام ١٩٧٧ م، ودفن في مقبرته بجوار مسجده الذي أسسه قبل وفاته بشيرا بخوم منوفية^٣

وعن تلك الحياة التي عاشتها مع والدها تقول بنت الشاطئ: "والذي ينتزعي من ملعب حدائتي، ويلزمني من قبل أن تفك عني ثنائم الصبا، صحبته في مجلسه بالبيت، أو في مكتبه بجامع البحر، وكان يسميه الخلوة، ولعلي التقطت في تلك المرحلة المنسية، بعض الآيات والصور القصار، من طول ما سمعته يتلو القرآن الكريم، والتقطت معها كلمات مما كان يتذاكره مع زملائه وتلاميذه من علوم الإسلام^٤."

والدها:

فريدة عبد السلام منتصر، وكان لها دور فعال في صقل شخصية عائشة عبد الرحمن

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٣

٢. رحلة في أمواج الحياة لوفاء الغزالي، مجلة كتاب اليوم، ص ١٢.

٣. عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، لريم صالح عياد، قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية

الآداب- فرع سند الحسيني، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٢ م، ص ٣٢

٤. على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٤-٢٨

التعليمية ماديا ومعنويا^١

لقد عاشت هذه الأم منذ طفولتها مع جدها وجدتها، وقد حملت إثم كونها فتاة، حيث حكم عليها أبوها منذ ولادتها أن تنتقل مع أمها إلى منزل جدها "أب أمها" لا لذنوب ارتكبتها إلا لأنها أنجبت أنثى، وهكذا عاشت الأم مع ابنتها في منزل أبيها، وكان هذا المنزل قريبا من النهر، وثمة أمر حزين آخر واجهته هذه الأسرة، فقد نزلت الفتاة الزوجة في الصباح الباكر إلى النهر، فلما طالت غيبتها افتقدوها أهلها فلم يجدوا منها سوى خمارها وخفها على حافة النهر، وشاهدوا نفرا من الملاحين، يغطسون في الماء ويطوفون، بحثا عن غريقة حاولوا إنقاذها، ولم يظفروا بأي نجاح، ويئس الناس من أمرها لكن أهلها لم ييأسوا، ترك أخوها دراسته في المعهد الديني واشتغل بالبحث عنها: يستأجر كل يوم غطاسا للبحث عنها، ولكن دون جدوى، وسرعان ما يئس أخوها كما يئس الغطاسون في البحث عنها. ولحزنه وألمه على أخته انتقل بعيدا عن الشط، حيث سكن في منزل آخر. أما الأم فلم تئس، فقد اختارت لها مجلسا عند أقرب نافذة إلى مسرح المأساة، تحديق إلى قبر الراحلة، وتحتضن الطفلة-التي هي ابنة الغريقة، وأم عائشة-وترعاها دون يأس من عودة ابنتها، وكبرت الابنة وتزوجت، وأنجبت لكنها بقيت إلى جوار جديها ترعاها وتعينهما في تلك الشيخوخة الحزينة^٢ قالت عائشة عبد الرحمن: "في الطابق الثاني ومن هذا البيت القديم كان بيت جد أمي، وقد عرفتها بعد أن تقدمت في السن، وكان على والدتي أن تعتني بهم، وتقسم وقتها وجهدها بين منزلنا ومنزل أجدادنا"^٣

كما عاشت عائشة عبد الرحمن في بيت جديها لأمها مثلت فيهم الجيل الرابع، بيت "إبراهيم الدهوجي" فتلقت التشجيع من جدّها الدهوجي.

وتصف عائشة عبد الرحمن بقية الأسرة بقولها: "(دادة حليلة) ترعى أطفال الأسرة، والعم (مبروك) يقوم على خدمة الضيوف ويقضي حاجات البيت الكبير من السوق،

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٥-٤٨

^٢. سر الشاطئ لبنت الشاطئ ص ١٠-١١

^٣. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٧

حتى مات في شيخوخته العالية فدفن في جانب منزل من مقبرة العائلة، وأخذ ولده مكانه لمدى سنين، ثم خرج إلى الدنيا يلتمس فرصته، وبقيت (دادة حليلة) ترعانا في شيخوختها الواهنة وتسلينا بحكايات وعتمها من تاريخ الأسرة^١ وكان لأسرة محمد علي عبدالرحمن والد عائشة عبد الرحمن ثلاثة أولاد هم: محمد، علي، ومنصور. وست بنات هن: فاطمة، زينب، عائشة، سعاد، نفيسة، وفتحية. ولها أخت وأخ من أبيها: وهم: إسماعيل، وصفية^٢

زوجها:

وهو أستاذها أمين الخولي، تتلمذت على يده عائشة عبدالرحمن لتكون فيما بعد زوجته الثالثة، ارتبط بها عن رغبة ممزوجة بإعجاب الإنسان بالإعجاب الفكري، وأدى بها إلى أن تكون أبرز ممثلي منهج زوجها في التفسير الأدبي. لكن عائشة لم تكتب عن حياتها الخاصة بعد الزواج أو قبله، كما كتبت عن طفولتها، والسبل التي أوصلتها إلى العلم، المتمثل في كتاب "على الجسر"، كما لم تخبر أحدا عن حياتها الخاصة مع زوجها وأولادها، وكانت تكره أن تدلي بأحاديث صحفية عن حياتها الخاصة، ومنطقها في هذا أنها تكتب كل ما تريد أن تقوله في الجريدة كل أسبوع، وفي مؤلفاتها، أما حياتها الخاصة فهي كأبي سيدة ريفية مصرية تعتبرها منطقة محرمة، فهي قبل أن تكون عالمة إسلامية وأديبة، هي زوجة وأم لثلاثة أبناء، ولها منزل لا تريد لأحد ممن يعيش خارجه أن يعرف ما يدور في داخله، فاليوت أسرار.

صفاتها:

قالت آمال حسين: "كانت بنت الشاطئ لطيفة المعاملة، فصيحة اللسان، متواضعة، شجاعة في قول الحق دون خوف، سريعة البديهة، ميالة إلى مساعدة الناس دون

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٧

^٢. عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، لريم صالح عياد، قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية الآداب- فرع سند الحسيني، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٢م، ص ٣٨

مقابل^١ قليل أولئك العلماء الذين يصدق علمهم، ويوافق سلوكهم فكرهم. وقد كانت عائشة من هؤلاء القليلين المميزين في عملهم وخلقهم وتقدمهم وتفوقهم العلمي. أما من الناحية العلمية فنجد العلماء يشهدون لها بالتقدم، والتفوق في ميدان العلوم الشرعية عامة، ويتميز بتنوع جوانب التخصص واختلاف جوانبه، ومن النادر أن يتخصص عالم في تخصصات مختلفة. وسأبين بعض الآراء في وصف بنت الشاطئ:

قال مصطفى الشكعة^٢: " ولم تكن عائشة هي العالمة الوحيدة في عصرها، فضلاً عن كونها فريدة من نوعها في وقتها، ولكنها من كبار علماء الجيل الأول الذين عرفوا بالعلماء الموسوعيين، ليظن أحدهم أنه قد أتقن العلم الذي يتكلم فيه لا غير، فإذا انتقل إلى علم آخر يتحدث فيه، فإنه سيعتقد مرة أخرى أنه متخصص فيه وليس غيره، والأمثلة على ذلك كثيرة عند علماء السلف، وكان الطبري قدوة من أتقن الفنون الخمسة عشر فناً: هي الفقه، والتفسير، والقراءات والعقيدة، والشريعة، والحديث، والأصول، وعلم الكلام والمثل والنحل والسيرة والتاريخ والطبقات والأنساب والفلسفة والمنطق والفرق الإسلامية والعلاقات الدولية والنقد والأدب من شعر رقيق ونثر جميل.

إن عائشة عبد الرحمن كانت من هذا القبيل الموسوعي المتخصص بين علماء المسلمين، فقد كانت متخصصة في الأدب بعصوره المتتابعة والنقد واللغة وعلوم القرآن الكريم والتفسير والحديث وعلومه والسيرة والتاريخ والطبقات والتراجم والعلوم الإسلامية. وهي أيضاً كاتبة وصحفية، ذات مقدرة على النفاذ إلى عقول الخواص وقلوب الجماهير، وهي شاعرة مبدعة ولكن شعرها من صنف شعر الحرائر وليس شعر القيان، ولها مقدرة على الكتابة بأسلوبها الخاص الراقي المتميز، فالجملة عندها قرآنية

١. الدكتورة عائشة منذ سنة ١٩٩٢ إلى ١٩٩٦. لآمال حسين سكرتيرة. وهي أيضاً بنت أختها. أي حفيدة أختها فتحية.

٢. (هو أديب ومفكر مصري، درس مع عائشة في جامعة القاهرة، يعمل مدرساً بقسم التربية في جامعة عين شمس)

البنية، أصيلة التكوين غير واهية العبارة، ولا مترخصة الشكل ولا سطحية المنتمى"^١ وقال كاتب وأديب مصري رجب البنا: "كانت تبهرني بعلمها، وشجاعتها في إبداء الرأي دون أن تهتم بمن يغضب، ومن يرضى، لأنها-ببساطة لم تكن تريد من أحد شيئاً. لا طمعت في ثروة، ولا طلبت مالا ولا جاهاً، ولا منصباً، ولا شهادة. ولم تذهب إلى وزير لتطلب قطعة أرض، ولا وقفت على باب أحد ممن بيدهم الأمر يوماً. ولكن الجميع كانوا يقفون على بابها يلتمسون منها العلم، والرأي والحكمة، وكنت أنظر في عينها عندما تتحدث عن زوجها وأستاذها أمين الخولي. حتى في أيامها الأخيرة وهي أعلى قامة من العمالقة في الفكر والأدب والدين-فأرى في عينها الحزن ما زال حياً رغم مرور عشرات السنين على رحيله... وأجد في كلماتها احتراماً له يجعلها تكاد تنحني وهي تتحدث عنه، وعن علمه، وفضله، وأثره في الحياة الفكرية، والأدبية، والدينية."^٢

و قال شاعر وناقد مصري يسري خميس: "دخلت بنت الشاطئ أكثر من معركة في سبيل الحق وتوضيح أمور شديدة الأهمية في حضارتنا الإسلامية، عملت على تصحيح المفاهيم الخاطئة حول ديننا الحنيف ورغم غيابها الجسدي إلا أنها ما زالت مؤثرة في العالم الإسلامي."^٣

وقال أبو السعود: "تعرفت إلى الدكتورة بنت الشاطئ منذ سنة ١٩٧٠، قبلها كنت أعرفها من خلال الصور فقط. هي امرأة شجاعة، شقت طريقها بنفسها، وهذا مبعث للفخر والاعتزاز، خاصة في تلك الفترة التي لم يكن للمرأة فيها حظ، تعرفت إليها في جريدة الأهرام فهي باحثة، لا تكتب إلا بعد أن توثق المصادر، كانت دؤوبة جداً، كرست حياتها للعلم والمطالعة والتأليف دون ملل أو سأم، رأيته وهي ترتدي الحجاب، هي امرأة صابرة فقد توفي ابنها الوحيد، وتقول بأن الله عز وجل قد عوّضها بآبن لها في جريدة الأهرام هو أنا، رغم تواضعها، وسماحة نفسها، وعفوها وصفحتها،

^١ رحلة في أمواج الحياة، وفاء الغزالي. ص ١٣٦-١٣٨.

^٢ رحلة في أمواج الحياة، وفاء الغزالي. مجلة كتاب اليوم، ص ١٤١

^٣ نفس المرجع ص ١٤٢

كانت لا تسكت على الباطل ولا تماري في الحق، ولا تسام في العقيدة أو مبادئها، فكانت تقول الحق ولا تأخذها في الله لومة لائم، ثابتة الجنان، شجاعة القلب، جريئة في إعلان الصواب.

كانت تحب الخير والعمل الصالح والحث عليه، وتكره الشر والعمل السيء، والنفور من كل من دعا إليه. وكانت تكثر من مساعدة الفقراء، والإحسان إلى أهل الصلاح والزهد، و تعرف معنى الوفاء، وتقضي حاجة المحتاج وتدفع الظلم عن المظلومين.^١ قال حسين علي: "يعجز اللسان عن وصف بنت الشاطئ، لأنها تتصف بجميع الصفات الحميدة من أخلاق وأدب وعلم وتواضع، فهي من العلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا. أعرفها منذ خمس وعشرين سنة. فهي نادرة الوجود في هذا العصر، بل لا مثيل لها. تنصح بأسلوب رائع، دون أن تغضب أحدا، لأنها تنصح حسب رأي الإسلام.

قال محمد نور الدين: "عائشة هي في عصر الأساتذة الذي لا يعود مرة ثانية. دقيقة جدا في كتابة أي حرف. تسأل خوفا من خيانة الذاكرة، تأبى الفتور والكسل، تتسلح بالصبر الحافز، والجد الدائب والنشاط الدائم. هي سيدة في منتهى الطيبة، شديدة التواضع لأصحابها وزوارها وطلابها دون تكبر بمكانتها أو تعال بعلمها أو تتعاضم على غيرها تعاملنا وكأننا أبناءها، لا على اعتبار أنها بنت الشاطئ الدكتورة ونحن صحفيون صغار.

وكذلك تعامل سائر الموظفين في الجريدة معاملة ممتازة. كانت على جانب رفيع من مكارم الأخلاق، فكسبت محبتنا، لأن الأخلاق الحميدة أساس التعامل والتعارف، كانت تبادلنا المحبة والثقة، وهي مفتاح العلم والتعلم. متواضعة جدا إلى أبعد الحدود، ليس من شخصيتها الغرور. لا تحمل الحقد لها نفس رضية. تأثرت صحيا ونفسيا بعد وفاة ابنها، دون أن يؤثر ذلك في غزارة علمها"^٢

^١ . عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير لريم صالح عياد، ص ٤٨-٤٩

^٢ . جهود عائشة عبد الرحمن في الدراسات البيانية ص ١٧

اتصفت عائشة بالصفات الرفيعة، وتميزت بالأخلاق الفاضلة، وقد أثنى عدد من العلماء، والعاملين معها في جريدة الأهرام عليها، وأشادوا بخصالها الحميدة، وسيرتها الحسنة وبالغوا في ذكر نزاهتها، ورفعة خلقها، واستقامتها، ومروءتها وورعها وزهدها وقناعتها وعزوفها عن الدنيا، وانسجامها مع العلوم الشرعية التي برزت وتفوقت فيها، فهي قليلة الاكتراث بشربها وطعامها ولباسها.

كانت كثيرة التأني في التأليف، فرب أمر تريد الإقدام على فعله فتمكث السنين تتروى فيه حتى يشرح الله تعالى صدرها لفعله، وهذا ما حصل معها في تأليفها لكتب تراجم سيدات بيت النبوة، والإعجاز البياني للقرآن الكريم.

عاداتها:

عائشة بنت الشاطي من الطبقة الوسطى المثقفة العاملة. كانت زاهدة في حياتها، تتبرع كثيرا للفقراء وترفض أن يكتب ذلك في الصحف، ومن أعمالها الخيرية: تبرعت ببناء وحدة في مركز طبي على حسابها (مركز ابن خلدون) فهي كثيرا ما تقدم للفقراء والمحتاجين.

و قالت آمال حسين: "كان طعام عائشة عبد الرحمن قليلا جدا، وكانت تقول: "نحن نعيش لأجل أن نقرأ لا لنأكل. في الصباح تشرب ملعقة عسل، ثم كأس ماء دافئ، وكأس ماء مغلي بالأعشاب، وكأس شاي بلبن. تبقى إلى الساعة السابعة ليلا فتأكل ملعقة عسل، وكانت ترفض كثرة الأكل".^١

قالت فتحية: "كانت بنت الشاطي زاهدة في الدنيا لا تأكل إلا القليل، تفضل وجبة خفيفة في الغداء أما عشاؤها فكان من الزبادي وعصير الفاكهة"^٢ كانت عائشة تنظم وقتها بين التدريس والتصنيف والنوم والعبادة "فكانت تنام الليل مدة ساعتين أو ثلاثة، ثم تقوم الليل للصلاة والدراسة والتصنيف. وأما في النهار فقد عاشت آخر عشرين سنة من حياتها في المغرب تعيش في جناح خاص في الفندق،

١. عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، لريم صالح عياد ص ٦٩-٧٠.

٢. جهود عائشة عبد الرحمن في الدراسات البيانية ص ١٨.

وتقضي نهارها في التدريس بجامعة فاس وتعود في العطلة إلى القاهرة لتعيش بين الكتب وفي جريدة الأهرام، حيث كان لها مكتب خاص^١

حياتها العلمية:

عند النظر في الحياة العلمية لعائشة عبد الرحمن وإلى شيوخها في المعهد الديني والجامعة وغيرها، وإلى المناصب التي شغلتها، وتلاميذها الذي أخذوا عنها، وإلى بعض آثارها العلمية، وأخيرا إلى نشاطها في المؤتمرات وجوائزها. فيكون أربعة مطالب؛ الأول في نشأتها العلمية وشيوخها، والثاني في وظائفها وتلاميذها، الثالث في آثارها العلمية، والرابع في نشاطها في المؤتمرات وجوائزها.

أولاً: نشأتها العلمية، وشيوخها:

لقد قاومت عائشة عبد الرحمن وعانت في سبيل الالتحاق بالمدارس المدنية، بينما كانت تتلقى التعليم الديني من معهد دمياط الديني وتحت رعاية أبيها وشيوخ المعهد، وقد وصفت جانباً من معاناتها في كتابها "على الجسر"، وأشارت إليها في بعض المقابلات الصحفية، إلى أن دخلت الجامعة وتلقت المناهج الحديثة، واتصلت بالحياة العلمية في آفاقها الواسعة، ويمكن أن نشير إلى هذه التجربة بإيجاز.

النشأة العلمية:

وهي حسب بنت الشاطئ ثلاث مراحل متميزة متكاملة.^٢

مرحلة الأساس:

نشأت بنت الشاطئ في بيت ريفي، يقيم عماده في الحياة والعمل والفكر على الدين، اهتم بتعليمها، في وقت لم يكن أحد يهتم بتعليم البنات. وكان طبيعياً أن يسعى الرجل المدرس إلى تعليم أبنائه، وأن تنال بناته قسطاً من التعليم، وأن يكون

^١ . عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، لريم صالح عياد ص ٧٠

^٢ . انظر: مقطع فيديو كلمة ألقته عائشة عبد الرحمن يوم نيلها جائزة الملك فيصل لعام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م،

<https://www.youtube.com/watch?v=I9Wi2ZaZblg&feature=youtu.be>

منبع هذا التعليم ومصبه الدين، فقد حفظت القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة، اختلف في تحديدها أهـي السابعة.^١

أم الرابعة عشر من عمرها، في كتاب الشيخ مرسى، كما درست التجويد على يد محمد رفعت،^٢ فنالت شرف العلم والمعرفة.

ولم تكن عائشة عبد الرحمن في طفولتها كباقي أترابها تقضي إجازة الصيف في اللعب واللهو، بل كانت تسير على نظام خاص وضعه لها والدها، تتفوق وتنبغ في العلوم والدراسات الإسلامية والعربية.

تصف عائشة عبد الرحمن شعورها بما فرضه أبوها عليها بقولها: "بقدر ما كنت فخورًا بتعلم أشياء غير متاحة للآخرين من بين أصدقائي وزملائي، فقد سئمت من القيود الصارمة التي فرضها والدي علي، إنها تجعلني مستيقظة طوال ساعات الصباح للدراسة والحفظ، ثم ربطتني به وبعد الظهر حضور مجلس حكماء مؤسسته الدينية. ثم ما لبثت هذه القيود، أو لعلني ارتحت باليأس من الخلاص منها، لذلك استخدمت كل طاقتي في المعرفة العلم، وقد استثار زهوي ما كنت أسمع من زملاء أبي الشيوخ، عن أسرتي لما وهبت له من علوم الإسلام، أن أجدهم يصغون في طرب وعجب، إلى تلاوتي المجودة للقرآن الكريم."^٣

فكانت هذه الخطوة، بعد أن عادت الأسرة من قرية شبرابخوم عام ١٩٢٠، وقد كانت مشحونة بأصداء الثورة، حيث سارعت الطفلة كعادتها إلى الشط فوجدته خاليا، وعلمت من صاحباتها أنهن التحقن بمدرسة (اللوزى الأميرية للبنات) مما جعلها تفكر في أن تذهب معهن إلى المدرسة. ولما طلبت من والدها ذلك قال لها: "ليس لبنات المشايخ أن يذهبن للمدارس الفاسدة وإنما يتعلمن في بيوتهن" ولكن

^١ . عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، ص ٥٣.

^٢ . نفس المصدر ص ٥٣

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٩

أمام إصرارها على الالتحاق بالمدرسة، تدخل الجد (إبراهيم الدهوجي)، حتى انتزع موافقة أبيها، وأدخلها المدرسة.^١

كما أتمت عائشة عبد الرحمن الدراسة بالمدرسة، و عمرها أكثر من عشر سنوات التي حددها والدها لحجزها في المنزل مع الحريم، كانت تتصور أنها قد تكتفي بذلك القدر من العلم، ولكنها كانت تكره الاضطرار أن تواصل زميلاتها تعليمهن في المدرسة الراقية وتتخلف عنهن، لذلك لجأت مرة ثانية إلى جدأمها، تستعين به على إقناع والدها، فلما عجز عن ذلك الأمر، ذهب إلى جامع البحر، يستعين بشيوخ المعهد، ولكن دون جدوى، واستمرت المجادلة بينهما لفترة طويلة حتى تحول إلى شجار، وخرج الجد منفعلًا بالغيظ الشديد، ولم ينتبه لحيوان كان يعبر الطريق بسرعة أمام، فألقاه على الأرض المرصوفة بالحجارة، ولم يقف على قدميه بعد ذلك قط، رغم كثرة علاجه لهما. وأرهق الطفلة الشعور بعقدة الذنب، فلزمت غرفته، حتى إذا حان موعد افتتاح الدراسة بالمدرسة الراقية، أصر الجد على ذهابها إلى المدرسة، وقد رق الوالد للشيوخ الكسيع، فتخلى له عنها، على أن تقوم على خدمته وتعيش إلى جواره. وبدأت الطفلة تتصل بالصحافة، والحياة العامة، نظراً لاتصال جدها بالصحافة.^٢

أنهت عائشة عبد الرحمن الدراسة بالمدرسة الراقية، وقد بلغت من العمر ثلاثة عشر عاماً، وهي سن الحجاب الذي يفرض حجزها في البيت. كما لم يبق في دمياط أي مجال للتعليم، بل كان مخصصاً للنساء اللاتي يرغبن في مواصلة تعليمهن، إما أن يقضين أربعة أشهر في "الدراسة الصيفية" التي تؤهلهن لوظائف معلمات في المدارس الابتدائية للبنات، أو يمكنهم إجراء امتحان القبول في مدرسة المنصورة للمعلمات. لم تفكر الطفلة بالدراسة الصيفية التي تخرج معلمات من أدنى المستويات، بل تطلعت إلى مدرسة المعلمات بالمنصورة، أدت الظروف إلى تحديد موعد امتحان القبول أثناء غياب والدها عن دمياط، في إحدى رحلاته المتتابة لحضور موالد آل البيت وأولياء الله الصالحين فتستغرق الرحلة نحو عشرة أيام، بينما الامتحان لا يستغرق أكثر من

١. على الجسر بين الحياة والموت، ص ٣٤-٣٧

٢. عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير ص ٤٣

أربعة أيام. وساعدتها أمها، حيث تركتها بالقسم الداخلي في مدرسة المعلمات، على أن تعود بعد الامتحان، حيث أدت الامتحان الأول للسنة الثانية. وعادت إلى دمياط.^١

تأدية الامتحانات من مراسله:

بعد أن اجتازت امتحان النقل في السنة الثالثة، رجعت عائشة عبد الرحمن إلى منزلها في إجازة، وتفاجأت بالأخبار الحزينة موت جدها العزيز، وعمل أمها الشاق في تربية خمس شقيقات، وشقيقين، ورفض أبيها إكمال دراستها، وكان لتلك الأحداث أثره السيئ على نفسية عائشة عبد الرحمن، حيث أصيبت بانحيار عصبي، فانقطعت عن المدرسة، وتقرر شطب اسمها.

لم تستسلم الطفلة للظروف الصعبة التي مرت بها، ولم تكتف بما تعلمته في المدارس السابقة، أو في الكتاتيب، وبدلاً من ذلك، كان الأمر يتعلق بالاطلاع على الكتب المدرسية المقررة لطالبات السنة النهائية في مدارس تدريب المعلمات، حيث عكفت على تحصيلها في المنزل، وتسملت خفية و أبوها غائب، حصلت على شهادة امتحان كفاءة المعلمين أمام لجنة مدرسة طنطا، وكان لتمييز الطفلة بالعربية وعلومها، وحفظها للقرآن الكريم، ونبوغها العلمي، ما أدهش أساتذتها، حيث نصحوها أن تولي اهتماماً بمتابعة الدراسة، مما كان له الأثر الكبير في تفتح ذهنها إلى الدراسة في الجامعة^٢ و حصلت على شهادة تأهيل المعلمين عام ١٩٣٢م، وكانت الأولى على مستوى الوطن المصري.

المرحلة الجامعية:

أتيحت لعائشة عبد الرحمن نتيجة لنجاحها في شهادة كفاءة المعلمات، فرصة اختيار المدرسة التي تدرس فيها. حيث تمكن بعض الزملاء من أصدقاء الأسرة بإقناع الوالد بذلك. وفضلت عائشة عبد الرحمن العمل في مدرسة بنات ملحقة بمعلمات

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٤-٥٦

^٢. نفس المصدر ص ٥٧-٥٨

المنصورة، العيش داخل المنزل بعيداً عن البيئة المنزلية، ومن ثم تستطيع أن تكمل دراستها.^١

ولم تكن ثقافة عائشة عبد الرحمن قاصرة على ما تعلمته في المدارس أو الكتاتيب، أو ما قرأته من كتب قيمة في مكتبة أبيها فحسب، فقد كانت حريصة على قراءة أكبر قدر مستطاع مما يترجم إلى العربية، وأن تطالع كتباً من صنف جديد، غير الذي كان متاحاً لها في مكتبة البيت؛ ومنها كتب المنفلوطي، وروايات تاريخ الإسلام لجورجي زيدان، وجمهورية أفلاطون ترجمة حنا خباز، وأيام الدكتور طه حسين، والألياذة ترجمة البستاني، وألف ليلة وليلة... وقد استعانت بمكتبة السروي في المنصورة.

ولما حان الموعد المحدد رسمياً لتقديم طلب أداء الامتحان لإجازة القسم الإضافي، كانت المفاجأة برفض طلبها من إدارة المدرسة، بسبب عدم التزامها بالدوام في المدرسة. ساعدها عمها (موسى قمر) على حل هذه المعضلة، بأن تعدل عن التمسك بدخول امتحان القسم الإضافي، وتتقدم إلى امتحان الشهادة الابتدائية، وأتمت إجراءات النقل من المنصورة إلى القاهرة، واستقرت في ضيافة أسرة موسى قمر، وفي صحبة ابنته، وقد ألزمت نفسها في درس اللغة الإنجليزية وأدت عائشة عبد الرحمن الامتحان بنجاح^٢ وبعد عام تقدمت لامتحان شهادة الثانوية العامة القسم الأول عام ١٩٣٢ من المنزل، ورغم نبوغها العلمي، وتقدمها على طلاب جيلها، لكنها لا تعرف شيئاً عن المعمل والأجهزة والتجارب العلمية، كما كانت ضعيفة في اللغة الإنجليزية، وذلك مما لا يتاح لها تعلم ذلك في الكتب أو الدراسة المنزلية^٣ وكانت نتيجة الامتحان مقصورة في الطبيعة، وناجحة بدرجات النهاية العظمى في الحساب والجبر والمواد الأدبية، وبدرجة جيدة في اللغتين الأوروبيتين وفي الهندسة. وبادر محمد العشماوي السكرتير العام لوزارة المعارف بنقلها من وظيفتها مدرسة بالمدرسة الأولية

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦٢

^٢ . نفس المصدر ص ٦٣-٦٦

^٣ . رحلة في أمواج البحر، وفاء الغزالي، ص ١٨

إلى وظيفة مكتبية بكلية البنات كي ترى (المعمل والأجهزة)^١ ثم تقدمت الامتحان الدور الثاني في مادة الطبيعة ونجحت.

لقد كانت متفوقة في دراستها، ولا سيما دروس اللغة العربية، فعز عليها أن تفارق العلم، بعد أن قضت في رحابه سنين طويلة تمكنت من إتمام المدرسة بصعوبة بالغة، لا سيما أن أباه كان يفضل أن يراها ميتة على أن يراها في المدرسة، ولكنها كانت في كل مرة تستغل الفرصة، فتارة يقنعه جدها، وتارة أخرى أصدقاء الوالد، إلى أن تمكنت من العمل والالتحاق بالسكن الداخلي الذي مهد لها إكمال دراستها بسرية بالغة دون علم أبيها، ثم العودة معه إلى شبرا بخوم في العطلة الصيفية.

ثم تحصلت عائشة عبد الرحمن على شهادة البكالوريوس أدبي عام ١٩٣٤م^٢ وبذلك التحقت عائشة عبد الرحمن بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً). كلية الآداب قسم اللغة العربية. فاللغة العربية هي عشقها منذ البداية، فالتجهدت للجامعة بشوق ورغبة، لتحصل على العلم من أفواه العلماء مباشرة، وكانت الكلية على مقربة من مسكنها في كلية البنات بالجيزة قبل انتقالها إلى الزمالك.

وبالرغم من أن القاهرة في عام ١٩٣٥ كانت تموج بتيارات مختلفة وتحتاحها عواصف شديدة. وحركة المثقفين في أوج نشاطها، إلا أن عائشة عبد الرحمن تابعت نشاطها في الصحافة، بعيدة عن التيارات السياسية، تناقش موضوعات تهم الفلاحين الذين انتمت إليهم، وخوفاً من أن يعلم أبوها بهذا الأمر كانت توقع تلك الموضوعات باسم بنت الشاطئ.

كان زملاؤها في الجامعة يعرفون عنها ذلك، ويرون مدى تفوقها، ومدى ثققتها بنفسها فكانوا يحذرونها دائماً من الأستاذ أمين الخولي. ذلك الرجل الطاغية في عمله، الجبار في ثقته بنفسه، والذي كان من المقرر أن يدرسها في العام التالي، وشعرت عائشة عبد الرحمن بداخلها أنها لا بد أن تكون ندا له.

رغم كل النجاح والتفوق إلا أنها تشعر بالغيرة، وحاولت أن تترك الجامعة، ولكن دافع

^١. على الجسر بين الحياة والموت، ص ٢٠-٢١

^٢. نفس المصدر ص ٨١

التقائها مع الأستاذ الخولي هو الذي كان يشجعها على الاستمرار.^١
 تأهبت بنت الشاطي لعامها الثاني بالجامعة، وكل ما يشغلها ذلك الأستاذ أمين
 الخولي، وفي السادس من نوفمبر من عام ١٩٣٦ كان اللقاء الأول، وهو يوم مولدها،
 وكأن القدر قد اختار هذا الموعد العجيب للقاء الأول ليكون بمثابة ميلاد جديد لها
 وللدروس البياني للقرآن الكريم.

أخذت بنت الشاطي مكانها في أحد الفصول الدراسية بالجامعة، متحمسة لرحلتها،
 في تحدٍ واثق لتحقيق الفوز.

ودخل (الأستاذ الخولي) وسلم عليهم، لكي يتعارف عليهم، و عرض عليهم المواضيع
 المقروءة من علوم القرآن، ولكل طالب أن يختار موضوعاً يعده ويعرضه للمناقشة في
 الوقت المخصص له. وبادرت بنت الشاطي وأعلنت اختيارها للمبحث الأول في
 (نزول القرآن) واستطرد يعرض بقية المباحث، وعاد يسأل عن الوقت الذي يحتاجه
 كل طالب لإعداد بحثه، فأجابت بنت الشاطي في العناد والكبرياء: يوم أو جزء من
 يوم يكفي! قال بنبرة شفقة وتحذير: أهكذا؟ فكري جيداً، قد يبدو أنك تحتاجين
 إلى مزيد من الوقت. وأبت أن تتراجع. لن يستغرق الأمر أكثر من بضع ساعات. ولم
 يفتها أن الأستاذ يراها تورطت في هذا التعجل وخشيت أن يأخذ عنها فكرة خاطئة،
 فسألته مدللة بما تملك من ذخائر علمية: فهل يكفيني أن أراجع موضوعي في كتاب
 (البرهان) للبدر الزركشي؟ و كتاب لجلال السيوطي (الإتقان واللباب)، وسيرة ابن
 هشام، وطبقات ابن مسعود، وشرح ابن جرير الطبري؟ أجاب: كتاب يكفي الآن،
 إذا كنت تعرفين حقاً كيف تقرأين.

"تقول عائشة عبد الرحمن:" ما ذكرت هذه الكتب إلا لأنني قرأتها وأدركت ما تحتويه،
 بل سؤالي كان عن المصادر الأجنبية التي أعتقد أن الأستاذ قد يضيفها إلى مراجعي.
 فما زاد عليها أن قال : "لو كنت تفهمين الفرق بين مصادر و مراجع، لما سألت
 مثل هذا السؤال الغبي" وتحيرت. فما كنت حتى تلك اللحظة، قد فكرت بين المصدر

^١ . رحلة في أمواج البحر، وفاء الغزالي، ص ٢٧-٢٨

والمرجع وتابعت الإصغاء إلى الأستاذ، وهو يلقي مبادئ منهجه، حريصة على ألا تفوتها كلمة واحدة مما يقول!.. وقد انصرفت من درسه الأول.^١

كما تيقنت عائشة عبد الرحمن أن حصيلتها من كنز الثقافة الإسلامية لا تعدو القشور والأصداف، فما كانت قراءتها سوى مطالعة سريعة ومربجلة، وربما انقضت أيام وليال، وهي تقرأ فقرة من كتاب، كان هذا حتى يمكن قراءته بالكامل في أمسية واحدة، بل ربما انقضت شهور وهي مستغرقة في التماس سر كلمة من القرآن الكريم، وكانت تتلو السور الطوال عن ظهر قلب لا تتوقف، وإذا الجامعة تعطيها من جديد شيء لم يخطر بباله قط، وإذا القديم الذي جاء به، يحترم منهج الأستاذ الخولي فيعطيه روح الحياة ونبض العصر.^٢

وبعد مدة زمنية قضتها بالجامعة في التحصيل العلمي، تخرجت عائشة عبد الرحمن من الجامعة حاصلة على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية بدرجة ممتاز، وترحب بها الجامعة معيدة بهذا القسم عام ١٩٣٩ ولم تكد تمضي سنتان على تخرجها حتى تحصلت على الماجستير في الآداب عام ١٩٤١ بامتياز أيضا مع مرتبة الشرف، وجاءت رسالتها تحت عنوان "الحياة الإنسانية في أدب أبي العلاء المعري" بإشراف طه حسين. وهكذا تستمر مسيرة النجاح حيث انقطعت عن الجامعة لتتابع دراستها وتحصل عام ١٩٥٠ على درجة الدكتوراه، وكانت رسالتها بموضوع "الغفران دراسة نقدية، مع تحقيق رسالة الغفران لأبي العلاء المعري" وأصبحت واحدة من أعلام مصر تدرس في جامعاتها، وجامعات البلدان العربية، وتخرجت على يديها أجيال كثيرة.

شيوخها:

أقبلت عائشة في مرحلة الأساس تحفظ القرآن الكريم، على يد والدها محمد علي عبد الرحمن الحسيني.^٣

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٢٧-١٣٠

^٢ . نفس المصدر ص ١٣١-١٣٢

^٣ . إعجاز بياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لبنات الشاطئ دار المعارف، القاهرة، ط ٢٠٤٢، ص ٣، م، ص ١١.

ودرست في كتاب الشيخ مرسى^١ وقامت "مدام برج" ناظرة سويدية، التي كانت تعمل بكلية البنات للجيزة بمصر أثناء فترة تواجد عائشة بنت الرحمن بها بتدريها على اللغتين الإنجليزية والفرنسية.^٢

كما التقت أساتذة الجيل: أمين الخولي، ومصطفى عبد الرزاق وطه حسين ولطفي السيد، وعبد الوهاب عزام، وعبد الحليم عبادي. وغيرهم، ولكن الخولي كان أولهم وأكثرهم تأثيرا واتصالا بها، إذ كان أستاذا في الجامعة ثم تزوجها.^٣ وكان لهؤلاء فضل عليها في التوجيه واختيار ما ينبغي السير فيه.

وظائفها:

من يتأمل في الحياة العملية لعائشة عبد الرحمن، يلاحظ حرصها على العمل بأى جهة، فلم يقطعها جهادها العلمي دراسة ومدارسه عن المشاركة في الحياة العامة، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولا: معلمة في مدرسة البنات الملحقه بمعلمات المنصورة.

ثانيا: قبل دخولها الجامعة اشتغلت بوظيفة كاتبة، بكلية البنات بالجيزة:

ساعدتها على ذلك العمل الجديد "محمد العشماوي" حيث انتقلت من كونها معلمة في المدارس الابتدائية إلى كاتبة في كلية البنات. وأقامت بالقسم الداخلي في الكلية مقابل مشاركتها في الإشراف على عودة الطالبات الخارجات إلى بيوتهن في سيارة المدرسة.^٤

ثالثا: الصحافة:

بدأت حياتها الأدبية وهي ابنة الثمانية عشر ربيعا، تكتب في صحف، وترسل إحدى

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٧

^٢. نفس المصدر ص ٧٥

^٣. بنت الشاطئ من قريب لحسن جبر ص ٤٦. ومعلومة من أخيها إسماعيل عبد الرحمن.

^٤. على الجسر بين الحياة والموت ص ٧٥

قصائدها "الحنين إلى دميّاط" إلى مجلة النهضة النسائية، فألحقها صاحبة المجلة بالعمل معها، بمنصب رئيس التحرير في أكتوبر ١٩٣٣م^١ وهذا يدل على تفوقها واجتهادها منذ نعومة أظافرها.

كما أنها عملت كاتبة في صحيفة الأهرام، وخصص لها مكتب في جريدة الأهرام، في غرفة (أنطون الجميل) رئيس التحرير كما اختيرت عضوا في المؤتمر الزراعي الأول الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٣٦.^٢

وفي جريدة الأهرام، تناولت عائشة الصفحة الدينية من رمضان في ١٣ ديسمبر ١٩٦٦ حتى عام ١٩٩٨. ومشوارها الصحفي في جريدة الأهرام قسمته إلى مرحلتين فقد بدأت تكتب في الأهرام منذ عام ١٩٣٥ في موضوعات أدبية وثقافية وإسلامية. وبعد واحد وثلاثين عاما بدأت تكتب حديث رمضان بشكل منتظم لمدة، اثنين وثلاثين عاما أخرى ١٩٦٦-١٩٩٨، وقد تناولت بنت الشاطئ في هذا الباب العديد من القضايا التي أثرت الحياة الفكرية والثقافية في مصر والعالم العربي الإسلامي.^٣

ثم انتقلت إلى مجال التدريس الجامعي، فبعد أن نالت الشهادة العليا، مارست التدريس في جامعات عربية كثيرة، وقد تدرجت في السلك الجامعي، من معيدة في قسم اللغة في كلية آداب القاهرة، حتى وصلت إلى أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها ١٩٦٢.^٤

مناصبها:

ولأنها كثيرة التحرك في مجال عملها، واضحة التأثير فيمن حولها، كانت هدفا تسعى إليه الجامعات لتضمّنها إلى هيئات التدريس فيها، ولذلك فقد تدرجت في مناصب

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٧٨-٧٩

^٢. نفس المصدر ص ١١٧-١١٨

^٣. جريدة الأهرام، ١١ ديسمبر، ملف رقم، ٨٥٢/١.

^٤. أنظر: الموسوعة العربية العالمية، ١٦/٨.

علمية عديدة.^١

- ١- مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بالقاهرة ١٩٣٩
- ٢- مدرّس مساعد بالقسم مع انتدابها مفتّشة لغة عربية، بوزارة المعارف (١٩٤٢م-١٩٤٤م).
- ٣- مدرّس مساعد بجامعة عين شمس ١٩٥٢م.
- ٤- أستاذ مساعد بجامعة عين شمس ١٩٥٧م.
- ٥- أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها ١٩٦٢م.
- ٦- أستاذ منتدب بمعهد الدراسات العالية بجامعة الدّول العربية، القاهرة، من ١٩٦٢م حتى ١٩٧٤م.
- ٧- أستاذ منتدب بمركز تحقيق التراث، بدار الكتب القومية، القاهرة، من ١٩٦٨م حتى ١٩٧٤م.
- ٨- أستاذ زائرة بالعديد من جامعات الدول العربية: جامعة أم درمان الإسلامية للسنوات ١٩٦٧م و ١٩٧٠م و ١٩٨٠م. وجامعة القاهرة، فرع الخرطوم بالسودان (١٩٦٨م-١٩٧٠م). وجامعة الجزائر ١٩٦٨ م.
- وبيروت ١٩٧٢م، و جامعة الإمارات العربية ١٩٨١م.
- وكلية تربية للبنات في الرياض، من ١٩٧٥م حتى ١٩٨٣م.
- ٩- حتى أنها أصبحت أستاذة للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس فيها لمدة عشرين عامًا تقريبًا.
- ١٠- شغلت عضوية مجالس علمية كبيرة وهيئات دولية متخصصة، مثل: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، والمجلس الوطني الخاص، والمجلس الأعلى للثقافة، كما أنها عضو في الهيئة المرشحة لجوائز الدولة في مصر.^٢

^١ . مقال بنت الشاطئ-بيلوغرافيا متخصصة، لسمية رشاد مجلة الفهرست، القاهرة، العدد ١٧، يناير ٢٠٠٧.

ص ١٢٨. روبرت كاميل، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط ١٩٩٦، ١، م، ١.

ولم تكتف بالكتابة والبحث، إنما جمعت إلى ذلك الطّواف في البلدان، محاضرة وملمّة وداعية، وقد عكست أفضل صورة عن الدين، والثقافة التي تحمل لواء العلم فيها، وحين استقرّت في المغرب، وتم تعيينها أستاذة للدراسات القرآنية المتقدمة بجامعة القرويين هناك "أنشأوا مدرسة كاملة من العلماء والمحققين المتميزين".^١

كما كانت عضوا بارزا في العديد من الهيئات والمنظمات الثقافية، منها.^٢

- -عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
- -عضو المجلس الأعلى للثقافة بمصر.
- -عضو المجالس القومية المتخصصة بمصر.
- -عضو اتحاد الكتاب مصر.
- -عضو اللجنة الاستشارية الأولى للثقافة، معهد العالم العربي باريس.

تلامذتها:

أتيح لعائشة عبد الرحمن أن تحقق وجودها العلمي في طلاب الدراسات العليا الذين صحبتهم في بحوثهم العلمية العالية، وبخاصة من نالوا شهادات عليا (ماجستير- دكتوراه)، في دروسها الجامعية بقسم اللغة العربية بمصر، وفي دراساتها القرآنية بجامعة القرويين، ثم تعريف مجموعة من شباب العلماء الإسلاميين بالحياة العلمية، وتخصص بعضهم في الدراسات القرآنية: عبد السلام الكنوني، عبد الكبير المدغري، محمد الراوندي... وغيرهم.^٣

ومن الرسائل التي أشرفت عليها:

(١)- في جامعة عين شمس:

- كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (أبي البركات).

^٢ . الموسوعة العربية العالمية، ١٦ / ٨. وحسن جبر، بنت الشاطي من قريب، ص ٢٥٣.

^١ . محمد سليم العوّا، شخصيات ومواقف عربيّة ومصرية، دار المعرفة، بيروت، ط ١، دت، ص ٣٦٤.

^٢ . حسن جبر، بنت الشاطي من قريب، ص ٢٥٣.

^٣ . انظر: بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، دت، ١٢/١.

عفاف حسانين، مدرس مساعد بالكلية" نالت درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز".

(الإعراب التقديري والمحلي) دراسة نحوية قرآنية.

نجاة الكوفي: مدرس مساعد بالكلية" نالت درجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى".

(ب) - في جامعة الأزهر - كلية البنات

- (الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه)

سهير خليفة" نالت درجة الماجستير بامتياز"

- (الشواهد القرآنية في كتاب مغني اللبيب ابن هشام)

سهير خليفة، مدرس مساعد بالكلية" نالت درجة العالمية، الدكتوراه بامتياز"

(ج) - في جامعة القرويين بالمغرب

- (كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه، للقاضي أبي بكر ابن العربي: تحقيق ودرس)

عبد الكبير المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب" نال درجة دكتوراه الدولة في علوم الإسلام"

- (رسالة القضاء لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه: توثيق وتحقيق ودراسة)

أحمد سحنون، نائب مدير التعليم الأصيل بالمغرب" نال درجة دكتوراه الدولة في علوم الإسلام"

- (الحافظ ابن سيد الناس، أبو الفتح اليعمري: شخصيته وتراثه، وتحقيق نص

أجوبته عن مسائل تلميذه، الحافظ ابن أبيك) في الحديث وعلمه ورجاله.

محمد الراوندي أستاذ بدار الحديث الحسنية بالرباط" نال درجة دكتوراه الدولة في علوم الإسلام"

- (المصنفات المغربية للسيرة النبوية)

محمد يوسف، أستاذ بدار الحديث الحسنية بالرباط" نال درجة دكتوراه الدولة في علوم الإسلام".

- (عهد الحديبية، تحقيق ودراسة) لدرجة دكتوراه الدولة في علوم الإسلام الأستاذ

خليفة المحفوظي، بالديوان الملكي بالرباط.

- (الفقيه أبو علي اليوسي، في عصره وتراثه)

عبد الكبير المدغري، أستاذ بكلية الشريعة بفاس "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا المعادلة للدكتوراه".

- (المدارس القرآنية في المغرب من الفتح إلى ابن عطية)

عبد السالم الكنوني أستاذ التفسير بكلية أصول الدين، تطوان "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا".

- (الصحابة الشعراء رضي الله عنهم، ودليل ديوانهم، وقضايا الإسلام والشعر)

محمد الراوندي أستاذ بدار الحديث الحسنية بالرباط "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا".

- (شرح الفقيه الخطاب لمنظومة ابن غازي في نظائر الرسالة) تحقيق ودرس.

أحمد سحنون نائب مدير التعليم الأصيل بالمغرب "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا".

- (الجرح والتعديل عند علماء الحديث المغاربة)

إبراهيم بن الصديق أستاذ بكلية أصول الدين، تطوان "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا".

- (الرواية المغربية لمصنفات السيرة النبوية)

محمد يسف "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا"، مدير الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المغربية.

- (كتاب الحلال والحرام للوليدي: تحقيق ودرس)

عبد الرحمن العمراني "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا" أستاذ بكلية الشريعة فاس.

- (كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة: تحقيق ودرس)

خليفة المحفوظي بالديوان الملكي بالرباط "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا"

- (الإمام الشافعي، ومنهجه في التفسير)

عبد الخالق نور علي الإندونيسي، مبعوث من أندونيسيا على منحة جامعة القرويين "نال دبلوم الدراسات الإسلامية العليا"

❖ -وفي كلية التربية للبنات بالرياض:

- (العدد ودلالته، دراسة قرآنية)

الجوهرة الفهد بن محمد آل سعود "نالت درجة الماجستير في اللغة العربية.

(نظرية العامل وأثرها في النحو العربي، دراسة قرآنية)

منيرة سليمان العلولا: محاضرة بكلية البنات "نالت درجة الماجستير في اللغة العربية".

- (مدونات الحديث قبل الكتب الستة)

نورة العبد الكريم، محاضرة بالكلية "نالت درجة الماجستير في علم الحديث"

- (الإعراب وأثره في ضبط المعاني والدلالات: دراسة لغوية قرآنية)

منيرة سليمان العلولا وكيلة الكلية "نالت درجة الدكتوراه في النحو.

- (حروف المعاني) داعية ألباني "نالت درجة الماجستير في النحو".

والملاحظ مما تقدّم الأثر الطيّب الذي تركته عائشة عبد الرحمن فيمن بعدها من تلاميذها والباحثين.

آثارها العلمية:

أوقفت عائشة عبد الرحمن حياتها منذ الصغر على طلب العلم، وكانت خزانة كتب والدها الباعث الحثيث لكي تكون لها مكتبة خاصّة بها تعينها في أبحاثها ومقالاتها، وفي إعداد كتبها وفي محاضراتها، وفي مساعدتها لطالب الماجستير والدكتوراه التي كانت تشرف عليهم لكي تطلعهم بالجديد وما يعينهم على إعداد رسائلهم، فكان منها ما اشترته ومنها ما تمّ هداؤه لها، فقد ضمت مكتبتها مجموعة كبيرة من الكتب القيّمة والنادرة، بلغت ٩٧١ كتاباً ودورية واحدة ومخطوطة واحدة؛ وبيانها كالاتي.^١

❖ أوّلا الكتب:

كانت أكثر موضوعاتها الدينية ثمّ تليها الموضوعات الجغرافية والتاريخية والتراجم ومعظمها من أمهات الكتب، وتتراوح وفقاً لتواريخ نشرها إلى فترات زمنية متباينة

^١. انظر مقال: بنت الشاطئ: السياق المعرفي: دراسة بيليو جرافية ببليومترية لمقتنيات مكتبتها ومؤلفاتها، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، لمحمد أحمد عثمان. المجلد ٣، العدد ١، أبريل ٢٠١٨م،

منذ ١٨٥٦م إلى ١٩٩٨م، تنوعت في لغاتها فلم تقتصر على العربية فقط بل ضمت كتباً باللغات الآتية: الإنجليزية والإيطالية واليونانية واليابانية والألمانية.

❖ ثانياً الدورية:

من خلال الدراسة الميدانية لمكتبة عائشة تبين وجود عدد واحد (المجلد الرابع والستون في جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ، أي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٩م)

من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: وهي المجلة السابقة للمجمع العلمي العربي. وهي تتناول قضايا اللغة العربية والتعريف بالبلدان فضلاً عن الأخبار الخاصة والآراء الخاصة بالمجمع، وتصدر هذه المجلة باللغة العربية، وقد أنشئت هذه المجلة عام ١٩٢١م و تصدر أربع مرات في السنة.

ثالثاً المخطوطة: تبين وجود مخطوطة مصورة من مخطوط الإسكوريال بمديرية رقم ٨٦ (صورة طبق الأصل مصورة في جزأين وبعنوان (أبحاث نحوية في مواضع من القرآن الكريم) وموضوعها عن علوم القرآن الكريم ولغة هذه المخطوطة هي اللغة العربية ولا يعرف الفترة الزمنية التي كتبت فيها.

وقد ضمت مكتبة بنت الشاطئ لدار الكتب عام ٢٠٠٠م، وما تزال بها حتى الآن حيث تعرض كاملة في الطابق السابع بقاعة المكتبات المهداة بمبنى الدار وتحمل اسم "مكتبة د. عائشة عبد الرحمن". وبعد القراءات المتعددة عن عائشة عبد الرحمن والدراسة التحليلية لمحتويات مكتبتها بدار الكتب يُعتقد أن ما تبقى هو جزء مكتبتها فقط، و باقي مكتبتها قد تعرض للنهب والسرقة.

وبعد هذه الإشارة للمنبع السخي الذي استقت منه عائشة بنت الشاطئ زادها المعرفي، نلخص في نقاط ماقدّمته للمكتبة العربية الإسلامية، فلها أكثر من خمسين كتاباً، نتج عن باحثة ذاتية الثقافة وعصامية التكوين علّمت نفسها بنفسها، ولنا أن نصفها بأنها مبدعة ومحققة ومثقفة عصرها، استمرت تكتب في (الأهرام) دون أى عائق، منذ عام ١٩٣٢م، حتى يوم الخميس قبل وفاتها، وتعد هذه أطول فترة

استمرت فيها كاتبة في النشر في إحدى الصحف في العالم العربي.^١
كانت أعمالها الأدبية تتوزع على: دراسات قرآنية، ودراسات لغوية وأدبية
وتاريخية، وكتابات إبداعية، وهي جميعا مرتبة ترتيبا زمنيا، وفقا لتواريخ صدورها.
أولا: المؤلفات الدراسات القرآنية والإسلامية:

١. سكينه بنت الحسين: دار الهلال، القاهرة ١٩٥٦ م.
٢. بنات النبي عليه الصلاة والسلام: دار الهلال، القاهرة ١٩٥٨ م.^٢
٣. أم النبي: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٨ م.
٤. نساء النبي عليه الصلاة والسلام: دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨ م.
٥. بطلة كربلاء، زينب بنت الزهراء: دار الأندلس، بيروت ١٩٦١ م.
٦. التفسير البياني للقرآن الكريم: دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢ م.
٧. دار السلام في حياة أبي العلاء: وزارة الإرشاد، بغداد ١٩٦٤ م.
٨. المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٧ م.
٩. القرآن وحقوق الإنسان: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٨ م.
١٠. مع المصطفى في عصر البعث: دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩ م.
١١. مقال في الإنسان، دراسة قرآنية: دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩ م.
١٢. البيان القرآني ومشكلة الترادف: الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية،
القاهرة ١٩٧٠ م.
١٣. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي: دار المعارف، القاهرة ١٩٧١ م.
١٤. الإسرائيليات في الغزو الفكري: معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة
١٩٧٥ م.
١٥. بين العقيدة والاختيار: دار النجاش، بيروت ١٩٧٣ م.
١٦. قراءة في وثائق البهائية: مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٦ م.
١٧. القرآن وقضايا الإنسان: دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨ م.

^١ . شخصيات ومواقف عربية ومصرية، محمد العوا ص ٣٥٨

^٢ . طبع خمس طبعات أخرى ١٩٥٩، و١٩٦٣، و١٩٦٦، و١٩٩٧، و٢٠٠٠.

١٨. القرآن والتفسير العصري: دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩.

❖ الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية:

١٩. الريف المصري^١: مطبعة الوفد، القاهرة ١٩٣٥ م.
٢٠. قضية الفلاح: مطبعة النهضة، القاهرة ١٩٣٨ م.^٢
٢١. الحياة الإنسانية عند أبي العلاء: مطبعة المعارف، القاهرة ١٩٤٤ م.
٢٢. سيد القرية- امرأة خاطئة: مطبعة المعارف، القاهرة ١٩٤٤ م.^٣
٢٣. رجعة فرعون: دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨ م.
٢٤. أرض المعجزات: دار المعارف، القاهرة ١٩٥١ م.^٤
٢٥. سر الشاطئ: مطابع روز اليوسف، القاهرة ١٩٥٢ م.^٥
٢٦. الخنساء: دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٧ م.^٦
٢٧. صور من حياتهن: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٩ م.^٧
٢٨. الغفران- دراسة نقدية: دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠ م.^٨
٢٩. قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر: دار المعرفة، القاهرة ١٩٦١ م.^٩
٣٠. أبو العلاء المعري: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.
٣١. الشاعرة العربية المعاصرة: دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٥ م.
٣٢. الأدبية العربية أمس واليوم: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٧ م.^{١٠}

١. سقط من بليوغرافيا سمية رشاد، ورد عند كاميل، أعلام الأدب العربي المعاصر، ١/ ٣٦٣.

٢. طبع مرة أخرى سنة ١٩٤٩ م.

٣. طبع مرة أخرى سنة ١٩٥٨ م.

٤. طبع تسع طبعات أخرى: ١٩٥٦، و١٩٦٩، و١٩٧٢، و١٩٧٣، و١٩٧٥، و١٩٧٦، و١٩٧٩، و١٩٨٠، و٢٠٠٠.

٥. طبع مرة أخرى سنة ١٩٩٢ م.

٦. طبع خمس طبعات أخرى: ١٩٦٣، و١٩٧٦، و١٩٨٠، و١٩٩٩، و٢٠٠٠.

٧. طبع مرتين سنتي: ١٩٩٩، و٢٠٠٣.

٨. - طبع ثلاث طبعات أخرى: ١٩٦٤، و١٩٦٨، و١٩٩٩.

٩. طبع مرتين سنتي: ١٩٦٦، و١٩٩٤.

- على الجسر—أسطورة الزّمان.^١: دار الهلال، القاهرة ١٩٦٧م.
٣٤. الأبعاد التاريخية والفكرية لمعركتنا: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٨م.^٢
٣٥. أعداء البشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٨م.
٣٦. تراثنا بين ماض وحاضر: معهد البحوث والدراسات العربيّة، القاهرة ١٩٦٨م.^٣
٣٧. لغتنا والحياة: معهد البحوث والدراسات العربيّة، القاهرة ١٩٦٩م.
٣٨. المعركة اللّغوية على أرض البطولات الجزائر: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٩م.
٣٩. مقدّمة في المنهج: معهد البحوث والدراسات العربيّة، القاهرة ١٩٧١م.^٤
٤٠. مع أبي العلاء في رحلة حياته: دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م.^٥
٤١. الجديد في رسالة الغفران: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣م.
٤٢. التراجم السيّدات بيت النبوة: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧م.^٦
٤٣. الأعمال الكاملة: الجزء الأوّل، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، والجزء الثاني ١٩٩١م.

❖ كما أنّها قامت بتحقيق مخطوطات كتب منها:

٤٤. رسالة الغفران: أبو العلاء المعريّ، مطبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٥١م.
- ومعها رسالة ابن القارح، بدءاً من الطّبعة الثالثة.
٤٥. المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة: علي بن إسماعيل بن سيّده، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٥٨م.
٤٦. رسالة الصّاهل والشّاحج: أبو العلاء المعريّ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥م.

^{١٠}. سقط من بيليوغرافيا سمية رشاد. ورد عند جوزيف زيدان، مصادر الأدب النّسائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط، دت، ص ٤٦٣.

^١. -طبع ثلاث طبعات أخرى: ١٩٨٦، و١٩٩٩، و٢٠٠٢.

^٢. سقط من بيليوغرافيا سمية رشاد. ورد عند جوزيف زيدان، مصادر الأدب النّسائي، ص ٤٦٣.

^٣. طبع مرّة أخرى سنة ١٩٩٤.

^٤. سقط من بيليوغرافيا سمية رشاد. ورد عند جوزيف زيدان، مصادر الأدب النّسائي، ص ٤٦٦.

^٥. طبع مرتين سنتي: ١٩٩٩، و٢٠٠٠.

^٦. طبع مرّة أخرى سنة ١٩٨٨.

٤٧. مقدّمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح: تقي الدّين بن الصلاح، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م.

➤ ثانياً: البحوث:

ومن بحوثها المنشورة:

- المرأة المسلمة، في: كتاب (الإسلام، اليوم وغدا): نشر الحلبي بالقاهرة م ١٩٤٠
- رابعة العدوية، أدبية وشاعرة: حوليات جامعة عين شمس ١٩٦٢م.
- تعليق على ما جاء في القرآن الكريم والحديث في كتاب (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لكبير المستشرقين الروسي "كراتشكوفسكي": طبع مع المجلد الثاني من الترجمة العربية للكتاب، جامعة الدول العربية بالقاهرة.
- مدينة السلام في حياة أبي العلاء: وزارة الثقافة العراقية، بغداد ١٩٦٤م.
- تقرير عن أوراق البردي العربية في مكتبة فيينا ألبرتينا: القاهرة ١٩٦٥م.
- دراسة برديات مصر الإسلامية، حوليات جامعة عين شمس، ١٩٦٧م.
- كتابنا الأكبر: مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٧م.
- المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة الإسلامية، ١٩٦٨م، ١٩٦٩م.
- الأدبية العربية، أمس واليوم.
- القرآن وقضية الحرية.
- الأدب النسوي العربي المعاصر: نشر المؤلّفة، القاهرة ١٩٦١م، وفي بحوث حلقة روما للأدب العربي المعاصر ١٩٦٣.
- الأدب العربي بين التراث والمعاصرة، في بحوث مؤتمر الأدباء العرب، بغداد ١٩٧٠م.
- من أسرار العربية في البيان القرآني: منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت ١٩٧٢م.
- من الإمام مالك إلى المنهج الحديث، في بحوث ندوة الإمام بالرباط: ١٩٧٢م.

- الشباب بين العقيدة والاختيار، من منشورات جمعية التضامن الإسلامي بالمغرب، طبعة بيروت ١٩٧٥م.
 - القرآن والفكر الإسلامي المعاصر، المركز الثقافي العربي ببيروت، ١٩٧٥ م.
 - الشاعرة والملهمة، وزارة الثقافة المغربية ١٩٧٥م.
 - شخصية المرأة في القرآن الكريم، بحوث الإسلام والأسرة، جامعة الأزهر ١٩٧٥م.
 - مع أبي مروان ابن حيان في قراءة جديدة لتاريخ الأندلس، وزارة الثقافة المغربية ١٩٨٠م.
 - أبو العلاء وأدبه، في رواية جديدة معهد الدراسات الشرقية بجامعة كمبودج فصل من موسوعتها للأدب العربي.
 - قبس من مشارق الأنوار على صحاح الآثار الموطأ والصحيحين للقاضي عياض، مجلة المناهل المغربية ١٩٨٠م.
 - مشارق الأنوار للقاضي عياض ومطالع الأنوار لابن قرقول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ١٩٨٣م.
 - تفسير آيات الأحكام: سورة الطلاق، كلية الشريعة بفاس.
 - تفسير آيات الأحكام: سورة المدثر ١٩٨١م-١٩٨٣.
 - تفسير آيات الأحكام: سورة الحجرات.
 - التفسير الديني لتاريخنا، مجلة العروة الوثقى بالقاهرة، جامعة الشعوب الإسلامية والعربية ١٩٨١م، الأعداد ١-٤.
 - كتاب البهائية الجديدة، مؤتمر السنة والسيرة النبوية.
 - عن الإسلام والقرآن والسنة، الأهرام ١٩٨٥م.
- عاشت بنت الشاطيء في ظلال القرآن، آتاه الله الحجة وبلاغة الأسلوب، فبرز اهتمامها في كتبها بالتراث العربي الإسلامي تحقيقا ودراسة، وتصديها للكتابة حول اللغة العربية، وقضايا الإسلام، ودفاعها عنها، وعمّن يبغى الفساد في الأرض، كتصديها للبهائية. وتحدثت عن اليهود وكشفت مخططاتهم وكيدهم للإسلام، وعينت

بالكتابة عن بيت النبوة والسيرة النبوية منذ أوائلها بدءا بكتاب "أمّ النّبي" إلى كتاب "سكينة بنت الحسين". واهتمّت بالدراسات القرآنية التي تمثّل الفكر الإسلامي، في عصر الاهتمام بلغات المستعمرين وثقافتهم، وكتبت عن قضايا الفلاح والمجتمع الريفي، فضلا عن إبداعها في مجالي القصّة والرواية.

وكان لسانها المصقول بتجويد القرآن الكريم مؤهلا لها للخوض في معارك جدية، كان أبرزها التفسير العصري للقرآن الكريم، وكان كفاحها الفردي، وفي مجتمع محافظ دافعا ومؤيدا لدعمها لتعليم المرأة، وسندا للشخصية الإسلامية، وطبيعة إنتاجها الذي أفادت به دليل على دأبها وجلدها اللذان لا يفتران.

❖ ثالثا: مقالات في الصحف والمجلات:

الملف الوثائقي لعائشة عبد الرحمن، أعدّه مركز التنظيم والميكروفيلم بجريدة الأهرام القاهرية، تسعة مجلدات ضخمة ضمت مقالاتها التي نشرت في جريدة الأهرام في الفترة من ١٩٣٥ إلى ١٩٩٢ م.^١

لم تكن بنت الشاطئ مؤلفة فحسب، ولم يكن ما تكتبه يفيد الدارسين والمثقفين، بل اهتمت كثيرا بالأوضاع الاجتماعية السائدة في مجتمعها، وقد عرضت العديد من القضايا الاجتماعية في الصحف والمجلات، وحاولت علاجها.

يرجع الفضل إلى اهتمام عائشة عبد الرحمن بالصحافة إلى جدها الذي اعتاد على متابعة ما تنشره الصحف من أخبار، وكان على عائشة عبد الرحمن في تلك الفترة أن تشتري لجدها في طريق عودتها من المدرسة، جريدتي الأهرام والمقطم، لكي تقرأهما لجدها، ثم تجلس معه في عطلة آخر الأسبوع، ليملي عليها مقالاته التي كان يعالج فيها مشكلة معاناة دمياط من تراكم رواسب النيل قرب المصب على ساحل البحر، لكي يرسلها إلى الحكام في مصر، وإلى الصحف اليومية، واستمرت المراسلة ثلاث سنوات، وقد كان لذلك أثر إيجابي على قلم الفتاة، فأحبت الكتابة وأصبحت تتفنن في الأسلوب.^٢

^١ . حسن جبر، بنت الشاطئ من قريب، ص ٢٤٦.

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٣.

أثناء عملها بوظيفة كاتبة "بكلية البنات" في الجزيرة، رغبة قديمة أعادتها إلى الكتابة في الصحف، حيث كانت أثناء إقامتها في مدرسة المعلمين، تطالع في المكتبة مجلة النهضة النسائية، فبعثت بعض خواتمها وكتاباتها إلى هذه المجلة، فكانت أول قصيدة لها بعنوان "الحنين إلى دميّاط" وعندما رأت القصيدة تنشر في المجلة تتابعت رغبتها في إرسال العديد من القصائد والمقالات.

قال مصطفى عبد الرزاق: "مارست هواية الأدب في عهد مبكر وبدأت بنظم الشعر، فنشرت قصائد لها في مجلة النهضة النسائية عام ١٩٢٨، أي وعمرها حوالي ١٥ عاما، ثم اتجهت بعد الشعر إلى كتابة المقال الأدبي والاجتماعي في نفس المجلة".^١ كانت عائشة عبد الرحمن فصيحة اللسان، ناصعة البيان، صحيحة الأسلوب، متحرزة من الأخطاء اللغوية والنحوية، مما شجع صاحبة المجلة "ليبية أحمد" إلى دعوة الفتاة إلى زيارتها حيث كلفتها بالعمل معها، وكان ذلك العمل هو: كتابة بريد المجلة، وإعداد مواردها للطبع، وتصدير كل عدد منها بمقال افتتاحي تتفنن عائشة عبد الرحمن في إنشائه، وتوقعه باسم صاحبة المجلة. حتى تعود السيدة الحاجة من رحلتها السنوية إلى الحجاز، وقضت هناك حوالي ستة أشهر، مطمئنة إلى إخلاص عائشة عبد الرحمن في القيام على شؤون مجلتها.^٢

وكانت لهذه التجربة أثرها الطيب الإيجابي في نفسية وقلم عائشة عبد الرحمن، فأصبح لها قلم سيال، ونفس طويلة، فصبرت على الكتابة والعمل الشاق لتشبع رغبتها المكتوبة، وكانت أيضا راضية تماما عن هذه التجربة التي أشبعت هوايتها القديمة للكتابة، "كما قامت الحاجة بتدريتها على الكتابة، وهيات لها -مع ذلك- مكافأة شهرية".^٣ وكان لذلك العمل الدافع الكبير في إغرائها بأن ترسل بعض قصصها إلى الصحف اليومية، ومنها مجلة الهلال التي نشرت مشاهير كتاب جيل ذلك الوقت.

^١ . مصطفى عبد الرزاق، في لقاء معه يوم الثلاثاء، بتاريخ ٨-٨-٢٠٠٠، نقال عن: ريم صالح عياد، عائشة

عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، ص ٨٨-٨٩.

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٧٥

^٣ . نفس المصدر ص ٨٠

وقد نشرت لها صحيفتا: "البلاغ، وكوكب الشرق" من قصص قصار، وأما مجلة الهلال فأعادت لعائشة عبد الرحمن القصة، مع بطاقة اعتذار باسم (أميل زيدان). كما تابعت عائشة عبد الرحمن في إرسال العديد من المقالات والقصص القصيرة، ثم اهتمت بقضية الفلاح، حيث نشرت (جريدة الأهرام) في صفحاتها الأولى مقالات عن "الريف المصري، وقضية الفلاح" في صيف سنة ١٩٣٥ وبذلك توثقت صلة عائشة عبد الرحمن بالجريدة، حيث اتصل بها سكرتير التحرير (نجيب كنعان) يدعوها لمقابلة صاحب الجريدة (جبرائيل تكلا بك) الذي رحب بها وضمها إلى فريق التحرير.^١

وتم نشر كتابها "الريف المصري" عندما بدأ عامها الثاني في الجامعة، حيث عرضت مكتبات العاصمة كتابها الأول عن (الريف المصري، حصل على الجائزة الأولى في المسابقة الرسمية لوزارة "علي ماهر" في هذا الموضوع "إصلاح الريف والنهوض بالفلاح".

واختيرت عضوا في المؤتمر الزراعي الأول الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٣٦.^٢ قالت عائشة عبد الرحمن: "بدأت أكتب عن "الريف المصري" سنة ٣٥، وقضية الفلاح" سنة ٣٩، ولي مؤلفات تحمل طابعة اجتماعيا، بعد أن انتقلت من الريف إلى العاصمة، ولمست فرقا شاسعة بينهما، وفي هذه السنة بالذات سارت مؤلفاتي تحمل الطابع الأدبي والاجتماعي"^٣

تتابع عمل عائشة عبد الرحمن في الصحف والمجلات، حتى بعد أن تزوجت، ومن المعروف أن حادث الزواج والحمل والإنجاب كفيل في حد ذاته أن يعطل مسيرة أي سيدة، ولكن أحداث الحياة لا تقف عقبة في طريق تقدمها. أكثرت عائشة عبد الرحمن في مطلع حياتها من نظم القصائد الشعرية، وكانت تنشرها في الصحف والمجلات الأدبية، ثم المقالات الأدبية والاجتماعية.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٨٠-٨٤

^٢ . نفس المصدر ص ١١٧-١١٨

^٣ . حوار أجرته ليلى نوري الأهرام ٢٧-١١-٨٨/ملف في جريدة الأهرام رقم الملف ١/٨٥٢.

وفي الستينات اتجهت عائشة عبد الرحمن نحو دراسة القرآن الكريم، والقضايا الإسلامية، دراسة بلاغية، وكانت دراستها تلك بداية تحولها نحو الاهتمام بالإسلام وقضاياها، وأخذ اهتمامها يتزايد يوما بعد يوم، فالدراسة الإسلامية كانت تربيتها الأولى في مهد أبيها، ثم نمت وهي في بيت زوجها، وإن كان توجهها إلى الدراسة الأدبية في الجامعة، وانشغالها عن الكتابة الإسلامية، ولكن الأدب يعين الإنسان على فهم القرآن الكريم وتدبره.

قال مصطفى الشكعة: "في بداية كتابة عائشة عبد الرحمن كانت عن الفلاح لأنه مضطهد، ثم توجهت إلى الكتابة الإسلامية بين فكر وحضارة وتاريخ وسيرة وتفسير. أعني إحاطة في العلوم الإسلامية، تكتب مقالات أسبوعية، ومقالا يوميا في شهر رمضان، وهذه المقالات عندما تجمع آخر الشهر تصبح كتابا، يمكن أن يطلق على عائشة عبد الرحمن اسم عالمة موسوعية، تكتب في أشياء كثيرة، ولا أعني أنها تكتب في الفيزياء أو الكيمياء. بل موسوعة إنسانية"^١

كانت عائشة عبد الرحمن تفتخر بالكتابة في جريدة الأهرام، وتعزى بذلك، ولكنها كانت تكتب في صحف ومجلات أخرى في بلاد شتى لتمكن من إبلاغ العلم إلى أكبر عدد منهم، ومن أهم الصحف والمجلات التي كتبت فيها:

- مجلة المناهل تصدرها وزارة الدولة الرباط-المغرب.
- مجلة دار الحديث الحسينية-مجلة سنوية علمية، تعنى بشؤون الفكر الإسلامي.

- مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط.^٢

الفرع الرابع: نشاطها في المؤتمرات العلمية وجوائزها:

أولا: نشاطها في المؤتمرات العلمية:

- شاركت ببحوث أصيلة في العديد من المؤتمرات^٣

^١ . عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، ص ٩١

^٢ . عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير ، ص ٩٢.

^٣ . حسن جبر، بنت الشاطي من قريب، ص ٢٦٣-٢٦٤.

- المستشرقين الدولي: ميونخ ١٩٥٧م، ونيودلهي ١٩٦٤م.
- المؤتمر الثقافي العربي، بغداد ١٩٥٧م.
- المؤتمر الأول للكتاب الآسيويين والأفريقيين طشقند: ١٩٥٧م.
- مؤتمر الأدباء العربي في: القاهرة ١٩٦٨م، والكويت ١٩٦٠م،
- وبغداد ١٩٦٤م، ١٩٧٠م.
- مؤتمر النساء الأفريقيات، أكرا، غانا: ١٩٦٠م.
- الحلقة الدولية للأدب العربي المعاصر، روما: ١٩٦١م.
- مؤتمر للمعلمين العرب، الجزائر: ١٩٦٣م.
- العيد الألفي لمدينة بغداد، بغداد: ١٩٦٣م.
- مؤتمر علماء الإسلام، في احتفال المغرب بمرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، المغرب ١٩٦٧م، ١٩٦٨م.
- ندوة القرآن الكريم بجامعة أم درمان الإسلامية: ١٩٦٨م.
- المؤتمر التأسيسي لجامعة الجامعات الإسلامية فاس: ١٩٦٩م.
- مؤتمر علماء الإسلام بالمغرب، مراكش: ١٩٧٠م.
- مؤتمر الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا: ١٩٧٠م.
- ندوة الإمام مالك بالمغرب، الرباط: ١٩٧١م، فاس ١٩٨٠م،
- مراكش ١٩٨١م.
- مؤتمر الإسلام والأسرة، جامعة الأزهر: ١٩٧٥م.
- مهرجان الشاعر إقبال، باكستان: ١٩٦٩م.
- مهرجان الذكرى الألفية للشاعر ابن زيدون، الرباط: ١٩٧٥م.
- ندوة الرباط للمؤرخ أبي مروان ابن حيان القرطبي، الرباط: ١٩٨١م.
- معرض الكتاب الإسلامي، بالمركز الثقافي المصري، لندن: ١٩٨٠م.
- مؤتمر السنة والسير النبوية بالأزهر، القاهرة: نوفمبر ١٩٨٥م.

ثانياً: الجوائز التي حصلت عليها:

تميّزت بشخصيتها الفريدة، ومؤهلاتها، وبحوثها التي تجاوزت شهرتها أقصى الوطن

العربي والعالم الإسلامي إلى المغرب، وتميّزت أيضا بمكانة رفيعة، وكرّمتها الدول والمؤسسات الإسلامية، وحصلت على كثير من الجوائز والأوسمة، هي^١

١. جائزة الدولة المصرية الأولى للدراسات الاجتماعية: الريف المصري ١٩٣٦م.
٢. جائزة المجمع اللغوي بالقاهرة لتحقيق النصوص ١٩٥٠م.
٣. جائزة المجمع اللغوي للقصة القصيرة ١٩٥٣م.
٤. وسام الكفاءة الفكرية من جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب ١٩٦٧م.
٥. وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، مصر ١٩٧٢م.
٦. جائزة الدولة التقديرية للآداب، مصر عام ١٩٧٨م.
٧. جائزة تقدير من المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة، مصر ١٩٨٠م.
٨. جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن كتاب "قراءة في وثائق البهائية" ١٩٨٨م.
٩. فازت بجائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الدكتورة وداد القاضي عام ١٩٩٣م.

واختارها عدد من الباحثين موضوعا لرسائلهم الجامعية أذكر منها:

- "بنت الشاطئ الأدبية العربية والمفكرة الإسلامية"، رسالة دكتوراه للمستشفرة (الأوزبكية) المسلمة مريم بابا خانوف.
- "بنت الشاطئ ترجمة حياتها وشخصيتها وآثارها في العربية والإسلام"، رسالة دكتوراه للمستشرق الهولندي (كوجي) الأستاذ المحاضر بمعهد الدراسات العربية جامعة مستردام.
- "بنت الشاطئ وكتابها قيم جديدة للأدب العربي"، رسالة دكتوراه للمستشفرة الإيطالية (باوال كايثاني) كما ترجمت كتبها "تراجم سيدات بيت النبوة-رضي الله عنهم-" إلى اللغة الفارسية والأردية والإندونيسية ولالبانية^٢
- "الآراء التربوية في كتابات الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ"، رسالة

^١ . سمية رشاد، عائشة عبد الرحمن، مجلة الفهرست، ص ١٢٨-١٢٩

ماجستير قدّمها: خليل حسن السيد حسن، جامعة الأزهر كلية التربية بمصر، إشراف:

عبد صالح إبراهيم علي وعبد البديع عبد العزيز محمد عمر البناء، سنة ٢٠٠٣م. - "بنت الشاطئ ودراسة التراث الأدبي وتحقيقه"، رسالة دكتوراه قدمتها: الرحيل ديانا موسى مصطفى، جامعة اليرموك، كلية الآداب بالأردن، إشراف: بكار يوسف حسين.

تاريخ ومكان وفاتها:

توفيت عائشة عبد الرحمن يوم الثلاثاء، الموافق لأحد عشر من شعبان ١٤١٩ هـ الموافق لواحد من ديسمبر ١٩٩٨م، عن عمر يناهز السادسة والثمانين، ويبين لنا مصطفى عبد الرازق عن قصة مرضها: "إنها لم تكن تشكو من أي مرض مدة خمسة أيام. ثم فاجأها غيبوبة، ولكنها أفاقت منها وشكت من آلام في يدها اليسرى، وجلست في حجرة ابنتها المرحومة أمينة وهي الحجرة التي كانت تفضل كتابة مقالها الأسبوعي فيها، وكذلك حديث رمضان. ولما انتهت من كتابة مقالها الأسبوعي في السادسة تأهبت للذهاب إلى المجالس القومية المتخصصة لحضور اجتماع. وبمجرد وصولها إلى هناك شعرت بعدم القدرة على الوقوف على قدميها، فغادرت المكان إلى مستشفى هوليوبوليس، وقرر الأطباء إدخالها العناية المركزة، وأجريت لها التحاليل والفحوصات اللازمة التي أثبتت أنها أصيبت بجلطة في المخ واشتدت حالتها يوم السبت. وفي الثانية وخمس وخمسين دقيقة بعد ظهر الثلاثاء صعدت روحها إلى بارئها وكانت أهم وصاياها لنا العناية بالفقراء"^١

وأم المصلين عليها الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، وذلك بمسجد رابعة العدوية بمدينة نصر ودفنت بمقبرتها بمدينة نصر رحمها الله.^٢

^١ . ملف في أرشيف جريدة الأهرام، ٣ ديسمبر ١٩٩٨، رقمه ٨٥٢\١

^٢ . نفس المرجع السابق ص: ٨٥٢

خلاصة الفصل:

لقد عاشت عائشة عبد الرحمن فترة اضطرابات وحروب وفتن، إلا أن ذلك الوضع السياسي المأسوي، لم يحل بينها وبين دربها العلمي، فقد كانت رائدة من رائدات الجيل النسائي الحديث بحق، جاهدت في سبيل العلم والفكر والمعرفة، فبدأت رحلتها العلمية في كتاب حفظ القرآن الكريم، ثم في المدرسة الإسلامية التي رسّخت جذورها في المبادئ والأصول الإسلامية، ووجهتها من حيث لا تحتسب من كتاب القرية إلى منبر الأستاذية بجامعة عربية، فأضافت للمكتبة العربية رصيداً ضخماً من الأعمال الأدبية والنقدية والتفسيرية والدراسات الجامعية، وكانت في شيخوختها تأمل أن تكتب عن البهائية بعد أن جمعت عنها المصادر كافة، ولكنها لم تتمكن من كتابة شيء عنها.

ثم إنها كانت تتجه نحو تنقيح آرائها، والبرهان على قولها، والاستدلال على كل مذهب، لتبدي رأيها، وتعلن الراجح والحق والأصوب الذي توصلت إليه، وهكذا منهجها في سائر كتبها، لتختتم حياتها في العلم.

الفصل الثاني

حياة بانو قدسية و أعمالها الأدبية. 

الفصل الثاني

حياة "بانو قدسية" و أعمالها الأدبية.

حينما يقترب الإنسان من حياة السيدة بانو قدسية ليترجم لها يختار من أين يبدأ و إلى أين ينتهي ففي كل لحظة من حياتها قصة كفاح، تحتذي من أصل الإنسانية والعلم ومن أجل العلم تخطت أكثر من عقبة كنوري نهار أمامها الصخر، كما أثرت المكتبة الأردنية بحوالي أربعين كتابا غير البحوث القيمة.

اسمها:

قصة اسم بانو قدسية مثيرة للاهتمام أيضاً، في طفولتها ، كانت تسمى باسم "كاكي". وتقول:

"جیسے دیہات میں دستور ہے کہ بیٹی کو "کاکی" کہہ کر بلاتے ہیں ایک عرصہ تک میرا نام یہی رہا۔ والدہ نے اُن کا نام قدسیہ بانور کھا تھا لیکن ادب میں وہ بانو قدسیہ کے نام سے معروف ہوئیں"¹

ظل اسمي "كاكي" لفترة ما كما هو الحال في القرى حيث يسمون أو ينادون الأبن "بكاكي". كانت الأم اختارت اسم قدسية بانو، ولكن في الأدب عُرفت باسم بانو قدسية. ونشرت روايتها الأولى بنفس الاسم، كما لقب بها إشفاق أحمد، وفي هذا الصدد تحكي بنفسها:

¹ . راہ رواں لبانو قدسیہ سنگ میل پہلی کیشنز لاہور ۲۰۱۱ ص ۱۵۵

"میں جب کالج میں پڑھتی تھی، ایشفاق احمد کے ساتھ تو مجھ سے روز کہا کرتے تھے کہ ادیب بننا ہے تو نام میں ادبیت ضرور ہونی چاہیے۔ تب میں قدسیہ بانو چٹھہ تھی، تو انھوں نے کہا کہ میں بھی اپنا خان ہٹاتا ہوں تم بھی اپنی ذات ہٹاؤ، میں تمہارا نام بانو قدسیہ کرتا ہوں۔ تو یہ نام مجھے ان کا دیا ہوا ہے، ایشفاق صاحب کا"۔^۱

"عندما كنت ادرس في الكلية، كان إشفاق أحمد يقول لي دائماً ستكونين اديبة، وكنت عند إذن قدسية بانو "جٹھہ" فقال لي أنا أزيل اسمي كلمة خان، كذلك أنا أختار لك اسم "بانو قدسية" بدون "جٹھہ"، و هذا هو اسم الذي اختار لي إشفاق أحمد.

ولادتھا:

ولدت بانو قدسية في ۲۸ (نوفمبر) ۱۹۲۸ في "مدينة فيروزپور"، في شرق البنجاب في أثناء البريطانية على الهند، لعائلة تنتمين إلى طبقة الفلاحين، و هي تتكلم بنفسها عن ولادتھا و تقول:

"جب میں پیدا ہوئی تو اس وقت ہلکی ہلکی بارش ہو رہی تھی اور ملٹری بینڈ چلنے لگ گیا تھا۔ وہاں پر ایک جوتشی بیٹھا تھا۔ کہتا ہے کہ اس لمحے اس ہسپتال میں کوئی بھگت پیدا ہوا ہے۔ ہو سکتا ہے کہ یہ بات کسی اور سے منسوب ہو لیکن میں نے اس بات کو خود سے منسوب کر لیا اور مجھے خوش محسوس ہوتی ہے"۔^۲

"عندما ولدت كانت السماء تمطر مطرا خفيفاً و كانت هناك فرقة عسكرية تقوم بالعزف و كان هناك (عزّاف) جالسا؛ يقول لقد ولد الان طفلاً مبارك في هذا المستشفى؛ و من ممكن أن يقول مقصود شخص آخر و لكنني أنسب هذا امر لنفسي وأشعر بالسعادة".

۱ . راہ رواں " ص ۱۰۵

۲ . نفس المصدر السابق

والدها:

والدها هو الشيخ بدر الزمان الذي حصل على شهادة درجة البكالوريوس في الزراعة؛ (أي كان من أصحاب العلم والمعرفة) توفي بينما كان عمر بانو قدسية ثلاث سنوات ونصف فقط.^١ بعد تقسيم الهند، إنتقلت إلى لاهور مع عائلتها؛ قبل مجيئها إلى لاهور كانت مشغولة بمنز نعومة أظفارها في الدراسة، "وهرم شالابا قليم هماجل پروليش" بشرق الهند؛ وكانت والدتها السيدة ذاكرة جتته امرأة متعلمة أيضاً.^٢

شخصيتها:

ولدت بانو قدسية في (٢٨ نوفمبر ١٩٢٨م) وتوفيت في (٤ فبراير ٢٠١٧م)، وهي روائية أردية وبنجابية معروفة وكاتبة مسرحية في باكستان، كتبت العديد من المسرحيات للإذاعة والتلفزيون باللغتين الأردية والبنجابية، وأشهر أعمالها الروائية؛ رواية "ملك نسر" (راجع كده)، وتصل روايتها "نصف القول" إلى مكانة كلاسيكية رائعة.

بقدر ما كانت بانو قدسية كاتبة عظيمة من حيث أسلوبها الفريد، كانت أيضاً سيّدة عظيمة من حيث الشخصية والكرامة؛ كانت مهتمة جداً بإبداع الأدب، فقد نُشر أول عمل الروائي لها و عنوانه "واماندگی شوق" في المجلة الأدبية البارزة "أدب لطيف" التي صدرت في لاهور عام ١٩٥٠م.^٣

تعتبر بانو قدسية شخصية أدبية قديرة في فن كتابة القصص الأسطورية والقصص القصيرة باللغة الأردية في عصرها، وهذا دليل على ملاحظتها العميقة وبصيرتها. نظرًا لقدراتها

١ . راه رواں" ص ١١٥

٢ . نفس المصدر

٣ . نفس المصدر ص ٢٠٠

الأكاديمية والأدبية، فهي صاحبة صفات شاملة وشخصية متنوعة الفكر، تعتبر أعمالها علامة بارزة في تطور الأدب الأردني، فهي كاتبة للقصص الأسطورية الأردنية، والروايات الرائعة، والمسرحيات الشهيرة، و شخصيتها شخصية رفيعة المستوى، كما انها مفكرة مشهورة ومعروفة، وتعد رواياتها ومسرحياتها عنصرا مهماً جداً في مجال الأدب الأردنية المعاصرة.

وقد اضافة الادبية بانو قدسية اضافة غير مسبقة إلى فن كتابة القصص الأردنية و احتلط بذلك مكانة مرموقة بين الأدباء عصرها من الباكستانيين؛ فهي تحظى بالاحترام في جميع الأوساط الأدبية؛ هذا هو السبب بأنها أصبحت الآن سيدة في الأدب الأردني، أي انها تعد بمثابة المرجعية الأدبية لأدباء عصرها.

ظهرت بانو قدسية في الأدب الأردني في وقت وصلت فيه الرواية الأردنية إلى مراحل المهمة من التطور وكانت كتابة الخيالية الحديثة للحركة التقدمية و رابطة أصحاب الذوق الأدبي المعروفة (حلقة ارباب الذوق) قد شرعوا في بناء اتجاهين متوازيين في الأفق الأدبي، أحدهما يحتم بقضايا المجتمع الواقعية و تمثلة الحركة التقدمية، والاخر يحتم بقضايا الفرد الداخلية وتمثل رابطة اصحاب الذوق، وهكذا اصبحت هذه الحقبة اكثر مراحل ادب الاردني تطوراً، وكتبت بانو قدسية روايتها "واماندكي شوق" (الشغف بالمستقبل) وأعلنت عن صعود نجم جديد في أفق الخيال الأردني إبّان تلك الفترة.

تعليمها:

تلقت قدسية تعليمها الابتدائي من مدرسة "دهرم مساله" بفيروزيبور (الهند)؛ وظهرت إبداعها الأدبي في سن مبكرة، و أصبحت قصصها مشهورة جداً منذ أن كانت تدرس في المرحلة الابتدائية.

كما كانت تكتب لمجلات الكلية وفي مجلات أخرى، و تخرجت في تخصص الرياضيات والاقتصاد من كلية كينيرد للبنات بـلاهـور، وحصلت على شهادة الماجستير في اللغة الأردية من الكلية الحكومية بـلاهـور في عام ١٩٥١م^١.

أسرة بانو قدسية:

كان اسم والد بانو قدسية بدر الزمان واسم الأم "ذاكره چٹھ". ينتمي إلى فرع "چٹھ" من عائلة جت، عاش جد بانو قدسية مولا تشاند (مولا چند) في قرية خانيوال، وكانت عائلته ذات ثقافة و الادب، رغم ان معظمهم يعملون في مهنة الزراعة، وكان مولا تشاند الطفل الوحيد لوالديه، و كان شخصًا عالمًا وذكياً، وكانوا يزرعون عن طريق استئجار الأرض.

رزق الله "مولا تشاند" بنت و ثلاثة أبناء، وكانت عائلتهم مفعمة أنوار العلم منذ البداية، لم يدخر مولا تشاند أي جهد في تعليم وتدريب أبنائه، و توفير ما يكفي لتعليمهم العالي^٢. كانت هذه العائلة بيستة ، "بدر الزمان" ابن "مولا تشاند"، حصل على درجة البكالوريوس في الزراعة، وكان بدر الزمان مولعًا بركوب الخيل، وبصرف النظر عن كرة القدم، وكان أيضًا لاعب تنس ممتازًا، وبعد حصوله على درجة البكالوريوس في مجال الزراعة، التحق بوظيفة حكومية وترقى إلى منصب مدير في منطقة حصار شرق البنجاب، وكان متزوجا من ذاكره جتھ (چٹھ) التي ارتبطت بمجال التدريس، فتوفي عام ١٩٣٢م تاركًا خلفه طفلين وزوجة، وفي ذلك الوقت، كانت بانو قدسية تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف، وكان شقيقها برويز يبلغ من العمر ٥ سنوات.

١. راه رواں "ص ١٥٠

٢. بانو قدسية احوال واثار باقلمية ناز ص ١٦

والدة بانو قدسية السيدة ذاكرہ چٹھہ كانت لها أربع أخوات وأربعة إخوة، على الرغم من عدم الاهتمام بتعليم الفتيات في تلك الأوقات، إلا أن جدة أم بانو قدسية أفضال بي بي وجدة أمها شادي خان كانتا متفهمتين وبصيرتين للغاية، لقد اهتمتا ليس فقط بأبنائهما ولكن أيضاً بتعليم بناتيهما.^۱

قالت بانو قدسية:

اُن کے سارے بچے اعلیٰ تعلیم یافتہ تھے خاص کر لڑکیوں کی تعلیم کے بارے میں بُہت محتاط تھے۔ وہ کہتے تھے کہ مسلمانوں کے گھرانوں کی بیٹیاں ضرور تعلیم یافتہ ہوں تاکہ لوگوں کو پتہ چلے کہ تعلیم کی اہمیت سے بخوبی واقف ہیں اور یہ اپنی بیٹیوں کو غیر تعلیم یافتہ نہیں رکھتے۔^۲

"فإن جميع أطفالهم كانوا على مستوى عالٍ من التعليم، وخاصة للبنات، واللذين كانوا حريصين للغاية على تعليمهن، وكانوا يقولون إنه يجب تعليم بنات الأسرة المسلمة حتى يعلم الناس أنهم يدركون جيداً أهمية التعليم ولا يبقون بناتهم دون تعليم".

ولهذا السبب تعلمت جميع بنات العائلة وتقلدن مناصب عليا، وكانت إحدى عمات بانو قدسية طيبة في كوئٹہ، وكانت الثانية و الثالثة معلمتان في لاهور.

أصبحت والدہ بانو قدسية أرملة في شبابها وهي في السابعة والعشرين من عمرها، لقد كانت امرأة شجاعة جداً، وبعد وفاة زوجها واجهت كل المواقف كرجل بثقة تامة في نفسها وحكمة كبيرة، وقد وضعت خطة شاملة لمستقبل أفضل لأطفالها، فقد كانت امرأة شجاعة وأماً ذات رؤية لم تأخذ بعين الاعتبار ترميل شبابها، وضحت لأبنائها من أجل

۱. راہ رواں" ص ۱۵۷

۲. نفس المصدر

الغد، و تقول بانو قدسية "توفي والدي عندما كان عمري ثلاث سنوات ونصف، لذلك قامت أُمِّي بتربيتي وحدها، وكانت مديرة مدرسة جالاندهار في ذلك الوقت.^۱

لقد حاربت بشجاعة الظروف غير المواتية لتربية الأطفال وتعليمهم، وقد أتى عملها الجاد وتفانيها بثماره، وحقق ابنها وابنتها مكانة عالية في الحياة، وكسعدتهم في عاش حياة منضبطة.

وقال ممتاز مفتی:

"ہیڈ آفس میں میں نے مسز چٹھہ کو دو ایک بار دیکھا تھا۔ اس کا رنگ سانولا تھا۔ ناک تلوار کی دھار تھی۔ خدو خال میں اس قدر کڑختگی تھی کہ ملائمت کا نام و نشان نہ تھا۔ دفتر کا چھوٹا سٹاف اس کے نام پر تھر تھر کانپتے تھے۔ وہ بلا کی دیسپلی نیرین تھی۔ جب وہ میکینکال ج کی پرنسپل بنی تھی تو کالج کی لڑکیاں بھینیاں بنی ہوئی تھیں، چھ مہینے کے اندر مسز چٹھہ نے ان کا سارا بھوت نکال دیا اور کالج پر سناٹا چھا گیا"^۲

"لقد رأيت السيدة جته مرتين في المكتب الرئيسي، وكانت سمر لون، و الأنفها مستقيم كالسيف، وكانت ملامها جادة، و موظفوا المكتب الصغار يرتعدون عند سماع اسمها، فكانت إنسانة ذات عيبة كبيرة، حينما أصبحت مديرة كلية ماكلين، كانت فتيات الكلية مشاغبات، وفي غضون ستة أشهر قامت سيدة بإعادة تربيتهن وأصبحت الكلية في حالة سكونية." و قالت بانو قدسية في كتابها "مرد ابريشم":

"وہ اس عمر میں بھی لطیفوں پر ہنس سکتی ہیں، سکرسیبل کھیل کر، گانے گاتے ہوئے، چھوٹے بچوں کو کہانیاں سنا کر ان کے لیے نظمیں لکھ کر مسرور ہو جاتی ہیں۔ ان کی عبادت، شکر گزاری، عرض

^۱۔ راہ رواں "ص ۱۵۵

^۲۔ الکھ نگر، ممتاز مفتی، سگ میل پبلی کیشنز، لاہور ۱۹۹۳ء، ص ۳۶-۳۳۵

گزار نے اور جھگڑے کے لیے ضرور ہے لیکن وہ اللہ سے سوال نہیں پوچھتیں اس کا احتساب نہیں کرتیں"۔^۱

وفي هذا العمر كانت امي تضحك على فكاكات، وتستمتع بلعب الفتيات، وغناء الأغاني، وسرد القصص للأطفال الصغار، وكتابة القصائد لها، و كانت تهتمت بالعبادة وشكر الله تعالى تتجنب المشاجرات، و كانت ترضي بقضاء الله و قدره ولا تسأل أحداً سواح.

زواجها:

تزوجت بانو قدسية من الأديب الكبير إشفاق أحمد.^۲ أحب إشفاق أحمد بانو قدسية التي كانت رفيقته في مرحلة الماجستير وأراد الزواج منها. و من العروف أنها كانت تنتسب إلى قبيلة جتھے (چٹھہ) وإشفاق أحمد من قبيلة بشتوية (بٹھان) التي لا تسمح لأي فتى أو فتاة من هذه العائلة بالزواج من الخارجها، لهذا السبب عارض والد إشفاق أحمد عن هذا الزواج.

تحدث بروين عاطف عن زواج إشفاق أحمد: لم يتخل إشفاق أحمد عن قيم قبيلته، لكنه وجد نفسه عاجزاً عن إتباع تقاليد القبيلة امام حبه و إعجابه ببانو قدسية.^۳

۱. بانو قدسية، مرد ابریشم، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، ۱۹۹۸ء، ص ۹

۲. راہ رواں " ص ۲۰۰

۳. یہ صورت گر کچھ خوابوں کے، طاہر سعود، کراچی: مکتبہ تخلیق ادب، ۱۹۸۵ء، ص ۲۰۳.

و يقول ممتاز مفتي عن هذا الزواج: "كان والد إشفاق أحمد رجلاً شديداً لا يستطيع التحدث أمامه، لكن زُملاؤه وأخوه باركوا هذا الزواج بدون موافقة والده الذي لم يوافق قط.^١ وتم الزواج بمساعدة والدته بانو قدسية، وكانت امرأة متعلمة و مثقفة".^٢

حياتها بعد العقد:

تزوجت بانو قدسية من إشفاق أحمد في ديسمبر م ١٩٥٦ واضطر إشفاق أحمد إلى مواجهة رفض والده وتعرض للتعذيب الشديد، تبرأت منه عائلته وتعرض لمصاعب كثيرة، لكنه تظهر بالثبات، ولم يتراجع عن عزمه بسبب هذه المصائب.

وقد أعطاهما الله تعالى قدرات عقلية، وكانا يستخدمان هذه القدرات العقلية في أوقات الشدة. لقد ساعدوا بعضهم البعض طوال أيام الحياة، سواء كانت جيدة أو سيئة.

واستمرت رحلة الحياة من عدم الاستقرار إلى الاستقرار، وبفضل هذه الجهود أصبح اسمهما معروفا عالمياً، وأصبح اسمهما ضمن مشاهير الأدباء.^٣

بدأ التلفزيون في باكستان ٢٦ نوفمبر في السنة م ١٩٦٤ وفي الأيام الأولى بدأت الكتابة الدرامية وإشفاق أحمد هو واحد من كتاب الدراما، يعتبر من أوائل الكتاب المسرحيين الذين كتبوا أول مسلسل درامي للتلفزيون ومن أوائل الذين علموا الكثير عن طريق الراديو.

لقد تعلم الكثير من الإذاعة وأعطى لها جودة عالية، ثم أعطى للتلفزيون مكانة وهيبة جديدة وكان أسلوب أعماله الدرامية لا مثيل له.^٤

^١. اوکھے لوگ، ممتاز مفتی، یونیورسل بکس لاہور، ١٩٨٦م، ص ٩٠

^٢. بانو قدسیہ سے مکالمہ، راوی إشفاق احمد نمبر، گورنمنٹ کالج، اکتوبر ٢٠٠٥م، ص ١١١

^٣. فرزانہ، سیدہ نقوش، ادب، سنگ میل پبلیکیشنز لاہور، ١٩٨٦م، ص ١٤٦

^٤. نقوش ادب، سیدہ فرزانہ، سنگ میل پبلیکیشنز لاہور، ١٩٨٦م، ص ١٤٦

وظيفة إشفاق أحمد:

بدأ إشفاق أحمد حياته المهنية عندما كان طالبًا وبعد حصوله على درجة الماجستير قبل أن ينتقل إلى باكستان، عمل من محطة لاهور في تقديم خدماته الإذاعية على قناة و ترك العمل الإذاعي لمتابعة تعليمه العالي، وبعد ذلك انضم إلى إذاعة كشمير، وبعد ذلك تم تعيينه أستاذًا في كلية ديال سنغ^١ لاهور ودرس في هذه الكلية لمدة عامين، ثم في عام ١٩٥٦م تم تعيينه أستاذًا في جامعة روما بإيطاليا، وعندما عاد تم تعيينه أستاذًا فخريًا وأصبح رئيسًا لمعهد الثقافة الباكستاني من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٧٤م.^٢

بدأ إشفاق أحمد مسيرته الأدبية عندما كان طفلًا يدرس في الصف السابع، وأصدر مجلة اسمها "الوقع" وتولى منصب مديرها بنفسه، وكانت مجلة شهرية وأخفاها عن عائلته، و ذات يوم أخبره والده عن المجلة، فطلب جميع المجلات من إشفاق أحمد وأحرقها. وكان رأيه أن ابنه سيركز فقط على دراسته وبعد الانتهاء منها يفكر في أشياء أخرى، ومرة أخرى كتب قصة باسم الجفري وأرسلها للنشر لمجلة (ساقى)^٣ لكن المسئول لم ينشر هذه القصة وأجاب: هذه القصة غير قابلة للنشر.

وأرسلها مرة أخرى إلى مجلة الحياة الأدبية وقام مديرها مولانا صلاح الدين بنشر القصة، والتي ذاع صيتها بين عامة الناس ومع مرور الوقت ذاع صيت هذا الصبي في فن القصص والمسرحيات، وأصبح راويًا وكاتبًا مسرحيًا مشهورًا، بدأ بكتابة المسرحيات للراديو تحت اسم تلقين شاه.^٤ واشتهرت هذه المسرحيات بين عامة الناس، ثم تحول بعد ذلك إلى أدب

١. ديال سنغ: اسم الكلية الحكومية تقع في لاهور

٢. إشفاق أحمد سے آخری انٹرویو، گلزار، جاوید، دہلی، بحوالہ عالمی اردو، ادب اشفاق نمبر ٢٠٠٦، ص ٣٠

٣. اسم المجلة (ساقى) شارب الماء

٤. اسم إشفاق أحمد في المسرحيات التي تنشر من الراديو وهذا الاسم أصبح معروفًا أكثر من ٢٣ بين الناس.

الرحلات وبعد ذلك إلى فن الشعر والسيرة و قام بتأليف ترجمات وكتب في مواضيع مختلفة، واستمرت هذه الجهود حتى آخر لحظات من حياته.

يكتب السلطان أرشد القادري عن إشفاق أحمد: كان إشفاق أحمد روائياً وكاتباً ومسرحياً وشاعراً مشهوراً، كما وصف الأخلاق الإسلامية بشكل جميل و يقول انتصار حسين عنه: كان إشفاق أحمد نجماً ساطعاً أشرق في سماء الحكايات، ثم أشرق في سماء الإذاعة، وأخيراً أشرق في سماء التلفزيون.^١

وفاة إشفاق أحمد:

كما تشرق الشمس لا بد لها من غيوب، فقد توفي إشفاق أحمد في ٧ سبتمبر ٢٠٠٤م، اوكان مشهوراً بين عامة الناس و بلغ عمره تسعة وسبعين عاماً ودفن في مقبرة مادل تاون لاهور.^٢

أولاد بانو قدسية:

لها ثلاثة أولاد.

١. أنيق أحمد .

٢. أنيس أحمد .

٣. أثير أحمد.^٣

^١. ملاقاتیں، انتظار حسین، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور، ۲۰۰۱م، من ۴۴

^٢. وقاص ضیا، تعزیتی ریفرنس بیادِ اِفاقِ احمد۔ لاہور: مجلہ راویِ اِشفاق نمبر۔ گورنمنٹ کالج، ص ۱۲۰۔

^٣. راہ رواں " ص ۲۱۰

جوائز:

"تندرج خدماتها العلمية والأدبية والوطنية في باب لامع من تاريخ الأدب الأردني، وقد حصلت على الأوسمة التالية تقديراً لخدماتها الأدبية.

كما حصلت بانو قدسية على "جائزة تاج" لأفضل كاتبة مسرحية.

"جائزة نيجار" لأفضل كاتبة مسرحية عام ١٩٨٢م.

وبعد ذلك لمدة ثلاث سنوات متتالية حصلت بانو قدسية على "جائزة نيجار" لأفضل كاتبة مسرحية في عام ١٩٨٣ م، كما حصلت بانو قدسية على "نجمة التميز" من قبل حكومة باكستان.

وحصلت على "جائزة النجم (٢٠٠٣)م.

وحصلت هلال امتياز (٢٠١٠)م

بينما في عام ٢٠١٢ م، وحصلت على جائزة "درجة امتياز الفن"

و جائزة امتياز للفنون (٢٠١٢)م

وفي عام ٢٠١٦ م، تم تكريمها بجائزة "فوز حياتية."

في ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٠ م ، قامت Google بتكريم بانو قدسية في عيد ميلادها الـ ٩٢ من خلال صنع رسومات شعار Google Doodle باسمها.

هذا شرف وامتياز فريدان لا يشاركون فيهما أحداً^١.

^١ . بانو قدسية \ <https://ur.wikipedia.org/wiki> بتاريخ ٢١-٠٣-٢٠٢٣.

مؤلفاتها الشهيرة:

أول مسلسل لبانو قدسية كان "سدھراں" الذي لاقى شعبية كبيرة، زادت بانو قدسية من ثروة الأدب الأردية بأعمالها، و صدرت روايتها الملحمية "ملك نسر" عام ۱۹۸۱ م، ووصل نشرها إلى أوج الشهرة والشعبية، وقد تُرجمت إلى عدة لغات، وقد تم نشر ثلاثين طبعة لهذه الرواية ترجمة باللغة الأردية حتى الآن، و في ما يأتي أسماء لبعض أعمالها الأخرى:

آتش زیر پا (تحت الضغط في وضع حرج)

آدمی بات (نصف الكلام)

ایک دن (ذات يوم)

امر بیل (الجوس الخالد)

آسے پاسے (حول)

بازگشت (صدى صوت)

چهار چمن (أربع حدیقات)

چھوٹا شہر، بڑے لوگ (مدينة صغيرة، وشعب كبيرة)

دست بستہ (يد بيد)

دوسرا دروازہ (الباب الثاني)

دوسرا قدم (الخطوة التالية)

فٹ پاتھ کی گھاس (عشب الرصيف)

حاصل گھاٹ (منبع الماء)

ہوائ کے نام (اسماء الهواء)

ہجرتوں کے درمیان (بین المہجرات)

کچھ اور نہیں (لا شيء آخر)

لگن اپنی اپنی (التفاني الخاصتي)

مرد ابریشم (رجل الحریر)

موم کی گلیاں (شوارع الشمع)

ناقابل ذکر (الكلام مرفوض)

پیانا نام کا دیا (نظرا لاسم بیا)

پروا (اهتمام)

راجہ گدھ (ملك نسر)

سامان وجود (متاح الحياة)

شہر بے مثال (مدينة لا مثیل لها)

شہر لازوال آباد ویرانے (مدينة لازوال آباد المهجورة)

سدھراں

سورج مکھی (دوار الشمس)

تماثيل

توجه کی طالب (طالب الاهتمام)

"پھراچانک یوں ہوا" (ثم حدث ذلك فجأة).

"راہ رواں" (طريق ممتد)

وفاة بانو قدسية:

خفت ضوء قمر الأنثوية في الأدب الأردني في باكستان عند موت بانو قدسية في ٤ فبراير ٢٠١٧م، و خمدت نار تطوره في صمت مميت، وتلك الشمعة المشتعلة والتي كانت رمزاً للشجاعة والأمل في الظل الظلام القاسي، قد احترقت إلى الأبد، فقد انتهت قصة حياة بانو قدسية الداخرة والعامرة بالعطاء في شتي مناحي الحياة.

في ٢٦ يناير ٢٠١٧م، تم إدخال بانو قدسية إلى المستشفى لضيق التنفس في لاهور، حيث خدعة للعلاج لمدة عشرة أيام، وفي يوم السبت، ٤ فبراير ٢٠١٧م، الساعة ٥:١٥ مساءً، توفيت بانو قدسية في المستشفى.. و كان عمرها يناهز ٨٨ سنة وشهرين و ٧ أيام شمسية. تم أداء صلاة الجنازة في Model Town، E Block، لاهور الساعة ٠٣:٣٠ مساءً يوم ٥ فبراير ٢٠١٧، بينما تم دفنها في G Block Cemetery، Model Town، لاهور.^٢

مع وفاة بانو قدسية وقد خفتت الشمس أنتاج الأدب لأردني فقد كانت جهودها تعد اضافة كبيرة في مجال اللغة والأدب.

^١ . بانو قدسية \ <https://ur.wikipedia.org/wiki> بتاريخ ٢١-٠٣-٢٠٢٣.

^٢ . بانو قدسية \ <https://ur.wikipedia.org/wiki> بتاريخ ٢١-٠٣-٢٠٢٣.

الباب الثاني

الباب الثاني

دراسة أسلوبية وملامح لكتب "السيراتي" للكاتبين. 

وفيه فصلان.

الفصل الأول: أسلوب السرد والعرض لكتاب 
"على الجسر بين الحياة والموت" لعائشة عبدالرحمن.

الفصل الثاني: أسلوب السرد والعرض لكتابي 
راه روان" و "مرد ابريشم" لبانو قدسية.

الفصل الأول

أسلوب السرد والعرض لكتاب "على الجسر بين الحياة والموت لعائشة عبدالرحمن.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عرض الكتاب في سيرة "عائشة عبدالرحمن".

المبحث الثاني: المكونات الثقافية والفكرية لشخصية "عائشة عبد الرحمن".

المبحث الثالث: الإطار الاجتماعي.

المبحث الأول

عرض الكتاب في سيرة "عائشة عبد الرحمن".



عرض الكتاب سيرة "عائشة عبدالرحمن"

كتبت الكاتبة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي هذا الكتاب عن زوجها أمين الخولي. وبينت فيه بحيرة وتفكير في ذلك الوقت عندما مات زوجها. ويعد هذا الكتاب من أهم كتب السيرة الذاتية يتناول إلى جانب حياتها عرضاً للحياة في مصر ريفها وحضرها و يعتبر وثيقة من الوثائق الهامة لتاريخ التعليم في مصر في مرحلة المختلفة كما يعد مريثة لرفيق عمرها و أستاذها الذي رحل وتركها تقف على الجسر الذي يصل بين الحياة والموت وقد مات زوجها الشيخ أمين الخولي في سنة ١٩٦٦ م. و كتبت بنت الشاطي "سيرتها الذاتية بعد عام من وفاة زوجها" الشيخ أمين الخولي، "أي في عام ١٩٦٧م.

وقالت هي لا تعرف ماذا تفعل وكيف تفكر؟ وتتذكر علامات زوجها عندما كان حيا. دون رؤيته وتعرف خطواته خطوة خطوة كما تعرف مواقفه الزكية في نفسها وتصمت قليلا فعادت ذكريات الزمن الماضي حيث تذكرته في وقت غضبه وفي وقت سروره وسعادته وهدوئه وكانت حائرة حزينة وسط الزحام لا تعرف ماذا تفعل؟! وبين هذا الازدحام لا تفكر إلا في زوجها، وكيفية عدم رجوعه إليها مرة أخرى. واستلقت على الجسر لا هي حية ولا هي ميتة، وكانت تلتفت إلى الجانب الآخر فتفكر أن الموت مصير كل حي. لا مفر منه ولا خلاص.

ثم تبدأ بقصته وهي فرغت مخيفة تتذكر خطواته الأخيرة على الطريق، فتقول : "إذ يستوعب الوجود كله في نظرة ثاقبة، ويستجمع قواه ليجتاز المرحلة الباقية، في بهاء فروسيته وعزة كبريائه وجلال إيمانه مناضلا، حتى النفس الأخير، عن الحق والخير و محتملا حتى النفس الأخير أمانة الانسان" ١

فالكاتبة من وراء ذلك تستعرض بعزة وكبرياء زوجها وقوة إيمانه، وقد كان مجاهدا مقاوما في حياته ومدافعا عن الحق والباطل حتى النفس الأخير من حياته. وبكل وعي وكثرة تفكير تقول :

١ . أنظر على الجسر بين الحياة والموت. ص ٦٠.

"و بملء وعيي كذلك
 أستعيد المشهد الفاجع للزائر المرهوب
 ألم بدارنا مقنعا مستخفيا
 لا تراه عين ولا يدركه حس
 فلم يتلبث غير لحظة خاطفة.
 أنجز فيها مهمته بأسرع من لمح البصر
 ثم انطلق بعدها يتابع جولته المرسومة في لوح القدر لحصاد الاجال." ١
 ففي هذا المشهد تصور لنا الكاتبة كيفية دخول ملك الموت وزوجها جثة هامدة على
 فراش الموت شبهت هذا الملك بزائر مقنع يمشي مستخفيا بلحظة خاطفة كلمح
 البصر فأنجز مهمته بسرعة ليذهب إلى زوجها المستلقي على الفراش ليحصد أجله.
 ومن ثم فتح القناع وأسدله على جسد زوجها فقالت :
 "ملاءة رقيقة بيضاء
 ما أهونها حاجزا بين الموت و الحياة
 وإن لم يعرف الأحياء ما يدانيها كثافة وصلابة غلظا وثقلا" ٢
 من هنا بدأت الكاتبة تصف لنا كيف نزع الغشاء الأبيض من عيني زوجها، وهو
 غشاء رقيق هين، فهي تتعجب من هذا الغشاء الرقيق الذي يعد الحاجز والفاصل
 بين الحياة والموت؟!
 تصور الكاتبة لنا مشهد المقبرة وخصوصا الحفرة التي ظلت مفتوحة تنتظر وصول
 الجثة الهامدة، الدافئة، و بعد وضع الجثمان فيها سدت بحقبة من طين وحصى
 ورمال.
 هذه الحصى والرمال هي الحاجز بين الزوجة و زوجها عند زيارته.
 وتستعير الكاتبة كل هذا وتستحضره ويقظة. مفكرة واعية فتترنح على الجسر فتقول:
 "ضائعة الحيلة مبعثرة الخواطر ممزقة الرؤى و يختلط في سمعه صدى النعي المسمى

١ . أنظر الى على الجسر بين الحياة والموت. ص ٦٠

٢ . نفس المصدر

بنجوى الطيف المائل "١.

وقد بينت "بنت الشاطئ" في سيرتها جزءاً من حياتها، ومراحل صباها، وما واجهها من صعوبات وعقبات في مراحل تعليمها حتى وصلت إلى الجامعة، التي كانت سبباً في لقاءها برفيق الدرب زوجها "أمين الخولي"، و لم تذكر في مقدمة كتابها الدافع الذي من أجله كتبت سيرتها؛ وإنما تركت ذلك للقارئ يستشفه ويستنبطه من خلال قراءته لكلمات وعبارات النص، فوجدنا أن حزنها الشديد على فقدان زوجها كان دافعاً قوياً لكتابتها السيرة، حيث أصبحت الدنيا من بعده خالية، لا قيمة لها ولا فائدة، فعاشت طوال حياتها، تحمل الأسى والألم في داخلها.

وبذلك نرى أن "بنت الشاطئ" قد خالفت القاعدة الموروثة عند أغلب كتاب السيرة الذاتية حيث "دأب هؤلاء على ترجمة سنين العمر الأولى—أي فترة الطفولة—إنطلاقاً من الولادة أو بداية من السنوات الأولى، أي الطفولة الأولى،^٢ ولكن بنت الشاطئ فعلت عكس ذلك، حيث بدأت سيرتها بهذا الحزن الشديد على فراق زوجها، ورفيق دربها.

ولعل بدايتها بالحديث عن زوجها، ووصفها لهذا المشهد المروع يشير إلى "نوع من الفيض النفسي الذي يثيره شعور وجداني عارم فيسرع صاحبه إلى تسجيله وتدوينه"^٣ فظلت تبكيه في كلمات مليئة بحزن والأسى على رحيله، وبُعد عنها، مما جعلنا نظن بأن ما كتبه ليس سيرة ذاتية؛ وإنما هو فن من الفنون الأدبية، فن يقوم دائماً على إحساس الكاتب بالمرارة والوجع والألم، عندما يفتقد شيئاً عزيزاً لديه، هذا الفن الذي يسمى ب(فن الرثاء) مما جعل القارئ في حيرة من أمر "على الجسر" هل يعد سيرة أم فناً أدبياً آخر، فقد أشارت "مارجو بدران" إلى أن السيرة الذاتية النسوية ظهرت—سواء منشورة أم غير منشورة—قبل ظهور "على الجسر" سيرة لبنت الشاطئ

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص.٧٠

^٢ . فدوي طوقان نقد الذات قراءة السيرة (نقد)—ريم العيساوي. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ—

١٩٩٩م، دار المصرية اللبنانية ص.٣٣

^٣ . طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية، رشيد مهران الطبعة الأولى ١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب

بينما تخرج بعض الناقدين هذه السيرة من السيرة الذاتية النسوية ويدخلنها تحت نوع أدبي قديم هو الرثاء"^١

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن "بنت الشاطئ" لم يوجد في سيرتها الصراحة المطلقة التي توجد في السير الغربية وبعض السير العربية، فوجود "مثل هذا الجانب كان مستحيل تحقيق في كتاب لسيدة نشأت وعاشت في بيئة كانت ولا زالت البيئة الدينية الشرقية محافظة ومتحفظة إلى أبعد الحدود"^٢ ولذلك لا نجد في سيرتها من بدايتها إلى نهايتها كلمة توحى بعلاقتها بزوجها، وهي تلميذة على يديه في الجامعة، وبعد زواجها منه أيضاً لم تصرح بأي شئ بينهما، بل كانت متحفظة للغاية، فلم ترد أن تجعل من حياتها الخاصة ملاذاً للآخرين، وذلك حفاظاً منها على ذاتها، وتقديساً لأسرارها الخاصة وللحياة الزوجية.

وما فعلته "بنت الشاطئ" يكاد يكون متفقاً مع أخلاقيات بعض القراء؛ لأن الحديث عن الأسرار والقضايا العاطفية "لا يزال مجتمعات كثيرة تحس حرجاً واضحاً في الحديث عنها بطريقة مفتوحة ومع هذا فإنه يمثل في رأى علماء النفس والمحللين النفسيين جانباً على قدر من الأهمية في فهم خبايا النفس البشرية"^٣ وبرغم اهتمام علماء النفس بالصراحة المطلقة التي تطلعنا على المشاعر الداخلية للكاتب، وعلى مدى صدقه في التعبير عن دواخله وتجربته؛ إلا أنه "ليس من الصعب أن يعبر الإنسان عن مدى وجدده الشديد من دون أن تؤخذ عليه كلمة واحدة تمس الأخلاق المحافظة"^٤

و هذا لمسناه حقيقة في سيرة "بنت الشاطئ". فقد عبرت عن مدى حبها واعتزازها بزواجها من خلال كلمات وعبارات تتسم بالعفة والحياء، ومع أنها كانت "تفكر في أستاذها قبل اللقاء به، حتى إذا رآته ارتبطت به أكثر، ورغم زواجها منه تحكى عن

^١ . النقد النسائي للأدب القصصي في مصر، د/زينب العسال، ص ١٨٧.

^٢ . مذاكرت المرأة المصرية، محمد الجوادى، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، دار الشرق ص ١١.

^٣ . نفس المرجع السابق ص ٣٢

^٤ . نفس المرجع السابق ص ٣٣

الوداع دون أن تذكر كلمة (الحب) لترثي أجمل فترة عاشتها معه.^١
والآن أذكر أهم المحتويات التي اشتملت عليها السيرة.

أولاً-وصف الكتاب:

وجدت لغة هذا الكتاب نثرية، وفي المقاطع النثرية كتبت "بنت الشاطئ" عن قريتها دمياط، وعن الشاطئ وسر تعلقها به، والصعوبات التي واجهتها في مراحل التعليم، وموقف أسرتها من تعليمها حيث انقسمت أسرتها في موضوع تعليمها إلى فريق مؤيد، وآخر معارض. أما آخر الكتاب، فهو عبارة عن قصائد شعرية سطرقتها "بنت الشاطئ" بكلمات عذبة، يشع من خلالها جو ملئ بالمرارة والحزن على زوجها وأستاذها "أمين الخولي"، الذي كان له أحدث الأثر في تغيير حياتها العلمية، تغييراً جذرياً.

فهى وإن كانت قد تعلمت وتلقت مبادئ التعليم الأولى، على أيدي والدها وزملائه من الشيوخ والعلماء، فقد أكمل الطريق من بعدهم، وأتمه الأستاذ "أمين الخولي"، فجمعت بين العلوم الدينية والعلوم المدنية، وظل تأثيره عليها وعلى كتاباتها واضحاً حتى وفاتها. كما أننا نلاحظ في هذا الكتاب أن الكاتبة التزمت فيه بالعفة والحياء والبراءة والنقاء فليس في فقرته كاملة في هذا الكتاب، وإطناب عباراته، وكثرة تفصيل المشاعر في جمل متساوية صورة من صور اندلاع العاطفة، ولا مقدماتها، بل هو التعبير الكامل عن آثار هذه العاطفة في نفس صاحبها، أولئك الذين يبحثون عن تصوير صادق للعاطفة لن يكونوا راضين عن هذا الكتاب، و لكن الذين يفهمون أن علاقة الحب بين الزوج والزوجة كانت تعبيراً "رقيقاً" عن علاقة التلميذ المحب للأستاذ المعشوق سيجدون في وسعهم أن يتفهموا روح هذا الكتاب وهذه القصة على نحو أروع، عندما يدركون أن العلم له مكانة أعلى في عالم العواطف التي قد لا تدور حتى الآن في آداب العالم إلا حول الآهات والنظرات"^٢

^١ . السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية لدكتور شعبان عبد الحكيم محمد. الطبعة الأولى

٢٠٠٨م، دار العلم والإيمان ص ١٤٢.

^٢ . مذكرات المرأة المصرية محمد الجوادي ص ١١.

وهذا الأمر ليس غريباً على "بنت الشاطئ" ولا يدعو للغرابة من أحد، فكان من الطبيعي أن تكتم "بنت الشاطئ" أسرارها الخاصة، ولا تصرح بها في السيرة، فهي امرأة متدينة لها مكانتها العريقة بين العلماء والمشايخ، وهي من تدعو إلى الحفاظ على الأسرار الخاصة بالحياة الزوجية، فكيف لنا أن ننتظر منها أن تفصح عن علاقتها بزوجها بكل وضوح؟

كما أننا لا يجب أن ننسى بأنها ربيبة شيوخ وعلماء، محافظين ومتمسكين بالعادات والتقاليد والمبادئ الخلقية، ورغم أنها تعلمت وفتحت عقليتها على ثقافات متعددة؛ إلا أنها لائى الخلقية، ورغم أنها تعلمت وفتحت عقليتها على ثقافات متعددة؛ إلا أنها لا تخرج عن نطاق الأسرة المتدينة المحافظة .

ثانياً: الإهداء:

عندما ننظر صفحات كتاب (على الجسر) من بدايته، نجد بدايته بأدته باهداء جميل ينبع بكلمات عابرة من فيض خاطرها، يحمل في ألفاظها كل معاني الحب، والدلالة على تأجج مشاعرها، التي تكنها لزوجها، وهذا الإهداء عبارة عن مدخل، يعبر عن مشاعر الكاتبة الفياضة تجاه زوجها، فهي تقدم هذا الإهداء لروح زوجها الذي سيطر على قلبها وعقلها بقوة شخصيته وعقليته، فتقول: "وتجلت فينا ولنا وبنا، آية الله الكبرى الذي خلقنا من نفس واحدة فكنا الواحد الذي لا يتعدد، والفرد الذي لا يتجزأ وكانت قصتنا أسطورة الزمان، لم تسمع الدنيا بمثلها قبلنا، وهيهات أن تكرر إلى آخر الدهر"^١

فإذا ما نظرنا إلى هذه الكلمات المعبرة، نجد أنها تفيض بالمشاعر الدافئة المليئة بالحب والتقدير لحبيبها وأستاذها.

ونظراً لنشأتها في بيئة دينية متصوفة، وتلقيها مبادئ العلم في وقت مبكر من طفولتها، نشأت وترعرعت على حفظ كتاب الله الكريم، وحفظ أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم-، فكان لذلك الأثر العظيم على كتاباتها. لقد أتت بعض كلمات الإهداء متضمنة الاقتباس، وذلك في قولها: "الذي خلقنا

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٥

من نفس واحدة" مأخوذة من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^١

لنتؤكد على أنها وحبيها شئ واحد في كل شئ، لأنهما خلقا من نفس واحدة، فلا انفصالان، ولا يتعدان بعضهما عن البعض أبداً، وهذا يدل على ارتباطها به روحياً ونفسياً، مما يدل على أثره الكبير على حياتها، وفي تكوين شخصيتها وثقافتها.

ثالثاً: تمهيد للسيرة:

كتبت "بنت الشاطئ" سيرتها بلغة نثرية رائعة المعاني شبيهة بلغة الشعر، فمن يطالع الصفحات الأولى من الكتاب، يرى أن الكلام قد جاء على هيئة النثر، ولكن ألفاظه ومعانيه شبيهة بالشعر، ولكننا نجد أمل تيمي تفر بأن الصفحات الأولى من الكتاب عبارة عن قصيدتين صدرت بهما "بنت الشاطئ" كتابها، ويؤكد ذلك قولها: "كان أهم وثائق مكتوبة استخدمتها عائشة عبدالرحمن هو الشعر الذي كتبه عقب وفاة زوجها وقد تصدرت قصيدتان بداية السيرة والقصيدة الأولى بمثابة مقدمة الكتاب ومطلعها يأخذ عنوان الكتاب "على الجسر، ما بين الحياة والموت" وهي مؤرخة في مارس ١٩٦٦ م، مصر الجديدة، والقصيدة الأخرى افتتحت بها الجزء الأول من سيرتها والذي يحمل عنوان "قبل أن نلتقي" وتبدأ بعبارة "علي دربين متباعدين" وفي نهاية السيرة خصصت جزء للشعر تحت عنوان "دنيانا بعده"^٢.

كما أن الذي جعل البعض يعتقد بأن هذا النظم شعر عبارة (الشعر) التي وضعت على رأس هذا الكلام المنشور بعد عنوان قبل أن نلتقي في الصفحة التالية له مباشرة فظن البعض من خلالها بأن هذا النظم ليس نثراً.

وما رأيته من خلال اطلاعي على هذا النظم، بأنه ليس له وزن معين أو قافية معينة، ومن وجهة نظر أنه نثر فيه بعض الأساليب والصور الشعرية، لكنها لا تخرجه عن

^١ . سورة النساء اية ١

^٢ . السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر. ص ٢٢٢.

كونه نثرًا، وأن الكاتبة قد وضعت في بداية السيرة بمثابة تمهيد لأحداثها، وأيضًا لما له من قدرة على التنفيس من حدة الانفعالات التي تحملها بداخلها من شدة الحزن والأسى على زوجها.

تصف تحت أول عنوان منه (على الجسر) المشهد المروع، الذي أصابها بفقد زوجها "الشيخ أمين الخولي"، فتقول:

و بملء وعيي كذلك
أستعيد المشهد الفاجع للزائر المرهاب.
ألمّ بدارنا مقنعا مستخفيا
لا تراه عين ولا يدركه حس
فلم يتلبث غير لحظة خاطفة.
أنجز فيها مهمته بأسرع من لمح البصر

ثم انطلق بعدها يتابع جولته المرسومة في لوح القدر لحصاد الاجال.^١
تصور "بنت الشاطئ" مشهد وفاة زوجها تصويرًا حيًا دقيقًا، تجعله في صورة مرئية أمام أعين القارئ، تستعيد المشهد الفاجع بكل وعي و يقظة من ذاكرتها، ونظرًا لقرب كتابة السيرة من حدوث المشهد المروع تذكره لنا الكاتبة بكل تفاصيله ودقائقه، وعبرت بالزائر المرهوب كناية عن الموت، فتقول:

"بأن الموت قد جاء مستخفيا لا تراه عين ولا يدركه حس، واختطف منها زوجها في زمن لا يتجاوز لمح البصر، ثم انطلق إلى أماكن أخرى ليختطف منها أرواحًا أخرى، ثم تنتقل بعد ذلك إلى حدث نقل جثمان زوجها إلى قريته "شوشاي" فتبدأ بشرح الحدث، وتقول:

"و أتبع المشهد حتي نهاية الرحلة بمقبرة القرية
في الحفرة التي لبثت هنالك مفتوحة تنتظر
ريثما زاروا فيها جثمانه الدافيء
ثم سدوها بحفنة من طين وحصي ورمال

١ . أنظر على الجسر بين الحياة والموت. ص ٦٠.

هى كل ما بيني و بينه حين ألم به زائرة

وهيها هيهات المزار"١.

تصور و تصف لنا الكاتبة هذا المشهد المروع وصفاً دقيقاً، وكأن القارئ يراه، فهى تتحدث عن القبر الموجود في قرية زوجها التي نشأ وترى بها، فقد كان أول أنفاسه بها لحظة ميلاده، وكذلك انتقل جثمانه إليها، وتصفه لنا بأنه عبارة عن حفرة مفتوحة، يُوارى فيها الجثمان، ثم تسد بحفنة من طين وحصى ورمال، وبالرغم من ضعف هذه الحفنة، إلا أنها قوية غاية القوة في أنها أصبحت حاجزاً منيعاً حين تهم الكاتبة بالزيارة إلى قبر زوجها تحجز الراحل عنها، فلا تراه وهذه هى صورة الحقيقة، والصورة الحقيقية أحياناً تكون أقوى من الصورة الفنية بكل عناصرها.

ولعل الكاتبة هنا تهدف إلى أبعد من ذلك، فهنا وإن كان التصوير لمشاهد وفاة زوجها حقيقية؛ إلا أن الكاتبة تشير إلى هدف أعظم و هو موعظة الناس وتذكركم بالموت الذي هو حقيقة كل نفس مهما طال الأجل، ولكى يتخلوا عن كل رذيلة وفحشاء؛ لأن نهايتهم ستكون هذه الحفرة.

كما نلاحظ أن النص السردى "يعتمد على آلية التداعى^٢ والاستطراد وتتابع النعوت والتركيز على الفعل الماضى، والمراوحة في العطف بين الفاء، و ثم، والواو"^٣ فيساهم ذلك في إحداث إيقاع ونغم موسيقى داخل النص يوضح تجربة الكاتبة و يعبر عن آلامها.

ثم تسرد لنا الكاتبة بعد ذلك مشهد نعى زوجها، فتقول:

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص.٧٠

٢ . التداعى يقصد به: روابط بين عناصر النفس التي يؤدي ظهورها إلى تذكر العناصر ويرتبط به آخرون في ظروف معينة، و يظهر الارتباط أثناء التفاعل بين الموضوع والكائن، باعتبارها واحدة من المنتجات الأساسية لهذا التفاعل، إنه يعكس العلاقة الحقيقية بين الأشياء والظواهر وهو شرط ضروري للنشاط العقلي. وقد اكتشف الأساس الفسيولوجي لوجود التداعى العالم السوفييتي ايفان بافلوف، إن الارتباط هو أساس كل التكوينات الأكثر تعقيداً في الجانب النفسى للإنسان. ينظر: الموسوعة الفلسفية - روزنتال، يودين - ترجمة سمير كرم، وآخرون - دار الطليعة للطباعة والنشر - ص ١١٩)

٣ . فن المقالة عند بنت الشاطىء د/ سعد محمد عطية - ص ٢٨٩ .

"أترنح على الجسر:

ضائعة الحيلة مبعثرة الخواطر ممزقة الرؤى

و يختلط في سمعى صدى النعى المصمى بنجوى الطيف المائل..

وتمتج في صدرى ريح العدم، بعبير الأنفاس الطيبة

للراحل المقيم

ويتصادم في وجداني نشيج الباكين وأنين المحزونين

وتأبين الرائين، ودعاء المعزين، بإيقاع النغم الشجى الساحر

للصوت الحبيب.

وتتزاحم على الأفق من حولي مواكب المشيعين والمودعين،

متداخلة في مشاهد حركاته ولفطاته، وجولات نضاله ومواقف

بطولته، ومجالس أستاذيته وندوات مدرسته"^١

إن تلك الصورة التي اختلط فيها الحلم بالواقع، وأنين الوجود بريح العدم، صورة

حقيقية لمشهد يتكرر في مثل تلك المواقف الحزينة لمئات من البشر، ولكن لمن يملك

تلك الروح وهذا التعبير.

ثم أتبع بنت الشاطيء هذا الحدث بحدث آخر، بينت فيه كيف كان حالها، وحال

زوجها قبل اللقاء، فتقول:

على دربين متباعدين،

بدأت خطواتنا من قبل أن نلتقى

ولم يكن هناك أي احتمال للقاء.

فأحد الدربين يمضى بمعزل عن الآخر..

دون أن تبدو بينهما على مد الأفق نقطة اتصال

لا في الحقيقة والواقع،

ولا في أحلام اليقظة ورؤى المنام.

تباعد ما بيننا زمانا،

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٠

وتباعد بيننا كذلك المكان.

وحين بدأت أخطو على دربي

كان هو قد قطع شوطاً طويلاً في طريق لا يحتمل أن أطرقه

وليست لدى أدنى فكرة عنه

ولو على سبيل التصور أو الوهم.^١

في العبارات السابقة، توضح "بنت الشاطئ"، أنها لم تكن تتوقع في الحقيقة ولا في الأحلام أن تلتقى في حياتها بشخصية مثل شخصية أستاذها أمين الخولي " وذلك؛ لأن الشيخ كان قد قطع شوطاً طويلاً في الحياة بصفة عامة، وفي التعليم بصفة خاصة، ولنشأتها في بلدة دمياط، وتمسك والدها بالقيم والعادات الأخلاقية والنزعة الصوفية، لم يكن يخطر ببالها أنها ستسلك نفس الطريق، الذي سلكه أستاذها وتصل إلى الجامعة، التي تكون سبباً في هذا اللقاء.

تسرد الكاتبة هذه الأحداث، وكأنها تتعجب من قدرة الله كيف قدر الأقدار، و سبب الأسباب، لتلقى برفيق الدرب الذي سيكون مصدر سعادتها بعد المعاناة الشديدة، التي لاقتها في حياتها، وبرغم الصعوبات التي واجهتها، إلا أنها تقر في ثنايا سيرتها بأنها ما سلكت هذا الطريق الوعر، إلا لكي تلقاه فتقول:

"ما قطعت ذلك الشوط الطويل على دربي، إلا لكي ألقاه"^٢

نلاحظ في النظمين السابقين، أنها قد بدأت الأول بلحظات الوداع، والثاني بوصف بداية حياتهما على الدرب قبل اللقاء، مع أنه شتان ما بين البداية والنهاية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن "بنت الشاطئ" أرادت بالأول أن تطفئ لهيب الأحزان التي شبت بداخلها بعد رحيل زوجها في البداية لتخفف من آلامها، ويُعدُّ هذا ملمحاً جميلاً في عرض السيرة، أن تبدأ من حيث أن الحياة بالنسبة لها قد انتهت حياة زوجها.

وفي الثاني تتجاوز كل السنين وترجع إلى الوراء، وهذا ما يسمى في العمل الأدبي

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٣.

٢ . نفس المصدر ص ١٥٤

"بالاسترجاع"؛ لتوضح لنا أن محاولة اللقاء بينهما، والتي انتهت برباط وثيق عن طريق الزواج كانت شبه المستحيل، ولكن شاء القدر أن تلتقى "بنت الشاطئ" بالأستاذ "أمين الخولي"، وتحدث بينهما قصة الحب، التي تعدها أسطورة الزمان التي هيهات أن تتكرر.

رابعاً-العناوين:

استطاعت بنت الشاطئ أن تعبر عن قصة الحب، التي نشأت بينها وبين أستاذها الشيخ "أمين الخولي" من خلال العناوين، التي وضعتها في سيرتها، وهي كالتالي: (على الجسر، قبل أن نلتقى، في الطريق إليه، في منطقة الضباب، ظلال وأضواء، موعدي معه !، اللقاء... معاً.. على دربنا الواحد، ثم مضى.. وبقيت!، ديانا بعده، كلمات للذكرى، عود على بدء). وقد استوقفتني هذا العناوين السابقة، التي وضعتها "بنت الشاطئ" في سيرتها الذاتية، من حيث:

(١) دلالة العناوين:

يمثل كل عنوان فيها مرحلة من مراحل حياتها، وهي تنتظر اللقاء الموعود بينها وبين رفيقها "أمين الخولي"، ويحمل كل عنوان في طياته أسمى معاني الحب والاحترام والتقدير لشخصية الأستاذ الشيخ "أمين الخولي"، وكأن قصة حبهما هذه أسطورة الزمان، التي هيهات أن تتكرر إلى آخر الدهر!

أما عن الدلالة التي يحتويها كل عنوان، فسنبين ذلك في شكل موجز.

في العنوان الأول: "على الجسر" تحدثت فيه "بنت الشاطئ" عن مشهد وفاة زوجها وصورت كل مافيه من أحداث بكل دقة وتفصيل حتى جعلته صورة ماثلة أمام القارئ للمشهد الحقيقي في الواقع.

في العنوان الثاني: "قبل أن نلتقى" بينت فيه "بنت الشاطئ" بداية حياتها على درب الحياة هي وأستاذها قبل اللقاء، ثم ذكرت العوامل المؤثرة في تكويناها العلمي والشخصي من حيث البيئات والشخصيات، و تحدثت لنا مراحلها التعليمية بداية

من الخلوة بجامع البحر حتى حصولها على الشهادة الثانوية، وبيّنت أيضًا عملها في الصحف والمجلات.

في العنوان الثالث: "في الطريق إليه" الأحداث التي اشتمل عليها هذا العنوان هو بداية الكاتبة مع الجامعة وتقديم أوراقها إلى كلية الآداب عام ١٩٣٥م دون أن يعلم والدها بذلك.

والعنوان الرابع: "في منطقة الضباب" سردت تحت هذا العنوان صراعاها القائم بين العلوم الدينية والعلوم الجامعية، وكان نتيجة الصراع أنه لم يحدث تألف بينها وبين الجامعة؛ لأن الجامعة لم تقدم لها جديدًا على ما تزودت به في بيئتها، وما زالت تنتظر اللقاء.

العنوان الخامس: "ظلال وأضواء"، يبدو من ظاهره أنه اشتمل على أحداث ذات أهمية في حياة الكاتبة، منها: عملها في جريدة "الأهرام"، حيث نشرت بالجريدة مقالها الأول عن الفلاح المصري.

من ضمن الأحداث التي تناولتها فساد الأحزاب السياسية التي بسببها فكرت في الانسحاب من الجامعة، كما أنها عرفت في ظلال هذا العنوان بأن الأستاذ "الخولي" كان يعمل بـ "روما"، فأحدث ذلك صدمة في حياتها، لاعتقادها أنه ينتمي لبيئة مثل بيئتها.

العنوان السادس: "موعدى معه" تسرد لنا في هذا العنوان فوزها بالجائزة عن كتابها الأول "الريف المصري" ثم تذكر تحديد الأستاذ "الخولي" لموعد أول درس لطلابها، و قد جاء تحديده مطابقًا ليوم ميلادها، فأحست بأنها تولد للحياة من جديد.

العنوان السابع: "اللقاء" تركز فيه الكاتبة على تفاصيل اللقاء والحوار الذي دار بينها وبين أستاذها، وإعجابها الشديد بعلمه ومنهجه.

العنوان الثامن: "معًا على دربنا الواحد" تسرد فيه عن حياتها الزوجية الهانئة التي كانت تعيشها مع زوجها، ولكنها لم تذكر لنا تفاصيل عن مقدمة الزواج.

العنوان التاسع: "ثم مضى وبقيت" بينت فيه عن رحيل زوجها، وحزنها الشديد على فراقه.

العنوان العاشر: "دنيانا بعده" يحتوى هذا العنوان على عدة قصائد ترثى فيها زوجها، لكل قصيدة عنوان مستقل منها: (رؤيا، بعد عام، كلمات للذكرى، عود على بدء)، وكل قصيدة تحمل بداخلها ألواناً شتى من أحزان الكاتبة وآهاتها. وفي الأخير يمكن أن أقول: بأن كل عنوان قد جاء مطابقاً للمضمون الذي احتواه بداخله، ومعبراً عنه تعبيراً تاماً.

(٢) علاقة العناوين الداخلية بالعنوان الخارجي: -

ونلاحظ أن هذه العناوين الداخلية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنوان الخارجى للسيرة، وهو (على الجسر)، فُيعد كل عنوان منها بمثابة معبر تمر عليه الكاتبة؛ لتصل في نهاية الطريق إلى رفيق دربها، الذي ظلت تحلم برؤيته كثيراً قبل أن تلتقاه، فتقول: "ما كان يمكن أن أحيّد عن الطريق إليه وقد عرفته في عالم المثل ومجالي الرؤى وفلك الأوراح، من قبل أن أبدأ رحلة الحياة".^١

خامساً: القصائد الشعرية:

ختمت "بنت الشاطئ" سيرتها بقصائد شعرية تبين فيها مأساتها على زوجها، أذكر منها على سبيل المثال:

قصيدتها رؤيا فتقول:

طيفٌ من أحببته طاف بنا
فتنبهنا على وقع خطاه
خلته قد آب من رحلته
مرهف الشوق وقد طال سراه
بعد يأس من رجاء الملتقى
بلغ البين بنا أقسى مداه^٢

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٨٣

^٢. نفس المصدر ص ١٨٣.

استطاعت الكاتبة من خلال هذه القصيدة، أن ترصد الأحداث والوقائع، التي أملت بها بعد وفاة زوجها، فبينت لنا مشاعرها وإحساساتها بعد فقدانه، وقد بينت الكاتبة بعاطفتها المتأججة على فراق رفيق دربها، فتستعيد الأحداث من جديد لتربط بين أجزاء الحقيقة.

وقد عبرت هذه القصيدة عن تجربة قاسية عاشتها الكاتبة بعد وفاة زوجها، فظلت باقي حياتها تعيش في جو من الأسى ووحشة الفراق.

ونحس عبر السياق الشعري بحنين "بنت الشاطئ" لزوجها، فقد استطاعت الكاتبة أن تبث آلام الأسى والأحزان، التي تولدت بداخلها، فمن شدة حنينها لزوجها تشعر بطيفه يدور حولها، فتظنه قد عاد إلى الحياة من جديد، وتظل الكاتبة على حالتها هذه ضائعة وممزقة بين حياتها ورحيل زوجها.

وعند هذا الحد تكون قد انتهت الكاتبة من سرد قصتها، التي تعد تعبيراً عن خواطرها ومشاعرها وآلامها التي عاشت في ظلها بعد وفاة زوجها على أمل اللقاء به في الآخرة.

سادسا: الفهرس:-

بعد القصائد الشعرية التي كتبتها "بنت الشاطئ" لترثي زوجها، ختمت كتابها بفهرس وضعت فيه العناوين الداخلية؛ لتسهيل على القارئ الوصول إلى غرضه.

المبحث الثاني

المكونات الثقافية والفكرية لشخصية "عائشة" 

عبدالرحمن".

أولاً: المراحل التعليمية الأولى:-

سردت لنا "بنت الشاطيء" المكونات الثقافية لشخصيتها، وذلك من خلال سرد أحداث قصتها مركزة على مراحل تعليمها، وعلى ما واجهها من عقبات وصعوبات، فمن المكونات الثقافية والعلمية، ما يلي:

١. الخلوة بجامع البحر:

كانت أول بداية لبنت الشاطيء في التعلم عندما كان والدها ينتزعها من ملعب صباها، ويأخذها معه إلى جامع البحر، ليبدأ معها حفظ القرآن الكريم، فتقول عن هذه البداية: "كان والدي ينتزعي. من ملعب حدثي، ويلزمني من قبل أن تفك عني ثنائم الصبا، صحبتي في مجلسه بالبيت، أو في مكتبه بجامع البحر، وكان يسميه الخلوة. ولعلي التقطت في تلك المرحلة المنسية بعض الآيات والسور القصار^١.

لم تكن بنت الشاطيء واعية تماماً لما يلقي عليها في هذه الفترة، لصغر سنها ومع ذلك قد حفظت بعض السور القصار، وتعلمت مبادئ القراءة والكتابة.

٢. الكتاب:

كان والد بنت الشاطيء عندما يذهب إلى قريته "شبرا بخوم" بالمنوفية؛ لقضاء عطلة الصيف يصطحبها معه عند "الشيخ مرسى"؛ لتحفظ القرآن الكريم، فعن هذه الأحداث تقول: "فوجئت بأبي يصحبني إلى كتاب القرية، حيث أسلمني هناك إلى "سيدنا الشيخ مرسى" ليحفظني القرآن الكريم، وانصرف بعد أن اتفق على أن أنتظم في الكتاب، ستة أيام من الأسبوع، من مطلع الشمس إلى قرب صلاة العصر"^٢.

لا شك أن القاسم المشترك بين كثير من رموز الأدب هو المرور بمرحلة التعليم في "الكتاتيب"، فتحدث لنا بنت الشاطيء من خلال هذه الأحداث بداية التعليم في تلك الفترة، فتبين دور (الكتاتيب) التي كانت تعتبر مؤسسة تعليمية

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٣١

^٢ . نفس المصدر ص ٣٥

هامة في المجتمع، يعتمد عليها أهل القرى بخاصة في تعليم أولادهم، وهو ما حدث مع بنت الشاطئ التي بينت أثر هذه المؤسسة في تثقيفها وصقل شخصيتها، فمن خلال الكتاب حفظت القرآن الكريم، والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وهي في سن مبكرة.

ووضحت الكاتبة أن الإلتحاق بالكتاتيب يحتاج إلى قوة تحمل، وصبر جميل، ولقد تمكنت من القيام بذلك مع أنه كان يصعب على كثير ممن في سنها، لكنها كانت تضيق من هذه الحياة أحياناً، وذلك لكثرة القيود الصارمة التي كان يفرضها عليها والدها في تلقيها العلم، وما كان يجعلها تتحمل ذلك وتصبر عليه، إلا ثناء شيوخ المعهد الديني على اجتهادها في تلقي العلم، فتقول: "وإذا كنت قد حرمت في القرية من يومئذ لذة الزهو بما حصلت من مبادئ العلم، فقد بقي لي في دمياط مجال الزهو بما أتيح لي دون الدائي وصواحي، من حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والمدح النبوية والأناشيد الصوفية".^١

٣. مدرسة اللوزي الأميرية للبنات:

ومن الطبيعي لمن حصلت على قدر من العلم وحفظ القرآن والعلوم الدينية أن تتطلع إلى مورد آخر، فنظرت إلى ما حولها، وهناك كانت المدارس، فبعد عودة العائلة من عطلة الصيف تطلعت عائشة للالتحاق بالمدرسة الأميرية للبنات غير أنها فوجئت برد والدها الحازم الحاسم، فقال لها: "ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن إلى المدارس الفاسدة المفسدة وإنما يتعلمن في بيوتهن"^٢ وهنا تكشف لنا الكاتبة عن موقف والدها من حركة التجديد في التعليم الذي جاء به الاستعمار إلى البلاد لأهداف خبيثة، وهو القضاء على التعليم الديني واللغة العربية، لذلك رفض وبشدة تعليم ابنته في المدارس.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٤١

^٢ . نفس المصدر - ص ٤٤

فما عساها أن تفعل، ومن بيده السلطة (والدها) هو من قرر ذلك، فلجأت إلى ملاذ الأبناء وهي الأم فاستعانت بها، لإقناع والدها بدخولها المدرسة، ولكن والدتها لم تجرؤ على ذلك، فلجأت هي الأخرى لجدها "الشيخ الدمهوجي"، فتدخل الجد وحسم الموقف، وأخذ من والد "عائشة" موافقة مكرهة على التحاقها بمدرسة اللوزي للبنات. وبهذه الموافقة استطاعت بنت الشاطئ أن تتقدم إلى المدرسة وكان ذلك في نهاية العام الدراسي، وبسبب ما تلقته من علوم في بيئة والدها اجتازت الامتحان بنجاح.^١

وبهذا الحدث تطلعنا الكاتبة على أهم قضية اجتماعية كانت تعاصرها في زمانها، وهي قضية تعليم البنات التي لم تلق قبولا بين المجتمع آنذاك، وخاصة من علماء الأزهر والمشايخ. ومما تذكره الكاتبة عن حياتها المدرسية في بدايتها موقف بروزها على أقرانها في حفظ القرآن الكريم، فبعد عامين من الالتحاق بالمدرسة، تشعر بنت الشاطئ بمدى التدني في العملية التعليمية لهذه المدارس و تقول: "دخل علينا مفتش وقور فبدأ يمتحننا فيما حفظنا من سور جزئي (عم) وتبارك المقرر على فرقنا، وحين بدا ضيقه بتعثر التلميذات في التلاوة تلطفت حضرة الناظرة "السيدة زينب الحناوي" فاقترحت عليه أن يسمع تلاوتي للقرآن الكريم الذي حفظت أكثره، وارتاب المفتش فيما سمع، ثم سأني أن أسمع له سورة النور، فلما وصلت منها إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٢، دون أن أخطئ أو أتعثر، عاد يسألني أن أتلو ما أحفظ من "سورة الكهف" فمضيت أتلو وهو يصغي بكل سمعه.. ثم انصرف راضيا^٣

ولعل الموقف السابق يبرر لنا سبب معارضة الأب في التحاقها بالتعليم المدني الذي لم يهتم كثيراً بالعلوم العربية والدينية، فأهملت العربية لدخول بعض اللغات الأخرى عليها مثل الإنجليزية، والفرنسية، وشغف الناس بحب تعلم هذه اللغات، لذا "ارتاب

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٤٥ .

^٢ . سورة النور الآية

^٣ على الجسر بين الحياة والموت. ص ٤٩

المصريون من التعليم في مدارس البنات، وكان شيوخ الأزهر من أكثر الناس ارتيابًا في هذه المدارس وأهدافها، فلم يسمحوا لبناتهم بالالتحاق بها، وهذا يفسر موقف الوالد الشيخ محمد علي عبد الرحمن من رغبة عائشة في الذهاب إلى مدرسة مدنية، وأراد لها أن تتعلم على يده، وعلى يد إخوانه من مشايخ الأزهر.^١

كانت بنت الشاطي في هذه المرحلة مثالاً للجد والاجتهاد بسبب ما تلقته من علوم الإسلام والعربية على يد والدها وزملائه، مما أدى إلى إعجاب الكثيرين بتفوقها، وهذه الأحداث تكشف لنا عن قوة التعليم في الكتاتيب التي كانت تعد مؤسسة تعليمية صغرى في ذلك الوقت وقوته أيضاً في المعاهد الأزهرية التي كانت تهتم كثيراً بالعلوم الإسلامية والعربية.

٤. المدرسة الراقية:

يقولون من ذاق عرف، ولقد ذاقت "عائشة" طعم التعليم وعرفت قيمته، فتطلعت إلى المزيد والمزيد، فالتحقت "عائشة" بالمدرسة وأتمت دراستها بها وانتهت المرحلة بالنجاح فلم يبق أمامها أي مجال للتعليم في دمياط سوى قضاء شهور أربعة في "دراسة صيفية"، تعدن لوظيفة معلمات في المدارس الأولية للبنات^٢

ولكن رغبتها في التعليم كانت أرقى من ذلك، فتطلعت للالتحاق بمدرسة المعلمات بالمنصورة، مما يدل على رغبتها في التطور في مستويات التعليم مهما كلفها ذلك من جهد ومشقة.

٥. مدرسة المعلمات بالمنصورة :-

تطلعت "بنت الشاطي" للالتحاق بمدرسة المعلمات بالمنصورة، فتقدمت لامتحان القبول بمساعدة والدتها، ووقفت الأم بجانب ابنتها، وانحازت إلى رغبتها، وكان الحظ حليفهما في هذه المرة لغياب الزوج في إحدى رحلاته الحضور موالد آل البيت وأولياء الله الصالحين.

١ . بنت الشاطي من قريب - د/ حسن جبر - ص ٢٧

٢ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ٥٧

وهنا بينت لنا بنت الشاطي موقف والدتها معها فتقول: "ورق لي قلب أُمي، حين رأت إصراري على أداء الامتحان، وليكن بعد ذلك ما يكون. فجازفت وتسلفت بي من دمياط ذات صباح إلى المنصورة، حيث تركتني بالقسم الداخلي في مدرسة المعلمات، على أن أعود بعد أيام الامتحان الأربعة، مع زميلاتي من بنات دمياط"^١. تصور لنا بنت الشاطي من خلال موقف والدتها هذا حال المرأة في تلك الفترة، فقد كانت ضعيفة ليس لديها أدنى قوة للوقوف والصمود أمام قوة الرجل، ومواجهته وإثبات ذاتها وتحقيق رغباتها، فإذا أرادت أن تفعل شيئاً تفعله سرا خوفاً من غضبه وهيمته، ولنا أن نتصور بعد ذلك موقف الأب بعد أن علم بالأمر، قام بسحب الأوراق من المدرسة فهو ولي الأمر المسئول عن ذلك.

تخبرنا بنت الشاطي عن هذا الحدث فتقول: "والدي تقدم إلى المدرسة بوصفه، ولي الأمر، فسحب كل أوراق التحاق بها."^٢ وعلى ذلك نرى أن مرحلة تعليم لبنت الشاطي كانت من أهم العوامل الهامة، التي أسهمت في تكوين شخصيتها وتفكيرها، فالسيرة من بدايتها تحكي لنا كفاحها من أجل تعليمها وإثبات ذاتها، فمراحل تعليمها التي سردتها لنا في سيرتها تبدو معقدة في المسيرة، ومن هذه الأمور المعقدة قرار والدها فصلها عن المدرسة، وانقطاعها عن التعليم من أجل تمسكه بالنزعة الصوفية وبتعليمها الديني، فاتخاذ هذا القرار يعدّ تدميراً لذاتها ورغباتها.

وهنا تصور لنا الكاتبة حال الرجل في تلك الفترة، فقد كان يمثل السلطة السائدة على البيت، وعلى جميع أموره، فلا يجوز للمرأة أمّا كانت، أو بنتاً، أو زوجة أن تتدخل في أمور العائلة، وتبدي رأيها، بل كانت دائماً مقمعة ومهمشة من قبل الرجل، فشخصية والدها هذه تمثل سلطة أكثر الآباء في ذلك العصر.

لم تياس عائشة من فعل والدها نحوها؛ وإنما زادها ذلك إصراراً وقوة، فاستعانت بوالدتها؛ لتقف بجانبها مرة أخرى، فتحكي عن موقف والدتها في هذه المرة، وتقول: "صحبت أبي في سفره إلى إمامه وقُدوته" الشيخ منصور أبي هيكال الشقاوي"

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٥٨

^٢ . نفس المصدر - ص ٥٩.

وعرضت عليه القضية، وما زالت تستعطفه وترجوه، حتى أذن لي في التعلم، على مسمع من والدي.^١

وبهذه البشرية أعادت الأم لابتتها الأمل من جديد في استكمال المرحلة التعليمية. وهنا نلاحظ أن والدته عائشة، ومن مثلها من أمهات جيل الطليعة كان لهن الفضل الكبير في تعليم بناتهن ووصولهن إلى مكانة عالية في المجتمع، وقد صرحت بنت الشاطئ بذلك في أحد اللقاءات^٢ التي أجريت معها، فهي تدين بالفضل والعرفان لوالدتها التي وقفت بجانبها وتحملت معها المشاق.

٦. مدرسة حلوان:-

صعوبة جديدة تظهر أمامها، بسبب المدة الطويلة التي أخذها والدها في محاولة جلب موافقته، ذهبت إلى المنصورة، وفوجئت بأن استنفدت المدرسة عدد الطالبات الذي كان من المفترض أن تقبله، فأشارت عليها ناظرة المدرسة أن تذهب إلى مدرسة جديدة للمعلمات في مدينة حلوان. في ظل هذا الحدث تكشف لنا بنت الشاطئ عن مدى تضحية والدتها من أجلها، فتقول:

"وخرجنا وفي ظني أن أمي سوف تعود بي إلى دمياط ريثما تدبر أمر الرحلة إلى مدينة حلوان التي لم نكن سمعنا باسمها من قبل ولا كان لنا علم بطريق الوصول إليها وما يتكلفه من نقود. لكن أمي لم تلبث في المنصورة إلا ريثما باعت سوارا ذهبيا كانت تتزين به، وقطعت لنا تذكريتي سفر بالدرجة الثالثة، في أول قطار إلى القاهرة."^٣

ولما وصلنا إلى حلوان أصيبتا بمفاجأة جديدة، تتمثل في عدم بداية الدراسة بالمدرسة هذا العام إلا بفصول الفرقة الأولى، وكان من حقها أن تقبل بالسنة الثانية، و مع ذلك تنازلت عن حقها، ووقع خالها إقرار التنازل عن السنة الثانية؛ لتلتحق بالفرقة الأولى، ولكن العقوبات دائما متجددة معها حيث استدعتها ناظرة المدرسة وأخبرتها

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٦٠

^٢ . اعترفت بنت الشاطئ في أحد اللقاءات التي أجريت معها بفضل والدتها عليها في وصولها لهذه المكانة العريقة وقد تم هذا اللقاء من خلال برنامج وثائقي " دفاتر الأيام".

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦١

بأن وزارة المعارف رفضت رسمياً اعتماد قبولها بالمدرسة وأشارت أن ترسل لها خطاباً إلى وزارة المعارف، للنظر في شأنها فلعلها ترجع عن قرارها، أو تدبر لها مكاناً في مدرسة طنطا لوجود أماكن خالية بها، فقبلت بالمدرسة ولكن بشرط أن يجرى الكشف الطبي عليها، وما زالت تواجه الأعاصير حيث كانت النتيجة الطبية سيئة، فقد استخرجت لها تأشيرة بسقوطها، ومن هنا يظهر دور "الشيخ موسى قمر"^١ الذي حاول مع الوزارة عشر مرات وعشرين حتى استطاع أن يأخذ خطاباً من سعادة مراقب تعليم البنات، لقبولها بالسنة الثانية بمدرسة طنطا بعد إجراء الكشف الطبي عليها^٢.

٧. مدرسة طنطا:

اصطحب "الشيخ موسى بنت الشاطي"، وسافر بها إلى طنطا وأجرى الكشف الطبي عليها، فأعلنت النتيجة بنجاحها فيه. ومن ثم نرى أنها وصلت إلى هذه المدرسة بعد معاناة شديدة، والتنقل من هنا وهناك بسبب تعارض القوانين واللوائح، ولولا قوتها وتحملها للمصاعب والمعوقات لما صبرت على كل هذا الشقاء. وبعد استقرارها نفسياً في مدرسة طنطا تنقل لنا حالها هناك، فتقول:

"أقبلت على دروسى جادة في تحصيل ما فاتني منها، وقد أوشك امتحان نصف السنة أن يعقد وأديته بنجاح."^٣

صدى موت "الشيخ الدمهوجي" في نفس بنت الشاطي:

كان لهذا الحدث المؤلم تأثير سلبي في حياة بنت الشاطي، حيث فوجئت بأكبر صدمة في حياتها، وهي موت جدها "الشيخ الدمهوجي"، فبعد رحيله فقدت العون والسند، وأجبرت على أن تمكث في البيت، تحقيقاً لرغبة والدها، فتخبرنا الكاتبة عن أثر هذه الصدمة في نفسها، وتقول: "تعرض بيتنا لهزة عاصفة كادت تقوضه، إذ

^١ . الشيخ موسى قمر كان صديق والد عائشة، وكان يعمل مدرسا بالمدرسة السنية للمعلمات ودار العلوم

(انظر الى على الجسر بين الحياة والموت. ص ٦٨)

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦٣-٧١

^٣ . نفس المصدر ص ٧١

عاد أبي يصر على حجري بالمنزل، وردى إلى الطريق المستقيم الذي انخرت عنه"^١
استسلمت بنت الشاطئ في البداية حتى لا تكون سببا في دمار البيت وضياح
الأسرة، ولكن سرعان ما عادت الكاتبة إلى قوتها وصلابتها، فلم تخيب رجاء والدها،
ولم تضيع وقوفها معها وتحملها للمشاق والمتاعب من أجلها، فاستعارت الكتب من
زميلاتها، وأدت الامتحان خفية عن والدها، فكانت النتيجة أنها من "أولى
الناجحات في مصر. مجموع الفارق مائة وثلاثون درجة عن الطالبة الذي تليها في
ترتيب النجاح"^٢.

يتضح لنا من التجربة السابقة، أن الكاتبة استطاعت بإرادتها وشجاعتها أن تدافع
عن قضيتها في التعليم بكل صرامة وقوة، وتحدث سلطة والدها وتغلبت على العادات
والتقاليد في البيئة الصوفية، حتى وصلت إلى هدفها وغايتها.

الامتحان الشفهي لشهادة المعلمات:-

من الأحداث الهامة أيضاً التي اهتمت الكاتبة بذكرها، والتي تدل على تميزها بين
بنات جيلها أداؤها الامتحان الشفهي لشهادة المعلمات، فقد أظهرت براعتها
وتفوقها من خلال حفظها للقرآن الكريم، وحفظها للنصوص الشعرية من كل
العصور، وعندما سئلت عن عصر الحديث أجابته كما قالت: من الشعري أو من
شعر سواي؟ مما زادهم دهشة واستغراباً، ثم أنشدتهم قصيدتها "في حنين إلى
دمياط" شعرها:

دمياط حبك حركت أشجانه آلام قلب في الغرام مصفد

ثم أتبعتهم بقصيدة الثانية من شعرها ألقتها لزوجة الصياد الذي ذهب إلى البحيرة في
ليلة عاصفة.^٣

دللت بنت الشاطئ بهذه الإجابات على قوة براعتها ونمو ثقافتها في مرحلة مبكرة
من عمرها، كما أنها قد كشفت عن أصالة التعليم الذي تلقت، سواء في الكتاب التي

^١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ٧٢

^٢ . نفس المصدر ص ٧٤

^٣ . نفس المصدر ص ٧٦

فيها حفظت القرآن الكريم، أو المعهد الديني الذي فيه درست العلوم الإسلامية والعربية.

الشهادة الابتدائية:

حالت القوانين بين بنت الشاطئ، وبين التحاقها بالقسم الإضافي والتقدم إليه من المنازل، فعدلت عن هذا الطريق إلى طريق آخر، وقدمت لنيل الشهادة الابتدائية، وهذه المرحلة تعدّ من أولى المراحل لأبواب الجامعة، إلا أنها تعرضت لمحنة شديدة بسبب عدم دراستها للغات الأجنبية التي أدخلت من ضمن المناهج التعليمية.

وهنا تنبها الكاتبة عن لوم ثنائية التعليم، التي واجهتها عبر المرحلة الابتدائية هذه الثنائية، التي تفرق بين أبناء الأمة من حيث "فرص تعليمهم ومجال عملهم بعد التخرج تفاوت ما بين الإقطاعيين والأجراء".^١

وقد أدى هذا الحدث الخطير إلى تفرق أبناء الأمة "طائفة منهم وهم خريجو المدرسة المدنية والجامعة مزودون باللغات الأجنبية وعلوم العصر، وطائفة ابتعدت عن ذلك نفسياً وعملياً ذلك التعليم زيغ مما أسفر في النهاية عن تدفق خريجين من نظم مختلفة لا تجمعهم ثقافة مشتركة ولا أهداف واحدة وتدور بينهم خصومة بالغة".^٢ والذي دعا الكاتبة أن تذكر هذا الحدث هو الطريق الشاق الذي عانت فيه في تحصيل اللغات والعلوم الحديثة، وعلى غرار ذلك تذكر لنا موقفها في أداء الامتحان في اللغة الأجنبية الذي توقفت فيه كثيراً لعدم اتقانها هذه اللغة، فتقول: "جاء سؤال الإنشاء، يطلب إلينا كتابة عشر جمل في: "كيف نجا السندباد من وادي الأفاعي"؟

جملة الثانية، حتى توقفت بغتة، أحاول عبثاً أن أتذكر كلمة "نسر" بالإنجليزية، والنسر هو بطل ذلك الفصل كله من قصة السندباد، بحيث كان من المستحيل أن أستغنى عن ذكره... وهممت بمغادرة قاعة الامتحان، وقد رسخ في بالي أن الله سبحانه لا يريد لي أن أمضي في ذلك الطريق، وفيما أن ألقى بقلمى من يدي في حركة يأس وقنوط.. وجدت كلمة نسر، محفورة بالإنجليزية تحت صورته على قلمي! وأقبلت

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٨٥

^٢ . بنت الشاطئ من قريب - د/ حسن جبر - ص ٣٨.

على ورق الإجابة أكتب الجمل العشر، وفي يقيني أن الله معي ... على الطريق.^١ بينت الكاتبة بذكر هذا الحدث؛ لأنه برغم تعارضها مع والدها، إلا أن الله قد أراد لها أن تمضي في ذلك الطريق، ولذلك كان دائما ييسر لها الأمور مهما واجهتها المصاعب، واستطاعت بتأييد الله لها في طريقها أن تتغلب على لؤم ثنائية التعليم.

٩. الشهادة الثانوية:-

واجهت بنت الشاطئ في هذه المرحلة صعوبة في دراسة المناهج العصرية التي تدرك بالتمرن عليها عبر الأجهزة المعملية، مثل مادة الطبيعة والكيمياء وليس بالحفظ والتلقين، مثل العلوم الدينية والعربية، فأوقعها ذلك في صعوبات أثناء تأديتها الامتحان، حيث كانت ممن يدرسن بالمنزل، ولا تتقدم إلا للامتحان فقط ومن ذلك تسرد لنا قصة امتحانها في مادة "الطبيعة" وتقول: "أجبت عن الشق الأول، بما حفظته عن ظهر قلب من كتاب الطبيعة عن: الحمل والاشعاع والتوصيل، ثم وقفت عند الشق الثاني، لا أفهم ما دخل الترمس. وقد حسبته البقل المعروف - في سؤال الحرارة؟"^٢

فعدم تمرنها على الأجهزة المعملية كان سبباً مباشراً في رسوبها في امتحان الطبيعة، ومن هنا نشأ الصراع في المجتمع بسبب هذه العلوم العصرية، التي تدرك بالتمرن وليس بالحفظ والتلقين، مثل العلوم الإسلامية والعربية.

سردت هذا الحدث السابق الذي يدل على طبيعتها الريفية بمنتهى الصراحة دون أن تجد في ذلك حرجاً، وكان من الممكن أن تغض الطرف في الحديث عنه حفاظاً منها على وضعها الاجتماعي، ولكنها أرادت أن تنقل للقارئ الأحداث كما هي، أو لعلها أرادت أن تبين له بأنها ما وصلت إلى تلك المكانة، إلا بعد جهد طويل ومعاناة في تحدى العقبات، أو أنها أرادت أن تصف شيئاً من الحياة الهادئة البسيطة في بداية حياتها، فلم يكن لديها مخزون علمي سابق، وأن المدارس كانت هي مصدر

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦٩-٧٠

^٢ . نفس المصدر - ص ٨٩

المعلومات والتثقيف. وبعد هذه الأحداث التي واجهتها الكاتبة بكل قوة وصرامة حصلت على الشهادات التي أوصلتها إلى أبواب الجامعة.

بهذه الأحداث تكون الكاتبة قد انتهت من قطع شوطٍ طويلٍ في سرد قصة حياتها، والتي أخذ العنوان الأول منها "على الجسر" ما يقرب من ثلثي السيرة. فتراها قد أسهبت الحديث والحكي في هذا الجزء، فتحدثت عن مراحل الطفولة، ونقلت إلينا العديد من ذكرياتها، في مرحلتى الصبا والشباب، التي انطبعت شخصيتها فيها بطابع الجد، والتفوق، والشجاعة، والجرأة، وهذه الصفات ظلت تلازمها طوال حياتها، فحققت ما كانت تريده وتبتغيه، وكل ذلك بمشيئة الله وقدره.

ثانيًا: الثقافة العامة:-

لم تتوقف حياة الكاتبة على تحصيل العلم والثقافة في المراحل التعليمية فقط، وإنما هناك منابع أخرى ارتوت منها الكاتبة، مما ساعد على تكوين شخصيتها الثقافية وينحصر ذلك في عاملين:

١. المكتبات:

إذا تصحفنا السيرة سنجد حديثًا عن المكتبة، التي تزودت منها الكاتبة ثقافيا، وهى "مكتبة السروى" التي كانت تتبع أسلوبا مبتدعا في تأجير الكتب تستطيع به القارئ أن يأخذ كتابًا أو اثنين من مقتنيات المكتبة، ثم يردهما بعد مطالعتهما وتستبدل بهما كتابين غيرهما، نظير قروش معدودات.^١

وبهذا النظام الحسن استطاعت الكاتبة أن تزود من ثقافتها عن طريق القراءة والاطلاع في كتب الأدباء والكتاب، فاطلعت على "كل كتب منفلوطى المؤلف والمترجمة وكل روايات لجورجي زيدان تاريخ والإسلام، وجمهورية أفلاطون ترجمة حنا خباز، وأيام الدكتور طه حسين، والإلياذة ترجمة بستانى، وألف ليلة وليلة"،^٢ وغيرها كثير من الكتب الممنوعة في تعرف بيئتها الدينية المتصوفة.

^١ .على الجسر بين الحياة والموت - ص ٨٠.

^٢ . نفس المصدر - ص ٨٠.

٢. الصحافة:-

للسحافة دور هام وواضح في حياة بنت الشاطىء؁ فكان حديثها عنها في غاية الأهمية كحديثها عن المراحل التعليمية؁ وقد ذكرت الكاتبة في مستهل أحداث السيرة أن السبب الرئيسي في اتصالها بالصحافة بشكل غير مباشر هو جدها "الشيخ الدمهوجي"؁ فسببه تعودت على الكتابة وتفننت في أساليبها؁ مما كان له الأثر الإيجابي عند إتصالها بالصحافة بشكل مباشر؁ ويمكن تقسيم مراحل الصحافة التي مرت بها إلى ثلاثة مراحل:

أ. مجلة النهضة النسائية: -

في أثناء إقامتها في مدرسة المعلمات بالمنصورة؁ أرسلت قصيدتها في "الحنين إلى دمياط إلى "مجلة نهضة نسائية"؁ و بعد ذلك أرسلت إليها قصائدها ومقالاتها؁ ثم استدعتها بعد ذلك صاحبة المجلة الحاجة لبيبة أحمد الشهيرة بـ"البيبة هاشم"١؁ لتتولى العمل في المجلة نظير أربعة جنيهاً في الشهر إلى حين عودة "السيدة لبيبة" من رحلتها السنوية إلى الحجاز. ٢

وكانت بنت الشاطىء في هذه الفترة على طبيعتها وفطرتها؁ وليس لديها أدنى فكرة للتعامل مع الحياة والناس في العاصمة؁ فكانت ترى هذه النقود؁ التي تتقاضاها من صاحبة المجلة؁ وكأنها مكافأة كبيرة لحاجتها المادية؁ وبعد رؤية صاحبة المجلة الأسلوب الرائع؁ الذي تكتب به المقالات أعدت مكافأة شهرية ثابتة؁ تبلغ ثلثي المرتب؁ الذي تتقاضاه من وظيفتها في كلية البنات. ٣

١ . (لبيبة هاشم من رائدات الحركة النسائية في مصر. ولدت في لبنان؁ ثم . جاءت إلى مصر مع عائلتها وتزوجت واستقرت فيها . دعيت لإلقاء محاضرات : في الجامعة المصرية سنة ١٩١١ و ١٩١٢ واختارت موضوعات في التربية؁ جمعنها ونشرتها في كتاب . ساهمت في الحركة الأدبية المصرية فترجمت قصص وروايات كثيرة نشرتها كاملة أو مسلسلة في مجلة "فتاة الشرق" . انظر كتاب مسيرة المرأة المصرية علامات ومواقف هدى الصدة عماد أبو غازي - مراجعة وتقديم جابر عصفور - الجزء الأول - الطبعة الثانية ٢٠٠٣ . المجلس القومي للمرأة - ص ٥٦) .

٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٩٩ - ١٠١

٣ . نفس المصدر ص ١٠١ .

واستطاعت بتوليها العمل في هذه المجلة أن تشبع هوايتها القديمة للكتابة، التي تمرنت عليها من قبل على يد جدها "الشيخ الدمهوجي".

ب. مجلة الهلال والبلاغ وكوكب الشرق:

لما رأت بنت الشاطي تقدير السيدة "لبية" لأسلوبها في الكتابة، شجعها ذلك على إرسال قصصها إلى صحف الهلال وكوكب الشرق والبلاغ، ولكن مجلة الهلال أعادت إليها قصتها مع بطاقة اعتذار باسم "اميل زيدان"^١.

وأثناء كتابتها في الصحافة وقفت عقبة كبيرة في طريقها وهي عدم قدرتها على كتابة اسمها الحقيقي، نظراً لظروف عامة وخاصة، فاخترت اسماً مستعاراً لتختبئ وراءه خوفاً من والدها، فتقول: "في تلك الأيام على التحديد، عندما بدا لي أن أتجاوز لقلمي نطاق المجلة الشهرية المحدودة التوزيع. حيث لا احتمال لأن تصل إلى محيط والدي والأسرة - إلى الصحف اليومية والمجلات الكبرى، فكرت في التستر وراء اسم مستعار، لئلا يعلم أبي بالأمر فيغضب وينكر ويصدر قراراً يحرم فيه على، مكاتبة الصحف والاتصال بها، وذلك ما لم تكن تقاليد البيئة والجيل، تسوغه لحريم العلماء!"^٢.

يخرج الخير في كثير من الأحيان من مكنون الشر، فخوفها من والدها الذي دعاها لإستخدام اسم رمزي، كان فتحاً جديداً لشهرتها، وعلو سمعتها في الآفاق، تقول: "ولم يطل بي التفكير في اختيار الاسم المستعار، بل كان أول ما خطر على بالي أن أتنمى إلى الشاطي، مهد مولدى وملعب طفولتي ومدرج أحداثي ومجلى تأملاتي، والمسرح الذي شهد مأساة فاجعة قيدتنا بقيود لا فكك منها..^٣".

ج. جريدة الأهرام:

انتهى المطاف ببنت الشاطي أن تعمل في جريدة الأهرام، التي وطدت علاقتها بها، وظلت تكتب فيها حتى آخر لحظة من حياتها. فكان لها مكتباً خاصاً بها "في

١. على الجسر بين الحياة والموت - ص ٨٠.

٢. نفس المصدر - ص ٨٠.

٣. على الجسر بين الحياة والموت - ص ٨٠.

غرفة رئيس التحرير أستاذ أنطون الجميل حيث ملتقى الأقطاب من رجال السياسة وأعلام الفكر والأدب.^١

وكانت قضيتها الأولى التي تكتب من أجلها المقالات في الجريدة الفلاح المصري ومأساته، وكان أول مقال لها بعنوان "فلاحنا المظلوم"، فأدى ذلك إلى إعجاب أهل الريف بها وبموهبتها. وفي صدد حديثها عن عملها في الصحافة، تذكر لنا سمة من سمات أهل الريف، فتقول:

"ولكن أهل القرية كانوا كرامًا، فلم يتطوع أحد منهم بالخوض في سيرتي بمجلس والدي، وكأنهم تواصلوا فيما بينهم دون تديرير أو اتفاق على أن يحموني من غضب والدي".^٢

أى أنهم لم يذكروا أمام والدها أن ابنته التي تبنها للعلم الديني تكتب في الجريدة باسم مستعار، خوفاً عليها من غضبه ومن منعها الكتابة في الجريدة؛ لأن ذلك لا يتفق مع عرف البيئة المتصوفة، التي تربت بنت الشاطي في أحضانها. وبعد عملها في الصحافة أخذت تنتقل من حال إلى حال، حتى وصلت إلى أبواب الجامعة.

ثالثاً. الجامعة وقصة ارتباط بنت الشاطي بالأستاذ "الخولي":

وصلت بنت الشاطي إلى أبواب الجامعة بعد معاناة ومكابدة شاقة في الطريق، الذي أدى بها في النهاية إلى أبواب الجامعة، فهذا الجزء من السيرة يعدّ من أهم المراحل التي مرت بها بنت الشاطي في حياتها، حيث تعد الجامعة السبب الرئيس في لقاءها برفيق الدرب زوجها وأستاذها "أمين الخولي"، الذي كتبت السيرة من أجله، فكان هو غايتها ومقصدها. تقدمت عائشة إلى الجامعة، وهي معتزة بثقافتها التراثية، حصيلتها من بيئتها القروية فتقول:

"والغريب في أنني لم أجد من طريقي الأول زهدًا فيه أو ضيقًا به ونفورًا منه، بل لعلي كنت أقرب إلى الزهو بما أتيح لي من إتصال به والمباهاة بما استطعت اجتيازه من مراحل الاعتزاز بما نخلت من نبعه السخي".^٣

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٣٦

^٢ . نفس المصدر . ص ١٣٤

ولذلك نرى أن من أهم العوامل، التي عملت في تكوين شخصية "عائشة"، وكان لها الجزء الأكبر منه هو التعليم الديني، فعائشة قبل اتصالها بأي شئ نشأت على درس العلوم الدينية، فأقبلت عليها بكل طاقتها تنهل من هذا النبع السخي الذي جعلها تتميز بين أقران جيلها، وبسبب منع والدها لها من دراسة العلوم العصرية، جعلها ذلك لم تفتن بها، كما أنها لم تركز في ذاكرتها وقتاً طويلاً، فتعبر عن ذلك بقولها:

"ولم يحدث قط أن فتنت عن قديمي بالجديد الذي تعلمته من كتب العلوم العصرية لمراحل الطريق إلى الجامعة، بل كنت كلما تقدمت خطوة على الطريق، ازدادت إدراكا لقيمة الرصيد الثمين الذي يمنحني سمة أصالة وتفرد بين بنات جيلي.^١

فكان اعتقاد "عائشة" أن العلوم الحديثة في الجامعة لن تجدى فائدة جديدة أكثر من العلوم التراثية، التي تزودت بها منذ الصغر، ولعلها كانت تظن بأنها وصلت إلى نهاية العلوم، ولا يوجد بعد ما عندها جديد، ولكنها في نفس الوقت تشعر بأن هناك قوة خفية تجذبها إلى طريق الجامعة، فتقول:

"في ذلك الجو النفسى المشحون بمواجس القلق والخوف، المثقل بعقدة الإحساس بالذنب، تابعت خطواتى إلى الجامعة وأنا أحاول أن أستجلى كنه تلك القوة الخفية التي تسيروني وتوجهني، فلا أجد لها تفسيراً إلا أنها إرادة الله الغالبة ومشيتته النافذة"^٢. وهنا أرى في حديثها هذا منتهى الجرأة والشجاعة والصراحة والوضوح، حيث ذكرت أنها تقدمت إلى الجامعة رغم معارضة والدها لها، ولم تتوقف عن طريقها مما يدل على شدة إرادتها وقوة شخصيتها. وكان تحولها إلى الجامعة عاملاً مؤثراً في تكوين ثقافتها العلمية، فانتقلت من بيئة صوفية قوامها ودأبها المحافظة على ما اختزنه العقول من أقوال العلماء والمفسرين القدامى إلى بيئة الجامعة، التي تسمح للعقول أن تعمل وتتعلم وتبتكر وتخلق"^٣.

٣. على الجسر بين الحياة والموت. ص ١١٣

١. نفس المصدر ص ١١٤

٢. على الجسر بين الحياة والموت. ١١٥

٣. طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية - رشيدة مهران - ص ٦١ .

ويرغم تحولها إلى الجامعة "لم تبتعد عن الأصالة بل كانت قدمها راسخة رسوخ الجبال فهي سليمة شيوخ وعلماء رسخوا جذورها في المدرسة الإسلامية السلفية منذ صغرها، ولذا لم يكن هناك خوف عليها من الانزلاق في هذا التيار أو ذاك بل كان سعيها وراء الشهادات التعليمية الحديثة مجرد ظماً للمعرفة، ونهم دائم للعلم ليس له مثيل."^١ و في عام ١٩٣٥ تقدمت "بنت الشاطئ" إلى الجامعة، وسجلت اسمها في كلية الآداب قبل أن تفوت الفرصة، وتركت الأمر لمشئمة الله "هذه هي الكلية التي اختارتها. لم تختارها اليوم ولكنها اختارتها يوم جلست على مقعدها الخشبي في كتاب سيدنا بدمياط فاللغة العربية هي عشقها منذ البداية."^٢ وبهذه الخطوة الجريئة استطاعت أن تتحرر^٣ من قيود العادات والتقاليد، ومن سطوة التسلط الأبوي.

أ. السنة الأولى الجامعية:

وفي بداية دراسة بنت الشاطئ للسنة الأولى للجامعة، لم تستطع الجامعة أن تفتتها بعلومها العصرية عن قديمها الذي تعلمته فاستخفت بما يدرس من علوم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، فكانت تكتفي بحضور عدة دروس لكل أستاذ من أساتذة الجامعة، تجربنا عن ذلك بقولها:

"فأحضر لكل أستاذ عدداً من الدروس، يكفي لإثبات وجودي! وكنت على يقين من أن الأمر بالنسبة إلى مواد اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أيسر من أن

^١ . فن المقالة عند بنت الشاطئ د سعد محمد عطية . - ص ٢٠ .

^٢ . بنت الشاطئ رحلة في أمواج الحياة - وفاء الغزالي - ص ٢٧

^٣ . المقصود بالتحرر هنا ليس التحرر من الدين، بمعنى ترك الدين والبعد عنه والخروج عن مبادئه وأصوله، وإنما المقصود أن نت الشاطئ لم تستسلم للجمود بحجة دعوى الدين وحتى لا يتخذ من الدين سبيلاً لإعاقة الفكر الإنساني، بل إن نت الشاطئ أثبتت أن ما جعلها تثبت على طريقها إنما هو بدافع من الدين، حيث أمدتها بقوة ونزعة روحية وخير دليل على ذلك (الرؤيا الصادقة)، التي رأتها في منامها، عندما كانت تؤدي امتحان مادة (تاريخ أوروبا الحديث) فجاءت الرؤيا مطابقة تماماً للواقع، فاستطاعت من خلالها أن تجيب عن أسئلة الامتحان مما أوصلها في النهاية إلى هدفها، ومن هنا أدركت بنت الشاطئ أن الله معها ويؤيدها في طريقها.

أشغل أستاذ، ثم أفرغ منه إلى يوم الامتحان" ^١ ويرجع السبب في ذلك إلى ما تلقته من علوم دينية وأدبية وثقافية على يد والدها في صباها، مما ساهم في تكوينها الثقافي وجعلها تشعر بسهولة الدراسة في الجامعة.

وفي عامها الجامعي الأول أيضا لم تحضر درسا واحدا للأستاذ "أمين الخولي"، وكانت تقابل كلام الطلاب عنه، وعن منهجه وعلمه باستخفاف، فتقول: "فريقا من زملائي تحدوني أن أستغنى عن كلمة واحدة من دروس الأستاذ الخولي في البلاغة والتفسير، على مدى السنوات الأربع فكنت أدارى شعوري بالثناء لضعفهم، وأقابل تحديهم بنوع من الاستخفاف" ^٢.

في هذا السرد يتضح لنا أن بنت الشاطئ تدلنا على تميزها بميزات تفوق فيها أترابها، كما تظهر لنا مدى الثقة التي قد تصل إلى حد الغرور وذلك واضح في قولها فكنت أدارى شعوري بالثناء. ومن فرط ثقتها بنفسها كانت تقابل تحديهم باستخفاف وهذا يدعونا إلى عدم قبول ذلك، مع أننا نشهد بقدرتها العلمية والثقافية، نتيجة ما حصلته في مراحلها المختلفة.

مضى عامٌ كاملٌ، ولم تقدم لها الجامعة جديداً، وكان حصاد ذلك العام الأول، عزلة نفسية وفكرية عن هذه الجامعة. ^٣

ولعل السبب في ذلك عدم اطلاعها على الجديد من الجامعة، أو تمسكها ببيئتها المتصوفة، أو هما معا، ^٤ فوقع بنت الشاطئ من جراء ذلك في صراعات متعددة قابلتها في هذه المرحلة، صراع بين ما تعلمته من علوم التراث، وبين ما تدرسه الجامعة من علوم مدنية وحياتية جديدة، صراع بسبب اللهجة الريفية التي تتحدث بها، ولهجة أبناء العاصمة المختلفة تماما، إلى جانب ما حدث بالجامعة وهو مصرع زميلها الشهيد "عبدالحكم الجراحي" والشهيد "عبد المجيد مرسى" برصاص الإنجليز عند

^١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ١١٦

^٢ . نفس المصدر. ص ١١٦

^٣ . نفس المصدر. ص ١٢٥

^٤ . بنت الشاطئ من قريب - د/ حسن جبر - ص ٤٥

"كوبري عباس حيث أن الجامعة لم تهتم بمصرعهما،^١ فأظهرت لنا من خلال هذه الواقعة التي تستند فيها إلى التاريخ ما كانت عليه مصر في هذه الفترة من احتلال الإنجليز لأرضها، وسقوط الكثير من شهدائها.

أعتقد أن بنت الشاطئ لم تكن تقصد ذكر الأوضاع السياسية، التي كانت سائدة في مصر؛ لأنها من بداية السيرة إلى نهايتها لم تذكر شيئاً عنها، إلا باستثناء إشارة بسيط في بداية السيرة عندما قالت :

"إلى أن عدنا من رحلة الصيف حوالي ١٩٢٠ وقد كانت مشحونة بأصداء الثورة"^٢. ففي هذا النص: تشير بإشارة بسيطة إلى ثورة ١٩١٩م، أما: ذكرها الأوضاع السياسية وهي في المرحلة الجامعية كانت تقصد من ورائها أن تبين عدم اهتمام الجامعة بغياب طلابها، وبأنها لم توقف الدراسة بعد مصرعهما، وترى بنت الشاطئ في الحدث السابق عيباً من عيوب الجامعة، فالجامعة في نظرها ليست مكاناً للعلم فقط، بل لا بد أن يكون فيها معاملات إنسانية قائمة على الود والاحترام، تقول: "فلقد اكتشفت أن نص اللائحة صوري معطل، فما كان يعني الإدارة فقط أن تسأل عمن حضروا أو غابوا، وإنما كان الذي يعينها فحسب، أن تستوفي دفع المصروفات، فلا يباح لطالب أن يدخل الامتحان، إلا بصك سداد الرسوم والمصروفات."^٣ ولذلك لم تهتم بمصرع الزميلين، ولم يعن لها ذلك بالأل، مما أوقع الألم في نفس بنت الشاطئ. وبرغم ما عانته الكاتبة من انتقالها إلى العاصمة، ودخولها الجامعة، إلا أن ذلك كان عاملاً إيجابياً في تغيير مجرى حياتها تغييراً كلياً، فإذا كانت البيئة الساحلية قد عملت كثيراً في تكوين فكرها وثقافتها، فقد لعبت الجامعة دوراً واضحاً في بناء عقلها المفكر، فبسببها اطلعت على العلوم الجديدة، ومنها تفتح وعيها وإدراكها للعلوم العصرية المحدثه، فمزجت في ثقافتها بين العلوم الدينية والعصرية معاً،

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٢٨

^٢ . نفس المصدر ص ٤٣

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٢٧-١٢٨

واستمدت من هذه الثقافة الجديدة قوة تستعين بها على عناء الطريق الطويل، الذي قطعته حتى وصلت إلى أبواب الجامعة.

ب. العام الثاني بالجامعة:

بدأت "بنت الشاطئ" عامها الثاني وهي مليئة بالزهو والغرور لما سمعته من انتشار كتابها الأول عن الريف المصري في أرجاء العاصمة، و يتحدث المجتمع المصري أيضاً عن فوزه بالجائزة الأولى في المسابقة الرسمية لوزارة علي ماهر في موضوع الإصلاح الريف والتنمية الزراعية، وأهل القرية يتفاعلون مع خبر اختياره عضواً في "المؤتمر الزراعي الأول"، الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٣٦^١ وهنا، نرى أنها وصلت إلى مكانة كبيرة في المجتمع المصري برغم أنها تلميذة في العام الثاني بالجامعة، مكانة عجز أساتذة كثيرون في الجامعة أن يصلوا إليها وهذا يرجع إلى حدة ذكائها وقوة عقليتها. ثم انتقلت بعد ذلك، لتحدثنا عن اللقاء المنتظر بينها وبين أستاذها "أمين الخولي" فتحدثت كثيراً عنه، وعن مدى استعدادها له، في أسلوب مشوق لما يُسفر عنه هذا اللقاء المنتظر، تحدثت عن هذا اللقاء في كل عنوان من عناوين الجزء الثاني من السيرة، بناءً على ما ذكر لها الطلاب عن شخصيته، إلا أن همها الأول المشاهدة المباشرة لتلك الشخصية التي تمتعت بتملك قلوب الطلاب، ففي المشهد الأول حينما هم الأستاذ بالانصراف سأله طالب من طلابه عن موعد الدرس الأول، فكان جوابه كما بينت لنا بنت الشاطئ: "ليكن الموعد المحدد في مثل يومنا هذا من الأسبوع المقبل ثم استطرده موضحاً: "أحسبه السادس من نوفمبر"^٢. وهنا المفاجأة؛ حيث اليوم الذي اختاره الأستاذ أمين الخولي من بين ثلاثمائة وستة وستين يوماً (كان نفس يوم ميلادها الحقيقي). فقد ولدت في مدينة دمياط في ٦ من نوفمبر ١٩١٣ م).

حاولت بنت الشاطئ تطويع نفسها لتجعل اختياره لهذا اليوم من قبيل المصادفة المحضة، إلا أنها بحكم تربيتها ونشأتها في بيئة صوفية لا تسمح لها بهذا الاقتراض

^١ على الجسر بين الحياة والموت. ص ١٤٨

^٢ . نفس المصدر ص ١٥٣

"وهو منطق يرفض القول بالمصادفة رفضاً حاسماً ويترك الأمر فيه إلى مشيئة عليا"^١ من هنا كان إصرارها على لقاء أستاذها، لأنها أدركت من خلال ما يحدث أن المشيئة والقدر هما ما يجمعان بينهما، فكلمات أستاذها كان لها صداها النفسي، وكأنه يشير إليها من خلال التاريخ الذي هو تاريخ ميلادها.

واستمرت في السير خطوة خطوة، ولم تتوقف عن معركتها، التي كافحت كثيراً من أجل الوصول إليها، وتأهبت لتبدأ عامها الثاني بالجامعة، وتلتقي بأستاذها، الذي أصبح رفيق دربها فيما بعد، عن لقائه الأول، تقول: "أخذت مكاني في قاعة الدرس بالجامعة متحفزة للجولة الباقية لى على الطريق، ومستجمة كل رصيدي المتضخم من زهو الطموح وإرادة التفوق. ودخل الأستاذ الخولي بسمته المهيب المتفرد، فألقى علينا التحية واقترح، لكى نتعارف، وأن يعرض علينا مباحث المادة المقررة علينا درسها من علوم القرآن ولكل طالب أن يختار مبحثاً منها، يعده ويعرضه للمناقشة في الوقت الذي يحدده.."^٢

وفي هذا اللقاء أخذت التلميذة المجدة وواصلت الاستماع إلى الأستاذ، وهو يلقي عليها مبادئ منهجه، كانت حريصة على عدم تفويت أي كلمة مما قاله، من هذه اللحظة ارتبطت بنت الشاطئ برفيق الدرب نفسياً وعقلياً، ومن هنا ابتدأت توثق صلتها بالجامعة فتقول: "وانجلى ما حسبته سراياً، فإذا بالجامعة تعطيني من جديدها ما لم يخطر لي قط على بال. وإذا القديم الذي جئتها به يجلو منهج الأستاذ الخولي فيمنحه روح الحياة ونبض العصر.^٣ حاولت بنت الشاطئ أن تثبت ذاتها وتفوقها بسبب ما تسلحت به من علوم في بيئتها، ولكن في هذا اللقاء استطاع الأستاذ أن يكسر الثقة والغرور في تلميذته، وذلك لعدم علمها بالعلوم الجديدة، التي لم تدرسها في بيئتها.

وأخذت التلميذة القوية تجمع ما بين العلوم التراثية، والعلوم المحدثه التي تلقتها من

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٥٣

^٢. نفس المصدر ص ١٦٠

^٣. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٦٢

أستاذها. بعد هذه المرحلة الثانية من الجامعة انقطع السرد، فلم تذكر لنا أحداثاً عن المرحلة الثالثة والرابعة، التي تعد المراحل النهائية من الجامعة، وإنما انتقلت فجأة إلى مرحلة الدراسات العليا، ولعل في هذه الفترة أحداثاً هامة منها ما يتعلق بعلاقتها بأستاذها، ولكن الكاتبة آثرت السكوت عنها، لأنها لا تعود بفائدة على القارئ، وانتقلت إلى المرحلة التي تليها للأحداث الهامة بها، والتي آثرت الكاتبة نقلها للقارئ لفائدتها، وهنا يترك الأمر للمتلقي أن يملأ فراغات السيرة من أحداث محذوفة بعد فهمه النص فهما دقيقاً.

ج. مرحلة الدراسات العليا:

كانت بنت الشاطئ تظن أنها عندما تنتهي من المرحلة الجامعية، وتتخصص في مجال معين، أن الأمور قد سهلت، إلا أنها أدركت بأن تلمذتها للأستاذ "الخولي" كما تقول "جعلت مما فات من مصاعب الطريق أهون من أن تقاس بما أستقبله منها."^١ علاقتها بأستاذها جعلتها حريصة على الوصول ببحوثها إلى قمة الغايات، إلا أن الحقيقة العلمية غير ذلك فما يمكن للبحث أن يصل إلى غايته، أو أن يقول فيه الباحث الكلمة الأخيرة مهما بلغ من العلم والثقافة، يؤيد هذا الكلام ما قاله لها شيخها "الخولي" حينما أفضت إليه بأنها في ريب من إمكان وصولها ببحثها إلى غايته، فكان جوابه: "ومن قال إن الطالب يستطيع أن يصل بالبحث إلى غايته؟ نحن نعيش العمر كله طلاب علم كادحين. وما من بحث يمكن أن يقول الكلمة الأخيرة في موضوعه، وجهد طالب العلم لا يقاس بمدى ما قطع من أشواط، وإنما يقاس بسلامة اتجاهه، ولو لم يقطع سوى خطوة واحدة على الطريق الطويل الممتد إلى غير نهاية ولا مدى."^٢

بعد هذه الأحداث زاد ارتباطها النفسي بأستاذها، وتحس في كل لقاء بينها وبينه بأنها تولد للحياة من جديد.

ولذلك نرى أن سيرة بنت الشاطئ قد ميزت بطابع قلما نجده في سيرة غيرها من

^١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ١٦٥

^٢ . نفس المصدر. ص ١٦٧

النساء، فهي ظهرت بمظهر المرأة العاشقة لزوجها والمتفانية في علاقتها به يروح صوفية، ولم يكن أساس هذه العلاقة البعد الحسنى فقط وإنما أخذ بعد العلاقة العقلية جانباً آخر لا يمكن الاستهانة به.^١

تقول: "كنت أتمنى لو توقف الزمن، ليظل الأستاذ يتكلم، وأنا أصغى وأتعلم".^٢ وبرغم اعترازها بأستاذها وتقديرها له؛ إلا أنها في حديثها عن العلاقة التي نشبت بينها وبين أستاذها أسرع في السرد، وانقطعت في الحديث، وهنا نستطيع أن نقول: إن "بنت الشاطئ" في سيرتها الذاتية أخفت عنا الكثير من المشاعر والأحاسيس حول ملايسات العلاقة بينها وبين أستاذها، وجعلت بيننا وبينها حجاباً كثيفاً، وفي هذا عبء على القارئ المطالب بملء هذه الفجوات عن طريق التأويلات المتعددة.

لم تسرف بنت الشاطئ في حديثها عن علاقة الحب التي كانت بينها وبين "الخولي" وهيامها به فيما بعد، مما يؤكد خوف الكثيرين من كُتّاب السيرة من الإقتراب كثيراً من التابوهات المحرمة، إلا أننا نلاحظ على النقيض من ذلك الاهتمام بأمر المشيئة والقدر، فمنذ اللحظة الأولى، وهي تشير إلى القدر، وتقول: "لقد آمنت من اللحظة الأولى للقائنا، أنه اللقاء الذي تقرر في ضمير الغيب منذ خلقنا الله من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وإن عدتنا الدنيا اثنين في الحساب الرقمي والواقع العددي. اثنين، لكل منهما اسمه ونسبه ولقبه وصفته وصورته وعمله وشخصيته.. وبهذه الثنائية العددية يتعاملان مع الدنيا والناس ولكنهما في جوهر حقيقتهما واحد لا يتعدد".^٣

وعلى هذا الحال ظلت بنت الشاطئ إلى آخر عمرها وهي تؤمن إيماناً شديداً بأنها ما اجتازت دربها الوعر إلا لكي تلقاه، وتقول: "وحتى آخر العمر، لم يتخل عني إيماني بأنني ما سرت على دربي خطوة إلا لكي ألقاه.. وما كان يمكن أن أحيّد عن الطريق

^١ . تأملات في السيرة الذاتية لعائشة عبد الرحمن - هدى قرع - السبت ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر)

٢٠١١ م - ديوان العرب - تاريخ الدخول يوم ١٦/٩/٢٠١٦ الساعة ١٣:١٢ صباحاً.

^٢ على الجسر بين الحياة والموت ص ١٦١

^٣ . نفس المصدر. ص ١٧١

إليه، وقد عرفته في عالم المثل ومجالي الرؤى وفلك الأرواح من قبل أن أبدأ رحلة الحياة".^١

وهنا نرى، قمة ألوان الحب أن تجعل كل ما فعلته في حياتها كان مسخرًا للخدمة الوصول إلى هذا الحب، ونهايته القيمة.

نهاية السيرة:-

انتقلت بنت الشاطئ في الأحداث من الحياة الهائلة السعيدة إلى أيام من العذاب والألم، فتحدثنا عن وفاة زوجها، بقولها: "كل ما مضى انتقل إلى منطقة الأحلام، فلا سبيل إلى استرجاعه إلا في غفوة مختلسة لا تلبث أن تبدد بيقظة مروعة، تسلمني إلى قبضة الواقع حيث المشهد الفاجع من قصتنا التي كانت أسطورة الزمان"^٢

وتقول أيضًا في تصوير هذه المأساة المؤلمة:

"على عيني، اقتحم ناس غرباء مخدعه ليجهزوا جسده للرحلة الأخيرة. وعلى عيني، حملوه من دارنا إلى غير عودة، ومضوا به إلى قريته "شوشاي" في ريف المنوفية دفنوه في ترابها الذي جاء منه، وإليه كان الماب"^٣.

لقد أبدعت بنت الشاطئ في سيرتها في وصف عمق الجرح، الذي ألمَّ بها؛ لإصابتها بفجعة فقدتها رفيق دربها، فصورت لنا المشاهد المؤلمة تصويراً دقيقاً يجذب القارئ ويؤثره، وكأنها صورة حية ماثلة أمامه تنبض بآلام الكاتبة وأوجاعها، فيتشارك معها بأحاسيسه ومشاعره، ومن هذا الحدث اندلعت آلام بنت الشاطئ لرحيل زوجها، وعلى إثرها تكتب سيرتها الذاتية، فبوجوده ترى الحياة، وبفقدانه ورحيله ترى الموت والعدم.

^١ .على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٧٣

^٢ . نفس المصدر - ص ١٧٧

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٧٨

المبحث الثالث

الإطار الاجتماعي.



الإطار الاجتماعي:

ذكرت قبل ذلك أن بنت الشاطيء بدأت سيرتها بملحمة رثاء رثت فيها زوجها، وذكرت سابقاً السبب الذي جعلها تفعل ذلك مخالفة لكثير من كتاب السيرة، ثم تلت ذلك بذكر التفاصيل حول بيئتها وعائلتها، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

١. - البيئة:

عاشت "بنت الشاطيء" في بيئتين مختلفتين، لكل منهما طابع وتأثير خاص في حياتها، وهاتان البيئتان هما:

١. مدينة دمياط:

بينت "عائشة عبدالرحمن" شاطيء دمياط، والبيت الذي تربت فيه، وأعتقد أن هذا من شدة حنينها لبلد السحر والجمال دمياط، وكان من الممكن أن تأتي بذكر شاطيء دمياط، وسر التعلق به في وسط السيرة ولكنها فعلت العكس. فالبيت^١ كما وصفته يقع على شاطيء النيل بدمياط، وهذا البيت "للشيخ إبراهيم الدهموجي الكبير جدها لأنها فيكون موقعه" مُطلاً على النهر عتيقا شامخاً تضرب أسسه الصخرية في ماء النيل، ويمتد الأفق أمامه، من ناحيتي الشمال والغرب فسيحاً رحباً إلى غير مدى^٢.

^١ . تعيش داخل محيط البيت أربعة أجيال:

الجيل الأول: الجدان الأعلىان لبنت الشاطيء، بعد أن أصيبا بشيخوخة عالية أقعدتهما في البيت. الجيل الثاني: جيل معتوقوا الجد، الذين كانوا يقومون بخدمة أهل البيت، وتربية أولادهم. الجيل الثالث: يتمثل في أم عائشة، فقد تربت في هذا البيت، وتعلقت به حتى بعد أن انتقلت إلى بيت الزوجية؛ كانت تتردد كثيراً على هذا البيت، لقضاء حاجات وخدمة الجددين الأعلىين، فكانت تقضي معظم وقتها في هذا البيت.

أما الجيل الرابع: فيتمثل في بنت الشاطيء "حيث أنها عندما كانت تذهب أمها لقضاء حاجات جديها، كانت بنت الشاطيء تتعلق بها، وتذهب معها، فإذا ما عرفت من قضاء حاجات الجددين، وتتأهب لتعود إلى بيت زوجها تعللت بنت الشاطيء، وتبدي رغبتها في البقاء في هذا البيت بحجة خدمة الجددين، ولكن الواقع غير ذلك فهي تريد أن تواصل اللعب واللهو على الشاطيء، مع صواحباتها من بنات الجيرة. (أنظر: بنت الشاطيء من قريب أ-د/حسن جبر ص ١٦، ١٧)

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٩

يظهر لنا من معالم هذا البيت أنه بيت عريق، كما أن من جمالياته أنه مُطَلَّ على النهر، ولذلك تأثير خاص في حياة الكاتبة، لذا اهتمت بذكر البيت ومعالمه. من الأماكن أيضا التي ذكرتها الكاتبة، الشاطئ وسر مأساته، فقد كانت والدتها تخاف عليها خوفاً شديداً؛ وتحكى لها أساطير مخيفة، لتبعدها عن الشاطئ، ولعل هناك سبباً قوياً ودافعاً، لقلق الأم على ابنتها، فالشاطئ تذكرها بذكريات مؤلمة في حياتها، والتي كانت سبباً في وجعها وشقائها حيث نزلت والدتها والتي هي جدة عائشة في النهر، فالتهمتها أمواجه، حتى نزلت بها إلى القاع، تقول بنت الشاطئ في ذلك: "قبل ولادتي بسنوات عديدة، وقبل أن تكبر أُمِّي وتتزوج، نزلت والدتها إلى النهر ذات صباح، ولم يعد أبداً".^١

وبعد هذا الحادث المؤلم ماذا تتوقع من طفلة لا تتعدى الخامسة من عمرها ؟ من المتوقع أن تبعد بنت الشاطئ عن النهر نهائياً، وأن تمتلئ نفسها بالهواجس والخوف منه، ولكن الأمر جاء عكس ذلك، فبرغم أن الحادث المؤلم قد ترك بداخلها آلاماً نفسية، إلا أنه لم تبعدها عن النهر، بل زادها ذلك إصراراً وعناداً، وهنا يظهر لنا أن شخصية الكاتبة تمتاز بالقوة والتحدى منذ الصغر، ومن ثم عادت الكاتبة بعد ذلك تأخذ مكانها على الشط، بعد أن هجرتها فترة من الزمن تلبية لأوامر عائلتها، تلتمس فيه آثار المأساة، فتحدثنا عن ذلك، وتقول: "عدت إلى مكاني الذي هجرته حيناً، أحاول أن أتمثل منه المأساة التي لم أكن من شهودها، وخيل لي أنني أستطيع أن أصغى في هدير الموج إلى صدى بعيد من صوت إنسى يتصاعد من قاع النهر، وأن أميز في مياهه تلك الدموع التي ذرفت أُمِّي حين وقفت في الأمس البعيد على الشط تنادي والدتها الغريقة وتضرع إلى النهر أن يردها لها فيرتد إليها صدى ندائها وضراعتها مجهداً ممزقاً ضائعاً".^٢

فصياغة هذه الأحداث، التي قصتها بنت الشاطئ صياغة "روائية تستند إلى التصوير لا إلى التقرير، والكاتبة تزوج في سيرتها بين الانفتاح على الداخل وعلى الخارج، على

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٥

^٢ . نفس المصدر ص ٢٥-٢٦

الخارج في المنظر وفي الحركة، وعلى الداخل في المشاعر وانعكاس الأحداث على النفس.^١ كما أننا نلاحظ في هذا النص أن الكاتبة قد استعانت فيه بالخيال، يتضح لنا ذلك من خلال قولها: "صوت إنسي يتصاعد من قاع النهر. يميز في مياهه تلك الدموع التي ذرفت أمني. سحبتها أذرع الموج الهادر - تاهت صيحة استغاثتها - يرتد إليها صدى ندائها وضراعتها، مجهدا ممزقا ضائعا."

فالخيال في هذا النص واضح فهل يعقل أن ترى الكاتبة دموع والدتها من بين مياه النهر؟، أو تسمع صدى صوت إنسان يخرج من قاعه؟ أو أن للموج أذرعاً تسحب بها الأناس؟ وغير ذلك من صور الخيال، فهذه الأشياء التي تصورها الكاتبة لم تحدث في الحقيقة والواقع، وإنما هذا من صنع الخيال؛ لتصور من خلاله تأثير المشهد الفاجع على نفسها "فخيال الطفلة هنا جامع، أو أن الظروف جعلت للخيال مكانا فسيحاً ينبئ عن مستقبل أغلب الظن أنه من النوع الأدبي، وقد بقي هذا الخيال يظهر هنا في السيرة مغلقا الحقيقة، فالحقيقة أن الطفلة كانت تصغى إلى صدى بعيد من هدير الموج ولكن هل وقفت أمها حقيقة تضرع إلى الشط أن يرد الغريقة إليها؟ إن هذا الخيال الخصب لا يؤدي الحقيقة المطلوبة على أي حال^٢

فالحقيقة والأمانة واضحة تماما في أحداث السيرة، وسيوضح ذلك جلياً عندما نعرض لمواقف الحوار فيها، ولعل الكاتبة تكون قد أتت بهذه الصور الخيالية؛ لتصور من خلالها عمق الإحساس بالأسى والألم من بعد سماعها بحادث جدتها المؤلم، والذي رأت آثاره على والدتها وجديها.

وبما أن البيئة التي تنتمي إليها بنت الشاطىء بيئة ساحلية، فإن لها متعلقات كثيرة منها صور الماء، والقوارب، والزروع، والصيادين، وغير ذلك.

وفي سيرة بنت الشاطىء يبدو أنها كانت متعلقة بشاطىء النهر، وبالسفن الشراعية، فكانا لهما أثر كبير في تكوينها، حيث طبعت حياتها منذ الصغر بطابع الحزن، نظراً لما تعلق في ذاكرتها من صورة المأساة.

^١ . السيرة تاريخ وفن - ماهر حسن فهمي - الطبعة الأولى ١٩٧٠ - مكتبة النهضة المصرية - ص ٢٨٢.

^٢ . المرجع السابق ص ٢٨٢.

فالاحتفاظ "بهذه الصورة الحزينة جزء من طبيعة عائشة ميلها إلى الحزن، أكثر من ميلها إلى المسرات وعاطفة جياشة، يغذيها توالى المآسى وفراق الأحبة".^١

فكانت عائشة تتأثر كثيرا بفراق من أحببتهم، ولذلك عندما تتابع سيرتها نجد أن الطابع الغالب عليها هو طابع الحزن والأسى.

كانت دمياط بلدة "تعيش في نهضة علمية واضحة فإلى جانب التعليم الأزهرى كان هناك التعليم العصرى الذي لم يقتصر على الذكور، بل شمل الإناث أيضا حيث أنشئت مدرسة اللوزى الأميرية للبنات في الوقت الذي كانت فيه مدارس البنات في القطر المصري لا تعد على أصابع اليدين"^٢

وهنا نرى أن مقومات هذه المدينة ومميزاتها، كان لهما أثر واضح في تكوين وصقل وتثقيف بنت الشاطىء، فقد صبغت شخصيتها بصبغة علمية دينية، جعلت لها شأنا كبيرا في مجتمعا.

٢. البيئة الريفية :

كانت بنت الشاطىء تذهب إلى قرية والدها "شبرا بخوم" في كل إجازة صيفية، فكان من ضمن المؤثرات التي تأثرت بها الكاتبة هناك نظام (الكتاتيب) فحفظت بها القرآن وهي دون العاشرة من عمرها، وسيوضح ذلك جلياً عندما نتحدث عن مراحلها التعليمية بالتفصيل، كان من مؤثرات البيئة التمسك بالعوادات والتقاليد، والمحافظة عليها محافظة تامة.

خلاصة الكلام: وفي النهاية يمكننا أن أقول إن البيئتين اللتين عاشت فيهما بنت الشاطىء لهما تأثير كبير في تكوينها حيث مزجت شخصيتها بصبغة دينية علمية محافظة.

ثانياً: العائلة:

بعد ما وصفت "بنت الشاطىء" البيئة التي عاشت فيها انتقلت إلى ذكر أهم

^١ . بنت الشاطىء من قريب - د / حسن جبر - ص ١٨

^٢ . فن المقالة عند بنت الشاطىء - د/ سعد محمد عطية - ص ١٢٢

الشخصيات في حياتها، والتي تركت طابعا مميزا في تكوين حياتها الثقافية والفكرية، حتى وصلت إلى مكانة كبيرة في المجتمع، تحدثت عن بعض أفراد عائلتها، بينما غضت الطرف عن بقيتها؛ لأنها اهتمت بذكر من كان له دور فعال وواضح في صقل وتثقيف شخصيتها، فكل سيرة ذاتية يذكر فيها الكاتب أفراد عائلته ويوضح دورهم في حياته، وتأثيرهم على شخصيته وخاصة السير النسائية سواء الشرقية أو الغربية، تخصصا "مكانا كبيرا للعائلة وخاصة الأم التي تلعب دورا هاما في حياة ابنتها."^١

ولذا سأعرض عرضا موجزا عن أهم أفراد عائلة بنت الشاطئ.

الأب:

عندما أقرأ لسيرة "بنت الشاطئ"، أجد أنها ركزت في سيرتها على شخصية الأب، فذكرته كثيرا في مواضع سيرتها، برغم أنها كانت دائما في جدال معه من أجل مسيرتها العلمية، ولم تتحدث عن والدتها إلا في ثنايا الحديث عن العقبات التي واجهتها، فتذكر مواقف والدتها معها في التغلب على العقبات والصعوبات.

و تتحدث عن والدها بأنه "لم يكن من أبناء دمياط وإنما ولد في قرية" شبرا بخوم من ريف المنوفية، وأمضى بها طفولته يحفظ القرآن الكريم ويجوده.^٢

وبعد أن أكمل دراسته في الأزهر الشريف عين مدرسا في دمياط وتزوج^٣ من والدته "عائشة". كان الشيخ "محمد عبد الرحمن" ينتظر من ثمرة هذا النسب أن يرزقه الله

بغلام؛ ليث عنه العلم، فلما رزق بأنثى قبل عائشة ولم يضجر بها وعندما حملت زوجته للمرة الثانية عاد الحلم يراوده من جديد أن يرزقه الله بغلام، ولكنه رزق بعائشة ولم يضجر بها أيضاً، ووهبها للعلم منذ ولادتها^٤

^١ . في الأدب والنقد - أ.د غراء مهنا - الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م - دار العين - ص ٦١

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٢٩

^٣ . جمع هذا الزواج بين نسبين شريفيين ينتمى إليهما أصل "عائشة"، فيمتد نسب والدها إلى الحسين بن علي سبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويمتد من ناحية والدتها إلى "الشيخ الدمهوجي" من بني الحسن. (انظر بنت الشاطئ من قريب - د/ حسن جبر - ص ٢١)

^٤ . أنظر على الجسر بين الحياة والموت - ص ٢٩ ٣١

وبما أن الشيخ كان ينتمى لبيئة دينية تعليمية ابتداءً مع ابنته طريق العلم في وقت مبكر من عمرها، فعلمها القراءة والكتابة قبل أن تتعدى الخامسة من عمرها، ولهذا نستطيع أن نقول: "هو الذي وضع الأساس العلمي الذي أفرز في النهاية صرحاً علمياً قلما يجود الزمان بمثله - هو ابنته عائشة - التي ملأت بعلمها الآفاق."^١ فلهذا الأب يرجع الفضل في تعلمها وثقافتها، وقد ظهر أثر ذلك واضحاً عندما التحقت بالمدارس التعليمية، فلم تجد فيها "بنت الشاطيء" ما يفوق على ما تعلمته على أيدي والدها وزملائه من شيوخ المعهد الديني، وهذا ما أظهر تفوقها على زملائها.

الأم:

لعبت الأم دوراً بارزاً في حياة بنت الشاطيء، فقد كادت أن تضحي بحياتها الأسرية وعلاقتها مع زوجها، لتقف بجوار ابنتها تمدداً بيد العون والمساعدة في كل أزمات حياتها، فعندما رفض الشيخ محمد عبدالرحمن دخول ابنته المدارس ذهبت والدته عائشة إلى جدها "الشيخ محمد الدمهوجي" تلتمس منه النصيحة والرأى في موقفها الحائر الصعب بين حرصها على ألا تتدخل فيما يريد الأب، وفزعها من عقبات ما تكابده ابنتها من قهر وحرمان.^٢

وإنني لأعجب كل العجب من حال هذه الأم، التي تريد أن تصل بابنتها إلى أعلى المراتب، مع العلم بأن الزمان الذي أرادت أن تبتغي فيه ابنتها التعلم لم يكن فيه اهتمام بالبنات ولا تعليمهن، ولكن إرادة الله نافذة لا محالة، فقد سَحَّرَ لبنت الشاطيء والدتها، التي تحملت من أجلها العنت والغضب من زوجها، حتى وصلت إلى ما تبتغيه وتريده، وحققت كل ما كانت تراه من بعيد صعب المنال، وأصبحت لها مكانة عريقة، يعتز بها والدها وأهل بلدتها، الذين كانوا يرون في تعليمها عجباً.

^١ . فن المقالة عند بنت عند بنت الشاطيء - د/ سعد محمد عطية ص ١٦

^٢ . أنظر على الجسر بين الحياة والموت - ص ٤

الجد:

وهو "الشيخ محمد الدمهوجي" جدها لأُمها، وقد كان لهذا الجد دور مهم للغاية في تكوين شخصيتها، وتنمية ثقافتها وعقلها، فكان دائما بجوارها يساندها في مراحل تعليمها، وعندما رفض والدها دخولها المدرسة تذكر لنا موقفه معها، فتقول: "تدخل الجد رحمه الله لحسم الموقف، فما زال بوالدي حتى انتزع منه موافقته المكرهه على التحاقى بمدرسة اللوزي للبنات".^١

كما أنها قد اتصلت بالصحافة عن طريقه عندما أصيب بحادث الدابة، الذي ألزمه فراشه، فكانت بنت الشاطئ تقوم برعايته وخدمته وكان الجد يملئ عليها ما تقوم بإرساله إلى الصحف لإنقاذ "دمياط من الموت الاقتصادي الذي يهددها بتراكم رواسب النيل عند بوغازها قرب المصب على ساحل البحر".^٢

فبسببه بدأ أول اتصال بينها وبين الصحافة، فأحبت الكتابة وتفننت في أساليبها، وعن هذه الفترة تقول: "على مدى السنوات الثلاث التي قضيتها في المدرسة الراقية، تابعت هذا العمل وكنت أول الأمر استجيب فيه لحرصي على أداء بعض ما أدين به لجدي. غير أنني ما لبثت أن أحبت الكتابة، وأرضاني أن أطالع في الصحف ما كتبه تعبيرا عما كان الجد يملئ عليه على، فمضيت أتفنن في الأسلوب وأبذل لتجويده كل طاقتي".^٣

بعد عرضنا السابق لشخصيات عائلة "بنت الشاطئ"، نرى أن لكل واحد منهم دورًا إيجابيا في تثقيف شخصيتها.

^١ . أنظر على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٥

^٢ . نفس المصدر ص ٥٥

^٣ . نفس المصدر ص ٥٦

الفصل الثاني

أسلوب السرد والعرض لكتابي راه روان،



و مرد ابريشم "لبنو قدسية".

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عرض الكتاب راه روان لبنو قدسية.



المبحث الثاني: عرض الكتاب مرد ابريشم لبنو قدسية.



المبحث الثالث: المكونات الثقافية والفكرية لشخصية



"لبنو قدسية".

المبحث الأول

عرض الكتاب "راه رواں لبانو قدسية".



عرض الكتاب "راه رواه" (السير على الطريق) "بانو قدسية".

كتاب "راه رواه" ترى الكاتبة من خلال هذا الكتاب أن حياة الإنسان مثل الطريق الطويل الممتد، والذي يمر فيه الإنسان بمراحل متعددة، يتعلم من خلالها كيف تكون حياة، وكيف يكون تعامل مع غيره، وكيف اختيار و اختبار الروابط الانسانية، وقد كتبت الكاتبة هذا الكتاب مستعينة بتجاربا النفسية و الأخلاقية العميقة، التي عاشتها مع زوجها الاديب و الفيلسوف الكبير إشفاق أحمد و التي من خلالها توجه القاري توجيها معرفيا في مجالات عديدة، سواء كان القارئ تلميذاً للتاريخ أو من أبناء مدرسة الحب أو قرأ دروس الحياة مراراً وتكراراً و بغض النظر عن المزايا الفنية والأدبية للكتاب، فإن عطره يبعث على الدفء لدرجة أنه يستغرق صفحات أقل لمناقشته.

كتبت الكاتبة بانو قدسية هذا الكتاب عن زوجها إشفاق أحمد، بعد وفات زوجها. (٧ سبتمبر ٢٠٠٤) ونشر في السنوات التالية. وتتذكر صفات زوجها عندما كان حيا. دون رؤيته وتعرف خطواته خطوة خطوة كما تعرف مواقفه الزكية معها، وتستشعرها وتصمت قليلا فعادت ذكريات الزمن الماضي. و هذا الكتاب راه رواه قصة علاقة بين شخصين من أول نفس إلى آخر نفس. أحدهما رحل والآخر ينتظر.

هذا الكتاب هو قصة الرحلة مع بانو قدسية وإشفاق أحمد، و يعد هذا الكتاب مرآة لجميع انتاج الأديبي الخاص بهما.

ينقسم كتاب راه رواه إلى ثمانية عشر فصلاً، ومن خلال هذه الفصول وصفت بانو قدسية بالتفصيل مختلف جوانب حياة إشفاق أحمد، فهي زوجته، و من المؤكد أن لديها كل المعلومات عن حياته. من ثم فقد اختارت "بانو قدسية" هذه الشخصية الفردية للحديث عنها.

وقد بينت "بانو قدسية" في سيرتها جزءاً من حياتها، ومراحل صباها، وما واجهها من صعوبات وعقبات في مراحل تعليمها حتى وصلت إلى محطات الأخيرة، و انتقلت إلى الدار الآخرة التي هي المستقر الذي الإبدى لكل مومن.

والآن أذكر أهم المحتويات التي اشتملت عليها كتاب راه رواں.

أولاً- وصف الكتاب:

لغة هذا الكتاب نثرية، وفي المقاطع النثرية كتبت "بانو قدسية" عن حياتها و حياة إشفاق أحمد، وبينت الصعوبات التي واجهتها في حياتها، أما آخر الكتاب، فهو عبارة عن قصائد شعرية التي قالها إشفاق أحمد و أوردت بعض القصائد الشعرية لأنها انيق التي كتبت باللغة الإنجليزية، و قصائد شعرية عن أستاذها. و بينت كل مراحل الحياة من البداية الى النهاية.

ثانياً: الإهداء:

عندما تنظر إلى صفحات كتاب "راه رواں" من بدايته، تجده قد بدأ بإهداء جميل، والكاتبة تقدم هذا الإهداء الى أولادها انيق، انيس و اثير و زوجها و حبيبها. فإذا ما نظرنا إلى هذه الكلمات المعبرة، نجد أنها تفيض بالمشاعر الدافئة المليئة بالحب. و قالت: "میں بھی اپنے طور پر ان کی مہربانیوں شفق اور شاگردی کا حق ادا کرنا چاہتی ہوں"۔^۱ (ترجمة العربية: اريد ان أرد لهم لطفهم وعطفهم و تلمذتهم وبطريقة خاصة). فإذا ما نظرنا إلى هذه الكلمات المعبرة، نجد أنها تفيض بالمشاعر الدافئة المليئة بالحب والتقدير لحبيبها و زميلها.

ثالثاً: التمهيد:

كتبت "بانو قدسية" سيرتها بلغة نثرية رائعة المعاني، فمن يطالع الصفحات الأولى من الكتاب، هي قالت:

"میں نے بھی ایک معمولی سی کوشش خان صاحب کو آپ سے روشناس کرانے کی خاطر کی۔"^۲

^۱ . راه رواں" ص ۶

"لقد بذلت أيضًا مجهودًا صغيرًا لإشفاق أحمد من أجل أن استنير بك".

وہی قالت:

"سوانح نگاری ایک مشکل فن ہے اور اس کے لیے مصنف کو تمام معلومات ہونی چاہئیں۔"^۱
 "معنی ذلك أن السيرة الذاتية فن صعب ويجب أن يكون لدى الكاتب كل المعلومات اللازمة".

في البداية تحدثت السيدة قدسية عن الوضع الحالي وقالت إن أطفال اليوم يمارسون هواية الصور المقطوعة (أي لعبة الألغاز) باهتمام وعمق. هناك مخطط رئيسي لصورة أمهم. بعد ذلك، عند رؤية نفس المشهد، يستمرون في ربط القطع الصغيرة بطريقة تجعل مشهد القطع الرئيسية في النهاية مشهدًا للخطة الرئيسية، وعند هذا النجاح، يجدون أنفسهم في مكان كبير لحل المشكلات يبدأون بالشعور بأهمية شخصيتهم.

وہی قالت:

"جب بھی کوئی سوانح نگار بائو گرائی لکھتا ہے یا کسی شخص کی زندگی کی جگ سوپزل تیار کرتا ہے تو اسے بہت سی لکڑیاں غائب ملتی ہیں۔ پورا ڈیٹا نہ ہونے کے باعث نہ کوئی تیار شدہ ماسٹر پلان ہوتا ہے نہ کوئی روڈ میپ ہی، جس پر چل کر ہم اس کی بلاد نگاری کر سکیں۔ تاریخ اور سوانح نگاری کے انٹرویوز صاحب ذکر کی کتابیں، موصوف کے خاندان کے لوگوں سے سی آئی اے "قسم کی چھان بین، ملازموں کی جانچ پڑتال کام آتی ہیں۔ لیکن بائو گرائی پھر بھی نامکمل، حواشی کی محتاج اور صورت گری کے دھندے پن میں منجھوتی ہے۔"^۲

و مفهوم تلك العبارة عندما يكتب كاتب السيرة الذاتية يقوم بإعداد أحجية الصور المقطوعة لحياة شخص ما، يجد العديد من القطع مفقودة. ونظرًا لعدم وجود بيانات كاملة، لا توجد خطة رئيسية جاهزة ولا خريطة طريق لكتابة سيرته الذاتية، وعادة ما يتم البحث عن مذكرات للتاريخ والسيرة الذاتية. المقابلات مع الأشخاص، وكتب

^۲ . "راہ رواں" ص ۷

^۱ . نفس المصدر ص ۷

^۲ . نفس المصدر ص ۷

صاحب الذکر، والتحقق من أفراد عائلة الشخص المكتوب عنه، ولكن السيرة الذاتية لا تزال غير مكتملة، و تكون في حاجة إلى الهوامش و إضافة مظاهر الاكتمال".
و في مكان آخر تقول كاتبنا:

"بانو قدسیہ اشفاق احمد کو کالج میں ملیں پھر ان دونوں نے مل کر گھر بسایا کرائے کے مکان بدلے اور آخری مرحلے میں اپنا گھر ۱۲۱ سی ماڈل ٹاؤں میں بنالیا، جہاں سے اشفاق صاحب اپنے اصلی گھر کو روانہ ہو گئے۔۔ اور یہ گھر ان کی رخصتی کے بعد گھر نہ رہا۔ شہرت ما بعد کا خزینہ بن گیا۔"^۱

و ترجمة هذا العبارة أن التقت بانو قدسية بإشفاق أحمد في الكلية، ثم انتقلا للعيش معاً، وتبادلا المنازل المستأجرة، وفي النهاية بنى منزلهم الخاص في ۱۲۱ سي "موديل تاون"، حيث غادر إشفاق إلى منزله الأصلي، يعنى إلى جوار رحمة الله - وهذا المنزل لم يعود بعد منزله بعد وفاته بل أصبحت الشهرة كنزه الأخير".

وبينت لنا حب زوجها و قالت:

"پورا سال سوچنے کے بعد آخر کار بانو قدسیہ نے ہمت کی اور اپنے آپ کو اس بات پر راضی کر لیا کہ اپنے ہم سفر کو کسی باغ کی اکیلی بچ پر بیٹھ کر یاد کریں اوپر سے خزاں دیدہ پتے درخت سے گریں، ہوا میں نومبر کے مہینے کی خنکی ہو، دُور لان میں بچوں کا بچپن نظر آئے اور آخری فوارے کے کنارے بیٹھے خان صاحب کے دوستوں کا جھرمٹ دکھائی دے۔ ہولے ہولے شام کی سرخی غائب ہو جائے پرندے گھروں کو لوٹ جائیں اور اندھیرے میں کسی گوشے سے خان صاحب آگے بڑھیں اور مجھے میری غلطیوں سمیت اپنے گھر اپنی کابک میں واپس لے جائیں۔"^۲

وبعد عام من التفكير استطاعت بانو قدسية أخيراً أن تجمع شجاعتها وتقنع نفسها بتذكر شريك حياتها وهي تجلس بمفردها على مقعد في الحديقة، و تتذكر أوراق الشجرة وهي تتساقط في فصل الخريف، و برودة الهواء في شهر نوفمبر، ويتراء لها طفولة الأطفال في الحديقة البعيدة و رؤية مجموعة من أصدقاء إشفاق يجلسون بجوار النافورة الأخيرة، و غياب ضوء الشمس وقت الغروب وعود الطيور إلى أعشاشها، ومن زاوية ما في الظلام، يتقدم إشفاق ويعيدني إلى منزلي مع رغم تقصيري.

۱ . راہ رواں " ص ۸

۲ . نفس المصدر ص ۸

تحدث بانو قدسية قصة "صاحب ضوء" ("باباجي نوروالا") و هي تقول إن صاحب ضوء (بابا نوروالا) كان يقول إنه لا ينبغي للمرء أن يعلن عن مستوى النجاح غير الممكن. ولكن هذا يفهم في مرحلة متاخر من الحياة. "ثم تشرح مكان الحب ومعناه، فتقول إن الحب يكمن في العقل حيث العادة والسكر واللذة."

السجائر، الهيروين، الحشيش، الأفيون، كل هذه الأهواء تصرخ طلباً للمزيد، وكذلك الأمر مع الحب، عاشق الحب يفكر أحياناً في الموت كلعبة، وتنشأ الصعوبة عندما تشتد عقدة الاعتراف بالحب من كلا طرفين.

رابعاً-العناوين:

استطاعت بانو قدسية أن تعبر عن قصة الحب، التي نشأت بينها وبين زميلها "إشفاق أحمد" من خلال العناوين، التي وضعتها في سيرتها، وهي كالتالي:

(گھر سے گھرتک، "لیڈی میکینگ کالج سے ساندہ کلاں تک"، "مزنگ روڈ سے کینال پارک ۲۴-ایس۔"، "۱۱۴ ایس، کینال پارک، "ملتان" (نانا کے پاس)، ۴۵۰-این سمن آباد، روم سے ۶۰، فیروز پور روڈ کا تعلق، ۴۵۵-N سمن آباد، ۴۷۹-این، سمن آباد، ۳۶ جی ماڈل ٹاؤن، ۷۵-جی ماڈل ٹاؤن، بچگان اور ان کے دوست، خان صاحب کاسیاسی مسلک، إشفاق احمد کی بطور براڈکاسٹ قومی خدمات، ۱۲۱-سی ماڈل ٹاؤن، "ذاتی مسلک"، جانوروں سے محبت، بابا نور والے اور دیگر، برکلی ایجنج، آخری ایام-گھر کو واپسی، لوگ لوگ)

(من بیت إلى بیت، "من کلیة لیڈی ماکلاجان إلى ساندہ کالان"، "من شارع المنزلک أو مزنج الی حدیقة النهر"، "ایس حدیقة النهر"، "ملتان" (عند الجد)، ۴۵۰ - این سمن آباد، العلاقة من بلد "روم" الی الشارع ۶۰ فیروز پور، ۴۷۹ - این، سمن آباد، المدينة النموذجية G۳۶، المدينة النموذجية G-۷۵، الأطفال وأصدقائهم، الأتجاء السياسية لإشفاق أحمد، الخدمات الوطنية لإشفاق أحمد کمذیع، مذهب الشخصية، حب الحيوانات، بابا صاحب الضوء وآخرون، بیرکلی للصرافة، الأيام الأخيرة" "العودة للبيت، الناس الناس)

وقد استوقفتني هذه العناوين السابقة، التي وضعتها "بانو قدسية" في سيرتها الذاتية، من حيث:

أ. دلالة العناوين:

يمثل كل عنوان فيها خطوة من خطوات حياتها، وهى تنتظر اللقاء الموعود بينها وبين زميلها "إشفاق أحمد"، ويحمل كل عنوان في طياته أسمى معانى الحب والاحترام والتقدير لشخصية زميلها، وكأن قصة حبهما هذه أسطورة الزمان، التي هيهات أن تتكرر إلى آخر الدهر.

أما عن الدلالة التي يحتويها كل عنوان، فوضحت ذلك في شكل موجز.

في العنوان الأول:

(گهر سے گهر تک)، (من بيت إلى بيت):

كتاب "راه رواں" السير على الطريق له أسماء مختلفة لموضوعات مختلفة. يبدأ الكتاب بالمقال الأول "من بيت إلى بيت" الذي يذكر فيه حوالي ٧٠ شخصا في هذا المقال المكون من ١٣ صفحة.

تحدثت فيه بانو قدسية عن نسب و أسرة زوجها وبينت كيفيات و حالات قبيلة زوجها وكيفية الهجرة من مكان الى مكان آخر و صورت كل مافيه من أحداث بكل دقة وتفصيل حتى جعلته صورة ماثلة أمام القارئ للمشاهد الحقيقي في الواقع.

فيها والد "بابا جي محمد خان"، أمه "بي بي سردار بيجوم"، الجده دوست خان محمد والجد الأكبر، جدته خان صاحب التي كانت زوجة دوست خان محمد وإخوة خان الخمسة أفتاب أحمد، أخى افتخار وأخى إقبال وإسحاق أحمد خان واشتياق. وشقيقتان أخته الكبرى فرخنده وفرحت. وأبناء إخوتهم وأخواتهم وزوجاتهم وأصهاره . التقت بانو قدسية بإشفاق أحمد في الكلية، ثم انتقلا للعيش معاً، وتبادلا المنازل المستأجرة، وفي النهاية بنى منزلهم الخاص في ١٢١ سي "موديل تاون"، حيث غادر إشفاق إلى منزله الأصلي، يعنى الى جوار رحمة الله. و تحدثت بانو قدسية في هذا المقال عن إشفاق أحمد بالتفصيل.

في العنوان الثاني:

(ليڈی میکینگن کالج سے ساندہ کلاں تک)، (من کلیة لیڈی ماکلاجان إلى ساندہ کالان):

المقال الثاني في الكتاب يحمل عنوان "من كلية ليدي ماکلاجان إلى ساندہ کالان" وهو من تأليف بانوقدسية لأنها انتقلت لأول مرة إلى كلية ليدي ماکلاجان أثناء دراستها عندما كانت طفلة ثم من هناك انتقلت ساندہ إلى کالان وذكرت أكثر من ١٠٠ شخصا في هذه المقالة.

تحدثت بانو قدسية عن إشفاق أحمد و قالت أن عائلته كانت متعلمة ومرتبطة بالسياسة، وقد لعبت أخته فرحت، الأخت الكبرى لإشفاق، دورًا عمليًا كبيرًا في نضال باكستان، لقد ألفت خطابات، وتناولت موقف القائد الأعظم محمد علي جناح وأهمية باكستان للشعب، ونتيجة لذلك قضت أيضًا عقوبة السجن، وبينت تفصيل أسرتها، كيف هاجرت إلى باكستان وما سبب الهجرة و كيف وصلت إلى باكستان و كيف تعيش وما هي الصعوبات التي واجهت بانو قدسية و اسرتها.

في العنوان الثالث:

(مزنگ روڈ سے کینال پارک ۲۴-ایس)، (من شارع المنزلك أو مزنج إلى حديقة النهر):

المقال الثالث في هذا الكتاب بعنوان "من شارع المنزلك أو مزنج إلى حديقة النهر". تحتوي هذه المقالة على ٢٥ صفحة وتذكر أكثر من ١٠٠ شخص بالاسم. يبدأ المقال قبل الانتهاء من امتحانات الماجستير، تم إجراء تغيير آخر في ساران کالا وكان هذا التغيير هو أمر والدہ بانو قدسية بإخلاء منزل الرمال، و ترتيب مكان آخر في كنال بارك، و تقول الكاتبة: لقد لعب الرفاق دورا في بناء ملعب لكرة الريشة، وغادر الشقيقان إلى ٢٤ إيس كنال بارك، ثم تصف السيدة قدسية خريطة المنزل بالتفصيل.

ثم تخبر السيدة قدسية أنه خلال هذه الامتحانات تعرفت السيدة قدسية على عائلة إشفاق، ثم ذكرت بالتفصيل المرة الأولى التي جاء فيها إشفاق إلى منزلها بعد الامتحان، وبعد ذلك كيف كانت الصداقة بين إشفاق وأخيها ريزي حيث التقوا بعائلة إشفاق أحمد الواحد تلو الآخر.

و بينت كيف أخذ إشفاق أحمد القصص والأساطير التي كتبها ثم كيف نُشرت رواية بانو قدسية الأولى "سكون الشغف" ("واماندگی شوق") في الأدب الجديد، أخذ إشفاق أحمد هذه الرواية إلى بانو قدسية وهناك على بدء رحلتها الأدبية، كتب في أعلى المجلة أنني أتمنى أن أكتب مثل هذه القصة.

هذه القصة كتبت باسم بانو قدسية بدلا من قدسية بانو جهته وكتبها إشفاق أحمد نيابة عنها وبعد ذلك أصبح الاسم تدريجيا مشهورا، نسيت الاسم الحقيقي قدسية بانو جهته، ثم تحكي قصة اسمها وتقول إنها أيضا قصة غريبة عن الاسم، فهي تقول: والدي لم تدعي قدسية قط، كانت تنادي قدسية بانو كاكى و ريزي كاكا، وفي ليدي ماكلاجان، يطلق عليها أصدقائها اسم "كو"، واستمر ممتاز مفتي في يناديها قدسي، ولكن عندما بدأ قدرة الله شهاب يناديها بانو، اختفى كل اسم، وحتى الآن لا يزال هذا الاسم يستعمل.

والعنوان الرابع:

(١٤ ايس، كينال پارک)، (ايس حديقة النهر):

المقال الرابعة من كتاب سيرة بانو قدسية هي حديقة القناة ١٤-ايس، و هو اسم مكان في مدينة لاهور، وتشتمل على أربع صفحات. والأسماء هي أسماء حوالي عشرين شخصية.

تبين بانو قدسية في هذا المقال الصعوبات التي واجهتها والدتها، وشجاعتها، كأرملة والقيام بواجبها كأم وأب، وبانو قدسية و أخوها عاش الحياة بدون اهداف أو المقاصد و بدون عمل أيضا، وبقدر ما كان هذان الاثنان يعيشان حياة الإهمال، وكانت والدتهما تعيش حياة مليئة بالمشاكل والصعوبات، وكانت تعمل في ملتان.

وكان عليهم زيارة المنطقة بأكملها لتفقد المدارس، وكانت والدته قلقة على أطفالها وعلى معيشتها، كانت تدير نفقات منزلين، وكان الأطفال يُنقلون من منزل إلى آخر، وحدث أمران غريبان للسيدة قدسية في هذا المنزل مما فاجأها؛ حيث جاء والد إشفاق أحمد بابا محمد خان لمقابلتها وكانت مدة اللقاء عشر دقائق.

والثانية قضية زواج أخيها "ريزي".

جاءت أم بانو قدسية من ملتان وقالت و هي تشعر بالحزن انا اسكن في ملتان لا يمكنني ان أبحث عن زوجة لأخيك وهذا الأمر واجب عليك لكن هنا امر صعب لأن أخى ريذى هو لا يرغب حتى الآن في الزواج ولهذا يأست امها وتفكر في شأنه عن بانزعاج نظرا لوحدتها؛ وهذه الامور نكون صعب على المرأة أن تعمل أعمال الرجال.

العنوان الخامس:

ملتان (نانا کے پاس)، (عند الجدّ في ملتان):

كتبت في هذا المقال عن إشفاق وكما قالت قبل ذلك "كانت الفترة من ١٩٥٠ م إلى ١٩٥٥ م سنوات عاصفة أو عصبية".^١

وبينما كانوا يسافرون عند كل منعطف، كانوا يسلكون طريقاً للهروب لخلق مقاطعة، لكن هذه الرحلة القصيرة ستتركهم معدمين للغاية وعطشى لذلك أراد إشفاق أحمد في عام ١٩٥٢ م مغادرة البلاد وقام بتدريس اللغة الأردية في معهد ISMEO في مدينة روما حتى عام ١٩٥٥ م.

عُرضت على بانو قدسية وظيفة في كلية لاهور للبنات، لكن والدتها بانو قدسية اعتقدت أنه بمجرد أن تصبح المرأة مستقلة مالية، فإنها تصبح غير صالحة للزواج. وهكذا لم تكن بانو قدسية قادرة على القيام بهذا العمل، لكنها كانت تذهب في بعض الأحيان إلى ملتان حيث كانت والدتها مفتشة قسم المدارس، وكانت تأتي في بعض الأحيان إلى لاهور.

^١ . انظر في هذا الرسالة ص ١٠

ثم نتحدث بانو قدسية في هذا المقال عن رسائل إشفاق أحمد التي كتبها ذات مرة إلى أم بانو قدسية وأخيها وإليها، تحتوي هذه المقالة على حوالي ٣٢ رسالة، منها سبع باللغة الإنجليزية والباقي باللغة الأردية، وبعد سرد هذه الرسائل، كتبت أن حياة إشفاق الملونة، وحيوية قواه الإبداعية، ورحلته بعد رحلة، و تحدثت عن ما هو السبب الحقيقي للعلاقة بين الطبقات المختلفة؟ وبعد التفكير في الأمر، توصلت إلى استنتاج مفاده أن كل هذا التنوع هو عبارة عن رحلة اكتشاف، وهكذا فإن كل إنسان يبحث عن الأشياء الجديدة.

لكن قصصه ومسرحياته وحياته كلها مظاهر لحقيقة أنه طوال حياته كان يبحث عن شيء مفقود، و أراد أن يعرف الهدف الحقيقي للحياة، لماذا خلق الإنسان وهل لحياته هدف خاص؟ ربما كان من الصعب عليهم أن يفهموا كيفية التوفيق بين السعي وراء الحياة المادية والرحلة الروحية، لقد كان يبحث عن صيغة تسمح له بسير قطار الحياة بشكل متوازن على هذين المسارين.

العنوان السادس:

(٤٥٠ - اين سمن آباد):

هذه مقالة لبانو قدسية فيها خمس عشرة صفحة في العدد السادس من هذا الكتاب. تشرح في هذا المقال أن الكبار عادة لا يعرفون عزائم أطفالنا، وبمجرد أن يتخذوا قرارهم، و ترمى خططنا في الرمال.

تذكر في هذا المقال أن خالتها جاءت من فيروزبور إلى ٤٥٠- اين سمن آباد وأخذت معها بانو قدسية وشقيقها، وتقول السيدة قدسية إن هناك سببان رئيسان لذلك، الأول هو أن أصدقائها، وخاصة عائلة إشفاق أحمد، تقو، ودي دي، يقيمون في استراحة المدرسة بانتظام.

ثانيًا، كان من الصعب على ريزي الالتحاق بمدرسة للبنات، وكانت تقضي اليوم كله في الخارج، وعندما انتقلت خالة بانو قدسية إلى ٤٥٠ N، أخذتهما معها، مرة أخرى، كان هناك الإثارة في هذا المنزل، وتجاهل أهالي طريق مازنج القيود الزمنية

علانية للقاء بانو قدسية وصديق ريزى، رياض الجامعي الذي ذهب إلى مكان لا يعرف أحد أين ذهب، و بدأ الآن بالمجيء دون أي عائق.

ولكن عندما جاء طفلا عم بانو قدسية فضل سرفراز وطلعت لاهور إلى عمتهم، ولم تحصل العمة على شيء منهم، وتم سلب حريتها، ولذلك اتخذت الأم المستقلة لبانو قدسية قراراً آخر، ٤٥٥ شمالاً كان خالياً بالجوار باستثناء عدد قليل من منازل العمة، استقرت فيه وانتقلت بانو قدسية وأخوها إلى هذا المنزل، و كان هذا المنزل والمطبخ المكون من ثلاث غرف أكثر من اللازم بالنسبة لهذين الشقيقين.

لمضى وقتها بانو قدسية ووجدت مخرجاً، وعينت مدرساً للموسيقى لنفسها، لأن بانو قدسية كانت مولعة بعزف الأغاني في تلك الأيام، و بدأ المعلم يأتي بانتظام وبدأت قدسية بانو تكرس وقتها كله لتعلم الموسيقى.

قال المعلم ذات يوم "انت تكرميني أبداً." ربما انت لا تعلمين أن نور جهان تتلقى أيضاً دعاء معلمتها بأنها تتقدم. أنا أيضاً أدعو لك، بارك الله فيك ورفع مقامك". "لدي طلب"، أي أن كل هذه المعرفة علمني إياها أستاذي كار بيا، يرجى طباعة كلماتهم عندما تصل إلى مكان ما، لا ينبغي أن تضيع، وإلى جانب ذلك قام بتسليم بعض رسائل البروفيسور كراوية إلى السيدة قدسية، ثم أعطى بنجود بعض الأمثلة من هذه الكلمة والوصف اللاحق مليء بنفس الكلمات.

العنوان السابع:

(روم سے ۶۰، فیروز پور روڈ کا تعلق)، (العلاقة من بلد "روم" الى الشارع ۶۰ فیروزپور):

هذه المقالة تشتمل على ۹ صفحات، و قالت بانو قدسية في هذا المقال أن عندما أرسل له صاحب البيت ايس حديقة النهر رسالة نصية مفادها أنه يريد استخدام المنزل بأكمله، ولذلك يجب إخلاء المنزل.

لذلك قام هؤلاء الأشخاص بتحميل بضائعهم على العربات وغادروا إلى ۶۰ الشارع فیروزپور، وكانت هناك مدرسة للبنات، و يتم فيها تدريس التربية من البداية حتى الصف العاشر.

لكن المشكلة الحقيقية هناك ايضا لأخيها برونيز، لأن هذه المدرسة كانت للبنات وكان يترك المدرسة قبل وقت طويل من قرع الجرس الأول وغناء النشيد الوطني "الب" پر آتی ہے دعا"، یعنی الدعا یأتی علی شفتین باحثا عن عمل أو يبحث عن عمل، ثم يعود الى المدرسة في ذلك الوقت عندما يكون المبنى بأكمله خاليًا. عدا عن هذا، تذكر بانو قدسية حب شقيق إشفاق اشتياق الملقب بتقو وأخی افتخار الملقب بددي وصديقتها محمودة، كيف أحبوا جميعًا بانو قدسية وذكروا لطفها وعملها الخيري.

وبصرف النظر عن هذا فهي تذكر أصدقاءها ووصفت هواياتهم وروتينهم بالتفصيل. ثم تذكر إحدى مسرحياتها "أنار كلي" (يعني زهرة الرمان) التي كانت مولعة بها منذ الصغر، ثم تذكر بالتفصيل من صنع شخصيات هذه المسرحية وكيف أدى هؤلاء الأشخاص وكيف اشتروا التذاكر وكيف نجحت مسرحيتهم ومن شارك ومن حضر، وفي نهاية المسرحية نفسها عرض عليها المخرج الذي أرادها أن تكون في فيلم لكن بانو قدسية رفضت قائلة إنه غير مسموح لها بالخروج من المنزل. ثم تحكي عن إشفاق وكتابتها الأدبية أنه كان هناك فرق كبير بين كتابة إشفاق وكتابتها، ومهما كتب إشفاق فهو رجل مبدع وتظهر هذه القناعة بوضوح في كتاباته كلما رفع القلم. بينما تقول بانو قدسية إنها لم تعطه المركز الأول. ووفقا له، كانت هذه الوظيفة دائما هويتها من الدرجة الثانية.

ثم انتقلت خالتها من ٦٠ طريق فيروزبور إلى ١٤٥٠ شمال فيروز وانتقل كلاهما معها، ولكن ظهر أمر التغيير مرة أخرى وأخذت والدته السيدة قدسية بيت صغيرة للأيجار N٤٥٥ إيجار، الآن تولى بانو قدسية وريزي مختار السيطرة مرة أخرى واختار كل منهما بشكل مستقل طريقه الخاص ليقرر كيف يريدون قضاء وقتهم؟

العنوان الثامن:

(N-٣٥٥ سمن آباد):

هذه المقالة تتكون من ١٢ صفحة، وتحتوي على أكثر من ستين شخصية.

في بداية المقال، تحكي بانو قدسية أن مدرس الموسيقى الخاص بها توقف عن الحضور، وقد يكون هناك سببان لذلك: الأول أنه قدم كل ما يعرفه. ثانياً، كان يعلم أنني لست مؤهلة لاكتساب المعرفة الموسيقية أكثر منه، وبعد أن تحررت من هذه الهواية، كانت بانو قدسيه تقوم بتحرير رواياتها أو تذهب إلى خالتها.

ثم بينت كل الاحوال عن زواجها، كيف عاد إشفاق أحمد من روم، و كيف زوجت بانو قدسية معهم، و ما هو الصعوبات التي واجهتهما بعد الزواج بالتفصيل.

العنوان التاسع: (٣٤٩-اين، سمن آباد):

وهذه المقالة التاسعة التي تحتوي على ٦٢ صفحة، وفي هذا المقال تقول السيدة قدسية إنها تخلصت من الفقر والفاقة بمجرد انتقالها إلى هذا المنزل، لأنها تقول أنه كلما نشأ الإنسان في فقر، تنتهي طرقه الصغيرة بطريقة أو بأخرى في الطريق مغلق، وتشرح في هذا المقال تجارب ومحن الفقر والكفر والمشاجرات والبطالة والمرض، ومساوئها ومزاياها.

وهي تقول إنه إذا كان الفقر اختباراً، فإن الثروة ليست أقل اختباراً، الثراء هو جرعة حمضية غريبة، أسماء الترف، الزينة، الإسراف، الإهمال، سرقة العمل، أشياء كثيرة تبدأ في إذابة الإنسان في نفسه، ويبدأ بالذوبان في هذا المحلول الحمضي تماماً كما يذوب الملح السائب في الماء، أثناء كتابتها لهذا المقال، تحكي بانو قدسية أنها بعد اجتياز هذين الاختبارين، أدركت أن الإنسان لديه مشكلة واحدة فقط طوال الوقت وهي حرية الروح، ومهما كانت المشكلة التي تعقد النفس تصبح لا تطاق بالنسبة للإنسان، فهي تذكر أيضاً شخصيات كانت قريبة منها روحياً، وتشرح فوائد الروحانية وفهمها -

ثم تذكر بالتفصيل تقديم برنامج "جننا" ("هم آگئے") على الراديو لإشفاق، وكانت تذكر بالتفصيل أصدقائها وزملائها ومساعدتها.

ثم تبين صفات صديق إشفاق أحمد ممتاز مفتي وصفاته وصادقته ومحبه لابنه أثير وأهله و يتم وصف الحيل بتفصيل كبير. ثم تخر بانو قدسية أنها تشاجرت مع ممتاز مفتي حول مفهوم الحقيقة.

ثم تحكي عن كتابها "مرد أبريشم" أنها عندما كتبت مرد أبريشم في ١٢١- كانت هناك اختلاف في الراي بينها و بين ممتاز مفتي، وعندما أرسلت النسخة الأولى من الكتاب إلى مفتي، ثم استمر النقاش ٢ إلى ٣ صفحات كاملة.

العنوان العاشر: (٣٦ جى ماؤل تاون)، (المدينة النموذجية ٣٦ G):

G٣٦، نموذج المدينة يتكون من ٣٦ صفحة، كما تم ذكر أسماء شخصيات مختلفة، وكما سبق فقد ذكرت السيدة قدسية طرق تغيير المنزل والعيش فيه وحدود المنزل والغرف الأربع والأسرة والضيوف الذين يأتون إلى المنزل، كالعادة، يبدأ المقال بإشفاق أحمد ويقال إنه كان قرارًا صعبًا بالنسبة لإشفاق بمغادرة سمن آباد والقدوم إلى موديل تاون. وكانت زوجته حزينة ومكتئبة.

ثم تصف بانو قدسية خريطة المنزل كاملة كما في السابق، أبوابه وغرفته ونوافذه وشرفته وخطوطه وسلاله ومخارجه والأشخاص الذين يعيشون في الغرف والغرف بالتفصيل، ثم تذكر هواية الأطفال واهتمامهم باللعب، فمن هنا كانوا في منزل الدكتور أيوب صاحب وأخت فرخنده وأنجبا أطفالًا أيضًا، ورد ذكرهم بالتفصيل. حتى أنها ذكرت الزهور والأشجار الموجودة في المنزل. وقالوا إن كل هذه الإشارات والتفصيلات إنما هي لأنهم قالوا إن تأثير البيئة والبيت أعمق وأعظم على ساكنيه.

و هي تقول: عندما وصلت البيت الجديد ٣٦، كان السكان غرباء تمامًا عني، لقد وصفت مخطط المنزل ليس بطريقة تجعلك تشعر بالملل ولكن بقصد أن يكون للمنزل تأثير عميق على الساكن، الناس الذين يعيشون في الأحياء يفكرون بشكل مختلف، وسكان الأحياء الفقيرة لديهم وجهة نظر مختلفة في تفكيرهم.

قد تنسب ذلك إلى الفروق الطبقية، لكن بالنسبة لها فإن الجدران، والنوافذ، والأرضيات، والستائر، والسقف الذي يهطل باستمرار، والجدران المصنوعة من القصب تشير إلى نوع مختلف من التفكير، وعندما يعيش الإنسان في مناخ مختلف

في مكان معين ومع استمراره في العيش في البيئة يسود عنصر العادة في سلوكه وتفكيره وتصرفاته.^١

ثم تحكي بالتفصيل عن حرب م١٩٦٥ بين الهند و باكستان، كيف دارت هذه الحرب، وكيف أرادوا استخدام تكتيكات القوة الأبدية لإخفاء مشاكل باكستان، لكن الهند لم تكن تعلم أن الأفعال دائماً تظهر النوايا، لم يكن هناك خطأ في نية باكستان، ولهذا السبب نحن كأمة لم نحافظ على هذه النعمة. ثم تصف المعركة وحماسة الناس والإذاعة ووسائل الإعلام بالتفصيل الكامل. ثم تحدثت بالتفصيل عن إشفاق أحمد و أعماله في الراديو والتلفزيون و كتبه.

العنوان الحادي عشر: (٤٥-جي ماؤل تاؤن)، (المدينة النموذجية G-٧٥ في لاهور):

"المدينة النموذجية G-٧٥" - جي موديل تاؤن هو المقال الحادي عشر من كتاب بانو قديسة المكون من ٩ صفحات، تتحدث فيه بانو قدسية بالتفصيل عن انتقالها إلى منزلها الجديد في المدينة النموذجية G-٧٥ ومغادرة منزل أخت إشفاق النموذجي G-٣٦.

ثم تقوم و بالوصف بعمل خريطة كاملة للمنزل حسب المنزل السابق؛ كم عدد الغرف وكم عدد المطابخ وأيضا تذكر الشجر أنه كانت هناك أشجار مانجو حلوة كبيرة باتجاه أخت صابره؛ وعلى الجانب الآخر اثنان أو ثلاث أشجار من أنواع البرقوق المختلف كانت مليئة بست فواكه كبيرة، وأيضا في الشرفة الخلفية كانت هناك شجرة جامون قديمة وسميكة جداً، والتي تم ربط الحبال عليها بإحكام وربط الحلقات الحديدية للفوز بنصف الإطارات كنوع من اللعب، وهنا كان إشفاق يمارس الرياضة بانتظام، وكان الأطفال لا يزالون صغاراً، وإلا لكانوا حاولوا تقليدهم. ثم تقول أن هناك حدثان أو ثلاثة أحداث مهمة مرتبطة بهذا المنزل.

^١ . راه روان ص ٢٤٥

١. مجيئ وذهاب فيض.

٢. شراء سيارة فوكسي.

٣. "ظل الشمس" (وهو سائ) تصوير الأفلام.

ثم تصف وبينت هذا الاعمال بالتفصيل و بعد هذا ذكرت سيارتها فوكسي بالتفصيل أنه بعد فترة في G-٧٥، اشترى إشفاق السيارة فوكسي. كان هذا التركيز على الرقم ٧٢٦٢ بمثابة نمو ربيعي كامل لهم جميعًا. كان الطفل منزعجًا، لكنه مثل الأب، كان سيخفي مشاعره من الآن فصاعدًا. ثم تصف مشاعر وتجارب أطفالها وحبهم لفوكسي ورحلتهم عليها .

انيس كى كلاس: (درسة انيس)

بعد ذلك، تحكي بانو قديسة عن حصول ابنها أنيس على ماجستير إدارة الأعمال، وكيف بعد الجامعة، كان جميع أصدقائه يجتمعون في منزلهم، ويحصلون على الرسوم الدراسية ومن كان من بين الأصدقاء. كيف درسوا ونجحوا في الامتحان وأين وماذا يفعلون اليوم؟

العنوان الثاني عشر: (بچگان اور ان کے دوست)، (الأطفال وأصدقائهم):

يبلغ طول هذا الفصل أيضًا حوالي ٣٥ صفحة ويحتوي على العديد من الشخصيات، في البداية، تم ذكر تغيير المنزل والبيئة الجديدين، وتغير الظروف، والجديد في ساعات العمل، والأفكار الجديدة في لحظات الفراغ، كما تم ذكر التغيير الجديد في البعد التعليمي والتدريبي الشرقي ومقدمة إلى الحضارات الغربية، مع التركيز على الشخصية واختلافاتهم وتدريبهم؛ لأن هذا الفصل يدور حول الأسرة. إلى جانب هذا، وصفت الكاتبة بالتفصيل كيف تم وضع أساس داستان سير آي فيما يتعلق بأن يصبح منزلًا خاصًا بها. وأن إشفاق أسسها مع والدته سردار بيجم بعد ذلك وقد تم وصف عملية بناء المنزل بالتفصيل، ومسؤوليات العمال والمقاولين والنفقات والمدخرات.

بعد ذلك تحدثت عن تدريب أبنائها، وسعادتهم وتواضعهم، تعليمهم وتدريبهم، هوايتهم ولعبهم ونجاحهم، قائمة الأصدقاء والمعلمين، وكذلك طرق تدريسهم ثم وصفها بالتفصيل.

ثم بينت كيف حصل الابن الأكبر أنيق أحمد على درجة الماجستير (الميدالية الذهبية في علم النفس)، و تناولت عمله الأكاديمي ومدرسته وكليته ودكتوراه في علم النفس و الأعمال اليومية وأصدقائه ومن ثم العيش في أمريكا وانيق يذهب إلى حفلات واصف علي واصف مع أبو وباللغتين الإنجليزية والأردية وذكر القصائد.

وكذلك تم تفصيل تعليم الأبناء الآخرين أنيس وأثير خان وأدائهم التعليمي ومناصبهم وهواياتهم وإنجازاتهم وذكر أصدقائهم. الذين كانوا أيضًا جيرانًا. مثل ضياء الحق وزين العابدين والقاسم وغيرهم وعائلاتهم المذكورة.

أخيرًا، قامت بانو قدسيه بتضمين قصائد ابنها أنيق باللغة الأردية والإنجليزية وبعضًا من قصائدها.

العنوان الثالث عشر: (خان صاحب كاسياسى مسلك)، (الاتجاه السياسية لإشفاق أحمد):

وهذه المقالة الثالث عشرة من هذا الكتاب، وتقع في حوالي ٣٠ صفحة وتصف في البداية مصير الرجل الكبير أو قراره، وهذا التقليد عمره ألف وأربعمائة عام بين المسلمين. كان النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) يعتبر أصحابه وأهل بيته حرزًا، ولكن بعد رحيله حدثت خلافات بين الأصدقاء والأهل بسبب اتماع الدنيا.

ثم وصفت بانو قدسية خدمات القائد الأعظم وإنجازاته، وقارنت المؤلفة بين جهود إشفاق أحمد في حياته الشخصية و جهود القائد الأعظم في تأسيس باكستان و ذكرت انه كما اضطر إشفاق إلى التخلي عن عقيدته الشخصية بعد انضمامه إلى النضال من أجل باكستان في حياته، لقد أحب والديه وإخوته وأخواته وأصدقائه وأحبائه ولم يتردد في التضحية بحياته من أجلهم. لكن قبل هذا الحب، كان حب باكستان مستغرقًا عمليًا، كما قام بتنفيذ التقليد البالغ من العمر أربعة عشر قرنًا، و كانت باكستان هي شغفه الأول في تلك الفترة .

عندما أعطى القائد الأعظم وعي العمل، العمل، جعل إشفاق شعار العمل جزءًا من إيمانه. واعتقد أنه بدون البناء لا يستطيع الساكن الحصول على جزء بسيط من المنزل. والبيوت لا تبنى بدون عمل، فدولة اكتسبت باسم الله لا يمكن إدارتها دون قبول سيادة الله. وحمل حب الوطن دليلاً على الوطنية والتضحية، و قدم العديد من البرامج الإذاعية، لأنه علم أن الإنسان بدأ يخرج تدريجياً من سحر الإعلام المكتوب ويستسلم للإعلام الإلكتروني "اليوم".

وفي الوقت نفسه، تصف المؤلفة دور أشخاص آخرين في بناء باكستان إلى جانب بانو قدسيه إشفاق؛ فضلاً عن مشاكل السكن لمهاجرين، و هناك فصل يتناول وصفا تفصيليا لمشاكل باكستان ومساعدات الناس، ثم يسلط المؤلف الضوء على الجانب الديني والسياسي لإشفاق في هذا المقال ويصف الفرق بين المجتمع الغربي والشرقي وجوانبهما الدينية والسياسية، ويخبر أن إشفاق أحمد عمل عملاً دائماً من أجل المصلحة الوطنية. وأن حياة آلهة الهندوس مذكورة في النثر الأدبي لإشفاق، ثم تذكر الكاتبة خصائص حضارات الشرق والغرب وما هي هوية الإنسان في الغرب وكيف يطيعون القانون، وماذا عن الهندوس؟ و قرأ إشفاق الكثير من الكتب لفهم العقلية الهندوسية. وكتب معتقداته وأفكاره بالتفصيل.

يصف الجزء الثاني من هذه المقالة الخدمات الوطنية التي يقدمها إشفاق أحمد كمذيع.

(إشفاق احمد کی بطور براڈ کاسٹ قومی خدمات)، (الخدمات الوطنية لإشفاق أحمد كمذيع):

وفي الجزء الأخير من هذا المقال حظيت خدمات إشفاق الوطنية كمذيع بتقدير كبير في عالم التلفزيون من خلال مقال للكاتب جاويد باشا. في هذا المقال، خطابات الخدمة الوطنية والبرامج التليفزيونية والإذاعية للقائد الأعظم وإشفاق في لاهور في ۲۳ مارس ۱۹۴۰م، من تأسيس باكستان وتطورها، والمشكلات التي واجهتها لاحقاً وحلولها، تمت مناقشة شخصية تاكين شاه فيجرام و"لقد وصلنا" ("ہم آ گئے"). وقد تم وصفها بالتفصيل.

وقيل إننا نعرف إشفاق جيداً كاتباً روائياً ومسرحياً، ولكن إذا نظرنا إلى موضوعات كتاباته، بعيداً عن مشاكل وقضايا الحياة الأخرى، يمكن أن نرى فيها أيضاً لونا وطنياً. وهو بارز وطاق في جميع مواضيعه. وهكذا إذا ذكرنا هذه الشخصيات التي خدمت باكستان جيداً، فإن إشفاق بارز فيها.

اكتشفت السنوات الخمس إلى السبع الأخيرة من حياة إشفاق جديداً، لقد كان مثقفاً. يظهر في برنامجه التلفزيوني "زاوية" على مستوى عالٍ جداً من الذكاء والبصيرة والحكمة. وكانت استكشافاته للشؤون الإنسانية، والعلاقات بين البشر، والسلوك، وغيرها من جوانب الحياة المهمة، مصدر إلهام للناس من جميع الأعمار، وكانوا يزينونها بطريقة جذابة.

وأخيراً، تم وصف النشاط الإشعاعي.

العنوان الرابعة عشر: (١٢١-سى ماؤل ثاؤن)، (المدينة النموذجية ٢١٢١):

١٢١ - سى المدينة النموذجية هي حوالي ١٤ مقالة لبانو قدسية تحتوي على ٢١ صفحة، مقسمة إلى ثلاثة أجزاء.

في الجزء الأول، تصف الاتجاه الدين إشفاق و الاتجاه دين لصديقيه شهاب ومفتي بالتفصيل.

وفي الجزء الثاني تصف حب إشفاق للحيوانات.

وفي الجزء الثالث تكتب مقالا تحت اسم أنيس أحمد خان.

العنوان الخامس عشر: (بابانور والے اور دیگر)، (بابا صاحب الضوء وآخرون):

وهذه المقالة هي المقالة الخامس عشرة من هذا الكتاب، وتحتوي على حوالي ٥٥ صفحة. أكدت هذه المقالة على العلاقة الروحية الشاملة. لأن بانو قدسية تكتب أنني لم أؤمن بأي مرشدي في حياتي. وكان إشفاق أحمد في نفسه مثل الصوفي الكامل. وأخيراً، في أحد الأيام، طلب موافقتي على أنه إذا أخذتك إلى مكان تطمئن فيه الروح، فنذهب معي، لأنه كان يطلب موافقتي دائماً، فوافقت.

ثم تصف كان هناك بابا فضل شاه صاحب في دهرم بورا، وهي منطقة في لاهور. الذي كان يعرف شعبياً باسم "صاحب نور" ("نور والا") ثم ذكرت الأجواء بشكل

كامل، أجواء هذا المعسكر كانت غريبة. شوهد الناس من كل فئة يتجولون طوال اليوم، ويتم تقديم الشاي.

ثم تكتب عن سلسلة اللقاءات والأحداث مع باباجي وتحكي كيف وقعت في حب بابا وهي في الرابعة عشرة من عمرها. و بينت أحوالها بالتفصيل. ثم تخبر زوجة شهاب عن مرضها وجولات المعسكر والعلاج. وقد تم ذكر شهاب والعديد من الشخصيات الثانوية.

وأخيراً، تذكر بعض المواضيع الأخرى التي تتدرب بإيثار بسبب العلاقة الإصلاحية. و يتم فيها شرح حقيقة المعرفة الروحية. ومع هذا تم صياغة الفرق بين الحلم واليقظة، وظاهرة الشمس، وقانون الجاذبية.

وأخيراً يحتتم المقال برسالة كتبها قدرة الله شهاب إلى أثير ابن بانو قدسية.

العنوان السادس عشر: (بركله اكيچينج)، (بيركلي للصرافة):

بورصة بيركلي هي المقالة السادس عشرة في الكتاب وتقع في حوالي ٢٩ صفحة. في الأساس بيركلي هو اسم ولاية في أمريكا، وفي وقت ما كان لإشفاق أحمد سلسلة من الأصدقاء من هناك ولهذا السبب بدأت عائلة إشفاق في القدوم إلى هناك، وقد تم ذكر هذا التبادل في هذه المقالة، وتم ذكر أربعة أشخاص من بين الشعب الأمريكي.

وأخيراً تم ذكر رحلة "أوسلو" من صفر (أوسي) وهي عاصمة النرويج، وتحتوي هذه الرحلة على الكثير من المعلومات، خاصة فيما يتعلق باللغة الوطنية النرويجية.

أنه يحتوي على حساب كامل للرحلة والاجتماعات. وفي نهاية الرحلة تم تقديم ديوان شعري. و هذه القصائد كتبها هينج ويتسيند وترجمها إلى الإنجليزية أوكف جريند.

الأسماء ٥ قصائد مكتوبة بالأسماء القصيدة الأولى تسمى شيتال (چيتل)، ومن المعالم البارزة الأخرى فن الجبل الخفيف. والثالث التناقض، والرابع صمت، والخامس اللعبة مكتوبة باسم اللعبة.

العنوان السابع عشر: (آخرى أيام - گھر کو واپسی) (الأيام الأخيرة "العودة للبيت):

الأيام الأخيرة هي الفصل السابع عشر وما قبل الأخير من هذا الكتاب ويحتوي على حوالي ٤٢ صفحة.

تم وصف العديد من الشخصيات في هذه المقالة. وهناك أكثر من مائة شخص مذكورين في البداية، يتم وصف مرض إشفاق ورحلته إلى الدار الآخرة. ثم تحكي كيف اتصلت بالطبيب، أخذ الطبيب والسيدة قدسية إشفاق إلى المستشفى، وكيف توفاه الله، وكيف دُفن بالتفصيل.

العنوان الثامن عشر: (لوگ لوگ)، (الناس الناس):

وهذا هو الفصل الأخير من هذا الكتاب الذي يقع في حوالي ١٢٠ صفحة وقد ذكرت المؤلفة في هذا الفصل أكثر من ٥٠ شخصا. وقد رويت الاعمال اليومية وعاداتهم المرتبطة بعالم الأدب. لأن الجميع اجتمعوا واختلطوا بإشفاق. وجميعهم كانوا مرتبطين بشكل مباشر أو غير مباشر بإشفاق أولاً ثم بعد وفاته أصبح مرتبطين ببانو قدسية.

تم أيضاً سردت بعض المقالات المبنية على الذكريات المرتبطة بإشفاق أحمد. وفي هذا الفصل يوجد أيضاً مقالتان باللغة البنجابية، فاساريان أو دان (ذكريات قديمة) ومكتوبة باللغة البنجابية الأساسية.

وفي النهاية، تم إدراج مقال بقلم مسعود بعنوان "في ذكرى إشفاق أحمد".

المقال الثاني كتبه مسعود تحت عنوان "نسر الملك" (راجہ گدھ) - انطباع. تم وصف "نسر الملك" وهي رواية كتبتها بانو قدسية وفيها وصف مسعود التزامها واهتمامها بالأدب وكيف تعرف على نسر الملك.

وفي الأخير يمكن القول:

بأن كل عنوان قد جاء مطابقاً للمضمون الذي احتواه بداخله، ومعبراً عنه تعبيراً تاماً.

المبحث الثاني

عرض الكتاب  مرد ابريشم "لبانو قدسية".

"عرض كتاب "مرد ابريشم" (رجل الحرير) "لبانو قدسية"

كتبت بانو قدسية في كتاب "مرد ابريشم" عن قدرت الله شهاب الذي كان صديقاً مقرباً لزوجها إشفاق أحمد؛ وعن إشفاق أحمد نفسه، وفيه كتبت أيضاً عن نفسها؛ ويستكشف الكتاب حياة "قدرت الله شهاب" (موظف حكومي بارز، كاتب، وشخصية صوفية) من خلال منظور أدبي وروحي، يُعتبر الكتاب "تحفة أدبية وروحية" حسب تقييمات القراء، ويبرز دور شهاب كجسر بين الأدب والتصوف في جنوب آسيا.

المعلومات الأساسية عن الكتاب:

كتاب "رجل الحرير" (مرد ابريشم) لبانو قدسية يُصنفه النقاد كنوع أدبي على أنه ينتمي إلى فن السيرة الذاتية، وفيما يتعلق بموضوع الكتاب فإن فيه دراسة عميقة لشخصية وفكر قدرت الله شهاب، وقد نُشر كتاب "مرد ابريشم" في سنة ١٩٩٦م (الطبعة الأولى).

نبذة عن الشخصية المحورية: أو المحاور الأساسية:

يبرز الكتاب الجانب الروحي في رحلة قدرت الله شهاب في التصوف والتزكية والإنجازات الأدبية والتأثير الذي حققه مؤلفه "شهاب نامه" على الأدب الأردني والعلاقات الإنسانية التي كانت قائمة من خلال صداقاته العميقة مع مثقفي عصره. وقد اشتهر قدرت الله شهاب بمذكراته "شهاب نامه"، وهي سيرته الذاتية التي حققت شهرة واسعة، وكان شخصية مؤثرة في الأدب الأردني والتصوف، وتربطه علاقات وثيقة بأدباء كبار لهم علامة بارزة في تاريخ الأدب الأردني من أمثال: "إشفاق أحمد" و"ممتاز مفتي".

دلالات العنوان "رجل الحرير":

يرمز "رجل الحرير" إلى شخصية شهاب الناعمة والقوية في آن واحد، مثل الحرير الذي يجمع بين النعومة والمتانة، وتصفه بانو قدسية بأنه "مرشد روحي" ترك تأثيراً

عميقاً على محيطه. وكانت شخصية شهاب مثل الحرير؛ ناعمة في الظاهر لكنها أقوى من الفولاذ في الباطن؛ وكانت في عينه جاذبية غريبة تخرق الروح.

أسلوب التأليف:

يجمع كتاب "رجل الحرير" مزيجاً من السيرة والتحليل، أو مزيجاً فريداً بين السيرة الذاتية والتحليل النفسي وتضمن المراسلات الشخصية بين شهاب وأدباء عصره و عرض الصور والوثائق التاريخية النادرة.

والكتاب لا يقتصر على سرد الأحداث، بل يحلل شخصية شهاب وأفكاره الصوفية؛ ويتضمن "رسائل شخصية" وذكريات من بانو قدسية وآخرين.

المواضيع الرئيسية:

يستعرض الكتاب حياة "قدرت الله شهاب" الموظف الحكومي البارز، والأديب والشخصية الروحية من خلال رؤية أدبية عميقة.

التصوف والروحانية: شخصية شهاب كشخصية صوفية وأدبية فريدة، ورحلة شهاب عن الحقيقة الإلهية وتأثير كتاباته (مثل "شهاب نامه") على الأدب الأردني والعلاقات الإنسانية وصادقاته مع أعلام الأدب في عصره.

دلالات العنوان:

يرمز "رجل الحرير" إلى شخصية شهاب الجذابة القوية واللطيفة في آن واحد، وتصفه المؤلفة كشخص يجمع بين النعومة الروحية والمتانة الفكرية؛ وفي الكتاب تحليل لإرث شهاب الأدبي والروحي بعد وفاته، وتأثيره العميق على أجيال من المثقفين والأدباء.

القيمة الأدبية:

لا يعد كتاب "رجل الحرير" مجرد سيرة تقليدية؛ بل إنه "نص تأملي" عميق، يكشف عن الأبعاد الفلسفية في شخصية شهاب، ويقدم رؤية المؤلفة الفريدة للعلاقة بين الأدب والتصوف والجمهور المستهدف، والمهتمون بالأدب الباكستاني الحديث، ودارسو التصوف الإسلامي والباحثون في علم النفس الأدبي. كما يحمل الكتاب أهمية خاصة؛ تكمن في كونه يعد مرآة لفترة مهمة من التاريخ الأدبي والسياسي

الباكستاني، ونقطة التقاء بين الفكر الصوفي والبيروقراطية الحديثة، وتجسيد لتمييز أسلوب بانو قدسية؛ وأسلوب فريد في تصوير الشخصيات.

العرض:

تبدأ كتابها "مردابريشم" بحادثة عام ١٩٣٧م وتقول ذلك! "هذه حلقة من ٣٧. كان عدد سكان "دهرمساله" في تلك الأيام خمسة آلاف نسمة، لكن هذا العدد القليل من السكان كان لديه كهرباء وطرق جيدة ومستشفى مدني وسينما ومدارس للبنين والبنات حتى الصف العاشر؛ وكان هناك أيضاً نادٍ يلعب فيه الضباط العصريون "كرة الطاولة" وكرة الريشة؛ وكان النادي مختلطاً، وكانت بعض النساء المتعلمات والليبراليات والثريات أعضاء فيه؛ وكان هناك معسكر في مكان اسمه "دهرم مساله"، يتمركز فيه الجورخا والجنود البريطانيون.^١

ثم تحكي عن حالة القرية: أنه على الرغم من أن عدد سكانها يبلغ خمسة آلاف نسمة، وتوفر لها جميع المزايا والمرافق الحكومية، إلا أن الأمسيات في هذه المنطقة الجبلية كانت قاتمة، حيث يعود الناس إلى منازلهم من العمل في المساء مبكراً؛ ومشهد الأمسية كان خاصاً بي، أحببت المشاهدة في المنزل -.

ثم تذكر: في إحدى الأمسيات الحزينة عندما كانوا عائدتين إلى منزل أمها وأخوها، رأوا نجماً في السماء منفصلاً عن بقية النجوم فغضبت، وتذكرت وأحست أنها ستعود إلى هذا النجم؛ وأن هذه هي وجهتهم، وعندما أخبرت بانو قدسية والدتها المثقفة أنها جاءت من هذا النجم الساطع وأن هذا هو منزلها، قالت والدتها: "كلنا نعيش في هذا النجم، أنت وبرويز". لقد كان هنا قبل المجيء، ثم وصفت الأم بأنها بريئة كالطفلة، وعلى سبيل المثال، تقول إنها يمكن أن تمرض بسبب فشَل باكستان في تحقيق الفوز في المباراة، وتتعافى بعد فوزها بالمباراة. وبينما تصف براءتهم، تقول إنها سألت والدتها ذات يوم: "ما معنى مضى الرجل يا أمي؟ أخواتي يقولون: إن والدك مضى. أمي قالت: أي راح وتبدو هكذا... ثم ذهبت من غرفة إلى أخرى، ثم تحكي عن والدتها: أنها كانت شاكراً وصابرة، ولم تكن تسأل ولا تجيب على الكثير من الأسئلة، بينما

^١. مردابريشم، بانو قدسية، سبگ ميل پبلى كيشنز، لاهور، ١٩٨٩، ص ٣

تقول بانو قدسية إنها كانت تسأل وتحيب كثيرا. حالي مختلفة تمامًا عنهم، مجموعة من الأسئلة تنمو بداخلي كالأوراق والنباتات.

"منذ طفولتي، اعتدت أنه عندما يزعج سؤال روحي، فإنني لا أطرح السؤال على أي شخص، بل أتركه يدور بداخلي ثم فجأة، بطريقة سأحصل بنفسى على الأجوبة لتلك الأسئلة، و هناك سؤال سألته والدي عن موطن أجدادي سنة ٣٧ أجنبي عليه قدرت الله شهاب.^١

إبراز شخصية قدرت الله شهاب بالأمثلة:

أثناء كتابتها عن قدرة الله شهاب، تقول: إنه لم تعد لدي الشجاعة لأكتب أي شيء عن شهاب، لأن الأشخاص الذين ينتقلون من بذرة إلى زرع إلى شجيرة إلى شجرة، ومن شجرة إلى شجرة يصبحون كظل السقف، ومن الصعب جدًا قول أي شيء عنهم بدقة وحقيقة و يقين؛ وبشكل عام فإن حياة الشخص العادي تكون مقطوعة مثل العشب؛ و قد أزهرت نباتات خضراء، جافة أحيانًا، وأحيانًا خضراء، لكن شكلها تغير، أحيانًا تكون كالرقعة ولم تكن فراشة أبدًا. وليس من السهل أن نفهم أشخاصًا مثل أخى شهاب، لأن التطوير عملية مستمرة. الأول: أن يفعل الإنسان شيئًا، ثم يتركه، ثم يبدأ شيئًا آخر، فيتركه، ثم يتركه مرة أخرى، يرى الناس مثل هذا الشخص في المرحلة الأولى. وتجربتهم تكون مختلفة ومن يراها في المرحلة الثانية له رأي مختلف؛ وأولئك الذين اتحدوا في العهد الأخير يشعرون بشيء مختلف تمامًا، إن الشخص الذي يعرف فقط كيف تبدو اليرقة لن يفكر أبدًا في الفراشة كشكل معدل من نفس اليرقة.

"لقد استغرق مني الأمر ثلاثين عامًا حتى أفهم شهاب، الفهم الذي وصلت إليه اليوم ليس فيه شك أو غموض أو ارتباك، إنه الثقة الكاملة، لأن الإيمان الكامل جعل الحياة سهلة للغاية بالنسبة لي، و ذلك من خلال الإدراك، بدأت أفهم، كما لو أن

^١. انظر مرداب ريشم ص ٥

شعاع الشمس يدخل فجأة غرفة مظلمة، لا يمكن للمرء أن يرى فحسب، بل يولد الأمل في الروح، وتولد السعادة؛ ويشعري بالغبرة هكذا شهاب صار لي نورا.^١ ثم تحكي عن لقاءها الأول مع شهاب، و تذكر: أن اللقاء الأول لم يكن له أي تأثير خاص عليّ لأنه في الظروف التي تزوج فيها بانو قدسية وإشفاق أحمد أحمد، اعتقدت بانو قدسية أن إشفاق أحمد فقد مصداقيته، لقد تم القبض على هذا الضابط الكبير ليفوز.

ثم وصفت حالتها السيئة وحالة إشفاق أحمد السيئة، وكتبت أن إشفاق أحمد بدأ مجلة تسمى "داستان جو" (يعني تحكي القصص)، أحياناً في بداية الشهر، وأحياناً في منتصفه، وأحياناً يغيب لمدة شهرين.

و"في تلك الأيام، عندما كانت مجلتنا "داستان جو" تعمل بشكل ضعيف، وكان الكتاب يعاهدون و يوفوا؛ لذلك جعلتني الضرورة كاتبة. الآن، كان علي أن أكتب أكبر عدد ممكن من الصفحات. ومن أجل هذا، راودتني الأفكار بشأن كتابة القصة القصيرة و برواية السيرة الذاتية، ماذا عليك أن تكتب في اليوميات؟ سألني إشفاق أحمد ذات يوم بدافع الضرورة، "اكتب مقالاً يا قدسية عن شهاب"، و لم أكن أعرف عن شهاب، لقد كان أسمع عنه فقط، ولكن اليوم أعرض بين ايديكم ما كتبه عنه".

"قدرت الله شهاب"

قالت بانو قدسية في كتابتها عن قدرة الله شهاب إنها التقت في اجتماع بسيدة جميلة كانت تناقش في حديثها، ما هي الموضة الأكثر شعبية في الأدب؟ تنفست بحسد، وقلت بارتياح: أنه من المؤلف في أيامنا هذه كتابة مقالات عن قدرت الله شهاب. ثم قالت: إنني كنت أتمنى من حسن النية أن كل ما سأكتبه عن شهاب، استمع إليه على الأقل بنفس الاهتمام الذي تستمع به للقائد و المرشد، لأن شهاب موجود

^١ نفس المصدر، ص ٩

أيضًا في المتحف؛ إنه مثل التمثال الذي يتكلم قليلاً؛ ولكن أشياء مختلفة حول هذا الموضوع أصبحت أكثر شعبية.

ثم ذكرت بانو قدسية: أن شهاب صاحب كان يتم تقديمه دائماً إلى بانو قدسية من خلال وساطة الآخرين. في البداية بانو قدسية لا تعرف قدرت الله شهاب جيداً؛ لكن كل يوم هي تشاهده أمامها.

ثم تحكي أن أصدقائها وزوجها وطفلها وموظفيها وأقاربها جميعاً ليس لديهم رأي نهائي في شهاب؛ لأن شهاب لا يأخذ نتائج الحليب من اللبن والماء من الماء. كلاهما كان لديه بعض مخفوق الزبادى وبعض اللبن الرائب؛ أى أن الآراء حول شهاب كانت متغايرة تماماً. ولهذا السبب ظهرت الكثير من القصص عنه، وبدأ المكتب في مثل هذه الحكايات، كما سمع من بعض الناس أن شهاب ليس شهاباً حقيقياً بل شيخ ذو شعر أخضر وأبيض؛ يدير ولاية غير مرتبطة به مثل هارون الرشيد، ولا علاقة له بخطط هذا العالم. حتى أن بعض العقلاء نشروا أن شهاب فى الأصل إنه ذكي جداً، ووثائق جداً من نفسه، لذا لا شيء. إنه مولع بالإشاعات فقط. وكل شائعة هي في الواقع من صنعه. مثل الممثل.

قالت بانو قدسية: لا أعرف أي الإشاعة صحيحة وإلى أي مدى هي صحيحة، ولكن بالتأكيد لدي شعور حيالها، ولم أر شهاب ينفي أي شائعة، وربما يكون نفيها نتيجة إيجابية بالنسبة له. إنه لا يرغب باستخلاص النتائج.^١

الصدقة بين إشفاق أحمدو شهاب:

قالت الكاتبة بانو قدسية، عن لقاءها الأول مع شهاب؛ إن إشفاق أحمد رتب لقاءها مع شهاب بعد الزواج. وعن هذا اللقاء تقول إن شهاب كان الصديق الأول لإشفاق أحمد، الذي لم ينظر إليّ حتى، ولم يحتج إلى تحليلي النفسي، ولم يساعدني مالياً. وهكذا، وعندما تم رفض دوري لأول مرة واعتبرت خدماتي أقل شأنًا، شعرت بالحرج الشديد. انتقم هوائى وكبرى من خلال بناء سلسلة جدارية في القلب ضد سرقة شهاب، وحراسة المجمعين الذين كانت وظيفتهم الوحيدة منع أي تشققات في

^١ مردابريشم، ص ١٥

سلسلة الجدار المتعلقة بشهاب؛ حسناً، الجدار الصيني للنظام لا يزال قائماً، ثم تقارن صداقة إشفاق أحمد وشهاب بزهرة أفريقيا، قائلة إن صداقتهما مثل الزهرة الأفريقية التي تأتي إليها أي روح، شهاب وإشفاق أحمد غريبان أمام الناس، ولكن عند الفراق، يضعون مفاتيح خزائهم ويظهرون لبعضهم البعض الكنوز التي أخفوها عن أعين الناس.

ثم تبين بداية أيام الزواج مرة عندما جاء شهاب إلى سمن آباد للمرة الأولى، لم يكن صنوبر الماء يعمل بشكل صحيح، وكانت المياه تتدفق من الصنابير طوال الوقت. كانت الأحذية مليئة بالطين، وفي الضوء الكهربائي الضعيف كانوا يمسحون العشب بأحذيتهم، فقلت بعصبية: نعم.

بعد ذلك اليوم كلما جاء شهاب واختطف إشفاق، ثم يقطع علاقاتي. بالطبع لا. ما هي تلك الأيام التي كان يجلس فيها جانباً في حديقة لارنس وكنا نأكل البرتقال، لم يعد لديه الوقت لنا بعد الآن؛ وكانت هذه اللحظة ذات قيمة لي، وكنت أحلله نفسياً وأقول: يا أخى شهاب لا تشتاق لمجالسة إشفاق.^١

أنت في الواقع تقع في مشكلة من الإكراه. تخاف من المباني المرتفعة، وأيضاً تخاف من شراء بطاقات للعيد السعيد، والعرض الأول للأفلام، واليوم الأخير من هذا القرن يمكن أن يهدد حياتك، وأنا قلق في مكاني من أن هذه الرغبة لن تتم إضافتها إلى قائمة الندم غير المرغوب فيه. ماذا علي أن أفعل؟ لا توجد فرصة أبداً لتحليلها نفسياً.

ثم تقارن شهاب بزهرة القطيفة، وكانت تقارن نفسها زهرة الضحى التي لا يمكن أن تظل فيها أي زهرة متفتحة، منفصلين ولا يمكن لعلامة المعادل الجبرية أن تدخل بينهما.

عرفت عن طريق إشفاق أحمد شهاب وستظل نلتقي، مثل بطاقة شخص غريب يعطيك إياها أثناء رحلة إلى أوروبا، ستخبرك عن مبنى أو مشهد جميل في المدينة، لكن لا أخبار عن أهل القرية.

^١ مردابريثم، ص ٢٠

ثم قالت بانو قدسية، وهي تتحدث عن روحه، إنها اعتقدت أنها ستساعدها في هذا الصدد، فلما وصلت إلى منزل شهاب مع أطفالها، كان مليئاً بالرجاء؛ وكان يعتقد أن جميع خفايا شخصية الإنسان تكشف تلقائياً على مائدة العشاء، وبينما شعرت باليأس هنا أيضاً، عندما التقت به، كان شهاب وزوجته عفت يعيشان في منزل يقع بالطابق الثاني في جزيرة باتمه في كراتشي، وخلال هذه الإقامة لم تعرف أي شيء عن شهاب سوى كان شهاب يشتهي المخلط بالأشياء المختلفة القمح والأرز والعدس، وكان يستمع أيضاً إلى الراديو (مذياع) باهتمام كبير، ويذهب إلى مكان ما ويتفاوض.

ثم تقارن شخصية شهاب بالترمس وتقول: أنه عند وصولنا قام شهاب بإخفاء شخصيته بعناية، وكان هناك ترمس مثل شهاب على طاولة الطعام أمامه، هل يمكن أن يكون هناك ثلج مذاب أو قهوة مغلية داخل هذا الترمس مجرد أن يذكر القهوة، يتذكر أول لقاء مع ممتاز مفتي، الذي كان يعيش على الشارع بندر في هائي باث، وكان يومه الرابع في جزيرة باث عندما طلب منها إشفاق أحمد أن يسيرا إلى منزل ممتاز مفتي. وكان أول لقاء لبانو قدسية مع مفتي بعد الزواج، وعندما وصلا بانو قدسية وإشفاق أحمد إلى منزل مفتي بعد أن مشوا مسافة طويلة، رأوا أن مفتي كان جالسا على العرش في منزله يشرب زجاج ويلعب الشطرنج. وهناك كانت زوجته تقف بجواره وتتناول البسكويت، ثم تحكي عن اللقاء مع ممتاز مفتي وتبين حالة منزله.^١ ثم بينت اللقاء مع مفتي وإشفاق أحمد في أوقات مختلفة؛ وبينما كانت تكتب عن إحدى هذه الرسائل، أخبرتها في تلك الرسالة!

ذهب النجم إلى كراتشي من هنا في اليوم التاسع، ٣ أيام في كراتشي، ٤ أيام في دكا، يوم واحد في لاهور، والعودة في الثامن عشر، يجب أن أقابلك في النجم. الشيء المهم هو ألا تكون كسولاً. أفضل نظراً لأنه لم يتم توضيح الاسم الطبقي النجم في هذه الرسالة السلوكية، ولم يتناسب مع أي شخصية، فقد وصل إشفاق أحمد وبانو قدسية إلى المطار. والطائرة كانت متأخرة؛ وبعد انتظار طويل، وعندما

^١. مردابریشم، ص ٢٥

نزل الجميع من الطائرة، وكان منهم شهاب، وبعد ذلك التقى بهم، وسأله إشفاق أحمد هل هناك أيّ صديق النجم الذي جاء من محافظة راولبندي. فأجاب شهاب أنه لا يعرف مفتي وكيف تعرف أصدقائه. ولكن عندما رأى شهاب الكرب والحزن لدى إشفاق، سأل شهاب مرة أخرى ما العمل؟

وعندما أخبره إشفاق أحمد أنه لا يوجد عمل، فهذا أمر مفتي، فقال شهاب أنا أسافر إلى كراتشي؛ ومن المحتمل أن تطارد ذكرى الأطفال قدسيا، فيرسلونها إلى منزلها؛ وتعال معي لأن شهاب سعيد جدًا بالتقليل من أهمية أوامر الآخرين. ولكن عندما قالت قدسيه بانو إنها يجب أن تذهب إلى منزل الأم في "الشارع منك"، أخبرها إشفاق أحمد أيضًا أنها إذا لم تذهب إلى منزل الأم، فسيقوم بتوزيع حبوب القمح لجميع الناس.^١

بعد الاستماع إلى إشفاق أحمد، قال شهاب أن قدسية ستذهب على شارع منك، ومن هناك سنذهب "داتا"، وبعد ذلك لن تتمكن قدسية من مقاومة اسم "داتا". ثم ذكرت قدسية بانو بعض الرسائل الأخرى لمفتي، والتي كتبها مفتي إلى إشفاق أحمد والتي ذكر فيها اسم النجم.

"الحل قضية النجم":

وبصرف النظر عن هذا، ذكر ميرزا ويشبه ميرزا الكويت كمثل الذي يعمل في شركة المبادئ "طوكيو". لأنهم غيورون وكرماء في نفس الوقت. ثم قالت لا بد أنه عرف هذا القدر على الأقل من ميرزا، أن الطفل الذي كان يجري تفتيشه في المطار كان يقف بجانبه يبحث عن قسيمة الأمتعة. وبمجرد معرفة الاسم، كتب إشفاق أحمد رسالة مفصلة إلى مفتي، استخدم فيها كلمة النجم مرارًا وتكرارًا، وهكذا، مثل العسكريين، أصبح مصطلح "الكلب المستحق تشارلي شوجر" رمزًا لنا. لكن الآن بدأ مفتي تقديم الزهور والأوراق على شخص شهاب بهذا الاسم عن طريق

^١. مردابریشم، ص ٢٦

الاستعارة من صفات الشيوخ، ولا يمكننا تحمل ذلك. كل الأوامر بدأت تأتي من مفتي، ووعدنا بأننا لن نلتزم بهذه الأوامر بشكل كامل مثل حكومة الإقليم. ثم قالت إن رسائل مفتي هذه قصّرت تدريجيًا من قيمة شهاب أكثر واختفت أيضًا إمكانية معرفة شهاب.^١

وبهذه الطريقة، حتى الاحترام القليل الذي ناله شهاب من إشفاق أحمد سيضيع، لكن يبقى عيبان في الاسم. واحدة كانت لطبقة الأم والمساحة الأخرى لأبنة" ثاقب".

التقت والدّة شهاب وبانو قديسه خلال رحلتهما من كراتشي إلى لاهور. ثم تتحدث عن ثاقب ابن شهاب؛ وتقول: إن الأم التي كانت تدعو لها كانت تتحقق في شكل ثاقب، الذي كان ابن شهاب وكانت شخصية ثاقب تدل على شهاب، كان دائما مخفيا عن الأعين. وتحكي عن عاداته، وتقول: إنه كان عندما يأتي إلى المنزل يسأل والدته عن الضيف، ومتى يغادر؟ يرى اضطراب شهاب، الذي جعله الله تعالى كاتبًا في البداية، ثم كلفه بوظيفة لم تكن سوى التوقيع على ملفات عديمة الفائدة. لقد أنشأ حوله مجموعة من المحتاجين أقوى من كالقصر المحهن بيشاور، وكتبت في مصيره الكثير من الرحلات التي غاب عنها السلام الذي كان تراث الكبار؛ لكنه أخبر عن شهاب. ومع ذلك، فهي تكتب أن شهاب ابتسم قليلاً لهذا بالحلم وارتدى قناع التسامح. وبعيداً عن هذا الغطاء كان هناك غطاء آخر، كما كان شهاب يخفي أمتعته ومزماره، وعندما كانت طيرانه عالياً جداً، كان ينزل إلى تحت المنزل، وينزع الغطاء الفاسد عن الأوتاد، لانكسار العجز والتواضع، ويصبح من السهل أن نحب أولئك الذين يمشون على الأرض حافي القدمين. صبر شهاب وحلاوته وتسامحه مخفي في زيارة الأمتعة والمزمار، وإلا لكان من المستحيل أن يجلس على الأرض ويأكل قطعات القصب ويركب الخيل، ومن ثم اتساع شخصيته التي تكون جيدة وسيئة. ولم تتطور، ولا تعتبر ولا تتخذ من نقاط ضعف الآخرين صالحاً لتطورها، وتغفل وتنسى طبيعتها وإحسان الآخرين. وبعد ذلك تذكر إفتاء زوجة

^١ مردابريشم، ص ٢٨

شهاب وتقول: إنها تعمل كجسر بين الناس وشهاب في فعل الخير والإحسان، وتنسى من ينسى الطيبة. إنها تدعم شهاب وتبقى معه في جميع أنواع المواقف والأحداث. وهي لا تحللها أبداً، ولا تعز من القديم الى الجديد. ولا ينتقدون أو ينظرون إلى أخطائهم بالمنظار تتفق به، وبفضل هذه الثقة تشم رائحة الرحمة من شهاب، وتذكر فيه حادثة ذهبت فيها للقاء عفت، وظلت هي وعفت ينتظران شهاب، قالت عفت زوجة شهاب أثناء الانتظار الطويل! لا ينبغي أن يتمتع الشخص المنفرد بصفات كثيرة، فيتعب الإنسان من دعمه. لم أفهم قصدك، قالت السيدة قدسية!

وتنقّست عفت نفساً طويلاً وقالت: في الحقيقة شهاب عليه الالتزام، لكن الغضب لا يمكن أن يأتي عليهم، لأنهم رغم أنهم فقط يلزم عليه، إلا أن الذنب لا يورطهم، إنهم يهملني، لكن هذا لا يعني أنه غافل عني، ربما يتمتع مثل هذا الرجل بصفة واحدة فقط، يمكن الوثوق بها.

وعفت تتفق مع شهاب تماماً، كما الناس في الصين يعتمدون على جدارالصين. ثم قالت بانو قدسية مع الأسف إنها بدأت بكتابة مقالات تحت الموضة، لكنها لم تتعرف على شهاب. وكلما ترى شهاب تراه في عيون الآخرين. أحياناً ترى عفت من عيون إشفاق أحمد وأحياناً من عيون مفتي؛ لذلك لا يزال الشهاب أجنبياً عن بانو قدسيه لأنني وقت العصرأكون وهم كزهور العصر، و هناك ييقون نائمين كالحمام. وتظل وجوههم مقاومة للماء مثل العميل السري ولا توجد معلومات حول كيفية تسير ساعة الفكر تحت هذا الوجه.^١

ثم تكتب بانو قدسية أنها أضافت المقال، الذي يبلغ من العمر حوالي ثمانية وعشرين عاماً، فقط لتؤكد أنه في هذه الفترة الطويلة، وكأن حفلها زاد، أتاحت لها الفرصة لقضاء المزيد من الوقت مع شهاب، ولكن في مقدمة شهاب، لم تكن هناك زيادة، في وقت سابق، تم تعليق تحديد الهوية، وفي وقت سابق، رأوا شهاب مفتي جي خان وعفت، ولكن الآن تغيرت المراجع. ثم تقول السيدة قدسية: أن التعبير الحديث عن

^١ مردابريشم، ص ٣١

القرب من الشخص هو أن يتحدث شخصان مع بعضهما البعض، ويستمتع كل منهما إلى الآخر، ويكون هناك تفاهم متبادل، ويجب أن يكون هناك حوار، وفقط أثناء التعبير ستعرف ما هذا الشخص يفكر ماذا يريد، وما هي أمنيته وما هي توقعاته منك؟ ومن خلال هذا التعبير تكتشف ما إذا كان الشخص الذي يحاول التعرف عليه هو الرجل الذي تقصده أم لا.

ثم أوضحت أن ممتاز مفتي ومكتب الأمم المتحدة هما مؤسستان للتفاهم، مفتي لا يحب الأغبياء، ومن عيب الله أن يرتبط بقدرة الله شهاب الذي لم يكن خادماً للتعبير على الإطلاق، ثم تكتب عن رسائل قدرة الله شهاب التي كتبها قدرة الله شهاب إلى بانو قدسية في اجتماع إطلاق الطبعة الثانية من كتاب مفتي الضخم "علي بور كا ايلي" والتي عبر فيها عن إحساسه بالاعراب، ومعبراً عن ذلك كتب أن علي بور كا إيلي هو حقاً مفتي تعجب؟" ثم وصف صفات مفتي الشهيرة ومدحه في الرسالة.

وفي الوقت نفسه، تضمنت الرسالة الثانية أيضاً من قبل بانو قدسية، والتي كتبها شهاب إلى بانو قدسية، وفيها اتخذ لنفسه التواضع والعجز، وكان الغرض من كتابة هاتين الرسالتين هو إظهار أن شهاب كشف عن شخصية مفتي بمهارة أكبر بكثير مما كشف عن شخصيته.

ثم قالت بانو قدسية عن شهاب، إن الحديث مع شهاب، كان مثل من يدور حول الدور، أو يتلمس طريقه في الظلام، أو البحث عن شخص في حشد من الناس ليس في المجموعة.

وهكذا لم تستطع وسائل التعبير ومبدأ الفهم أن تساعد شهاب على المعرفة. لكن مفتي أديب بارع، غلافه عبارة عن كلمات، يستخدم الكلمات كلما فكر، ولهذا السبب لم يبق من زمن طويل بين بانو قدسية ومفتي سوى ثلاث كلمات، "قدرة الله شهاب".

وكتبت في البداية: كان مفتي وبانو قدسية يتحدثان في هذا الموضوع ويتفقان، ثم تشاجرا. وفي النهاية كان مفتي يُخرجها من الدائرة أحياناً بدافع النية، وأحياناً يأمر

بالجلوس مرة أخرى بحب، ثم تصف الحب بين مفتي وقدره الله شهاب وتكتب أن قدرة الله شهاب كان يمتلك ممتلكات مفتي وأصوله ودينه ونظرية بيت الفناء.

أثناء ذكر إقامتها في كراتشي، كتبت أنها أثناء إقامتها في كراتشي، تعرفت فقط على شهاب وهو رجل متواضع للغاية وغير ضار إلى حد ما. يواجه السيد العصامي الكثير من العثرات والصراعات والصعوبات والإساءات والاحتيال والانتقادات في الحياة، لدرجة أن هذه اللعبة مليئة بالرقائق. كما لو أنه اصطدم بصخور جبل عالٍ، فإن العصامي هو نوع خاص من الرجال، لأنه نشأ بشكل أساسي على يد امرأة تقليدية سادية تحب الصغار، لكن إلهة التطور التدريجي مع الزمن والموقع، تجعلها موجهة نحو المعلومات فقط، ليس لديه إيمان بمثل والدته والمعلومات ليست حالته. بسبب هذه ينقسم الأشخاص العصاميون عمومًا إلى مجموعتين، الأولى هي أنفسهم المستقلة والتي يغذيها النجاح في المهنة و يوجد فيهما الدفء والمودة، مشكلة العصامي أنه يأخذ نفسه في رحلات، وهذه الطرق لا تلتقي أبدًا.

مفتي رجل حقيقي ومحب، إنهم لا يقعون في حب رجل عصامي لفترة طويلة، لا يمكنهم مشاهدة رقصة الطاووس لفترة طويلة.

لكن أخى شهاب كان متعاطفًا مع جميع الأرامل والأيتام، وكان يجب أن يكون عكاز الرجل الضعيف، المصاييح جهلم يضئ العالى حتى الجبال يستحق التعاطف معه. وكان الناس من دين مختلف عنه طبيين معه، ويمكنهم تبادل التعاطف رغم الاختلافات والتناقضات، لذلك اختار مفتي المرأة التي صنع نفسه بنفسه من خلالها وكان دائمًا يغطيها بحبه، كلما تحدث عن أنه كان يتل من أمه الجامعية لأنهم كانوا يعرفون أن أرملة ويقيم، لأنه عاجز ويقيم لأن ابن هذا الأب العظيم كان على شكل الأب. أضواء تنظر إلى جبل "ماؤنت ايورست" ولا يمكنها إزعاجه.^١

ثم تصف طريقة مساعدة شهاب، فهو لا يوصي أحداً ولا يضغط على منصبه، لكانت الأوامر قد صدرت، وبدأ العمل، وتحسنت الأحوال، وكانت صلاة أخى شهاب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعليم والتربية والبركة، عند لفت الانتباه، ستحصل

^١. مردابریشم، ص ٣٣

على وظيفة، وستحصل على الدين لشراء المنزل دون أي تردد؛ ستأتي الأخبار الجيدة من المستشفى، وفجأة سيخرج وستغادر البضائع المسروقة المنزل، وسيتم العثور على موظف جيد براتب منخفض.

ثم تصف صفات شهاب وتقول: إنه لا داعي للتعبير عن أمنياته منه، كانوا سيشعرون بالحاجة أينما كانوا ثم يذهبون إلى مكان لم يعودوا إليه خالي الوفاض ويتوسلون إليه، ستزيل سنوات من المرض، وستكون القضية مبررة، وسيضحك الجيران، ويسلمون على بعضهم البعض، القلب الذي كان قلقًا لسنوات بلا سبب، سيكون سعيدًا في كل مكان، كل شيء سيكون على ما يرام.^١

ثم تذكر رسائل عكسي ومفتي التي كتبها إلى بانو قدسية في أوقات مختلفة، ولم ينعم علينا بإيمان مثل عكسي وعاطفة مثل مفتي حتى اليوم؛ ولكن ما ذنبنا في هذا؟ لقد سمع أن ما يعتقد هو ما يحدث؛ لسنوات عديدة عشنا مع أخي شهاب، كما البطه تسبح على الماء بدون البلبل؛ ولا يمكننا أن نثق بهم وهم أساس عائلة مفتي جي؛ وكنت أستمع إلى كلام مفتي، وأصدقه للحظة، ثم أنساه، لم يكن كافيًا بالنسبة لي أن أفكر في شهاب ولى من أولياء الله؛ لقد كنا أناسًا متعلمين في عصر التنوير الجديد والفكر الغربي، ولم يفتح لنا مثل هذا البعد لشهاب أخي حتى سن السبعين لأن وجودنا نفسه لم يكن بحاجة إلى هذا الفكر، وبحسب مفتي فإن شهاب كان جلاً شعبياً وصوفياً، وكان مخلوقاً مُضحياً يضحى بابنه في سبيل الله، بينما ترى قدسية بانو أن هذه مقدمة جديدة وفريدة من نوعها لشهاب، الذي تعرفت عليه لأول مرة، وبحسب قولها فإن شهاب كان إنساناً طيب القلب، ولم يكن قادراً على التضحية بابنه، لكن كلام مفتي صدمها وجرح ثقتها بنفسها.

ثم تحكي عن إخلاص مفتي لشهاب وهي تقول: "بعد انتقال مفتي إلى إسلام آباد، كان يكتب اليوميات عن شهاب، ويحفظ رسائله، ويقطع قصاصات من الجرائد. وكان يكتب عن شهاب أخي". لقد جمعوا الكثير من البيانات لدرجة أنه في بعض الأحيان يبدو أن اليوم ليس ببعيد الذي سيكتبون فيه المواد الكثير على أشجار في

^١ . مرد ابريشم ، ص ٣٥

مكان اسمه "شكربريان"، وإذا أوقفهم أحد سيقطعون رأس من يوقفهم، ولم أتمكن من رؤية النيزك الحقيقي. ثم تذكر وتقول إن إشفاق أحمد لم ينادي شهاب أبو الفضل، أبو الكلام، وأبو الحسن، رغم أنه كان في مزاج سيئ، كان يعتبر أخاه، ولكن كان في منزله يوميات خضراء صغيرة، مكتوب عليها أبيات كتبها شهاب، أورد ووظائف، لكنهم لم يتمكنوا من تقدير ما إذا كان شهاب يقوم بتدريس هذه الواجبات لإشفاق أحمد يتبع هذه الواجبات أم لا، ثم تحكي أنها بعد أن اتبعت طريقة إشفاق أحمد أدركت أن شهاب الذي يبدو أنه متواضع للغاية، ويحافظ على حياته الطبيعية في مستوى عادي، ويخفي حجاب الضحك، ليس عاديا على الإطلاق، لا يوجد رجال من عاطفة، طريقة عملهم غير مفهومة، لكنهم يعيشون طبقة بعد طبقة، وهم يفهمون ذلك فجأة، مثل المزارع الذي ينظر إلى الريح ويقول: "سوف تمطر بعد ظهر هذا اليوم."^١

ثم تذكر شهامة شهاب وتقول: إنه لم يدخل المنزل قط في غياب إشفاق أحمد، وكان يقف بالقرب منها، ويسأل قدسية بانو عن حالتها، ويداعب الأطفال ويعود من هناك، ثم تذكر الدعوة التي وجهها إشفاق أحمد لبانو قدسية بأن "مساء الغد سيأتي شهاب وعفت لتناول العشاء، ويجب أن تقوموا ببعض الترتيبات وما إلى ذلك"، لكن خان صاحب: ذهل عندما رأى السعادة ترتسم على وجه بانو قدسية، عندما سمع أخبار الضيوف. وقال: "انظري يا قدسية، لا تبالغي في أي شيء. شهاب يخاف من مثل هذه الأشياء، سنأكل في المطبخ. أعدي بعض الأطعمة الجيدة، فلا بأس. لا تفعلي أي شيء أكثر من اللازم،" في بداية هذا المنزل كانت الشرفة وفي نهايته المطبخ. وفي الواقع كان هذان المكانان أكثر سكاناً. ولكن لماذا إشفاق في المطبخ؟ لدينا ما مجموعه أربعة كراسي في الداخل، وهناك فطيرة صغيرة يوجد موقد زيت كيف سيأكلون هنا؟ سوف يأكل كما نأكل. "ثم تمدح إشفاق أحمد وتقول إنه لا يتباهى ولا يغير عاداته ومزاجه من أجل أحد، وسيضيفون الضيوف بالخبز والصلصة التي يأكلونها، وسيصرفون وفقاً لذلك. حسب طبخية. وبهذه البساطة يقصدون أن الأم

^١. مردابريش، ص ٣٤

يجب أن تعتبر نفسها تماما عضوا في المنزل. ليس لديهم سوى مجموعة واحدة من الأسنان لتناول الطعام والإظهار. إنهم فقط يغيرون دورهم في كل مكان، يبقون على حالهم. شهاب أحب هذا البيت لدور الذي يؤديه إشفاق أحمد، وهو أن يكون مستقلاً ويحافظ على حرية الآخرين. ثم تحكي مشهد العيد: "كانت هناك وليمة كبيرة لا تُنسى في ذلك المساء في المطبخ الصغير. وكان يتم عرض الطعام على الطاولة الصغير. وعندما وصل أخى شهاب وعفت، جلسا على الكراسي المستديرة بصراحة كبيرة رغم أن عفت في ذلك الوقت كانت ترتدي الساري الأبيض والحجاب على شكل يد وكان أخى شهاب يرتدي حلة زرقاء، إما أنه قادم من حفلة رسمية أو كان عليه الذهاب إلى منزل الوالي وما إلى ذلك بعد الدعوة، تناول أخى الطعام دون مدح بشغف وحب، لدرجة أننا لم ندرك حتى أنه كان من الممكن فعل أي شيء أكثر من ذلك. خلال دعوة الغداء التي لا تنسى في شيراز، أعدّ أخى شهاب قائمة بأسماء الكتاب الذين كانوا سيذهبون إلى شرق باكستان نيابة عن النقابة. وطالما استمر إعداد هذه القائمة، ظهرت أسماء إعجاز بتالي وجميلة هاشمي مرارا وتكرارا. كنت كاتبة في ذلك الوقت، لكن لم يكن هناك اعتراف بأدبي على معرفة. لقد أرادت مراراً أن أخبر أخى شهاب أنه لا يجب أن ترسلني إلى شرق باكستان، لكن صدقني أنني مؤهلة أن أكون في قائمة الكتاب، وشعرت السيدة قدسية بخوفها كثيرا، و لما غادر الجماعة الادباء الى باكستان الشرقية وهى حزينة و تحيّلت فى ذهنها عن المقامات الجميلة، ونسيئت أن إشفاق أحمد سافر الى دهاكه الآن بنجلاديش، وفي هذه الأثناء، في أحد الأيام، جاء شهاب للقاء آن، وأخبرها عن حالة إشفاق أحمد، وقال: "إشفاق أحمد الخاص بك مغرم جداً بدهاكة قد لا يتمكن من المرور بالقرب من أشجار كريشان تشودا. خفق قلبي. حس الفكاهة عندي ضعيف على أية حال. هي تسئل و ما هو كريشان شودا أخى شهاب؟"^١

"إنها شجرة مظلة كبيرة جداً، وتحمل أزهاراً برتقالية الزعفران في مجموعات، ولقد وقع إشفاق أحمد في حب هذه الأشجار. يجب أخى شهاب. في الشباب، إذا كان الزوج

^١ . مرد ابريشم ، ص ٣٧

يحب صحيفة أكثر من نفسه، فإن الصحيفة مختلفة أيضا. إعجاز باتالفي وإشفاق أحمدياكلان مجموعة الموز بالكامل في الصباح أثناء الإفطار، "الموز هناك كبير جدًا وحلو للغاية"، أشار شهاب إلى مرفقه ولم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الموز، وحتى شراء موز بورالينجار لم يكن واردًا بالنسبة لامرأة من الطبقة المتوسطة. ! جوز الهند الخام خام تمامًا، ونواته لا تزال غير صالحة من الداخل، ويتم تقطيعها من المنتصف ثم تبشر قليلاً بسكين على شكل منجل، يتحول جوز الهند كله إلى ماء رقيق، عصير حليبي حلو. "جيد؟ حليب جوز الهند سيكون لذيذًا جدًا."

و عندما رآه شهاب حزينة، و صمت و شعر أنه يمزح كثيرًا، وكيف أغيّر هذا العمل الى الحسن، و في عام ١٩٦٨ تعامل معاملة جيّدة.

وبعد فترة إستلمت بانو قدسية رسالة كانت عبارة عن دعوة لاجتماع رسمي، وعندما وصل إشفاق أحمد وقدسية بانو إلى منزل شهاب في إسلام آباد، اكتفى شهاب باطلاعه على مشاكل الممثلين والثقافة الحالية، وسيتم تشكيل لجنة، تشكل غدا لمراجعة الوضع. فيض سيكون رئيسا له، وأنت مدعو أيضا لهذا الاجتماع".^١

وقد بدأت التعويضات. في صباح اليوم التالي، عندما بدأ أخى شهاب بالذهاب إلى مكتبه، فقال لسائقه بصوت منخفض جدًا. "في الساعة العاشرة، عليك أن تأخذ بي بي إلى المبنى التعليمي، وتضع العلم على السيارة. «إن بالجبر كان الكرامة. لأن شهاب كان يترك العلم يرفرف أمام سيارته فقط وهو راكب فيها، حتى أنه لم يتقبل إصرار ابنه ثاقب على أن أفتح العلم. ويريد أن يؤدي دينا بالرح.

ثم تتحدث بانو قدسية عن وضع غرفة الاجتماعات، وتقول: "عندما وصلت غرفة الاجتماعات وهي تعجبت. لان هناك يجلس الأشخاص الكبار، و قال لها الموظف: انا خادم خاص بك، وهي تحيرت لهذا الشرف والتكريم، وفوجئت باللطف، حيث كانت تقشر البصل والبطاطس، جلست في غرفة مريحة مع الكثير من الأشخاص الكبار.

^١ مرد ابريشم ، ص ٣٩

استمرت المحادثات لمدة نصف ساعة، وبعدها أحنى شهاب عينيه، وجلس بكل تواضع على كرسي الرئيس، و قال: لا تترددوا في مشاركة أي اقتراحات قد تكون لديكم للفن والثقافة ولتحسين الوضع الحالي للفنانين.^١

لم يتكلم شهاب بعد هذه الجملة لأنه يؤمن بمقولة أن الصمت يجب أن يكون الخيار الأول، إذا كان من الممكن أن يكسب المرء عيشه من خلال الصمت، لأن الإنسان دائماً أمام خيارين: أن يتكلم وأن يصمت، والخيار الثاني أفضل من الأول.

تمت مناقشة العديد من القضايا خلال هذا الاجتماع، ثم تم تشكيل "اللجنة الدائمة للفن والثقافة" وكان فيض رئيسها، وتم اختيار بعض الأشخاص كممثلين لباكستان الشرقية، والبعض تم اختيارهم من غرب باكستان. في ذلك الوقت عندما كانت اللجنة مجتمعة قال شهاب بصوت منخفض: أقترح اسم بانو قدسية، وهكذا تم انتخابها في الاجتماع.

وعندما قام شهاب وخرج، وبعد ذلك سألت بانو قدسية فيض خوفاً: ماذا نفعل الآن.

و أجاب فيض: إننا سنزور بشاور ولاهور وكراتشي وداكا وحيدر آباد وغيرها، ونلتقي بالممثلين هناك، ونرى المجالس ثم نرفع تقريرنا إلى الحكومة. ثم سألت نفس السؤال لشهاب عند عودته لما كانت عائدة معه في السيارة.

"أخى شهاب ماذا ستفعل اللجنة الدائمة؟ ما هي أهدافها؟"

فابتسم شهاب ابتسامة خافتة وقال: "أنت تشناق بين أن تزور داکا، فعليك أن ترى. هذا هو هدفك في الوقت الحالي. وسيقوم فيض بالباقي."

"كان هناك شيء واحد مشترك بين أخى شهاب وإشفاق أحمد، فكلاهما كانا رجلين همين من لونهما الخاص، وربما كان هذا هو السبب وراء شعورهما بالراحة في صحبة بعضهما البعض، ولم يكن هم أخى شهاب مؤلماً. لم يبدو الأمر كذلك. لقد كانا كذلك". يخفون شيئاً عنك معتبرين أنك أقل شأناً أو يريدون الحفاظ على سرية حياتهم الشخصية، لكنهم اعتادوا قضاء الوقت في صمت غير ضار مثل طفل بريء

^١. مردابریشم، ص ٣٠

نائم، اسأل النساء عن أطفالهن. وعندما كان الشباب يتحدثون إليه، كانوا يستمعون إليه باهتمام كبير. شارك في كل محادثة بالصمت والتسامح والحد الأدنى من الكلام.^١

صمت إشفاق أحمد نتج عن التضاد، هم صامتون بطبعهم، لكن يتحدثون متخفين لكي يكسبوا قلوب الآخرين، حديثهم حجاب، و يمكنهم منع الآخرين من الاقتراب منهم كثيرًا بمساعدة هذه المحادثة، وبما أنني أقدر الخصوصية، لم ألق نظرة خاطفة من خلال ستائر إشفاق، ولم أرغب في لمس مصلى شهاب، ومن الممكن أن يكون كل من شهاب وإشفاق على يعرفون أسرارهما الخاصة لبعضهما البعض، لكن لا يمكن لأي طرف ثالث أن يعرف عنها، بما أنني أعرف شهاب بهاي وجهاً لوجه، فقد قام إشفاق أحمد خان بتسييج الحديث حول وجوده.

ولهذا ما عرفت حتى اليوم كيف؟ و لماذا؟ إشفاق أحمد وشهاب هما يعرفان بعضهما، وكان من عادة أخى شهاب أنه عندما يأتي إلى لاهور، فإنه يبقى دائماً في "داستان سرائ"، وإذا جاءوا بالسيارة، فلن يقرعوا الجرس أبداً. حتى لو وصلوا بالطائرة أو القطار، فلن يدق الجرس أبداً. وكان أثير خان يقرع الأجراس على عجل، فإذا كان السائق معه أظهر هذه العجلة، وجاء أخى شهاب في "داستان سرائ" لمدة خمسة عشر عاماً، لم أرهم يدخلون أبداً بعد قرع الجرس. إذا خرج حتى لعمل شخصي صغير أو للنزهة، فإنه كان دائماً يأخذ باب الشارع الطويل والجانبى في طريق عودته. يمشون ببطء، كانوا يصلون إلى باب الشرفة الخلفية، فإذا وجدوا الباب مفتوحاً يدخلون، وإلا كانوا يسيرون في الحديقة الداخلية، ثم عندما يأتي شخص فجأة إلى الشرفة، يفتح لهم الباب، وعندما تم فتح الباب، لم يشتكي أبداً من أنني أقف لمدة خمس ساعات، أين كنتم يا رفاق؟، أو أن الحرارة كانت شديدة وكان الأمر مؤلماً للغاية.

لم يجعل أخى شهاب نفسه مهمًا من خلال إظهار المعروف عن طريق إثقال كاهل أي شخص.

^١. مردابريشم، ص ٢٥

يأتي كبار السن بطريقة بسيطة ويذهبون على الفور إلى غرفهم، الغرفة الأولى المجاورة للبوابة الرئيسية لمنزلنا كانت مملوكة لأخى شهاب، وما زلنا نسميها غرفة أخى شهاب. يوجد في هذه الغرفة سجادة بنية اللون، وسريرين بسيطين باللون الأبيض، ومنضدة زينة بيضاء عمرها أربعون عامًا، يوجد عليها عادة علبة بودرة فارغة، وفرشاة شعر منسية للفتاة، ومزهية نحاسية صغيرة فارغة. اعتاد أخى شهاب أن يحتفظ بحقيبته الصغيرة المضغوطة على منضدة الزينة نفسها وفي البداية، لم يحضر منشفته الخاصة وبدلة النوم. ولكن بعد بعض الرحلات، ربما تعلموا أنه من الصعب العثور على المناشف النظيفة، لذلك بدأوا بإحضار المناشف الخاصة بهم مع القطع الخضراء من المرة التالية دون إخبارهم، احتفظ بحقيبة صغيرة على منضدة الزينة، وساعة منبه على الطاولة الصغيرة، وحقيبة ظهر بها ملابسه على السرير الاحتياطي. أخى شهاب عادة لا يحضر معه، وكان يُظهر للمضيف شرفًا عظيمًا بأن يطلب شيئًا تافهًا. كان لديهم كل الضروريات في أمتعتهم، وبابتسامة قلبية: "يسأل شهاب هل الحذا العام موجود؟"

وفي وصف روح الدعابة التي يتمتع بها شهاب، كتبت أن شهاب دخل المطبخ ذات يوم وقال: "يا إشفاق، كيف هذا شب شب؟" وتساءل إشفاق أحمد لماذا؟ ما حدث به؟

في الصباح عندما كنت أتوضأ سمعت صوت صرير، ظننت أنه فأر، ذهبت إلى غرفة النوم لكن الصوت لم يتوقف، فاكتشفت أن الصوت يأتي من هذا الحذاء.^١ وفي أحد الأيام، أثناء عودته من السوق، تحدث معي أخى شهاب: "سيدتي، إذا أمكن، لن أذهب إلى السوق مع إشفاق أحمد بعد اليوم. إنه يتحرك بسرعة كبيرة وأنا ببطء إنه مرهق للغاية وأنا في حيرة من أمري.."

"مهلا لماذا أخى شهاب؟"

اليوم ذهبنا لنشتري الأبريق، كل براعم الرمان، كل الإسكافيين جَوْلَتَا، لكننا لم نجد الأبريق.

^١ مردابريشم، ص ٥٠

سألت: "ألم تحصل على صنوبر رخيص الثمن؟

لو كنت أنا لاشتريته من أول محل وأعود إلى البيت، لكن زوجك رجل بحث. عندما كنت أعود إلى أحد المتاجر، كنت أملاًه بالماء وأرى تدفقه. وفي أحد المتاجر، كان يتنفس وفمه قريب من الصنوبر. لم يكن لون الغنيمة جيداً، وملمس الأخرى لم يكن جيداً، فرجعنا دون شراء؟^١

عندما ينزل أخى شهاب إلى الغرفة "كاساني"، بعد ذلك يأتي الجميع ويخرجون بهدوء من تلك الغرفة، ولم يكن لديه أي حصة. لم يمنعوا من إحداث ضجيج، لكن عندما كانوا في غرفة كاساني الخاصة، كانت الأصوات تهدأ تلقائياً، وكانت الفتيات يضحكن ويتوقفن ويسألن: هل العم شهاب بالداخل؟ فكان الشباب يرتنون على أكتاف بعضهم ويقولون: تعال نخرج عم شهاب نائم.

كان أخى شهاب يطلب بعض الضروريات الصغيرة، لكنه لم يطلب منبهًا أبداً، بل كان معه في كل رحلة. وفي الساعة الأخيرة من الليل، قبل التهجد بقليل، يسمع صوت طنين خفيف، ثم يتوقف فجأة، وبعد ذلك لا أعرف كيف سيكون التعامل اليومي. ولكن قبل شروق الشمس بوقت طويل كانوا يذهبون في نزهة على الأقدام. في هذه النزهة، صنع أنيق خان له مظلة كبيرة ليأخذها معه لأن الكلاب الضالة في جادل تاون كانت مضطربة ومعقدة اللسان، ولم يصبر على اتخاذ أي احتياطات عند تعليقها في صندوق المصاهر؛ "لقد اعتادوا على تنظيم احتياجاتهم طوال الليل؛ كانوا يستيقظون في الصباح، ويسرون عبر الشرفة، ويفتحون قفل البوابة السوداء، ويخرجون في نزهة على الأقدام.^٢

كان أخى شهاب يعاني من الذبحة الصدرية، وكان يعاني من مرض السكري منذ سنوات، وتضررت جميع الأعصاب في إحدى ساقيه. ولم يحصل أخى شهاب على العلاج أيضاً لأنه كان مؤمناً بهذا الإجراء. ولم يكونوا ليذهبوا إلى "لندن" لأنها كانت متسامحة وأفضل هناك. لقد كان مجرد واحد من أولئك الذين آمنوا ولم يرغبوا في تجاوز

^١. مردابريثم، ص ٥٥

^٢. نفس المصدر، ص ٦٠

الحدود الموضوعية في مسألة العلاج، فإذا كان لشيوخهم دواء للمرض، كانوا حاضرين أيضاً للعلاج، أولاً، استمر الطبيب الذي التقوا به في لندن أيام بن بوس في ترتيب ذلك. وظل يطيع أوامر الأطباء دون أن يثق بهم، وكان أحدهم يمشي. أخى شهاب لم يكن يحب المشي؛ وفي اليوم الذي أمطر فيه الرعد أو ريح، كان سعيداً جداً في الصباح ويغادر غرفته قائلاً لقد عطلة الخردل اليوم".

لا يعني ذلك أنهم اعتادوا السفر بهذه الوجبات، ولم يفعل أي شيء بسبب إيمانه. وكان يتعامل مع التصرفات غير المرغوب فيها بمرح عند الحاجة، وكان لديه صندوق دائري أزرق اللون. عندما يعود من المشي كان يذهب إلى غرفته، ويضع في هذا الصندوق حبوباً حمراء وبرتقالية وبيضاء وبنية مختلفة الأنواع، ويلتقط الصندوق بعناية ويأتي إلى المطبخ. لقد فوجئنا برؤية هذه الأقراص، وفي كثير من الأحيان كانوا يتجاهلون دهشتنا، ولكن في بعض الأحيان كانوا يقولون. "هذه أنواع مختلفة من الحبوب. بعضها للذبحة الصدرية، والبعض الآخر لحذر الساق، والبعض الآخر لمرض السكري.

هل تثق بهذه الأدوية يا أخى شهاب؟" سألت بانو قدسية.

الطبيب يعرف أفضل منا، على الأقل فيما يتعلق بالعلاج الذي يجب أن نثق به. وبعد ذلك إذا أصيبوا بالمرض، فلا ينبغي لنا أن نتجاوز الحد. لم أسمع قط أخى شهاب يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد كان يشعر بغيرة شديدة من هذه الطبقة وحتى عندما سمع ذكره شعر بالخجل. إذا تم ذكر يظهر العرق على جبهة، فمن المؤكد أن جبهته سوف تتوهج. يبدو كما لو أن الستار قد كشف.

عند عودته من المشي، عادة ما يكون مصحوباً ببعض الأحداث الصغيرة التي حدثت له أثناء دراسة الطبيعة. أسماء المنازل، غسل الغاتس، مشاة آخرون تم العثور عليهم على الطريق، الجلاب يحملون الحليب، شباب يوزعون الصحف، ركوب سيارات الأجرة أو السيارات في الصباح الباكر في بعض المنازل، أي صنبور مفتوح على الطرق وتقريباً الطيور تخلق مرة أخرى من حواجز جميع المنازل المغلقة البوابات ومصاييح الشوارع طويلة الاشتعال. وكان يلتقط شيئاً من هذا الهواء ويأتي به إلينا.

وكانت ملاحظته حادة للغاية، لدرجة أنه مع كل مشهد جديد كان يمزج بين الخبرة القديمة والمحادثة المبهجة والمرحة بحيث يتطهر القلب في الصباح من كل شوائب. يبدأ بالكلام. "إشفاق" إذا انعطفت من منزلك يميناً وبدأت المشي، ستجد حضانة بالقرب من المعبر الأول، بعد بضع مئات من الخطوات على هذا الطريق يوجد منزل مسكون. واليوم رأيت أمامها بائع حليب يخلط الماء مع الحليب من حنفية اللجنة. بعد إضافة الماء إلى الحليب، يُسكب الحليب المختلط في راحة اليد ويتم تذوقه بكل سرور.^١

سيكون على وجه أخى شهاب ابتسامة ماكرة قليلاً، وتدقيق الكاتب العميق. على طول الطريق، كانوا يقطفون لنا هذه الزهور ويصبح كل مشهد لها حدثاً بالنسبة لنا. في البداية، لم أكن معتاداً على حديث أخى شهاب. لأنه لم يكن يمتلك التألق و الفكاهة مثل اشفاق، ولكن تدريجياً أصبح وقت الشاي هذا الصباح هو الوقت، الذي نتشارك فيه أنا وخان أخى شهاب تماماً، ونستمع إليه ونجلس بشكل مريح تحت مظلة بركاته ونشعر بالراحة في عيش الحياة.

التحدث مع أخى شهاب الذي بدأ يشعر بالنعومة واللذة، هذه أمور لاحقة بكثير. كانت هناك أوقات اعتدت فيها، مغادرة قاعة الشرف، لكنني ظلت أبكي من الداخل، كان هذا هو الوقت الذي يجلس فيه إشفاق أحمد واضعاً قدم أخى شهاب بين يديه، وينظر إلى أظافره بنظارته، والسبب هو أن المسامير التي نمت في إبهام أخى شهاب كانت غير منتظمة لدرجة أنها بدلاً من أن تخرج بشكل مستقيم، انقلبت إلى الداخل وعلقت في الجسد. كان إشفاق يقص هذه المسامير بوهم كبير، مثل فتاة تلبس دمية، يقول أخى شهاب بامتنان كبير. "عزيزي إشفاق، منذ أن أصبحت أخصائي العناية بالأقدام، أصبحت مرتاحاً للغاية، وإلا كان علي الانتظار حتى أتمكن من الذهاب إلى لندن". استمر أخى شهاب في قص أظافره، واستمر إشفاق أحمد في قص أظافره وكنت أفكر خارج الغرفة، هل هذه العملية مهمة؟^٢

^١. مردابريشيم، ص ٦٥

^٢. مردابريشيم، ص ٦٨

عندما يذهب أخى شهاب إلى غرفته في "كاساني" بعد سوخي، كنت أقول لـ خان :
 "لقد سمعت أن هناك أخصائي باديكير مؤهل يجلس فوق باتا. لماذا لا تأخذ أخى
 شهاب إلى هناك؟" عندما تنحني وتجلس عند أقدامهم هكذا يؤمني كثيراً. قال
 إشفاق أحمد في مقاطعة: "أنت لا تعلم، جلد شهاب ناعم جداً وأظافره قاسية جداً.
 وبمجرد قص المسامير، أخذ أخى شهاب نفساً عميقاً، بعد صمت قليل، قال:
 "إشفاق، أنت لا تعرف شيئاً عن الحياة، ألا تعلم أنه يجب أن نتشاجر معك ونوقف
 حديثنا". ولكن طلي صديقي هو ألا أتوقف عن قص أظافري، ثم لم أوافق على فعل
 إشفاق أحمد هذا، فتوقفت عن البقاء في تلك الغرفة، ثم بعد مرور الوقت، عندما
 انفتحت بعض الأبعاد الأخرى، وبعد رفع الستائر، تغير موقفى بالكامل. الآن،
 عندما عاد إشفاق أحمد إلى إسلام أباد، كنت أسأل: "إشفاق، هل يجب أن أحتفظ
 بمجموعة أدوات قص الأظافر معي؟" عندما جاء أخى شهاب إلى لاهور، كنت
 أقول، "إشفاق أحمد اطلب من أخى شهاب ألا يقص أظافرك". عندما كان إشفاق
 أحمد يقص أظافره، ما زلت أقول: "هذا القاطع بدون الفائدة على الإطلاق، يبدو
 قوياً جداً يا إشفاق، من فضلك أخبر جاويد طارق أنه يخرج ويحضر قاطع
 مناسب."^١

"چندن کا پیڑ" ("شجرة الصندل")

شجرة الصندل مقالة كتبها إشفاق أحمد، ذكرتها بانو قدسية في كتابها مرد "أبريشم"،
 وفيه يكتب إشفاق أحمد: أنه يجب أن يقال له دون أي خجل أو ادعاء في القول إنه
 خليفة قدرة الله شهاب، وقد ذكر بالإيضاح بالكلمات أن "إشفاق أحمد هو خيلفتي
 وأنا أقبله خيلفتي وأنا". ادعو له. "ثم خاطب زوجتي وقال: إني لإشفاق أحمد وأدعوا
 لعائلته وسأسأل الله أن يتقبل صلاتي ويرزق أهله خيراً كثيراً. فلما انتهت الصلاة
 أخذتني زوجتي جانباً وقالت: الآن احفظ هذا السر ولا تبخ به لأحد، والسبب في
 ذلك أن إشفاق أحمد يروي أن زوجته بانو قدسية وممتاز مفتي كانا يملان منذ البداية
 بقدرة الله شهاب، وهو ما ذكرته بانو قدسية أيضاً بالتفصيل التي بينت قبل

^١. مرد ابريشم، ص ٤٩

ذلك. وإشفاق أحمد كان يسمى بقدرة الله، وكانا لا بد لهما يقابلان معابلاً خفاء. والسبب في ذلك أن إشفاق أحمد يقول إن بانو قدسية كانت تخاف إذا رأت الناس أن يحتقروا الضباط، ويقولوا إن هؤلاء الناس لم يصنعوا حياتهم بجهودهم الخاصة، بل بسبب تأثير الضباط. وكانت الصعوبة أن شهاب لم يكن مجرد ضابط بل ضابط كبير جداً وإلى حد ما كان الأعظم لأن رئيس الدولة سيأتي بعده مباشرة، وحينها تنتهي حدود ملكوت الله، طلبت قدسية: أولاً دع شهاب يتقاعد، وأجعله يصبح شخصاً لا معنى له ولا فائدة منه، وبعد ذلك نتوجه إليه. لكن على الرغم من كل هذا، كان إشفاق أحمد سعيداً لأنه حصل على متسع من الوقت للقاء شهاب، وأن لديه الحرية الكاملة في التحرك. ثم يقول إشفاق أحمد أن كل عمله كان من صنع البشر، مثلاً.

كنت أعامل دائماً من قبل الإنسان عندما كنت مريضاً. مع الاحترام، كان الشخص الشرير يجلب البركات دائماً من خلال التقاطها وغسلها وتقطيعها وتزيينها، فلما أراد الله أن يسرني صفق من الناس، ولما أردت السفر جعلت خادماً لي طياراً، وعندما كنت بحاجة إلى المال، أحضر لي موظف الرواتب المال. وكانت مضيفات الطيران تقدم لي دائماً عصير الليمون، وكانت الخادمة تقرأ لي قصائد ميان محمد صاحب. وكان يصلني بفضله ونعمته دائماً من خلال معرفة الإنسان، ولكن شهاب كان مختلفاً جداً عن كل هؤلاء العبيد وكل هؤلاء الرجال.^١

وكان شهاب نعمة بنفسه و شرفه في حد ذاتها، ولم يقل إشفاق أحمد صاحب هذا الكلام في إشارة إلى أي المرشد أو الصوفي؛ بل من جهة الدنيا المحضة قال إن قرب شهاب هو إقامة الخير، ومصاحبته ارتباط بجميع أنواع المنافع. وكان إشفاق أحمد سيكون سعيداً جداً لو تم نشره في الصحف، أو علم الناس بمدى استفادة أصدقاء شهاب من حياته. لأنه يكتب: "في الواقع، من كان صديقه كان محظوظاً، ومن كان قريباً منه كان غنياً. لقد استفدنا منه طوال حياتنا، فوائده كثيرة لا يمكن لأحد أن يأخذها من رجل آخر. المال والثروة." لا تقلقوا فنحن ناس قريبين جداً، من مر بجانبه أو حتى فكر فيه دمرت حياته. ثم يكتب عن تغير موقف بانو قدسية، ويكتب

^١ مرداب ريشم، ص ٨٥

أنه لا يتذكر متى وفي أي وقت وفي أي مكان تغيرت فكرتها بانو قدسية، لكنه يتذكر ذلك الصباح الشتوي جيداً، فقال قدسية بعناد: "سوف توافق على أحد كلامي." ثم شعرت بالخوف قليلاً، وقالت: "لا تنادي أخي شهاب بقول "أنت" و"أنت". وإذا كان عليك أن تقول ذلك، افعل ذلك ولكن لاتقل أمامي".^١

"كانت السيدة تجلس أبنائها الثلاثة على أريكة طويلة، وتجلس هي نفسها على السجادة بالأسفل وتقول: انظر يا بني، لا يمكننا أن نصبح مثل البالغين. لأن الأمر لم يتقرر لنا. يمكنك بالتأكيد العيش بالقرب منهم، يمكنك بالتأكيد أن تأتي ضمن نطاقهم. يمكنك أن تصبح عُمالهم. لذلك يا أطفالي الأعزاء، عندما يأتي أخي شهاب، ابقوا بالقرب منهم. لا تخرجوا من المنزل، إذا ذهبتم، عودوا قريباً إذا كنت لا تستطيع أن تكون قريباً جداً، فابق تحت نفس السقف؛ ماذا تحاول؟

أخي شهاب له وجه كشجرة الصندل، وله ظل ورائحة، فهو دواء وشفاء كن حوله استفد من قربه كن جزءاً. الأطفال يسألون الام تقول طيب؟؟ أقول: " ماذا أعرف؟" أنت تعرف وأمك تعرف، ولكن إذا كان لديك الكثير من الشكوك، فلماذا تبقى في المنزل كثيراً عندما يأتي عم شهاب، أليس أصدقائك أصدقاء؟ ألا تعملين كالسابق؟ هل تتلاشى كل أضواء معارفك؟" لكنني أعتقد أن الأطفال يتأثرون بالأمهات أكثر من الآباء.

ثم في المقال الذي كتبه إشفاق أحمد كلام طويل عن قضم أظافر شهاب، أن شهاب كان مريضاً بالسكر وكانت أظافر قدميه تغوص في اللحم، إشفاق أحمد كان يقص أظافره، وبانو قدسية لم يعجبها هذا. وقد ذكر ذلك بالتفصيل.^٢

"في ٢٣ يوليو، أبلغتني ابنة أخته "كدي" عبر الهاتف أن "عمها" لا يستطيع المشي جيداً. يجب أن تأتي قريباً". بدأت في صنع مستحضرات جديدة عن طريق غلي المكونات جيداً ثم لفها في مادة سيفلون، جاء شهيد خان وأخبره أنه لا يوجد مقعد في الطائرة. الرقم ١٨ موجود أيضاً عند الطلب، لذا عليك الذهاب إلى السيارة

^١. مردابريشم ص ٨٥

^٢. مردابريشم، ص ٨٤

والمغادرة في الصباح. عندما خرجت في الصباح بالسيارة، كان هناك حشد كبير من الناس عند بوابة منزل شهاب في إسلام آباد؛ على العشب كان هناك قماش كبير. وكان بعض الناس واقفين. وكان البعض يجلس. كان البعض يخرج من المحركات. جاء جودي وعانقني وقال "عمي تعال، ويأخذك إلى عمتي، إنها في غرفتها وهي مستلقية. كنت أقف عند قدميها مع مجموعتي وموافقتي وموافقتها". حتى لوخرجنا في الصباح مبكرا مع بعضنا البعض. وهناك إذا افترقنا وأصبحنا أعداء لبعضنا البعض، سأظل خليفته وأقص أظافره بنفس الطريقة.

التقطت مجموعتي وقلت "قص المسامير" لكنه لم يفعل. قلت مرة أخرى: "إذا لم تقطع أظافرك، فعلى الأقل قم برمل الزوايا". لكنه أيضا لم يجيب على سؤالي. وضعت الأشياء في غرفته وخرجت، وجلست تحت المظلة حيث كان الناس يتجمعون ببطء. وبعد ذلك قالت بانو قدسية: لا بد أنك أدركت ذلك بعد قراءة هذا المقال انتم تعرف ماذا لكم ونوع الحب الذي كان في قلب إشفاق أحمد لأخي شهاب.^١

لم يكن أخي شهاب بحاجة إلى شريك، فقد أحب حريته كثيرا، و كان غامضاً، ولذلك لم يعرفوا أسرارهم حد، ولم يفرحوا بكشف أسرار أحد. فإذا جلس أمامهم أحد يتعاطف دون أن يعرف السبب، ولم يكونوا بحاجة إلى الإمساك بجبل شخص ما، أو جعل شخص ما أقل شأنا أو إثبات أنهم أخف منهم. في المكاتب الحكومية، أينما كان بإمكانه مساعدة شخص ما، كتب كيو-يو شهاب وساعد. كلما احتاج شخص ما إلى المال، كتب كيو-يو شهاب على الحوالة المالية وأرسل المال. إذا توفي شخص ما، كان حذف كيو-يو معه حتى يتمكن لن يتم التقليل من سمعة المتوفى. وعندما ذهبوا للزيارة تركوا كيو شهاب في المنزل حتى لا يחדش شمعة المريض. وعندما انخرط في هياج حفل الزفاف، جلس في الزاوية وسلم كيو شهاب إلى شخص مجهول، خوفاً من أن يقع عبء الترفيه على عاتق الأسرة، غادر طوكيو-يوشهاب جالسا بين الأصدقاء ليروي قصة أسفاره وعمله وقصص طفولته من أجل مآدبة الأصدقاء، لم يتم تخويف الشباب أبداً من قبل كيو يو شهاب. حتى الخدم لا يخافون من هذا

^١. مردابريثم، ص ٩٠.

الرجل العظيم، لم تعلم النساء الفقيرات أن كيو يو شهاب كان ضابطاً مخيفاً. كل هذا لأنه باستقلاله لم ينزع استقلالية أحد، أخى شهاب لم يرد أن يأخذ مقعداً في قلب أحد، لأن هناك شرط البقاء بعد الهبوط، وهو لم يحقق هذا الشرط، أحب حريته، وبما أنني لم أتمكن من التعرف على أخى شهاب من خلال الفنيّة، فقد بدأت في فحص عاداته بعناية، كما تضمن إصرار بعض مفتي. كان يقول: "أنا أعمل شهاب بصري، أنت كمان ما رائى في هذا؟ وأى شىء ما يراد؟ وما نيته؟"

على أية حال، لم يكن هناك سبب للتعاطف مع أخى شهاب، لذلك لم أتعرف عليه إلا من خلال الاعمال اليومية، في الصباح كنت أحمله وأطبخه. وأدت هذه الاعمال اليومية إلى محادثة خفيفة وقلة الوصول إليهم.

اعتاد أخى شهاب على تناول وجبة إفطار خفيفة للغاية لفترة من الوقت، لكن في طبيعتي هناك إصرار كبير على التغذية، أنا معتاد على مقاطعة ضيفي. ربما لا أستطيع التفكير في طريقة أفضل للتميز في اللعبة، لا أستطيع التفكير في طريقة أفضل لتحميل عبء شخص ما من ذلك. إصرار، إصرار، معرض، معرض - أظهر، أظهر، أظهر، الأنا، الأنا، أحياناً بطريقة خجولة، وأحياناً بطريقة خجولة، ولكن دائماً مع الرحمة. في المرة الأولى التي طبخت فيها لأخى شهاب ووضعتها أمامه مع العسل والجبن، ابتسم ورفع كلتا يديه وقال بهدوء: هذا كثير، لكن عندما يرتفع دخن عمتي، فهذا معقول. والغير معقول يكتسح كليهما.

لم يضيع أخى شهاب عمل أحد، إذا طلب الماء البارد وأحضر ثلاثة رجال أكواباً من الماء المثلج، كان يضع الكؤوس الثلاثة ويشرب ببطء بعض الكؤوس الثلاثة بحيث إذا كانت فارغة، فإن الثلاثة جميعاً و إذا كانت ممتلئة، فالثلاثة في نفس المستوى. وعندما جاء الراوي للمرة الأخيرة، في الصباح، أخرج الحبوب من العلبة الزرقاء ووضعها على ربع الطبق، وقال: "هذه آخر مرة أتناول فيها شيئاً مطبوخاً في منزل".^١

^١. مردابريشم، ص ٩٦

قال وهو يشعر بقلقنا: "لا، لا يوجد شيء مميز. عندما تبلغ الخمسين من عمرك، يجب أن تتخلى عن بعض الطعام الجيد كل عام. وعندما أعود مرة أخرى، لن أكل أي شيء مطبوخ، فقط الفواكه."

في ذلك اليوم كنت أخشى أن الشخص الذي يأكل حساء الخضار وبذور الخشخاش ربما لن يبقى بيننا، لكنه ظل يخطط للذهاب إلى لندن بلا هوادة حتى أن هذا الخوف البسيط اختفى بسرعة.

كان أخي شهاب يرغب كثيرًا بالفواكه. قبل أن يشربوا كوبًا من الشاي، كانوا يرغبون في تناول البطيخ والمango والتفاح وأي فاكهة في موسمها، ولكن إذا لم تكن الفاكهة متوفرة، فإنهم لا يسأل. في أحد الأيام قالوا: "عندما اكملت الكلية وذهبت إلى لندن، عرفت أن الرجل الإنجليزي يجب أن يأكل الفاكهة مع الشاي، لذلك اعتدت على تناول الفاكهة كاملاً."^١

ربما كان غطاءً استخدموه لإخفاء الأعمال اليومية. وقد فتح الله لهم أبواب البركات الدنيوية والدينية، وعلموا أن الله يصلي على من يشاء ويترد من يشاء. كل شيء يأتي بالخط، ولكن كان من الطبيعي بالنسبة له أن يقضي الليل كله في العبادة بينما يجتهد في الحفاظ على إخلاصه. لهذا السبب.. مشروبات الفاكهة الباردة 'المياه المثلجة' كان الماء بالليمون يشربها بشغف كبير. وكان جسده كله مليئًا بذكر الله، ولكي يبرده كان يمشي ببطء ويتكلم ببرود ويشرب الماء البارد.^٢

كان أخي شهاب يحب الاعتدال في كل الأمور وكان يأكل المخلط بالعدس والأرز والإدام والخضروات والفواكه بشغف، وهذا لا يعني أنهم لا يحبون اللحوم، ولكن يعني أن كل ما يوضع أمامهم أصبح المفضل لديهم، وإذا كثر الملح لا يتكلمون. ولو كان أقل لم يسألوا. لم أرهم يرشون الملح على أي طعام. كانوا يصرون على اختيارهم في شيء واحد فقط، يقولون "الماء البارد" مع الكثير من العناد والنذر، وحتى إذا جاء الماء يشربونه مرتاحين، لا يتذمرون ولا يطلبون الثلج. ولم يستخدم الألوان البراقة أبدًا.

^١ . مرد ابريشم ص ٩٧

^٢ . مرد ابريشم، ص ١٠٣

لكنه كان يرتدي أيضاً رداءً أحمر أرجوانياً، كان يرتديه بعناية فائقة ويجلس بيننا جميعاً، تطلبت الحياة الوظيفية لأخي شهاب وتطوره أن يرتدي ملابس جيدة. لكنهم لم يبحثوا أبداً ويناقدوا الفستان. ملابس مكوية متجمدة ومعلقة على الشماعات، وأظرف صرير تعود من المغسلة تفوح منها رائحة العطور، ملابس تفتقر إلى صنعة الذات وحب الذات. مثل أي رجل إنجليزي، كان يرتدي فستاناً أنيقاً كبيراً، وحذاءه مريحاً، وربطات العنق، والجوارب، والمناديل، والقفازات تبدو باهظة الثمن وتناسب مع الفستان، لكن هذه الأشياء لن تظهر أي أبهة، إن إثارة إعجاب شخص ما لا يعني تسليط الضوء على نفسه. منذ عشرة أو اثني عشرة سنة بدأ يرتدي سروال وقميص. بعد دقائق من تقاعده، بعد نزهة صباحية، كان يخلع حذاءه وقميصه وسرواله، ويقضي اليوم كله في سروال - قميص. ولكن لم يكن أي من اللباس الأنيق سبباً للاحترام، ولم تكن بساطة الشالوار قميص تعبيراً عن الفقر؛ ومن الصعب وضع شخصية شهاب على الورق لأنه لم يفعل أي شيء من أجل إظهارها لأي شخص؛

ثم كان يحترم الآخرين و يهتم بهم عادة على تقديم طلبات صغيرة.^١

في الساعات الأولى من الصباح، في "الغرفة كاسني" أن يرى خطأ صغيراً من الضوء عبر الشق السفلي لباب الغرفة المغلق. وفي وقت قيام الليل تسقط نافذة من ضوء نافذة حمامه على الجدار الجانبي. ولكن لا يمكن سماع صوت الماء ولا أي نوع آخر من الحفيف. بعض الناس إذا استيقظوا يعادون نوم الآخرين و يذكرون الله بصوت عالي. السفن تسير بسرعة. يستيقظ الأطفال بعد سماع دفقة الماء الرهيبة الناتجة عن غسل أيديهم والوضوء. كانت الأمهات مضطربات. لكن لم يسمع أحد قط منبه ساعة أخي شهاب.

ويشرفني أداء العمرة معهم؛ كنا نعيش أنا وأخي شهاب وخان في نفس الغرفة، وكان أخي شهاب يذهب إلى الكعبة كل ليلة، في الليل، كانوا يضبطون المنبه خلصة ولا نعرف متى يستيقظون ويطفئون المنبه بذلك لم نستيقظ منه ولو مرة واحدة في حياتنا

^١. مردابريشم، ص ١١٠

كلها، كنا ننام وبعد صلاة الفجر كان يملأ الثُرس بالشاي ويحضره لنا ثم يجدنا مستيقظين. حدث اليوم أمام الحرم الشريف أن بدوي.

عرف أخي شهاب أن النساء اللاتي يعشن في المنزل في المدن يشعن بالملل بسبب العيش في نفس البيئة، ولديهم القليل من الاتصال بالعالم الخارجي، لذلك بمجرد دخولهم المنزل، فإنهم يشملوني وأمي وأي امرأة أخرى في المنزل في تجربتهم. كان أخي شهاب وإشفاق أحمد يذهبان إلى المكتب بعد الإفطار ونادرا ما يتناولان العشاء في المنزل.^١

مجلس الأوردية المركزية، الذي أصبح فيما بعد مجلس العلوم الأردنية، هو المكان الذي اعتاد أخي شهاب أن يأكل فيه السلطة والخبز مع إشفاق أحمد في فترة ما بعد الظهر، وكان يحظى بإشادة كبيرة.

"يا صديقي، يجب أن يكون هذا الغداء شائعاً في باكستان. قليل من السلطة المختلطة. لكن به مشكلة. فهو يُهضم بسرعة كبيرة.

عادةً ما يعود أخي شهاب وإشفاق أحمد إلى المنزل قبل صلاة العصر بقليل. ومن خلال فتح البوابة الكبيرة، عند دخوله، كان يُشرك أفراد الأسرة في يومهم باهتمام كبير. ولكن من أجل ذلك قضيت وقتاً ممتعاً ثم كتبت إلى خالد زهري وهايدي. في فترة ما بعد الظهر ذهبنا إلى طريق بادن، واشترينا فواكه جافة. لكن أشفق أكل المزيد من الكاجو واللوز بنفسه، وأعطاني كميات أقل من الفول السوداني، وأكل قليلاً وأطعمني كثير، ووقع على وشاحه. لم يتعرف علي وإلا لكان قد وقع علي أيضاً"^٢.

وقبل وقت طويل من صلاة العصر وتناول الشاي، كان يروي اجتماعات العمل اليومية بروح الدعابة الخفيفة بحيث لم يكن هناك أي شعور بالاستبعاد. تمامًا مثل مشاهدة مباراة كريكييت على شاشة التلفزيون، تشعر أنك مع كل لاعب كريكييت، وبالمثل كان أخي شهاب يروي مذكرات اليوم كما لو كنا مع كليهما.

^١. مردابریشم ص ١١٥

^٢. مردابریشم ص ١١٦

في الواقع، لا يمكن أبداً استبعاد أخى شهاب. عندما التقى شخص ما، انضم إليهم بهدوء. إذا كان ذلك في منتصف القصة، كان أخى شهاب يروي القصة السابقة باهتمام كامل، وإذا كان ذلك في منتصف الوجبة، كان أخى شهاب يبطئ سرعة تناول الطعام حتى ينتهي الطعام مع الشخص القادم. ولا أعرف كيف كانت الطريقة التي عاش بها أخى شهاب مخالطاً مع الجميع وظل منعزلاً عن الجميع. ربما كان يقصد ذلك "كنا قريين من الجميع وبعيدين عن الجميع".^١

لسنوات عديدة بعد العصر، أثناء احتساء الشاي الخفيف، كان أخى شهاب وخان يخرجان للقاء أحدهما أو الآخر، وعند عودتهما، كانا يتناولان العشاء وبعد ذلك كان أخى شهاب يتقاعد في غرفته. بدأ روتين اللقاء في المساء بعد ذلك بكثير، وبدأت هذه اللقاءات تحدث بسبب عفت، ولم يخبرني صاحب بهذا إلا وغادر إلى المطار مع السائق. واستغربت عندما نزلت عفت في المشاوير. لقد كانت امرأة ممتلئة الجسم ذات جسم ممتلئ. لكن المرأة نزلت بمساعدة درازين الدرج. بعد ذلك تذكر بانو قدسية زوجة شهاب مرض عفت مطولاً وكيف اعتنى بها شهاب أثناء مرضها وكيف بعد وفاتها انكسر شهاب لأنه في قلبه ما أحلى الحب الوثاق لساكيب وعلى الرغم من غبائه كان يكتب لافتات قصائد شعرية، وبدأ بالبكاء، ثم أخذها إلى لندن للعلاج، لكنه لم يكن يعلم أن إفتاء لن تعود من لندن. ثم تذكر رسالة شهاب التي كتبها إلى إشفاق أحمد أحمد من لندن، وأخبر فيها أنه عندما وصل إلى لندن كانت عفت في غيبوبة، وفي اليوم السادس حدثت معجزة وفتحت عينيها وساقب وشهاب. وهي الآن في تحسن وقبل مجيئهم إلى هنا لم يكن لديهم أدنى فكرة عن مدى مرضها وطلبوا من أمي الدعاء، وأصبحنا متفائلين وشعرنا أنها ستنجو. ثم في يوليو جاءت رسالة يقول فيها شهاب إن عفت قد ماتت، في هذه الرسالة ظهر عجز شهاب واضحاً، لا يتحدثان عن بعضهما، سيكون سرا منفصلين، لم يكن لدي أي فكرة أنها ستخلق مثل هذه الفجوة الكبيرة في حياتنا.^٢

^١ .مرد ابريشم ص ١١٨

^٢ . مرد ابريشم ص ١١٨

"فجأة بعد رحيل عفت، تغير موقف خان تجاه أخي شهاب. هناك عيب كبير في خان. فهو لا يريد أن يشارك برامجه، ونواياه، وحياته الشخصية الخاصة مع أي روح أخرى. ساعدهم وسوف يكونون كذلك". آسف إذا انتشر الخبر. حتى لو وقعوا في حب شخص ما وكشفوا السر، سيقون متحفظين.

إذا فتح المرء مجلة برتقالية من بريده، أو مطروفاً طويلاً أو صحيفة أمسينتي من بلاط إدارة خدمات المعلومات الأمريكية، وجدها مفتوحة في أيدي أخرى، فسوف تتدهور صحته. خان يكره حفلات أعياد الميلاد وطقوس الحناء والأحضان والوعود ورسائل التهئة الصاخبة والتلويح بالوداع وتبادل الأوشحة مع الأصدقاء والمنازل المزينة ببذخ والنساء الجذابات. خان كوفي اسم قديس، نساء يزينن كثيراً سرّاً، بدون شكر، أشخاص يتلقون الهدايا، أشخاص يخفون ذكاءهم وكلامهم، ملابس بسيطة، طعام بسيط، بدون زخارف صناعية، يحبون الكرباسي على الشخص الذي يعيش في المنزل وبعد العيش مع خان لفترة من الوقت، اتضح أن هذه الحياة السرية جاءت في الواقع من جيناته. عندما سكن أجدادهم في الجبال الصفراء الصخرية، وكانت الصداقة زائلة والعداوة أبدية، كانت الأمهات قد وهبن أطفالهن هدية الشرف التي لا تقدر بثمن بدمائهن، وهذا الشرف المتزايد، وهو الوصفة الوحيدة لحماية بائنان، موجود بكثرة في دماء خان، ويمكنه بسهولة مناقشة السياسة والثقافة والإسلام والتعليم وجميع هذه المواضيع التي لا تمس جوهر أنفسه، لكنه لا يستطيع تحمل أكبر مخاطرة في الحياة من خلال إعطائك فكرة عن هويته، وهكذا يصبح إشفاق أحمد أحمد غير آمن. هناك صينيتان بلاستيكيتان صغيرتان في خزانة ملابسها، وثلاثة صناديق أخرى في نفس الخزانة في عهدة خان. شريط كاميرا يسجل الهواتف المحمولة القديمة و الميكر وفونات وما إلى ذلك. بصرف النظر عن هاتين الشجرتين الفوتوغرافيتين الصفراوين، وتذاكر خطوط باكستانية العالمية القديمة، والنظارات التي لا يمكن للمرء أن يرى بها أي شيء بعيداً أو قريباً، وجوز التنبول المحروق، وعشرين قطعة نقدية متعفنة، ونظارات قديمة بها أرقام غير دقيقة، وأواني حبر جافة. تلك التي لم تعمل، الدراجات البخارية ومفاتيحها التي تم بيعها، بطاقات الزيارة التي كانت مخصصة للقاء أصحابها

يومًا ما، سرير مفتي، صندوق بريد أنيس خان، الحصى الملتقط من حول الكعبة، مندبل مزهر لشخص ما، مرهم، علبة دقيق، لمبة فتيل. عالم يسكن هنا في هذه الخزانة، مغطى بالغبار، مخفي عن الأنظار، هناك صفحات كثيرة من حياة خان السرية، والتي قد لا يفسرها شخص خارجي، لكن خان يتلاعب أحيانًا بنظرة واحدة، وأحيانًا على بحيرة سيف آل. مولوك، في بعض الأحيان يمكنهم رؤية أوصلو وأحيانًا شنغهاي. هذه محطات موكب ذكرياته لا يفهمها أحد، لهذا السبب عندما أريد تنظيف خزانته، فإنهم يكون مثل الأطفال ويقولون، "المنزل بأكمله ينتظر مجرودك، إذا غادرت هذه الزاوية، أي نوع من نهاية العالم سيأتي."^١

خان، الذي أخفى هويته، استطاع أن يخفي مشاعره الداخلية أكثر بعد رحيل عفت، والآن بدأوا بالذهاب إلى إسلام آباد دون أي فرصة، في بعض الأحيان كان هناك اتفاق للذهاب إلى إسلام آباد مرتين في الأسبوع. لكن لو قال أحدهم أنك ستقابل شهابي، لكان خان سيغضب بمجرد كشف السر، كل رحلة يجب أن تكون مرتبطة باجتماع رسمي، الترتيب سيكون في الفندق.

مثل خان، كان أخى شهاب أيضًا يكره كشف الأسرار، وكانت حياته أيضًا مستمرة في الخفاء لسنوات، لكن بعد رحيل عفت، لا أعرف من هو ساراز، ومن لفت انتباهه، حتى أنه بدأ يسلم حياته، وبيته، وغرفته، وصلواته، وأقدميته للناس. فهو الآن لم يعد مهتمًا بإخفاء حياته، ولم يخجل من أن يُدعى عبدًا لله، فقد تغيرت أسراره مع ذهاب عفت، الآن قد تخلصوا من القصدير والصحف والزجاجات القديمة والأثاث المكسور والسجاد الفاسد، وأخفوا جبلًا من الماس الخفيف في قلبهم، دون أن يظهروا لمحة منه لأحد، ووصلوا إلى نهاية حياتهم. خزانة خان مليئة بالأشياء الأساسية وغير الأساسية لأن هذه الكثافة ضرورية لنعومة روحه. لقد ترك أثاث غرفة أخى شهاب مفككًا، لأنه لم يكن هناك مالك يمكنه ربطه، ولم تكن هناك أي أهمية.^٢ في غرفة أخى شهاب، كانت هناك خزانة جانبية أمام الباب كانت الكتب

١. مرد ابريشم ص ١١٩

٢. مرد ابريشم ص ١٢٠

مكدسة عليها مثل الطوب. وبجانبتها كانت الأريكة مغطاة بقطعة قماش ذات لون فيروزي فاتح. سريران، وخزانة ملابس، وطاولة للزينة، وكان فورميكاها الأبيض أكثر نعومة من الرخام. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك ثلاث أو أربع طاولات صغيرة، وبعض الوسائد، وبعض المراتب، وعدد لا يحصى من الكتب، والأحذية، والمدافئ. على منضدة الزينة كانت هناك زجاجات فارغة مع زجاجات ممتلئة من نبتة سانت جون. كان هناك عدد لا يحصى من الحقائب والمبردات وخزائن الملابس والحقائب في الغرفة المجاورة. ظلت هذه الأشياء على هذا النحو لسنوات. وكأنهم يريدون المشهد بشدة. وكان يكفيهم أن يتركوا الأثاث الذي جلبته عفت من هولندا على حاله دون حاجة إليه. كانت ملابس عفت الموجودة في الحقائب قد أصبحت متعفنة وقديمة، لكن أخى شهاب لم يكن لديه الشجاعة لإخراجها ومشاركتها أو استخدامها. وهذا لا يعني أنهم كانوا يحبون عفت بجنون وأنهم سيحزنون على فراقها، ولكنهم وجدوا في داخلهم سلامًا لا يحتمل التغييرات، إن نور محبة الله الذي وجده في الداخل، يتطلب أن يكون هناك أقل قدر ممكن من الاضطراب في البيئة الخارجية. ومن أجل حماية هذا السر الوحيد، بدأ يعيش مع أخته محمودة وقبل وقت طويل من وفاة حسن، جعل ثاقب مالكًا لجميع ممتلكاته، ولم يتمكن خان من التخلص من الأشياء القديمة عديمة الفائدة، لأنه كان لا يزال عالقًا في اللحظات التي وقعت فيها هذه الأشياء بين يديه. لقد أصبح كل شيء عديم الفائدة بالنسبة لأخى شهاب. الكتب الفرنسية، الأقلام، المزهريات، الصور، الأحذية، المدافئ، السجاد، أكوام صغيرة من الأشياء التي لا معنى لها، أخى شهاب كلها مثل طفل من الصبا إلى الشباب ولم ينظر إلى الوراء أبدًا ولعب الكريكييت بمضرب صغير. المعلومات، وجميع الممتلكات بجميع أنواعها كانت لا معنى لها بالنسبة لأخى شهاب. كان الحفظ والرمي إجراءين لا معنى لهما.^١

وكان خان يزور نفس الغرفة مرتين في الأسبوع، عدة مرات في الشهر. كان أخ شهاب يصبر دائمًا على أن يستلقي على السرير بجواري، كان خان يستلقي دائمًا

^١. مردابريشم، ص ١٢٠

على السجادة الحمراء المصنوعة آلياً مع وضع وسادة بقرة تحت المرتبة، بحيث يكون وجه شهاب بمحي مواجهاً له. سينبه أخى شهاب عندما يأخذ المنشقة، ويضع رأسه على مرفقه ويطوي إحدى ساقيه ويضعها على الساق الأخرى. سواء كانت الساعة ٢:٣٠ ليلاً أو بعد الفجر، يبدأ الاثنان الحديث، لم يكن أخى شهاب يسمح أبداً لأي شخص بالنوم في غرفته باستثناء ثاقب، لكنه كان يصنع سرير خان بالسجاد بنفسه وينتظر خان .

ثم تكتب السيدة قدسية بالتفصيل عن أحلام خان والأحداث التي حدثت أثناء مشوارها الذي استمر يوماً واحداً، وتحكي أنه كما توقف شهاب صاحب عن حفظ أسرار بعد رحيل زوجته عفت، بعد ذلك توقف خان أيضاً عن حفظ الأسرار. وتقول إنه في اليوم الذي توفي فيه أخى شهاب ووصلنا إلى إسلام آباد، لأول مرة لم يكن خان خائفاً من الكشف عن أي سر، ولم يكن خائفاً مما سيقوله الناس، كانوا سيكون بصوت عال، ولكن عندما وصل إلى أشرم فان باراست، أزال كل القيود تماماً. اعتاد أن يكون نيرمال ناير. ولكن فيما يتعلق بالإسلام، كانت روحه قاسية مثل الماس.

ثم تحكي أن شهاب أعطى ابنه كل المسؤوليات، وبدأ يشرف عليه عن بعد، وكان يرعى ثاقب عن بعد، وقد ارتاحوا، وخلعوا كل الأعباء التي هي الاحتياجات الأساسية للعوائل، وقاموا بذلك. لم يكن لديهم أي منزل، ولم يكن لديهم أي مدبرة منزل، ولم يكن لديهم أي خدم. "لقد كانوا الأكثر تحرراً من فواتير الكهرباء والغاز. كانوا يعيشون بسلام في منزل أختهم، كانوا يأكلون ما يستطيعون، في كل عام كان أحدهم يقطع بعض الطعام، أو صديقاً عزيزاً، أو بعض الاتصالات التي تهدد حياتهم. كانوا يذهبون فقط إلى المنزل". السوق لشراء الفاكهة، ترك البيع والشراء للآخرين، في البداية كان لا يقود السيارة بنفسه، ثم أصبح يستطيع قيادتها، لكنه كان يشعر بالمتعة في أن يعتني به ثاقب أو أي طفل آخر.^١

في البداية، عندما ماتت عفت ولم يمر فترة طويلة، أرادت عائلته تزويجه مرة أخرى. ولكن رفض أخي شهاب، وبدأ يعيش مع أخته محمودة.

يجب أن يستعد الطفل للامتحان، محمودة جي تقرأ النافلة، وحتى لو كان الطفل ينتظر النتيجة، فإن محمودة جي جاي تصلي، وإذا تأخر أحد هؤلاء الأربعة، فإن محمود جي لا تستغرق وقتاً طويلاً في قبول النفل.

حتى لو كان لدى هؤلاء الأطفال أي مشكلة، فلا يوجد خيار آخر أمام محمود جي للتضرع إلى الله.^١

ثم تحكي قصة طفولة ثاقب، وكم كان يشبه شهاب، نفس الشخصية، ابتسامة مأكرة، حزن أبدي ووحدة.^٢

ثم تذكر رسالة شهاب التي كتبتها ذات مرة إلى شهاب من لاهاي على سبيل الفكاهة.

"إشفاق!

ثاقب يقول كلام طيب وفي الرسالة القادمة سأرسل صوره كل ميم يمشي في الطريق يحدق به، ويحبه ويسحب خده ثم يقول. ما أجملك يا عزيزي، يشبه والده تمامًا.

عند سماع هذه الكلمات تتعب عفت ، لكن قلبه يصبح ييشاوري.

"على ما يبدو، بدا أخي شهاب غير مبالٍ، بثاقب لم يعلق، أو يقدم نصيحة بشأن سلوكه وطعامه وملبسه، لكنني متأكد الآن أنه ليس مع ثاقب، فهو لا يزال يهتم. بشفاه منتفخة وعيون حزينة تنظر إليه". في كل مرة تأتي رسالة من لاهاي، يتم ذكر ثاقب دائماً. قيل في إحدى الرسائل. يستمر ثاقب في تحسين التحدث، حتى الآن حتى كلمة باللغة الإنجليزية. تعلم اللغة الهولندية يكون. حتى إذا مشى الإنسان في الطريق فعطس، ثم قام فقال: "الحمد لله"؛ الأشياء المصنوعة تجعل الإنسان حرًا من كل العالمين.^٣

^١ . مردابريشم، ص ١٢٦

^٢ نفس المصدر، ص ١٢٩

^٣ . مردابريشم ص ١٣٠

أثناء وجودهم في السفارة في لاهاي، بدأوا أيضًا مع عفت وثاقب في استكشاف طريق آخر. في أوقات فراغه، وجد وقتًا للنحت والصقل والتواصل من خلال العثور على الضوء الداخلي. وفي ٣١ مايو، كتب إلى خان.

"بعد مجيئي إلى هنا، تخلّيت عن الحياة الدنيوية وانخرطت في تدريبي الروحي، وتزداد دورة الصلاة والصوم يوميًا بعد يوم، ويتم تنفيذ تقليد الطعام وتقليد المنام وتقليد الكلام بكثافة. لذا منذ أن أتيت إلى هنا، فقدت ١٩ رطلاً؛ من وزني ينبغي عليك أن تذبح بطة طازجة وتخرج تسعة ونصف كاملة الدسم وتضعها في مقلاة كبيرة وتضعها أمامك. ثم خمن ماذا يعني خسارة ١٩ رطلاً. ونتيجة لذلك بدأت تتحقق الصحة الجسدية والعقلية والروحية. بصرف النظر عن هذا، فإن الهدية الثانية التي تلقيتها عندما أتيت إلى هنا هي أن الحياة في المنزل قد تطورت بحيث يبدو كل شيء في الخارج عديم الفائدة، ويقضي كل الوقت مع عفت وثاقب، ويُنظر إلى هذا الحب على أنه الأفضل. وكل الباقي فروع، الحمد لله أن الناس يأتون إلى أوروبا ويبدأون في كره منازلهم. لكن الأبجدية تركت البلاد واعتمدتها رأيت المنزل الحقيقي وما إلى ذلك. ثم تحدثت عن خدمة شهاب المتفانية وحبه للناس، وتقول: إن شهاب لم يكن بحاجة إلى معاملات أو مائة دوزي أو معروف أو إحسان في الحب، لم يكن يعرف الحالة الذهنية فيما يتعلق بالأشياء.

لقد اعتادوا على الحب لأنها كانت حالتهم الداخلية، ولم يكونوا مهتمين بتأثيرها على من يحبون.، كانت عادة أخى شهاب أنه إذا أقام في بيتنا يومين أو أربعة أيام، كان يترك خمسين أو مائة لجمادارني سردار والباقي لمسؤولي البيت بنفس النسبة، قوله: "هذا لعبيدك". وفي بعض الأحيان، تقول عزرة مازحة، إن بانو قدسية كانت تقول: "وأخي شهاب، إذا لم أعطي كل هذا وأحتفظ به لنفسي؟" كان يقوم بإشارة بسيطة بيده ويصمت. كان إصرارهم الوحيد هو ألا أعطي هذا المال لمدبرة المنزل في حضورهم.

وكانت سلسلة العطاء طويلة جداً، في بعض الأحيان كان لديهم عشرات آلات الخياطة في منزلهم، وعندما سئلوا، جاءوا جميعاً إلى اليسار. عندما مرض بانو قدسية

مرضاً شديداً وعاد إلى منزله بعد شفائه، كان الهاتف بعيداً عن غرفة النوم. اشترى أخى شهاب شيئاً بدون بطاقة بحيث لم يكن هناك وقت لشكره. مفتي جي إشفاق أحمد إنشا جي ومن يعلم من كانت مثل هذه البيوت حيث انتبه وملاً البيوت رزقاً وسعادة وأولاداً وحباً ومن يعلم ما هي البركات حتى أصبح من الصعب إغلاق الأبواب. ولكن هناك احتمال أن يضايقهم هذا الذكر، فلا أنطرق إلى هذا الموضوع. كان يكره لغة الألقاب الطويلة، والشكر غير الضروري، والاعتذارات الكاذبة، والمناقشات المربكة، والحديث المنغمس في الذات، والإجراءات التأديبية، والسلوك التحذيري، لكنه لم يعبر أبداً عن استيائه.^١

وتميز شهاب أنه تقبل الناس كما هم، ولم يكن حريصاً على إعادة رسم الناس، بل تقبل جميع الألوان التي خلقها الله، ولا تعتمد بسبب الاختلاف. وهذا هو في الأساس الفرق بين رجل كبير ورجل صغير. الإنسان العظيم هو الذي يتقبل بسعادة كل تناقضات الآخرين، طبائعهم، اختلافاتهم، مواقفهم، أفكارهم، كل ألوانهم. إذا كانت العقيدة مختلفة، اترك عقيدتك واحترم معتقدات الآخرين. إذا كانت الثقافة مختلفة، دون إثارة أي اعتراضات، فاعتبر ثقافة الآخر جيدة، أو لون، أو عرق، أو طبقة، أو عالي، أو منخفض، أو لباس، أو لغة، لكي تفهم التناقض والاختلاف كجزء من الحياة وسهولة التمييز. إنسان من إنسان. لا تكن ضحية الكراهية بسبب هذه الاختلافات.

ولم يكن أخى شهاب زعيماً سياسياً ولا واعظاً، لقد كان رجلاً كبيراً، والفرق الأكبر هو أنهم كانوا سيقبلون ذلك على أساس أنه عبد الله أيضاً، فلا يقع عليه النقد. لم يشعر أبداً بالحاجة إلى معاقبة أي شخص أو توبيخه أو تحذيره، لأنه وفقاً له، فإن الاختلاف والتناقض والاختلاف هو التأثير الحقيقي للحياة.^٢

^١ . مرد ابريشم ص ١٣٢

^٢ مرد ابريشم، ص ١٣٥

سواء كان حزبا من المتعلمين تعليما عاليا أو حزبا من غير المتعلمين، فإنهم لا يحترمون أحدا، ولا يعرفون أحدا. لم ينتقد الأغنياء قط، ولم يكره أي فقير يجلس على سرير فضفاض ويشرب الماء في وعاء من الفضة.

رنگ سب چلتے تھے
زبانیں تمام درست تھیں
لباس سبھی موزوں تھے
علاقے تمام خوشگوار تھے
موسم تمام اچھے تھے
مذہب سب اپنے اپنے پیروکاروں کے لئے درست تھے^۱
كانت الألوان كلها تعمل

اللغات كلها كانت صحيحة

وكانت الملابس كلها مناسبة

المناطق كلها كانت ممتعة

كانت الفصول كلها جيدة

وكانت جميع الأديان صالحة لأتباعها

ولم يستطيعوا أن يتفقوا على شيء واحد، بل لم يذكر على ألسنتهم. لقد خبأ جبلاً من الماس الخفيف في حجب كثيرة حتى أن أقرب أصدقائه، ربما لم يعلموا أنهم لا يستطيعون سماع أي شيء في هذا الصدد، ولا يملكون القوة على تحمله، أعرف كيف كان أنه كان مليئاً بالشحنة، وهو لا يناقش شغفه مع أحد دون أن يذكر هذا الاسم.

وذكر أمسية، جاءت شخصية بارزة للقاء أخى شهاب، كان يقيم في السعودية بمكة المكرمة، وزار المسجد النبوي عدة مرات وأدى العديد من العمرات. كانت شفتاه ولهجته العربية حادتين، وحديثه مفعم بالحيوية، وعيناه مليئتان بالعاطفة، ومسلسل الأحداث القلبية مستمر دون انقطاع. وكان ضيف شهاب بهاي في حالة من النشوة الدينية، وكان مرارا وتكرارا يذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفصيل كبير في

^۱. مرداد بریشم ص ۱۳۶

أحلامه. كان شهاب يجلس متقلب المزاج، لكن من زاوية أنفه وشفتيه بدا وكأن الحديث كله يمر فوقه.^١

والآن تم ارتكاب خطأ فادح، وبما أنني كاتب مسرحي أولاً، وقبل كل شيء، فالحوار روحي. وعندما بكى هذا الرجل الصالح تجربته الروحية في المسجد النبوي، رويتها أيضاً بمساعدة السرد بخلط الحق بالحق حتى لا يضرب في الحديث.

وبعد ذلك تكتب بانو قدسية عن احترامها وتكريمها: "كانت جماعة شهاب صاحب كبيرة جداً على المستوى الفردي والإجمالي، ومن بين هؤلاء الكبار، كان وجوده مثل نقطة من وزن خابي في الشعر، إذا لم يكن مناسباً، تسقط النقطة، أحياناً تكون مع الوضع لكن لا تسمى، خابي يكتب كزخرفة لكن المعنى لا يقرأ."^٢ "كنت أيضاً غزلاً أعمى أعمل براءة مع الأسود في السيرك، وكان الأمر كما لو أن هؤلاء الناس لم يقرأوا أي شيء كتبته، وفي بعض الأحيان كان مفتي يقدر ذلك على أنه مجاملة، ثم أخى شهاب شق لي الطريق بتمنياته، وبدأ الحديث عن "رجا جاد". ثم تحكي: أن الخوف والحزن متأصلان في طبيعتهما، على سبيل المثال الخوف من تغير الفصول، الخوف من استياء الناس، لكنهم لا يخنفون، فالشخص الجبان جسدياً إما يبكي أو يهرب في لحظات الأزمات."^٣

ولكن إذا مثل هذا الشخص كاتب، تلك الأزمة ستخرج من غربال الخوف والحزن وتأخذ شكل التحليل.

في إحدى الأمسيات، بعد رحيل عفت، فجأة حدثت عاصفة شديدة، وبدأت النوافذ والأبواب تقرع بقوة، ثم فجأة انطفأ النور وعم العاصفة وشبه الظلام المنزل بأكمله، كنت في المطبخ. "كان خارج النافذة. نظرت إلى السماء. هناك، كان القمر ذو الستة أيام السبعة مرئياً خلف العاصفة. وعلى مسافة ما منه، كان هناك نجم يتلألأ أيضاً في التربة التي اجتاحتها الرياح. عند رؤية هذا النجم، فكرت أنه في

^١ . مرد ابريشم ص ١٣٤

^٢ . مرد ابريشم ص ١٢٠

^٣ نفس المصدر، ص ١٣٠

طفولتي كان لدي حلم، ظننت أنني سأعود إلى هناك، لكن رياح الزمن الآن خبأته في الضباب، ولم يعد هناك أمل في العودة.

صليت بخوف يا ربي، أنت تعلم أنني عاجز وضعيف، أعطني من يستطيع أن يتحمل عبء ضعفي وعدم قدرتي، ومن يستطيع أن يفهم انكساري مثل الأب، ومن يستطيع أن يغفر لي مثل الأب بعد كل خطأ وخطيئة وخطيئة. وبعد ثواني سمعت صوت النائمين، ثم أمسك أخي شهاب الباب وسأل: هل سيكون شمعة يا سيدة؟

"يوجد الفانوس أخي شهاب، وشعلة واحدة تنتمي إلى خان .

"الفانوس جيد. احتفظ بالشعلة. ثم أخذ الفانوس وخرج إلى الشرفة. وبدلاً من أن يأخذه إلى غرفته، وضعه في الشرفة. أضاءت الشرفة كلها مثل الفناء. وذهب شهاب نفسه أيضاً إلى الشرفة وجلس على المقعد. كان الأطفال قد تركوا النافورة في الخارج في الحديقة، وبعد مرور بعض الوقت، عندما خرجت السيدة قدسية، انخفضت سرعة الريح، وجلست أيضاً بجانب شهاب، وشاهدوا الطفلين يلعبان في النافورة لفترة طويلة. بانو قدسية لم تذكر ضعفها ولم يسأل شهاب، قيل ذلك يوماً فقط.^١

"الخوف هو في الواقع حالة تولد من الرغبة. أولئك الذين يركضون خلف العالم يظنون خائفين. والعالم يهرب منهم. ارم الرغبة خلفك. ثق بالله. العالم سوف يجري وراء الظل مثل شيء سلمي، إذا كنت تعتقد أن احتمال السلبية سوف يزيد.

"يا أخي شهاب قلبي خائف جداً؟"

"لماذا؟ تذكر أولاً أن الله تعالى لا يضر أحداً، وحتى لو كان من المستحيل اعتبار الخسارة، فهناك ألف طريقة للتعويض. ليس هناك شيء عسير على الله."

ووعدوا بالصلاة وذهبوا إلى غرفة الكاساني لأداء صلاة العشاء، تدريجياً، بدأت المخاوف تأخذ شكلاً متجمداً. وعلى شكل فقرات صغيرة بدأ تشكيل رجا جادا. وبينما كان الكتاب يتوزع بين الصفحات، بدأت سحابة الخوف والحزن التي كانت تخيم فوقها تتبدد. جلست تحت المظلة من العاصفة، ولقد انتهت الرحلة الطويلة إلى

^١ . مرد ابريشم ص ١٣٥

الرصيف، ثم أدركت أن الجميع يصلي والجميع ينال رضاه، لكن أخى شهاب كان يصلي بنفسه، لمن دعا له طوفه، وكان ما تراءى لهم هو توصية عظيمة لبيت الله. ثم تذكر مرضه الذي مرض فيه سنة ١٩٨٤م، وكانت مصابة بفقر الدم، ولهذا السبب جاء الكثير من الناس لزيارته في المستشفى، كان هناك أيضاً أجمل نيازي واصف علي واصف.

وسأل أجمل نيازي: يا سيدي واصف، أخبرني ما هي حقيقة العبادة؟ فصمت لحظات ثم قال: بعض الناس يولدون عباداً، يريدون أن يتقربوا إلى الله، وبعض الناس لا يستطيعون العبادة، عليهم أن يرجعوا إلى أهل العبادة، فمثلاً النظر إلى شهاب هو العبادة لمثل هذا الشخص. "ويكفي مراقبة أولئك الذين لا يستطيعون العبادة. لم أفهم وجهة نظرك تماماً.^١

قال واصف: "في بلد ما، عاش ثاتيرا. كان فقيراً للغاية، وتم إنقاذه من خلال صنع أواني صغيرة من النحاس والبرونز والمعدن، ولكن هذا الثاتيرا كان فناناً عظيماً، كان يجلس في أوقات فراغه في الداخل الغرفة وجعلها جميلة جداً، كان يصنع طبقاً عليه نقوش جميلة، ويعلق عليه اللؤلؤ والفيروز، وفي ١٥ أو ١٦ عاماً، تم إنتاج هذا الصيرحي، لكن متجر ذلك هناك كان صغيراً ولم يمر الزعماء لذلك لم يتم العثور على مشتري لهذا الطبق الجميل، أخيراً، ذات يوم، اعتقدت أن مثل هذه السفينة الثمينة ليست آمنة في هذا المتجر الصغير. وأشعل بجانبه سراجاً في المساء، فإذا أضاء انتشر نور أحجاره الكريمة في الحديقة، ستتعلم وجوه الذين يلعبون في الفناء شيئاً من نورها. أخذ ثاتير الجرة إلى جانبه وأغلق الدكان وذهب إلى السوق ليعود إلى بيته، وبالصدفة في ذلك الوقت مرت عربة الملك. ماذا يرى الملك أن رجلاً مشلولاً يقف متواضعاً وعلى جانبه مزهريّة منحوتة جميلة جداً. كان هناك ما يسمى بالممر أو النزول. أخذ صاحب كمال معه ودفع ثمن الطبق. لذلك من شاخة، تم استلام خلات سواري وباي بشكل منفصل.

^١مردابريشم، ص ١٣٣

فهذه هي حقيقة العبادة. الذي يقوم بإعداد الطبق في الغرفة الداخلية وعندما يخرجها يتم ترميمه بمجرد سقوط أشعة توفيق عليه. لا أقول أن هناك أي قاعدة للنعمة، ولكن من يحمل في يده كأسًا منقوشًا سوف يلمع بمجرد أن يسطع شعاع الحظ وسيفتخر بالتأكد.

ثم تحكي أنه: "خلال هذا المرض، دعا أخى شهاب من أجلي، وعندما كنت على استعداد تام للعودة إلى نجمتي بسرير من القماش، سدت سحب دعاء طريقي بصمت، وأجبرت الطبيعة على تغيير قرارها بعد تعافيتها من هذا المرض، لقد شعرت بالقلق مرة أخرى عندما وصلت إلى المنزل، وذكرت قلقي في رسالة إلى أخى شهاب. قيل في الرسالة:

"ما تعتقده أن فترة الراحة الحالية قد تكون عبثًا؛ لأن حالة المستشفى وشعورك لم تعد في قبضة الدنيوية؛ وعندما تعود إلى المنزل، هذا ليس صحيحًا، تمامًا كما أن الفاكهة، بمجرد نضجها، لا يمكن إعادة إنضاجها مرة أخرى في أي مكان. "يمكن القيام بذلك. ومع ذلك، يجب عليك زيادة إحساسك بالانفصال تدريجيًا من خلال الاستفادة من هذه الفرصة. لقد نشأت الإعاقة الجسدية بسبب هجوم المرض. لذلك، من حقلك أن تعتني بكل ما يلي: الأعمال المنزلية. اترك العمل للآخرين. لا تفرح كثيرًا إذا سارت الأمور على ما يرام. إذا لم تسر الأمور على ما يرام، فلا تتدمر على الإطلاق. نمط حياة أي شخص آخر سوف يتكيف تلقائيًا وفقًا لطريقة هذه المهام لقد انتهت، يجب أن تركز معظم انتباهك، ركز على القراءة والكتابة والتفكير. اطلب من إشفاق أحمد أن يحضر لك ترجمة مولانا أشرف علي تهانوى للقرآن الكريم. اقرأها شيئًا فشيئًا كل يوم مع الترجمة، وبمجرد الانتهاء (مهما بدا الأمر بطيئًا)، ابدأ من جديد. قراءة القرآن مثل تقشير البصلة، كلما قرأت أكثر، كلما ظهرت طبقات أكثر من المعنى. لا تقرأ الكثير من الأبحاث لفهم المعنى، بقدر ما تفهمه يكفي. تدريجيًا سوف يصبح هذا الفهم أوسع وأعمق.^١

^١ . مرد ابريشم ص ١٣٧

ولكن ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن أصحاب المعنى الحرفي هم الذين يمكن تصديقهم دون أي شك، إذا تم بذل بعض الجهد في هذه المهمة، فسيتم تمهيد طريق الانفصال تلقائياً، وأخبر إشفاق أيضاً أنه على الرغم من كل انشغالاته، فقد تبني أيضاً هذه الوظيفة شيئاً فشيئاً يحاول.

ثم تذكر امرأة أخرى أن شيما مجيد سألتها أيضاً نفس السؤال الذي طرحته على أخي شهاب! من هو المستحق لفضل الله كيف تخرج هذه القرعة؟ ذات مرة كتب أخي شهاب أيضاً رسالة إلى شيما مجيد بخصوص هذا الأمر.

عزيزتي شيما مجيد:

لقد سألت أن العلوم التي لا تأتي إلا بفضل الله تعالى، كيف يكون الإنسان مرشحاً لها؟ كيف يسحب الله اليانصيب؟ وكيف يعرف الإنسان هذا؟ ولا يحق لأحد أن يحظى بنعمة الله، لكن يجب على جميع المرشحين أن يعيشوا هكذا، تماماً مثل أخذ تذكرة اليانصيب، لا أحد متأكد من ذلك، لكن الجميع يعتقد أنه ربما سيظهر رقمي، تصبح هذه النقطة أكثر وضوحاً من خلال الاستناد إلى تشبيه اليانصيب. يمكن للشخص الذي اشترى تذكرة اليانصيب أن يأمل في الحصول على جائزة اليانصيب، ومن لم يشتر تذكرة، إذا جلس ينتظر الجائزة، فهذه حماقته، بطاقة اليانصيب من فضل الله هي عبادة الله ومعرفة الله، ومن حق من يحصل على هذه التذكرة أن يرجو جائزة اليانصيب من فضله، فهو وحده الذي يعلم كيف يسحب الله قرعة فضله، فكيف يتعرف الإنسان عليها، بحسب مستوى قدرته ومكانته، ينكشف حجم معرفته لنفسه تلقائياً، فيبدأ بمعرفة وشعور مثل هذه الأشياء، والأشياء من نوره الداخلي، التي لا يعرفها ولا يعرفها؛ يشعر به الآخرون ولا يمكن معرفته والشعور به بوسائل عادية أخرى؛ وإذا حدث مثل هذا الموقف، فلا ينبغي الكشف عنه للجميع. ولكن إذا تلقى شخص ما تعليماً وتدريباً داخلياً وروحياً من شخص ما، فلا ينبغي أن يخفى عليه ذلك مطلقاً، لأن مثل هذه الأحداث تكون في بعض الأحيان خيالية أو كاريزما المتخيلية، ويخطئ الإنسان في فهمها على أنها نور داخلي، وإذا ثبتت التربية والتدريب الجسدي والروحي، فلا ينبغي إخفاؤها مطلقاً، لأن مثل

هذه الأحداث أحياناً تكون خيالية أو كاريزما. من المتخيلية، ويضل الناس بظنهم نورا داخليا. كما كتب أخي شهاب رسالة إلى شيما مجيد بخصوص العبادة.^١

"يجب أن تتم العبادة أيضاً للحصول على رضوان الله تعالى ورضاه. ففي هذه العبادة توجد القدرة على خلق الإخلاص الحقيقي إلى أقصى حد، وإذا كان بقصد تحقيق أغراض أو دوافع شخصية أو دنيوية أو غيرها، فإنه لا يفي بالإخلاص.

لم يكن أخي شهاب رجلاً حذراً، بل كان يحاول إعادة المشاعر إلى طبيعتها. كان يعتقد أن فضيلة الإنسان هي في بعض الأحيان رذيلته ورذيلته، هي الأكثر فائدة، الشخص الكريم هو شخص مثير للإعجاب في العالم، ولكن رأينا أيضاً أن ابنة الشخص الكريم سقطت في الطريق الخطأ، واضطر ابنه إلى التسول وعيش حياة الذل. ولما رأى اللص أفعاله صعد سلم المغفرة وسمي قطب، وكان يقول إنه بقدر ما يجب على المرء أن يندم على تقصيره وأخطائه، فإنه يحتاج أيضاً إلى تجنب عاداته وفضائله. إن إحساس المرء بمجدارته غالباً ما يأخذ شكل الغطرسة، والغطرسة هي نار يحرق فيها الخير والشر، الإيمان والحياء خصلتان طيبتان إذا اجتمعتا لم يتكبر الخير ولا يغرق بالشر.

في الواقع، كان أخي شهاب مثل البندول الذي يوجد دائماً في المنتصف، كل الشدة من حولهم كان يحب أحياناً اليمين وأحياناً اليسار لكنه عاش في المنتصف، جميع أصدقائهم وأقاربهم، لقد كانوا كاثوليك، ولكن بسبب هذه التطرفات، لم يتركوا أحداً أبداً، ولم يقدموا نصيحة لأحد، بل كان لديهم فقط هذا الأمل، "إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام"، يقولون إن بعض الناس هكذا في العالم. . . الذي يرغب هو على استعداد، وكان أيضاً من بين بعض هؤلاء الأشخاص. عندما صلوا من أجلك بنوايا حسنة، سيتم إنجاز عملك على الفور.^٢

هذا العرض لا تعكس فقط شخصية شهاب، بل تكشف أيضاً عن رقة أسلوب بانو قدسية وعمقها؛ كل اقتباس يعرض الأفكار المركزية للكتاب بطريقة مؤثرة للغاية.

^١ . . مرد ابريشم ص ١٣٨

^٢ مرد ابريشم، ص ١٥٠

المبحث الثالث

المبحث الثالث: المكونات الثقافية والفكرية 

لشخصية "بانو قدسية".

أولاً: المراحل التعليمية الأولى:-

عرضت لنا "بانو قدسية" المكونات الثقافية لشخصيتها، وذلك من خلال سرد أحداث قصتها مركزة على مراحل تعليمها، وعلى ما واجهها من عقبات وصعوبات، فمن المكونات الثقافية والعلمية، ما يلي:

تدريس قراءة القرآن الكريم:

قرأت بانو قدسية العديد من الكتب المفيدة كهواية، لكنها تعلمت تلاوة القرآن الكريم في سن ۱۳؛ وعلى الرغم من أنها درست من والدتها في المنزل، ولكن تعلمت تلاوة القرآن الكريم بانتظام في سن الثالثة عشرة، وتقول نفسها:

"كُونْتُ مِمَّنْ مِيرِي خَالَه دَاكُتَر تَحِيں۔ وہ بہت دیندار تھیں۔ میری عمر اس وقت تیرہ سال تھی جب میں ایک دفعہ ان کے پاس چھٹیاں گزارنے گئی۔ ان دنوں گورنمنٹ کالج میں پروفیسر صادق عربی کے پروفیسر تھے۔ میری خالہ نے ان سے کہا کہ بانو قدسیہ کو قرآن پاک پڑھنا سکھائیں۔ چنانچہ ان سے ملاقات ہوئی تو میری قرآن پاک میں دلچسپی پیدا ہو گئی اور میں نے قرآن پاک پڑھ لیا"۔^۱

خالتي كانت طبيبة في مدينة كوئته؛ كانت متدينة جداً؛ كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما ذهبت ذات مرة لقضاء عطلة معها؛ وكان الأستاذ صادق عربي في تلك الأيام أستاذاً للغة العربية في الكلية الحكومية؛ طلبت منه خالتي أن يعلم بانو قدسية تلاوة القرآن الكريم؛ فلما التقيته، اهتمت بالقرآن الكريم، وقرأت القرآن الكريم.

كانونٹ سُول:

درست بانو قدسية في مدرسة دهر مسالا حتى حصولها على شهادة الثانوية العامة؛ وفي رأيها، هي لم تكن طالبة ذكية حتى المستوى السابع، وكانت النتيجة أن نشأ داخلها شعور شديد بالنقص.^۲ كان من الممكن أن يصبح داخلياً ومحتقراً للمجتمع، كانت ستصبح فتاة تنظر بعين خائفة، لكن لحسن الحظ، حدث تغيير ثوري في

^۱. بانو قدسية احوال و اثار لأقليمة ناز ص ۲۱

^۲. اصغر عبدالله، بانو قدسية كاسفر حیات و فن (انٹرویو)، (مشمولہ) ماہنامہ قومی ڈائجسٹ، لاہور،

حیاتھا فی ذلک العام.

و هي قالت: "ساتویں جماعت میں میری ملاقات ایک ہندوستانی بزرگ سے ہوئی۔ جن کی سر پرستی نے میرے اندر کی دنیا بدل دی۔ میں اپنے خول سے بتدریج باہر نکلتی گئی۔ میں اپنی نظروں میں بلند ہو گئی اور میرے اندر کسی قدر اعتماد پیدا ہو گیا۔ آٹھویں جماعت میں۔۔ میں کانگریز انوال میں اول آئی۔ دسویں میں بھی اول آئی"۔^۱

"فی الصف السابع التقيت بشيخ هندي؛ الذي غيرت حياتي الداخلية؛ لقد خرجت تدريجياً من قوقعتي؛ لقد ارتفعت في عين بانو قدسية، واكتسبت بعض الثقة في نفسي؛ في الصف الثامن، لقد وصلت على المركز الأول في كانجرانوالی؛ لقد حصلت جائزة الأول في المركز العاشر.

کلیۃ فی دھر مسالہ :

أصبح التعليم المستمر لبانو قدسية بعد التسجيل في الجامعة وضعاً مثيراً للقلق؛ لم تكن هناك كلية منفصلة للفتيات في دھر مسالہ، ولكن بسبب التعليم المختلط، لم يكن أخ بانو قدسية يريد مواصلة تعليمها، بينما كانت كلية البنات فقط في لاهور. وفي هذه الظروف أرادت والدتها أن تعلمها المزيد ولم ترغب في إرسالها إلى لاهور بعيداً عن عينيها.

وفي مثل هذا الموقف أظهرت أم بانو قدسية صاحبة الرؤية الحكمة؛ وبدعم من بعض الأمهات المثقفين والمستنيرين، تفتتح كلية للبنات في "دھر مسالہ" نفسها، حيث بدأ بانو قدسية بالدراسة فيها مع العديد من الفتيات الأخريات.

كان بالكلية أستاذة متفرغة، "الآنسة متھائی"، التي جاءت من كير ألاسٲير، وبخلافها، كان جميع الأساتذة الآخرين يذهبون من الكلية الحكومية للبنين. و هي قالت:

"دسویں کا امتحان دینے کے بعد میری والدہ مجھے اکیلی لاهور بھیجنا نہ چاہتی تھیں۔ دھر مسالہ میں لڑکوں کا کالج تھا جہاں میرا بھائی فسٹ ایئر میں داخل تھا۔ وہ یہ نہیں چاہتا تھا کہ میں ان کے ساتھ کالج میں مخلوط

تعلیم کی قباحتوں کے حوالے ہو جاؤں۔ میری والدہ مجھے آگے پڑھانا بھی چاہتی تھیں اور نظروں سے دور بھی بھیجنا نہ چاہتی تھیں۔ انھوں نے لبرل تعلیم یافتہ والدین کا ایک گروپ بنایا اور ان کی اعانت اور حوصلہ افزائی سے لوئر دھر مسالہ میں بازار سے کچھ ہی اوپر ایک کوٹھی کرائے پر لی اور ایف۔ اے تک کلاسیں شروع کر دیں۔^۱

لم ترغب والدتي في إرسالي وحدي إلى لاهور بعد امتحاني العاشر، كانت هناك كلية للبنين في دهر مسالہ حيث كان أخي في سنته الأولى؛ لم يكن يريد مني أن أتقدم إلى فصول مختلطة معه في الكلية؛ أرادت والدتي أيضاً أن تعلمني المزيد ولم ترغب في إبعادي عن نظرها؛ قام بتشكيل مجموعة من الآباء المتعلمين بشكل متحرر وبمساعدهم وتشجيعهم استأجر منزلاً في منطقة "لوئر دهر مسالہ" فوق السوق مباشرة و بدء الدراسة حتى فصل الخاصة .

کنیر ڈکالچ لاهور:

بعد الانتهاء من الدراسة الخاصة، حصلت على القبول في كلية كنيورد لاهور، وكانت لاهور مهد المعرفة والأدب في ذلك الوقت؛ وكان يأتي إليها علماء شبه القارة الهندية ويتنعمون بالعلوم والفنون؛ جلب هذا أخباراً سارة لبانو قدسية وبدأت الاستعداد للذهاب إلى لاهور؛ تم ترتيب الإقامة في السكن، وحصلت بانو قدسية على أول فرصة لمغادرة بلدة صغيرة نائية ورؤية حياة مدينة كبيرة لاهور عن قرب.

وفي نفس الوقت انتقلت عائلتها إلى جوردا سبور (گورداسپور)، وأصبحت والدتها مفتش المنطقة للمدارس، بانو قدسية بعد اجتياز الامتحان، جاءت إلى والدتها.

و بينت بانو قدسية عن هذه الايام و قالت: "لاهور میں جس روز بی میٹھس کے اے کورس کا پرچہ تھا کنیر ڈکالچ کے پچھوڑے آگ لگ گئی ممتحن اعلیٰ نے ساری لڑکیوں سے پرچے اکٹھے کیے۔ ہمیں ایف سی کالج پہنچایا اور وہیں ہم کیر ڈکی لڑکیوں نے باقی پرچے دیئے۔"^۲

كان العام م ١٩٤٧ بانو قدسية تم عمل أوراق البكالوريوس، و في يوم ورقة

^۱ . راہ رواں، ص ۶۳

^۲ . نفس المصدر ص ۳۳

الرياضيات، حرق النار في الكلية ولظروف طارئة، تم نقل بنات الكلية إلى كلية أخرى وتم نقل الورقة إلى هناك، وفي ظل حالة الذعر هذه، لم تتمكن الفتيات من إعطاء الورقة بشكل صحيح، كما صدمت بانو قدسية بهذا الحادث، وهذا هو السبب الذي جعلها نجحت في المستوى الثاني.

الكلية الحكومية: (كورنمنث كالج).

عندما جاءت بانو قدسية بعد في تقسيم الهند الى لاهور، بعد الحجرة مجيئهم نتائج البكالوريوس وكانت ناجحة. والآن أرادت والدتها بانو قدسية تزويج السيدة في أسرع وقت ممكن، لأنها كانت تعاني مرة أخرى من نفس المخاوف بشأن مواصلة تعليم بانو قدسية التي واجهتها بعد امتحانات الثانوية العامة.

التعليم في كلية كينيرد فقط البكالوريوس، لا يمكن القيام بذلك إلا من الكلية الحكومية وكان هناك تعليم مختلط، في هذا الصراع، انقطع تعليم بانو قدسية لمدة سنة ونصف. خلال هذه الفترة من الإهمال، صادف أن أتت صديقة والدتها أخت زبيدا إلى بيتها، التي كانت في ذلك الوقت زوجة شخص محامي من العاصمة لاهور وبعد ذلك كانت زميلة بانو قدسية في الصف، هي سألت عن مواصلة تعليم بانو قدسية، وأعربت والدتها عن مخاوفها بشأن التعليم المختلط، وأعطت أخت زبيدا إحساسًا بشجاعة والدتها وهشاشة الوقت الذي ينتظرها.

وإلى جانب ذلك، تولت أيضًا مسؤولية رعاية بانو قدسية بكل الطرق. في ذلك الوقت، دعمتها أم بانو قدسية تشاتا، لكن فيما بعد اختلف أخ ريزي، الذي كان يدرس في الكلية الحكومية، بشدة مع رأي والدتها.

كما أبدى بابو محمد يعقوب، الذي كان رئيسًا للكتابة منذ فترة والدتها في جالاندهار، مقاومة لمواصلة تعليم بانو قدسية، لذلك تم رفض الأمر مؤقتًا.

حتى ذلك الحين، كان من المقرر أن تحصل بانو قدسية على درجة الماجستير في اللغة الأردية، ثم تصبح كاتبة مشهورة في الأدب الأردية، لذلك، على الرغم من آلاف المقاومة، تم فتح الطريق أمامها تلقائيًا؛ في مرة التقت والدتها بالدكتور الشيخ عناية الله الذي كان أستاذ اللغة العربية في الكلية الحكومية، والذي جاء لإلقاء محاضرة في

کلیۃ والدتها؛ وأرادت أم بانو قدسية أن تأخذ رأيہ فیما يتعلق بتعليم بانو قدسية، فأقنعت والدتها بهذا الكلام.

"آپاجی آپ کیا سوچ رہی ہیں۔ فوراً قدسیہ کو داخل کرائیں، وقت بدل گیا ہے۔ اب لڑکیوں کا وقت بھی قیمتی ہے۔ پاکستان کو تعلیم یافتہ خواتین کی ضرورت ہے۔۔۔ ذرا سوچیں اگر آپ تعلیم یافتہ نہ ہوتیں۔۔۔ تو آج آپ بیوگی کے بعد بچوں کو لے کر کس کے پاس جاتیں۔ تعلیم تو جتنی ہو کم ہے۔ اس کی خاطر تو چین بھی جانا پڑے تو حکم سمجھ کے جانا چاہیے۔"

بماذا تفكرين؟ قومی بإدخال قدسية على الفور، لقد تغير الزمن؛ الآن أصبح وقت الفتيات ثميناً أيضاً؛ باكستان تحتاج إلى نساء متعلّمت؛ مجرد التفكير إذا لم تكن متعلّما؛ واليوم بعد أن أصبحت أرملة إلى من ستهبين مع أطفالك؟ التعليم أقل ما يمكن؛ إذا كان عليك الذهاب إلى الصين من أجل ذلك، فعليك أن تفهم الأمر وتذهب.

وهكذا وافقت والدۃ بانو قدسية على قبولها في الكلية الحكومية؛ بانو قدسيا، والمواضيع في البكالورس كانت الرياضيات والاقتصاد؛ ونظراً لذكائها الطبيعي، فقد كان أداؤها جيداً في كلا الموضوعين. كان المعلمون راضين جداً عن عملهم. البروفيسور سرداري لال، الذي كان أستاذاً للرياضيات وقام بالتدريس أيضاً في الكلية الحكومية بعد تقسيم الهند، كان يمنحها دائماً درجة الماجستير في الرياضيات. تقديم المشورة للقيام بذلك، وهذا هو السبب الذي جعل بانو قدسية عندما ذهبت للحصول على القبول في الماجستير، حصلت على الماجستير في الرياضيات من المنزل، لقد ذهبت بنية الحصول على الماجستير، ولكن بعد الذهاب إلى هناك، التقت المدير اللغة الأردية، والرغبة المعلنة في القيام بذلك.

خلال المقابلة قال المدير لبانو قدسية، بعد الدراسة مع هؤلاء الأساتذة الأكفاء، أنت ماذا ستفعل من خلال القيام باللغة الأردية؟ نعم، أنا مغرم باللغة الأردية، وأريد أن أصبح كاتباً.^۲

^۱. راہ رواں، ص ۴۳

^۲. نفس المصدر ص ۴۳

ثانيًا: الثقافة العامة:-

حياة الكاتبة لم تتوقف على تحصيل العلم والثقافة في المراحل التعليمية فقط، وإنما هناك منابع أخرى ارتوت منها الكاتبة، مما ساعد على تكوين شخصيتها الثقافية وهى:

رعاية الأم:

كان نوع البيئة المطلوبة لنمو وتطور الشخصية العظيمة متاحًا لبانو قدسية في المنزل وفي المؤسسة التعليمية. نشأت بانو قدسية في أسرة مثقفة، وفي حالة السيدة ذاكره چٹھ، كان حُسن والدتها بمثابة المهّد الأكاديمي والأدبي الأول لها، و هي ما أشعل ذكاء السيدة قدسية وقدراتها. حصلت السيدة ذاكره چٹھ على درجة البكالوريوس. لقد كانت امرأة ذكية جدًا وقادرة وجميلة وذات ذوق رفيع. وكان التواضع والبساطة من السمات البارزة لشخصيتها. إن البساطة الطبيعية والكياسة التي تتمتع بها شخصية بانو قدسية ترجع إلى تربيها. وعلى الرغم من حرمان بانو قدسية من حنان والدها في سن مبكرة، إلا أنها لم تشعر باليتم لأن ظل أمها كان فوق رأسها وكانت السيدة ذاكرة تمنحها محبة والدها وحنانه، كانت طفولتها مباركة وكان هناك ازدهار نسبي في المنزل.^١ في تلك الأيام، كان الآباء عمومًا أقل اهتمامًا بتعليم الفتيات، لكن حالة بانو قدسية كانت على العكس تمامًا؛ تعلمت والدتها بنفسها، وكانت تدرك جيدًا أهمية التعليم في تلك الأيام، كان الآباء عمومًا أقل اهتمامًا بتعليم الفتيات، لكن حالة بانو قدسية كانت على العكس تمامًا. لقد جعلت تعليم وتدريب بانو قدسية أولويتها الأولى، وقررت استخدام جميع الموارد لتحقيق هذا الهدف. بانو قدسية، التي تحملت صدمة اليتيم في سن مبكرة، بمساعدة حنان والدتها، حملت معايير التعليم العالي بنعمة كبيرة. بعد وفاة والدها، أمضت طفولة بانو قدسية في بيئة طبيعية على سفح جبال

^١ . راه رواں ص ٤٦

دھرمسالا بعیداً عن المدن؛ وكان للبيئة الطبيعية الجميلة في المنطقة الجميلة تأثير عميق على شخصيتها؛ وكانت الأم مشغولة بواجباتها التعليمية، وكان الأخ منشغلاً بهواياته.

في مثل هذه البيئة، بدأت بانو قدسية في الانغماس في صفحات الكتب، مما وسع ذهنها وطور وعيها، وعندما تم قبول مسرحيتها المكتوبة في الصف الخامس استحساناً في المدارس في جميع أنحاء البنجاب، أشعلت ميلها إبداعها وازداد احترامها لذاتها.

الكتابة:

داخل أسوار المنزل، تلقوا مهد العلم ودرس الأدب، وكان لمتطلبات الكياسة والأدب مكانة القيم الأساسية في البيئة التعليمية خارج المنزل. في الأجواء الحرة لكلية كينيدي ومن ثم كلية لاهور الحكومية، حصلت على كل الفرص لإظهار قدراتها الإبداعية. البيئة التعليمية والأكاديمية هنا جعلتها أحدث ثورة في الحياة.

وفي هذه البيئة حدثت نشأتها الإبداعية والفكرية وانعكست أفكارها ورؤيتها. وكانت هذه الفترة هي الفترة المجيدة في حياتها. كانت بانو قدسية تميل إلى الكتابة بانتظام وكتبت أول رواية في حياتها "واماندگی شوق". كما قال صابر لودھی:

"علم دوستی اور کتب بینی انھیں ورثہ میں ملی تھی۔ دوسری طرف ایشفاق احمد کے حلقہ احباب میں ممتاز مفتی اور قدرت اللہ شہاب جیسے ذکی اور فہیم لوگ شامل تھے جو ایک خاندان کی طرح مل کر رہتے تھے۔ افسانے لکھتے اور افسانے کہتے تھے۔ بانو آپا کو ایک علمی اور افسانوی ماحول گھر میں میسر آیا اور پھر بانو آپا کے دل میں چھپی ہوئی تخلیق کی کونیل نے سراٹھایا۔ فن کا اکھوا پھوٹا اور تخلیق کی پھوار پڑنے لگی۔"

نالت بانو قدسية العلم والصدقة والتعلیف بطريق الورثة؛ و من نهاية أخرى اشتمال دائرة ایشفاق أحمد المقربة على أشخاص حکماء و اذکی أمثال ممتاز مفتی و قدرت اللہ شہاب؛ حيث كانت العلاقة بينهم كعلاقة العسرة الواحدة؛ و كانوا یکتبون و یحکون القصص؛ فتوفر لبانو في بيتها بيئة علمية و قصصية؛ ومن ثم تولدت نبتة الإبداع الدفينة في قلبها؛ و فنفجرت نفورة الفن و بدأت نفورة الإبداعي بالتدفق.

۱. صابر لودھی، بانو آپا (مشمولہ) راوی (مجلہ)، گورنمنٹ کالج لاہور، جلد ۲۹۸، ۲۰۰۲، ص ۱۰۱

القصة القصيرة والمسرية:

أثبتت الأجواء الأسطورية لدھر مسالا أنها مفيدة جدًا في تغذية الذوق الفطري لبانو قدسية، لقد غدت الطبيعة عقلها الخصب مما مكنها من الكتابة في سن مبكرة، في الصف الخامس، قامت بإنشاء لمسرحية. تقول في مقابلة مع مجلة "شاهارسو" (چهارسو):

"ادبی ذوق کی یافت ایک عطیہ ہے جیسے پھول کی خصوصی خوشبو اور رنگ اس کے بیج میں موجود ہوتا ہے۔ یہ ذوق سنوارا جاسکتا ہے۔ برباد بھی کرنا چاہیں تو کر سکتے ہیں لیکن اس کا بنیادی تعلق توفیق سے ہے۔ ہاں اتنا ضرور کہوں گی کہ میرے ماحول نے میری مدد کی۔۔۔ بڑی چھوٹی عمر میں چھوٹے چھوٹے پیرا گراف کہانیاں مرتب کرنے کا شوق پڑ گیا۔ انہوں نے جماعت میں ایک کھیل لکھا جو سکول کے سٹیج پر کھیلا بھی گیا۔"

إن اكتساب الذوق الأدبي هو هدية مثل العطر الخاص واللون المميز للزهرة في بذورها، يمكن صقل هذا الذوق، و إن أردت تدميره، يمكن لك ذلك، لكنه مرتبط بشكل أساسي بالتوفيق، نعم، يجب أن أقول إن بيثي ساعدتني، في سن مبكرة جدًا، أصبحت مولعة بتأليف القصص القصيرة، كتبت مسرحية في المرحلة الابتدائية والتي تم عرضها أيضًا على المسرح المدرسي.

واستمر ذلك واحتلت الدراما التي كتبتها في الصف الثامن المرتبة الأولى في المدارس في جميع أنحاء البنجاب، لكن هذه الكتابات التي كتبتها في سن مبكرة لم تحفظ لديها.

بدأت بانو قدسية الكتابة بعد تأسيس باكستان عام ۱۹۴۷م، لقد كانت آثار رحلة الهجرة من جوردا سبور إلى لاهور عميقة في ذهن بانو قدسية؛ ثم أصبحت قادرة على تحليل المشاكل الاجتماعية والمعاناة الإنسانية. لذلك، عندما تتأملها، يتم تكثيف كل الألم والمعاناة والشوق في قصتها، والتي تحفظها على الصفحات.

ثم لعبت البيئة الليبرالية في كلية لاهور الحكومية دورًا مهمًا في إرضاء ذوقها الأدبي.

^۱۔ براہ راست بانو قدسیہ سے انٹرویو، گلزار جاوید، (مشمولہ) ماہنامہ چہارسو، راولپنڈی، مارچ ۱۹۹۳ء، ص ۱۰

بدأت بكتابة بعض القصص غير المكتملة وبعض القصص الكاملة بنفسها لكنها احتفظت بها لنفسها، وبمجرد وصول إشفاق أحمد إلى منزلها، عرضت عليه بانو قدسية قصصها؛ وأعجب إشفاق أحمد بها كثيراً وشجعها على إكمال هذه الممارسة ومواصلتها.

وبعد ذلك قالت بانو قدسية لإشفاق أحمد. لقد تم نشر كتابك، يرجى تسمية أي صحيفة ستنشر روايتي، أخذ إشفاق أحمد القصة منها ونشرها في المجلة الأدبية الشهيرة أدب لطيف تحت عنوان "واماندجي شوك" (واماندگی شوق) وهي ضمن مجموعته "آتش زيربا" (آتش زیربا).^۱

تصف هذه الأسطورة مزيج المعاناة والسيخية في حياة الإنسان، فرحت بانو قدسية كثيراً بنشر أعمالها، حتى أنه بعد فترة طويلة حاورها أصغر عبد الله، فقالت بانو قدسية رداً على سؤاله.

"واماندگی شوق کو تو غالباً کسی نے نہیں پڑھا۔ میں اتنی معروف ادیبہ تونہ تھی کہ قابل ذکر لوگ میری طرف نظر کرتے بہر حال دو تین افسانوں کے بعد افسانہ روشنیوں کا شہر چھپا تو امجد حسین کا خط ملا جو میرے پاس محفوظ پڑا ہے۔ انھوں نے لکھا کہ "آپ اچھے افسانے لکھ رہی ہیں اور روشنیوں کا شہر تو بے مثال ہے۔ آپ اسی طرح لکھتی رہیں۔ مجھے عجیب طرح کی خوشی ہوئی کیونکہ امجد حسین جانے پہچانے لوگوں میں شمار ہوتے تھے۔ اس کے بعد پے درپے خطوط آنے لگے"۔^۲

"في الغالب لم يقرأ "واماندگی شوق" إلا القليل؛ فلم أكن أدبية معروفة أنا ذاك؛ و حينما قمت بطباعة قصة مدينة الضوء؛ بعد تاليفي بعض القصص الأخرى؛ بدأ الأشخاص البارزون ينظرون اليها أو ينظرون به؛ وجاءتني رسالة امجد حسين التي احتفظت بها و قد كتب فيها انت تكتبين قصص جيد و قصة مدينة الضوء قصة فريدة؛ انت تكتبين بطريقة جيد؛ و قد شعرت بسعدت عجيبة؛ لأن امجد حسين كان يعد من أهل العلم المعروفين؛ و بعد ذلك بدأت الرسائل تتوالي واحدة تلو الأخر."

إشفاق أحمد كمدرس:

في الحياة الأدبية لبانو قدسية، فإن لقاءها بإشفاق أحمد مهم جداً، إنها ممتنة له إلى

^۱. راہ رواں، ص ۳۱۴

^۲. بانو قدسیہ کا سفر حیات و فن (انٹرویو)، اصغر عبد اللہ، (مشمولہ) ماہنامہ قومی ڈائجسٹ، لاہور، دسمبر ۱۹۹۰ء، ص ۴۲

الأبد على هذه المقدمة الأدبية وتستمر في التعبير عن هذا اللطف في المقابل، لو لم أقابل إشفاق أحمد، لما كنت بانو قدسية، بل كاتب روائي ثانوي للملخص بسيط. ومن ناحية أخرى، عزز إشفاق أحمد أيضًا ثقته الإبداعية بقوله: إنها لا ينبغي أن تخاف من أي كاتب أو من كتابة أي شخص، وبسبب هذا التوجيه والتشجيع الأدبي، اعتبرت بانو قدسية إشفاق أحمد دائمًا معلمها؛ و قالت:

"میر ادیب ہو جانا چنہ کی بات ہے۔ ۳۷ سال سے لکھ رہی ہوں اور جب بھی لکھنا شروع کرتی ہوں تو مجھے یہ خیال ہوتا ہے کہ میں ایک ڈیڑھ صفحہ سے زیادہ نہ لکھ پاؤں گی۔ لیکن ڈرامہ یا افسانہ لکھا جاتا ہے۔ اور بات بن جاتی ہے۔ إشفاق احمد نے بطور استاد میری بڑی مدد کی اور رہنمائی بھی ورنہ شاید میں ایسے افسانے لکھتی جو عام خواتین لکھتی ہیں۔ إشفاق صاحب نے استاد کی حیثیت سے مجھے لکھنے کی ٹیکنیک اور کیا بہتری ہو سکتی ہے بتایا اور میں ان کے بتائے ہوئے اصولوں پر چلی۔"

"من العجيب ان أصبح أدبية، فأنا اكتب منذ سبعة و ثلاثين سنة و حينما بدأت الكتابة كنت أعتقد اني لن احظي بكتابة أكثر من صفحة واحدة ونصف صفحة، ولكنني كتبت القصة القصيرة والمسرية و أصبح أمرا واقعا، و قد سعدني و أرشدني إشفاق أحمد مساعدة كبير وإلا لكتبت قصص تكتبها عامة النساء، و قد أخبرني إشفاق أحمد بصفته أستاذ عن اسلوب الكتابة و ما يمكن تحسين، و سرت على القوائد التي أخبرني بها.

و تقول بانو قدسية في موضع الآخر هي قالت:

"میں ایک ادنی سی ادیب ہوں۔ مشاہدے کے عمل سے گزر کر جو کچھ تخیل کے چوکھٹے پر فٹ کر سکتی ہوں وہاں تصویر سجا دیتی ہوں۔ میں کوئی ریفارمر نہیں ہوں کیونکہ ابلاغ کا تعلق تو جر نلزم سے ہے۔ ادیب کو ابلاغ کی فکر نہیں ہوتی۔ ایک ادیب یا افسانہ نگار معاشرے کا نباض ہوتا ہے۔ آج کے ادب کو جانچنے کے لیے وقت درکار ہے کیونکہ ادب کی اہمیت کافی وقت گزر جانے کے بعد ہی پتا چلتی ہے۔"

"أنا ادبية صغيرة فأقوم بإنشاء صورا بناء على ما استطيع ادراجه في إطار خيالة من خلال مشاهدتي، فلست مرسلّة الأخبار لأن ابلاغ الخبر يرتبط بصحافة؛ والاديب لا يحتم بتوسيل الخبر، فأدیب وکاتب القصة القصيرة هو نبض المجتمع، يطلب الامر بعض الوقت لمعرفة الادب اليوم، لان أهمية الادب لا تتضح إلا بعض مرور الوقت الكافي."

^۱ روزنامہ جنگ انٹرویو ۲۲ جولائی ۱۹۸۸

^۲ بانو قدسیہ انٹرویو (مشمولہ) عفت افضل، بانو قدسیہ شخصیت اور فن، ادارہ انشاء، حیدر آباد، ۲۰۰۳ء، ص ۳۸

کتابۃ نصوص \ السیناریو (سکرپٹ):

نظرًا لعدم موافقة والدي إشفاق أحمد على زواجه باختیاره، قطعت عائلة إشفاق أحمد علاقتهما به، وانسحبت من الدعم التقليدي من أجل رفض الأعراف العائلية؛ كلاهما لم ينكسر قلبه خلال هذا الوقت العصيب، وقد قرر كلاهما استخدام مهارتهما الإبداعية دون الاهتمام بالمعارضات الاجتماعية، وقاما بإبداعات في عالم الأدب لاقت استحسان أهل العلم والأدب.

في هذه الفترة الحرجة، اضطر إلى أن يصبح كاتب سيناريو لكسب الرزق، على الرغم من أنه لم يكن هناك طلب كبير على أعمال كتابة السيناريو في تلك الأيام، إلا أنه من خلال العمل الجاد، لم يحقق النجاح في هذا العمل فحسب، بل حصل أيضًا على الشهرة.

يصف ممتاز مفتي الحقائق الوحشية لهذه الفترة الحرجة على النحو التالي. و قال: "ان دنوں إشفاق ابھی اپنے پاؤں پر کھڑا نہ ہوا تھا۔ آمدنی کی کوئی صورت نہ تھی۔ میاں بیوی کے ہاتھ میں سکرپٹ رائٹنگ کے سوا کوئی ہنر نہ تھا لیکن ان دنوں سکرپٹ کی مانگ نہ تھی۔ بہر حال إشفاق نے پنسل اٹھائی، ہاتھ میں کاغذ کی سلیس پکڑیں اور پھیری لگانے لگا۔ سکرپٹ لکھوا لو۔"^۱ "في تلك الأيام، لم يكن إشفاق قد وقف على قدميه بعد، ولم يكن هناك مصدر للدخل، ولم يكن لدى الزوج والزوجة أي مهارات سوى كتابة السيناريو، لكن لم يكن هناك طلب على النصوص في تلك الأيام، لكن إشفاق التقط القلم الرصاص، وأمسك بقصاصات الورق في يده وبدأ بالخربشة، كاتبو السيناريو.

قام إشفاق أحمد ببناء منزل في موديل تاوان عن طريق أخذ دين، فنصحه ممتاز مفتي بتأجير المنزل لسداد الدين، ورفض إشفاق أحمد قبول نصيحته، وقال إنني لم أقم ببناء المنزل للإيجار، بل بنية العيش، فهمت بانو قدسية كلام إشفاق أحمد واستعدوا

^۱ بانو قدسيہ، پتی بھگت (مشمولہ) اور اوکھے لوگ، ممتاز مفتی، فیروز سنز لاہور، ۱۹۹۱ ص ۱۶۶

لسداد الدين؛ أخذت قلم في يدها، ووضعت الأوراق أمامها وجلست على الطاولة وبدأت في كتابة السيناريو باجتهاد شديد، وبالنتيجة لم يتم سداد الدين البالغ ۷۸ ألفاً فقط، بل قال ممتاز مفتي:

صرف مکان ہی نہیں گھر میں جتنا ساز و سامان ہے سب سکرپٹوں سے بنا ہے۔ یہ صوفہ تین سکرپٹوں سے خریدا تھا۔ وہ فرج پانچ سکرپٹوں کا آیا ہے۔ یہ کارپٹ دس سکرپٹوں کا ہے۔ یہ ٹیپ ریکارڈر بارہ سکرپٹوں کا ہے۔ ان سکرپٹوں میں اکیلا ایشفاق ہی نہیں بانو قدسیہ بھی برابر کی حصہ دار ہے۔^۱

لیس المنزل فقط، بل جميع الأثاث الموجود في المنزل بسبب كتابة السيناريو، وتم شراء هذه الأريكة مقابل كتابة ثلاثة نصوص، و تأتي تلك الثلاثه مقابل كتابة خمس قطع من نصوص السيناريو، و قام بشراء هذا سجادة مقابل كتابة عشر نصوص، وقاموا بشراء هذا المسجل مقابل كتابة اثني عشر نصاً، و ليس إشفاق هو الوحيد الذي قام بكتابة النصوص، بل إن بانو قدسية شاركته في كتابتها مناصفة."

"داستان گو":

إن تأليف "داستان جو" هو صورة مبهجة للحياة الأدبية لبانو قدسية، والتي تمثل علامة فارقة مهمة في تطوير مهاراتها الأدبية، داستان جو، مجلة تجريبية أنيقة بحجم الجيب باللغة الأردنية، ظهرت في نوفمبر ۱۹۵۷م، نشرها إشفاق أحمد، زوج بانو قدسية. ولم يتضمن إصدارها نصيحة بانو قدسية فحسب، بل الدعم العملي أيضاً. وعندما أدرك إشفاق أحمد قلة رأس المال اللازم لنشر المجلة، قالت بانو قدسية: "میرے پاس سونے کے دو کنگن ہیں ٹھوس بارہ تولے کے، پہنے بھی نہیں جاسکتے۔ یونہی پڑے ہیں إشفاق احمد نے پوچھا انھیں بیچ دیں؟ بانو قدسیہ بولیں بیچ دیں، بیچنا چاہیں تو۔ ویسے بینک ان کے اگینسٹ قرض بھی دے دے گا۔ بعد میں چھڑائے بھی جاسکتے ہیں۔ ہم چھڑالیں گے۔ کوئی ایسی مشکل تو نہیں۔"^۲

"لدي سوارين من الذهب، عيار اثناء عشر قرأت لا ارتداؤهما ولا حاجة لهما، سأل إشفاق أحمد، أقوم بيعهما؟ فأجبت بانو قدسية نعم بل بيعهما إذا أردت بيعهما.

^۱ بانو قدسیہ، پتی بھگت (مشمولہ) اور اوکھے لوگ، ممتاز مفتی، فیروز سنز لاہور، ۱۹۹۱ء ص ۶۷-۱۶۷

^۲ . راہ رواں، ص ۴۳۱

بالمناسبة، سيقدم البنك أيضا قروضا ضدهم، يمكن استبدالها في وقت لاحق، سوف نقوم باسترداد، لا توجد مثل هذه الصعوبة."

وقال إشفاق: "لكن لا يمكن فعل شيء بهذا المبلغ الضئيل من المال". ردت بانو: عندك تسع مائة نقود. ستقدم الصحيفة أيضًا شيئًا كل شهر.^۱

لذلك، عندما بدأت المجلة في الطباعة، بسبب نقص المقالات عالية الجودة، نشأت مشكلة تتعلق بحجم المجلة، فقامت بانو قدسية بحل هذه المشكلة بشكل جميل جدًا، و عن طريق كتابة مقالات متنوعة تحت أسماء وهمية، ولم يُطبع اسم بانو قدسية في المجلة كمحرر مشارك، ولكن سرعان ما عرف الناس أن بانو قدسية هي من تكتب العديد من المقالات الدرافيدية للراوي، وفي هذا السياق كان عنوان مهم هو "شكاريات" الذي صدر تحت اسم "أمير شكاري" وكتبت عدة مقالات تحت ستار هذا الاسم الوهمي. مثلاً:

"جل پریاں (شارک مچھلی کے بارے میں معلوماتی مضمون) بھاگ" (شیر کے بارے میں)، ان کی دنیا کتوں کے بارے میں) اے رات کے مسافر (چمگاڈروں کے بارے میں) لکھے۔"^۲ یقرأ الناس هذه المقالات الإعلامية باهتمام كبير.

کتبت بانو قدسية أيضًا بعض الكتابات باسمها في داستان جومثلاً:

"دہشت وفا کی ہر نیاں (اشاعت مارچ اپریل ۱۹۵۹ء) اور التجا (جون ۱۹۶۵ء) جیسے افسانے شامل ہیں۔ ان کے ناولٹ ایک دن پروا اور موم کی گلیاں بھی داستان گو میں چھپتے رہے۔"^۳

رعت هذه المجلة قدرات بانو قدسية الحاملة، ودربتها على النظر إلى زوايا الحياة الأوسع، والنظر بعمق في المشكلات الاجتماعية، مما أدى إلى تجسيد قمم الفن في روايات مثل "ملك النسر" (راجہ گدھ).

۱. داستان گو، إشفاق أحمد، جنوری فروری، لاہور ۱۹۵۹ ص ۲۳-۴۲۴

۲. نفس المرجع السابق

۳. داستان گو، إشفاق أحمد، جنوری فروری، لاہور ۱۹۵۹ ص ۲۳-۴۲۴

الباب الثالث

الباب الثالث

موضوعات فن السيرة الذاتية للكاتبتين. 

وفيه فصلان.

الفصل الأول: الخصائص الفنية لفن السيرة الذاتية 

عند عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية.

الفصل الثاني: أسلوب الاستخدام اللغوي لكتاب على 

الجسر بين الحياة والموت لعائشة عبدالرحمن و لكتابي

مرد ابريشم، و راه روان لبانو قدسية.

الفصل الأول

الخصائص الفنية لفن السيرة الذاتية عند عائشة عبدالرحمن

و بانو قدسية.

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: الميثاق السيرة الذاتية.

المبحث الثاني: عتبات النص.

المبحث الثالث: الدوافع والصراع في السيرة.

المبحث الرابع: الزمان والمكان.

المبحث الخامس: الوصف والسرد والحوار.

المبحث السادس: الشخصيات.

المبحث الأول

الميثاق السير الذاتية.



الميثاق السير الذاتية

مفهوم الميثاق السير الذاتية:

يرى بعض النقاد أن فن السيرة الذاتية فن جديد عرفه الغرب قبل العرب، على الرغم من وجود جذور له في التراث العربي القديم تشهد على أصالته وقدمه، وقد أدى هذا القول إلى وجود اختلاف بين النقاد في تحديد نشأة السيرة الذاتية، وبالرغم من وجود هذا الاختلاف؛ إلا أن فن السيرة الذاتية قد كثر وشاع استعماله في العصر الحديث، وذلك لكثرة السير التي أنتجت كتابتها وظهورها في ذلك العصر، مثل: سيرة "طه حسين" في كتابه (الأيام)، وكتاب (حياتي) لأحمد أمين، و(أنا) للعقاد، وغير ذلك كثير.

البحث عن مصطلح يمكن أن يتداخل مع الأنواع الأدبية الأخرى، خاصة فن الرواية، إذ لا يوجد تمييز بين الفنين، علماً أن فن الرواية يعتمد أكثر على الخيال، على عكس السيرة الذاتية التي تعتمد على الواقعية، والواقعية المصدقية في سرد الأحداث، وللحكم على أن النص المكتوب هو سيرة ذاتية له دون سواه، فلا بد أن تكون له علامات وخصائص تحدد هويته، وفي هذه العلامات يكون ميثاق السيرة الذاتية.

و قال ابن منظور في لسان العرب "الموثق والميثاق العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع الموثائق على الأصل."^١

رأى فيليب جون عن مسيرة الميثاق:

ويتكلم "فيليب لوجون" عن الميثاق بقوله: "لقد استهواني مصطلح ميثاق السيرة الذاتية... لأن الميثاق يثير صوراً خرافية مثل "الموثيق مع الشيطان التي نغمس فيها ريشتنا في دمنا

^١ . لسان العرب لابن منظور - مادة " و ثق "

من أجل بيع الروح، في حين يجعل العقد على دلالة أكثر نثرية إننا عند كاتب شرعي. إن مصطلح العقد وجود قواعد واضحة وثابتة ومعتترف بها لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقراء، بحضور المؤلف القانوني الذي تم التوقيع معه على نفس العقد، وفي نفس الوقت. وهو أمر لا يشابه في شئ واقع الأدب.¹ وبناءً على ذلك، نفهم أن الميثاق "بمثابة العقد الذي يجعله كاتب السيرة الذاتية رابطاً بينه وبين القارئ² ليستطيع القارئ عن طريقه معرفة حقيقة النص الأدبي، بأنه أولاً. سيرة ذاتية، وثانياً - بأنه يحتوي حقيقة على حياة المؤلف، وبدونه يقع القارئ في دائرة الإيهام والإبهام؛ لقرب الأجناس الأدبية من بعضها.

وتأتى أهمية الميثاق، بأنه يجعل القارئ يصدق بأن ما يحكيه له الكاتب قد حدث له "وبالفعل، دون إدخال أي عنصر من عناصر الوهم والخيال في عملية السردية.^٣

الشروط التطبيقية عند فيليب جون:

لكي نحكم على أى نص سيرى، بأنه سيرة ذاتية، لا بد من تطبيق الشروط التي وضعها: "فيليب لوجون"، وهو:

١- شكل اللغة:

أ- حکى ب- نثري

٢- الموضوع المطروق: حياة فردية، وتاريخ شخصية معينة.

١. السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ١٢، ١٣

٢. خصائص البناء الفني في السيرة الذاتية - الهادي غابري - مجلة علامات في النقد - ص ٦٢٣

٣. سمات النص السير ذاتي في أنقل من رضوى هذلة راحيل - مجلة الجديد - العدد ٨ - نشر في ١-٩-

٣: -وضعية المؤلف:

تطابق المؤلف (الذى يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد.

٤- وضعية السارد:

أ- تطابق السارد والشخصية الرئيسية.

ب- منظور استعادي للحكي "١".

فهذه الشروط لا بد من تحقيقها في النص، حتى يصح انتماءه إلى فن السيرة الذاتية، وسأوضح بشرح مختصر مفهوم هذه النقاط، حتى يتبين المقصود منها.

أولاً - شكل اللغة:

أ - أن يكون النص حكياً:

" قبل كل شئ يجب أن يكون النص حكياً^٢ بمعنى أن يروي قصة حياة شخص ما مستجيباً لسلسلة متوالية من مراحل حياته، ولادة حياة عاطفية وجنسية، تجارب من كل نوع، زواج (زيجات)، وفيات، إلخ، فإن "الحكي" يتضمن فكرة التجربة الواقعية، المعاشة من طرف المؤلف^٣

١ . السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ٢٢، ٢٣

٢ . نفس المرجع - ص ٢٣

٣ . ينظر الكتابات الذاتية (المفهوم ، التاريخ ، الوظائف ، الأشكال) - توماس كليرك - ترجمة محمود عبد الغني

- الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٥ م - دار أزمنة - عمان - الأردن - ص ١٣ ، ١٤

ب - أن يكون النص نثرياً (دون الشعر):

حدد الناقد "فيليب لوجون" أن يكون النص السردى مكتوباً بلغة نثرية^١ وذلك لأن المضمون الحكائي للعديد من السير الذاتية، التي لا تتردد في حكاية حتى التفاصيل الخالية من الدلالة والأكثر إثارة للخجل، يتوافق مع الشكل غير المعين الذي هو النثر، الذي يضمن صدق القول.^٢ أي أن حكاية الحياة من خلال اللغة النثرية يضمن لها تحقيق الصدق بدرجة كبيرة، وذلك بخلاف حكاية الحياة من خلال استعمال الأبيات الشعرية.

ثانياً - أن يكون الموضوع المطروق حياة فردية وتاريخ شخصية معينة:

بمعنى أن يكون الموضوع المطروق الذى تدور حوله الأحداث في السيرة، "هو الحياة الفردية وتكوين الشخصية، ولكن قد يشتمل أيضاً الخلافة والتاريخ الاجتماعى أو السياسى".^٣

ثالثاً - التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية:

من أهم الشروط التي حددها "فيليب لوجون" في عناصر السيرة الذاتية، هو التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، ويمكن للتطابق أن يتحقق بطريقتين:

١ - ضمناً:

على مستوى العلاقة مؤلف - سارد بمناسبة ميثاق السيرة الذاتية، ويمكن لهذا الأخير أن يأخذ شكلين:

١ . ينظر السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ١٦

٢ . الكتابات الذاتية - توماس كليرك - ص ١٥

٣ . السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ٢٣

أ) استعمال عناوين لا تترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف قصة حياتي، سيرة ذاتية، إلخ.

ب) مقطع أولي للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ..، بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف، وإن كان هذا الاسم غير وارد في النص.

٢- بطريقة جلية:

على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد - الشخصية في المحكي نفسه والذي هو نفس اسم المؤلف المعروف على الغلاف.^١

هذه هي أهم العناصر والشروط، التي وضعها "فيليب لوجون" للسيرة الذاتية، وتحقيقها في العملية السردية، يجعل السيرة الذاتية تتميز عن بقية الأشكال الأخرى المحيطة بها كالرواية الشخصية، الاعترافات المذكرات اليومية، كما أن تحقق مسألة التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، يجعل القارئ على يقين واقتناع بوجود علاقة وثيقة بين الكائن السردى، والكائن الخارجى الذي يحيل عليه.

وإذا ما طبقنا هذه الشروط على سيرة "بنت الشاطئ" و بانو قدسية ، نجد الأغلبية منها متوفرة في هذه السيرة، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

الشرط الأول:- التطابق الكلي بين المؤلف والسارد والشخصية، فإننا نلاحظ ثبوت ذلك في السيرة، فالأحداث التي فيها تشير بكل بوضوح إلى "عائشة عبدالرحمن"، ويتم التأكد من ذلك من خلال الرجوع إلى المصادر التي تسجل حياة "عائشة عبدالرحمن"، وأول هذه المصادر المقالات التي نشرتها في جريدة "الأهرام"، وتحدثت فيها عن حياتها

^١ . السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ٣٩، ٤٠

ومراحلها التعليمية ولقائها بزوجها، إضافة إلى ذلك استخدامها ضمير المتكلم "الأنا"، الذي يكشف مباشرة عن ذات المؤلف.

الشرط الثاني :- وهو أن يركز الكاتب على حياته الفردية، وعلى تاريخ تكون شخصيته، وكذلك سردت "بنت الشاطئ سيرتها الذاتية، مركزة على حياتها من الطفولة إلى مرحلة لقائها وزوجها من الشيخ أمين الخولي"، وختمت سيرتها بوفاته.

و نفس الشيء عند بانو قدسية، بينت سيرتها الذاتية، وركزت على حياة من الطفولة إلى مرحلة لقائها وزوجها من إشفاق احمد، وختمت سيرتها بوفاته. وإن كانت قد أخفت عن القارئ أحداث ومشاهد كثيرة احتفظت بها لنفسها.

الشرط الثالث:- أن يكون السرد في النص استعاديًا "تلعب فيه الذاكرة دورًا هامًا فينتقي السارد مجمعاً لغويًا يفيد معنى الذكرى والاسترجاع لحياته الماضية فتتواتر المفردات والأفعال الدالة على الماضي".^١

ففي بداية السيرة، تعبر "بنت الشاطئ" عن الذكرى بقولها:

"في ذاك الفصل من قصتي، أعود إلى طفولتي الباكرة، فأسترجع من ذكرياتها ما لم تطوه الأيام والليالي في متاهة النسيان".^٢

وتقول أيضاً: أحاول قدر ما أستطيع أن أستعيد ماضيا كما كان حريصة على ألا تتداخل المشاهد وتختلط الذكريات.^٣

^١ . خصائص البناء الفني في السيرة الذاتية - الهادي غابري - مجلة علامات في النقد - ص ٦٣٧

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٧

^٣ . نفس المصدر - ص ١٧

فحص عائشة وما فيه من أحداث سرد استرجاعي ابتدأته برثاء زوجها ووصفها لمشهد وفاته، ثم تراجعت في الأحداث إلى الخلف؛ لتبدأ من نقطة البداية من بيت النشأة في دمياط إلى سردها عن عائلتها، وعن مولدها ومراحلها التعليمية. وقد ذكرت "بنت الشاطئ" مرحلة الطفولة من خلال عملية استحضار وتذكر الماضي، وهذا التذكر يوضح لنا دور الطفولة في تكوين شخصية "الأنا" التي تحولت فيما بعد إلى مكانة اجتماعية مرموقة.

وكذلك قالت بانو قدسية عن الذكريات الماضية و هذه الدواعي لبدء كتابة السيرة الذاتية عن زوجها و بين عن أحوال اولادها و أصدقاء لزوجها. مثلاً حيث قالت بانو قدسية:

"اور یہ گھران کی رخصتی کے بعد گھر نہ رہا۔ شہرت ما بعد کا خزینہ بن گیا۔

"ولم یبقی هذا منزل منزله، بعد وفاة إشفاق أحمد بل أصبحت شهرة هي كنزه الأخير".

پھر وہ بتاتی ہیں کہ خان صاحب کو جاننے کا ایک ذریعہ گھر تھا جہاں وہ دونوں رہتے تھے۔ اور خان صاحب کی وہ یاداشتیں جو ساتھ رہنے کے باعث میسر آئیں ان کے پاس موجود تھیں، پورا سال سوچنے کے بعد آخر کار بانو قدسیہ نے ہمت کی اور اپنے آپ کو اس بات پر راضی کر لیا کہ اپنے ہم سفر کو کسی باغ کی اکیلی بچ پر بیٹھ کر یاد کریں اوپر سے خزاں دیدہ پتے درخت سے گریں، ہوا میں نومبر کے مہینے کی خنکی ہو، دُور لان میں بچوں کا بچپن نظر آئے اور آخری فوارے کے کنارے بیٹھے خان صاحب کے دوستوں کا جھرمٹ دکھائی دے۔ ہولے ہولے شام کی سرخی غائب ہو جائے پرندے گھروں کو لوٹ جائیں اور اندھیرے میں کسی گوشے سے خان صاحب آگے بڑھیں اور مجھے میری غلطیوں سمیت اپنے گھر اپنی کابکٹ میں واپس لے جائیں"¹

"ثم تقول: أن إحدى الطرق للتعرف على إشفاق هي المنزل الذي يعيشان فيه، وكانت معهم ذكريات إشفاق التي كانت ممكنة بسبب العيش معاً، وبعد عام من التفكير استطاعت بانو قدسية أخيراً أن تجمع شجاعتها وتقنع نفسها بتذكر شريك حياتها وهي

تجلس بمفردها على مقعد في الحديقة، و تتذكر أوراق الشجرة وهي تتساقطة في فصل الخريف، و برودة الهواء في شهر نوفمبر، ويتراء لها طفولة الأطفال في الحديقة البعيدة و رؤية مجموعة من أصدقاء إشفاق يجلسون بجوار النافورة الأخيرة، و غياب ضوء الشمس وقت الغروب وعود الطيور إلى أعشاشها، ومن زاوية ما في الظلام، يتقدم إشفاق ويعيدني إلى منزلي مع رغم تقصيري.

فنص "بانو قدسية" وما فيه من أحداث سرد استرجاعي ابتدأته برثاء زوجها ووصفها لمشهد وفاته، ثم تراجعت في الأحداث إلى الخلف؛ لتبدأ من نقطة البداية من بيت إلى سردها عن عائلتها، وعن مولدها ومراحلها التعليمية. وقد ذكرت "بانو قدسية" مرحلة الطفولة من خلال عملية استحضار وتذكر الماضي، وهذا التذكر يوضح لنا دور الطفولة في تكوين شخصية "الأنا" التي تحولت فيما بعد إلى مكانة اجتماعية مرموقة.

ولكن من الملاحظ أن في الشروط التي وضعها "فيليب لوجون" شرطاً غير متوفر تماماً في سيرة "بنت الشاطئ" و بانو قدسية، وهو أن الحكى السردى يكون نثرىً، وسيرة الكاتبة قد اشتملت على أبيات شعرية، وقد أدرك لوجون أنه لا يوجد أي مانع يحول دون استعمال أبيات شعرية في السيرة الذاتية، الشئ الذي يفقد عقد السيرة الذاتية كثيراً من مصداقيته.^١ وبذلك لم يتحقق الميثاق تحققاً كاملاً نظراً لسرد بعض الأحداث عن طريق الشعر، وهو ما فقدها شرط الحكى أو السرد.

أما عن تطبيق قضية الميثاق على سيرة "بنت الشاطئ" و بانو قدسية، فإنه يمكن تحقيق ذلك من طريقين:

^١ . السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي - فيليب لوجون - ص ١٦

الأول - علامات خارج النص:

يوجد خارج النص السردى علامات يمكن عن طريقها تأكيد الميثاق السير ذاتي، والمقصود بهذه العلامات مجموعة العوامل الفاعلة في النص من خارجه، مثل كاتبه، وتاريخه ونوعه.. إلخ^١

وهذه العلامات تتمثل فيما يلي:

الأول - عنوان الكتاي "على الجسر بين الحياة والموت" و"راه رواه":

يعتبر العنوان من العناصر الأساسية اللازم ذكرها في بداية العمل الأدبي، فهو أول ما يجذب عين القارئ، ويكون أول نقطة التقاء واتصال بينه وبين الكاتب، فوجوده يحدد للقارئ المضمون العام الذي احتواه النص.

وقد وضعت "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية عنواناً على سيرتهما، وهو على "الجسر بين الحياة والموت" و "راه رواه" توسط غلاف الكتاب من الأعلى، وإذا نظرنا جيداً إلى هذين العنوانين، نجد أنه يقترب من الميثاق السير ذاتي، كونه يمثل الحالة النفسية التي مرت بها الكاتبتان بعد فقدانهما رفيق دربهما، فهي وقفت على هذا الجسر و هذا الصراط ضائعة وممزقة من شدة الحزن والأنين على زوجها، وتتوسط هذا الجسر وهذا الصراط لتراجع بذاكرتهما إلى الخلف وتذكر المعاناة والعقبات التي واجهتهما، حتى عائشة التقت بالأستاذ والزوج "أمين الخولى" و بانو قدسية التقت مع الزميل والزوج "إشفاق احمد"، وفي الحاضر تنتظر نهاية الرحلة، حتى تلتحق به في الدار الآخرة.

^١ . القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة) - تودوروف كنت وآخرون - ترجمة وتقديم:

د/ خيرى دومة - مراجعة: أ.د سيد البحراوي - الطبعة العربية الأولى ١٩٩٧ - دار شرقيات للنشر والتوزيع -

كما أننا نلاحظ في عنوان السيرتين، أنه قد اشتمل على جزئين، لكل منهما دلالة:

عند عائشة:

الجزء الأول - "على الجسر":

يبدو من هذا المقطع، أن الكاتبة تعاني من حالة نفسية معينة، فالجسر أداة للتوصيل بين نقطتين يصعب الوصول بينهما غالباً بدونه، ولنا أن نتخيل من يقف على الجسر، هل ليستريح ويلتقط الأنفاس بعد شوط قطعه من البداية في حياته، أم هل هو في شوق للقاء أحد؟ إن الفروض والتساؤلات لا تنتهي.

يتجلى في نص "عائشة عبد الرحمن"، ما تريد توضيحه من اختيارها لهذا العنوان، فهي وقفت على الجسر لتلقط أنفاسها وتستريح من معاناة وألم شديدين؛ بسبب رحلتها التعليمية الشاقة، كما أنها في الوقت ذاته وقفت على الجسر؛ لأنها كانت تتمزق من شدة الاشتياق والحنين لزوجها.

والجسر الذي وضعته "عائشة عبد الرحمن" عنواناً لسيرتها، لم يتبين لنا من خلاله أوصافاً مادية ملموسة، وأشكالاً معمارية، وإنما تبين لنا أنه معلق بين طرفي الحياة والآخرة، وهذا من قبيل المجاز، ولعل الكاتبة أرادت من وضع هذا العنوان بهذا المعنى، أن تشير إلى حاضرها المضطرب ومستقبلها الغامض الذي ستواجهه بعد رحيل زوجها.

الجزء الثاني - "بين الحياة والموت":

فالحياة حياتها التي تعيشها بعد رحيل رفيقها، والموت موت زوجها والذي تعتبره الزوجة الوفية لزوجها وفاة لها، فبلقائه ذقت طعم الحياة من جديد، وبفراقه ذقت مرارة الفقد، ولذلك كانت تنتظر الموت في كل لحظة من لحظات حياتها؛ لتلتقي به في العالم الآخر، ومن هنا كتبت لنا سيرتها على اعتبار أن حياتها انتهت بوفاة زوجها "الشيخ أمين الخولي".

من هنا جاء العنوان عنصرًا مميزًا للسرد الذاتي دل على مجمل النص، وعن الحالة التي وصلت إليها الكاتبة، والتي نقلتها للقارئ معبرة عن أحزانها وآلامها، بالإضافة إلى أنها قد سردت الكثير من الأحداث والمراحل التي مرت بها أثناء المسيرة العلمية، وهذا من شأنه أن يحدث تأثيرًا في نفس المتلقي يجعله يقبل على قراءة النص بكل كيانه ووجدانه، ويتشارك مع الكاتبة في معاناتها، وبذلك يتحقق الميثاق السير ذاتي، الذي يثبت انتماء النص السردي إلى فن السيرة الذاتية.

عند بانو قدسية:

وعنوان الكتاب لبانو قدسية أيضًا جزءان:

الجزء الأول: "راه":

راه يعنى الطريق معنى ذلك كان زوجها إشفاق زميل لبانو قدسية فى الكلية الحكومية بـلاهـور، و كان إشفاق يرشد بانو قدسية فى كل مجال لاسيما فن الكتابة وسبب هذا سمى بانو قدسية اسم هذا الكتاب جزء الاول "راه" يعنى الطريق أو الصراط.

والجزء الثاني: "روان"

"روان" حياتها التي تعيشها بعد رحيل رفيقها، و يكشف من كتابها علم إشفاق كيف تفكر بانو قدسية وتقرأ و تكتب حتى كل الأشياء التي هى تحتاج فى حياتها، و هذه رحلت ما زلت فى آخر حياتها، و عندما انتقل زوجها إلى رحمة الله تعالى، كتبت هذا الكتاب فى الحزن المفارقة لزوجها و سمى هذا الكتاب "راه روان" يعنى الطريق الجارى".

الثاني - عبارة سير ذاتية.

أى أن الكاتب الذي يكتب نصًا سرديًا يمثل به حياته الشخصية، لا بد أن يحتوي كتابه

على "إشارات من النوع الذي يؤكد أننا لسنا بصدد تخييل هذه الإشارات مثل (سيرة ذاتية)، (ذكريات)، (حياتي)"^١.

وإذا أردنا تطبيق العنصر السابق على سيرتين للأديبتين "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية"، فإننا نجد أنهما لم تضعاً مقدمة أو تمهيداً، توضحان فيهما بأن ما تكتبانه هما سيرة ذاتية تمثل قصة حياتهما، تبين فيهما الهدف والغاية من كتابة النص السردي؛ وإنما وضعنا عبارة "سيرتين ذاتيتين" على غلاف كتابهما بجوار العنوان الخارجي للكتاب، وهذه العبارة تفيد بأن النص المكتوب ينتمي إلى جنس السيرة الذاتية، وبذلك تكون الكاتبتان قد وضعنا إشارة لتحديد جنس النص، وبه تكون قد عقدتا اتفاقاً وميثاقاً بينهما وبين القارئ، هذا برغم إخفائهما لكثير من الأحداث والوقائع المتعلقة بحياتهما الخاصة، وأسرارهما الشخصية في علاقتهما بزوجهما، ولكن هذه العبارة حددت النص السردي بأنه سيرة ذاتية، وليس رواية، "وهذا يظهر أهمية الميثاق في قضية التجنيس، والفصل بين السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس الأدبية المتماهية معها. ومن هنا كان الاهتمام بقضية الميثاق ومحاولة التفريق بين أنواعه المحددة لطبيعة النص، فطبيعة الميثاق هي البوصلة التي تسهم في التجنيس الذي نسعى إليه"^٢.

الثالث - الاسم العلم الذي يكتب في كتب السيرة الذاتية:

والمقصود به اسم المؤلف الذي يكتب نصاً سردياً، وعن طريق هذا الاسم يتم التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، ويوجد هذا الاسم العلم "على غلاف الكتاب".

١ . الكتابات الذاتية - توماس كليرك - ص ٢١

٢ . رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية- إعداد الباحث سامر صدقي محمد موسى -

رسالة ماجستير - جامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين - ٢٠١٠م - ص ٦٠

إذا كان هذا الاسم متطابقاً مع اسم الشخصية الرئيسية المتمثلة في الضمير "أنا"، فإن ذلك يعني أن المؤلف يقصد التصريح بتطابقه، وهنا نكون أمام سيرة ذاتية^١.

وما دام الأمر كذلك، فإننا نجد اسم الكاتبة صريحاً واضحاً في أسفل غلاف الكتابين وهو الدكتوراه "عائشة عبد الرحمن" و "قدسية بانو جتهه" ولم تكتف بهما بل وضعت أيضاً لقبهما المستعار تحته وهو "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" فهذا التصريح بالاسم ينسب النص إلى فن السيرة الذاتية وذلك؛ لأن "إثبات اسم المؤلف يصبح فعلاً دالاً أكثر عندما يتعلق الأمر بالسيرة الذاتية خاصة لأنه يكون حينئذ جزءاً للعقد المقام بين المؤلف والقارئ كما أنه يخلق من جهة أخرى نوعاً من الإثارة لدى المتلقي يدفعه إلى قراءة هذا الأثر مدفوعاً في ذلك بنوع من الفضول في معرفة حياة الآخر والوقوف على مكوناته الداخلية، فهو يدرك بأن الذات المنكشفة أمامه في السيرة هي ذات المؤلف، بعيداً عن التمويه أو القناع الذي يلبسه المؤلف عادة في كتاباته الأخرى"^٢.

فوجود هذا الاسم العلم على غلاف الكتاب، يحدد المؤلف باعتباره شخصاً واقعياً حقيقياً يوجد خارج النص.

من هنا كان ارتباط الكاتبة بمضمون الأحداث الواردة في النص ارتباطاً وثيقاً، ومما يؤكد علاقتها بهذه الأحداث ذكرها لها في بعض المقالات التي كتبتها عائشة في جريدة "الأهرام"

١ . الكتابات الذاتية - توماس كليرك - ص ١٩

٢ . سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات) دراسة - خليل شكري هياس - ط. ٢٠٠١م -

منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ص. ٤٥

أو اللقاءات والحوارات التي أجريت معها^١
وكذلك بانو قدسية ذكرت في رسالتها "داستان گو".

الرابع - الإهداء:

ومما يؤكد أيضاً نسبة النص السردي الذي كتبتها "عائشة عبد الرحمن ء" إلى فن السيرة الذاتية، ذلك الإهداء، الذي وضعته في مقدمة كتابها تهديه لروح زوجها، فتقول: "وتجلت فينا ولنا وبنا آية الله الكبرى الذي خلقنا من نفس واحدة فكنا الواحد الذي لا يتعدد، والفرد الذي لا يتجزأ. وكانت قصتنا أسطورة الزمان، لم تسمع الدنيا بمثلها قبلنا وهيئات أن تتكرر إلى آخر الدهر!"^٢

فكلمات هذا الإهداء مطابقة تماماً لكلمات وعبارات النص، وقد تكررت بلفظها في ثنايا صفحات السيرة، مثل قولها في داخل النص: آمنت من اللحظة الأولى للقائنا الذي تقرر في علم الغيب منذ خلقنا الله من نفس واحدة، وخلق منها زوجها... وبهذه الثنائية العددية يتعاملان مع الدنيا والناس ولكنهما في جوهر حقيقتهما واحد لا يتعدد.^٣ وهنا تكررت جملة "خلقنا من نفس واحدة بلفظها مرة أخرى كما وردت في الإهداء، فهذا الإهداء

^١ . نشرت "بنت الشاطئ" مقالات لها في جريدة "الأهرام تحت مسميات العناوين التي وضعتها في كتابها (على الجسر) وقد اطلعت عليها ووجدت أنها أفردتها لسرد حياتها منذ ولادتها وحتى مرحلة معينة اقترنت فيها بزوجها "الشيخ أمين الخولي"، كما أنها في بعض الحوارات واللقاءات التي أجريت معها قد سردت أجزاء من سيرتها وذلك في برنامج "هذا هو" عام ١٩٩٤م، وبناء على ذلك تم التوثيق بين السيرة الذاتية وصاحبته د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص. ٥.

^٣ . نفس المصدر - ص ١٧١

يعتبر سمة مميزة لنسبة النص السردي لـ "بنت الشاطئ التي كانت دائمة الذكر والتقدير لأستاذها وزوجها، وبذلك يتحقق الميثاق السير ذاتي وهكذا ذكرت بانو قدسية هي بدأت الكتابة في ثلاثينات من القرن السابق. ونفس الشئ عند بانو قدسية ايضاً.

الثاني - علامات داخل النص:

لكي نستطيع الحكم على النص السردي بأنه سيرة ذاتية، لا بد من تحديد الإشارات الداخلية في النص، التي تثبت صحة انتمائه إلى جنس السيرة الذاتية، وهذه الإشارات تندرج فيما يأتي:

أ- التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية^١:

من الخصائص التي حددها "فيليب لوجون لنحكم على العمل بأنه سيرة ذاتية، التطابق بين المؤلف والشخصية والسارد، ويتم هذا التطابق عن طريق ضمير المتكلم، فثلاثة أنواع من الأنا تندرج في المتن السير ذاتي هي:

- أنا المؤلف الحقيقي أو الكاتب المعلن صراحة وفق الميثاق والتعاقد السير ذاتي بأنه صاحب التلفظ المندرج في المتن.

^١ . المؤلف هو شخص واقعي يقوم بكتابة العمل الأدبي. أما السارد : المقصود به:

١. - الشخص الذي يصنع القصة، وليس هو الكاتب بالضرورة، في التقليد القصصي الأدبي. ٢ - و (السارد)، وسيط بين الأحداث ومتلقيها، (٣) و (سارد الرواية)، وسيط في يلزم ضمير المتكلم في الغالب. الشخصية ١ - فهي التي تتمحور عليها الأحداث والسرد ٢ - الفكرة الرئيسية، التي تنسج حولها الحوادث".
ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - سعيد علوش - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م - دار الكتاب اللبناني - بيروت دار سوشيريش الدار البيضاء المغرب - ص ١٢٧، ١١١).

- أنا السارد المتموضع في متن السيرة الذاتية، بكونها سرداً ذاتياً واحتكاماً إلى التبئير يعني حصر معلومات الراوي وبالتالي القارئ حول ما يجري في الحكاية. أما أصناف التبئير فثلاثة تتحصل من مقارنة معلومات الراوي بمعلومات الشخصية التي يتناولها التبئير. فإذا كان الراوي يعلم أكثر مما تعلم الشخصية كان التبئير غير موجود أي كان السرد في حالة لا تبئير، وإذا تساوى في المعرفة كان التبئير داخلياً، وإذا كان الراوي يعلم أقل مما تعلم الشخصية كان التبئير خارجياً.^١ الذي سينفرد به.
- أنا الكائن السيري الذي سوف يتعين بأبعاد محددة نسبة إلى الأفعال والوصف والمحددات السردية داخل العمل نفسه.^٢
- فنرى أن التطابق يحدث عن طريق استعمال المؤلف ضمير "الأنا"، أثناء سرده للأحداث؛ إذ إن هذا الضمير "يستطيع أن يغوص إلى أعماق النفس البشرية فيعريها بصدق، ويكشف عن نواياها بحق؛ ويقدمها إلى القارئ هي، كما يجب أن تكون."^٣
- تحقق التطابق في نص "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" عن طريق الاسم العلم الموجود على غلاف الكتاب الخارجي الذي يتطابق مع الشخصية الرئيسة التي

^١ . ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية - د/ لطيف زيتوني - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ - مكتبة لبنان ناشرون،

درا النهار للنشر - ص ٤٠.

^٢ . البوح والتميز القهري د/ حاتم الصكر - ص ١٤.

^٣ . في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد - د/ عبد الملك مرتاض - ط. ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - عالم المعرفة

- الكويت - ص ١٨٥

تدور حولها الأحداث داخل النص، فالأسماء العلم هي محددات صارمة "فهني لا ترجع إلى مبدأ أو معنى، بل إلى فرد ترجع إليه بسرعة في عالم الحقيقة"^١.

● ومما يؤكد هذا التطابق هو مطابقة الاسم المدون على غلاف الكتاب للاسم الداخلي الوارد في النص، فمن ذلك قولها:

● "وسمعت فيما سمعت من أخبار الأسرة قبل مولدي، أن أبي تمنى عندما حملت أمي جنينها الأول، أن يهبه الله غلاماً زكياً يتلقى ميراث البيت من علوم الدين، فلما بكرت أمي بأنثى تلقاها بما يليق بمثله من رضى بما أعطى الله تعالى حتى إذا حملت بي أمي ووضعتني بنتاً ثانية، لم يضجر بي والدي، وتلك إرادة الله، بل وهبني للعلم منذ وضعتني أمي في المهده، وسماني (عائشة) تفاؤلاً باسم أم المؤمنين رضى الله عنها، وكناني "أم الخير".^٢

● نستدل بالنص السابق على الحضور الفعلي للمؤلفة من خلال ذكرها لاسمها الحقيقي داخل النص في قولها: "سماني عائشة"، وتطابقه مع الاسم الخارجي المدون على غلاف الكتاب، ومن هنا تأكد لنا حضور عائشة كمؤلفة وساردة وأيضاً كشخصية رئيسة، وبذلك تحقق الميثاق داخل النص السير ذاتي. قد قيل بأن السرد بضمير المتكلم ليس من العلامات التي تنسب النص إلى جنسه والدليل على ذلك وجود سيرة ذاتية بضمير الغائب مثل سيرة "طه حسين" فقد سرد الأحداث بضمير الغائب "ولم يستخدم ضمير المتكلم إلا مرتين عندما تحدث لابنته في الجزء الأول ولابنه في الجزء الثاني".^٣ وعدت سيرته من أفضل السير التي أنتجت في العصر الحديث، ولكن قد أشار "د. يحيى عبد الدايم" إلى أن "طه حسين" قد أحلَّ

١ . الكتابات الذاتية - توماس كليرك - ص ٢١

٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٣١.

٣ . السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث - د/ شعبان عبد الحكيم محمد - ص ٧٨.

بشروط الترجمة الفنية حينما عمد إلى ضمير الغائب؛ لأنه فصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي.^١

بناءً على ذلك يتضح لنا أهمية ضمير المتكلم في أنه يحدث التطابق بين الكائن السردى داخل النص وبين الكائن الخارجى.

ب - إقرار المؤلف:

وبما أنه قد اختلف في إشكالية التطابق بين المؤلف السارد الشخصية بأنها لا تعد وسيلة واضحة على أن النص السردى سيرة ذاتية تنسب للمؤلف، فلا بد إذن من إشارات صريحة، كأن يوجد داخل النص دلالة واضحة تشير إلى أن النص السردى المكتوب هو حياة المؤلف. كأن يقول مثلاً هذه قصة حياتي أو يعترف بأن ما يكتبه هو سيرة ذاتية له وغيرها من الكلمات الدالة على جنس السيرة الذاتية.

ولكي يتحقق الحكم على النص الأدبي بأنه سيرة ذاتية، لا بد أن نتعامل مع الميثاق والتطابق "بضرب من المرونة فيكفي أن يقر الكاتب بشكل من الأشكال أنه يروي قصة حياته ويكفي أن نفهم أن السارد المتحدث هو الشخصية الموضوع وهما معاً الكاتب الذي يضع كتابه بين قرائه ليروي لهم سيرته الذاتية"^٢.

وهذا الإقرار الذي نطلق عليه ميثاق السيرة الذاتية قد يورده الكاتب في مقدمة كتابه، أو التمهيد وقد يتخلل النص.

^١ . انظر الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث - د/ يحيى إبراهيم عبد الدايم - ص ٤٢٢، ٤٢٣

^٢ . إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة - د/ محمد الباردى - ٢٠٠٠م - منشورات اتحاد الكتاب العرب

- دمشق - ص ٢٣٨ .

وبناءً على ذلك نرى أن سيرة "بنت الشاطئ" لم تبدأ بمقدمة ولا تمهيد تبين فيهما الغاية والهدف من كتابة هذه السيرة، أو تعقد فيهما ميثاقاً يوطد العلاقة بينها وبين القارئ، ويوضح أن النص السردى من قبيل فن السيرة الذاتية وإنما نجد أن الميثاق قد تخلل النص ومن ذلك قولها: هذا الفصل من حكايتي وفيما أروي من ذكريات حياتي يظهر ذلك واضحاً من خلال النص التالى الذي وردت فيها العبارة السابقة فنراها تقول:

"ينتهي بي الشوط الطويل المجهد الذي قطعت على دربي من جوار المعهد الدينى فى جامع البحر على الشاطئ الشرقى للنيل بدمياط، إلى وقفى عام ١٩٣٥ أمام باب الجامعة الموصد، لا أستطيع أن أنفذ منه.. ولا أملك فى الوقت نفسه أن أchied عنه وأخذ طريق الرجوع.. وعنده ينتهى هذا الفصل من حكايتي، قبل أن نلتقي".^١

وعلى هذا الطريق لو نرى أن سيرة "بانو قدسية" لم تبدأ كتابها بمقدمة ولا تمهيد تبين فيهما الغاية والهدف من كتابة هذه السيرة، أو تعقد فيهما ميثاقاً يوطد العلاقة بينها وبين القارئ، ويوضح أن النص السردى من قبيل فن السيرة الذاتية وإنما نجد أن الميثاق قد تخلل النص ومن ذلك قولها: هذا الفصل من حكايتي وفيما أروي من ذكريات حياتي يظهر ذلك واضحاً من خلال النص التالى الذي وردت فيها العبارة والآن أذكر النص من بانو قدسية هى تتحدث بنفسها عن ولادتها بأنّ وهى تقول:

"اپنى پیدائش کے بارے میں وہ یوں گویا ہوئیں کہ:

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٠٩

"میں نے سنا ہے کہ جب میں پیدا ہوئی تو اس وقت ہلکی ہلکی بارش ہو رہی تھی اور ملٹری بینڈ چلنے لگ گیا تھا۔ وہاں پر ایک جو تشی بیٹھا تھا۔ کہتا ہے کہ اس لمحے اس ہسپتال میں کوئی بھگت پیدا ہوا ہے۔ ہو سکتا ہے کہ یہ بات کسی اور سے منسوب ہو لیکن میں نے اس بات کو خود سے منسوب کر لیا اور مجھے خوشی محسوس ہوتی ہے۔"۱

"عندما ولدت كانت السماء تمطر مطرا خفيفاً و كانت هناك فرقة عسكرية تقوم بالعزف و كان هناك (عرّاف) جالسا. يقول لقد ولد الان طفلاً مبارك في هذا المستشفى. و من ممكن أن يقول مقصود شخص آخر و لكنني أنسب هذا امر لنفسى وأشعر بالسعادة".

ج - ذکر أسماء الشخصيات والأماكن:

أسماء الشخصيات في كتاب السيدة عائشة (الجسر):

مما يجعل الصلة بين القارئ والكاتبة تشدد أكثر هو ذكرها لأسماء أشخاص حقيقيين عاشت معهم أو قابلتهم في حياتها، وأيضاً ذكرها لأماكن عاشت فيها وانتقلت إليها أثناء المراحل التعليمية، فمن الأشخاص جدها لأُمها الشيخ الدهوجي، وزوجها "الشيخ أمين الخولي"، والشيخ مرسى أحد محفظي القرآن في قرية والدها "شبرا بخوم" بالمنوفية، و"الشيخ موسى قمر"، ومن النساء "دادة حليلة" المربية لأولاد الأسرة، و"السيدة زينب الحناوي" ناظرة المدرسة الأميرية للبنات، و"السيدة لبيرة أحمد" التي تدعى بلبيرة هاشم صاحبة المجلة التي كانت تعمل بها "بنت الشاطئ"، وغير ذلك كثير من الشخصيات الواردة في السيرة.

۱. مرداب ریشم ص ۱۵.

الأماكن في كتاب سيدة عائشة (الجسر):

أما الأماكن، فقد ذكرت الكاتبة المكان الذي تربت فيه، وهو بلدتها دمياط وتحدثت عن شاطئها الذي هو هيامها وعشقها لدرجة أنها قد استعارت منه لقبها، وذكرت أيضًا الأماكن التي تنقلت بينها مثل: المنصورة طنطا، حلوان إلى أن استقرت أخيرا في العاصمة. فالأشخاص والأماكن كلها حقيقية وواقعية، فهذه دلالات تساعد على جعل نصها السردي ينتمي إلى فن السيرة الذاتية.

الشخصيات في كتابين بانو قدسية (راه روا و مرد ابريشم):

لم يختلف الأمر عند بانو قدسية، فكما ذكرت عائشة عبد الرحمن أسماء الشخصيات التي قابلتهم، و أسماء الأماكن التي نزلت فيها.. ، لذلك ذكرت بانو قدسية الأشخاص مثل: أمها " مس چٹھ " إسمها الأصلي "ذكرة بي بي" وزوجها "إشفاق أحمد خان" وكذلك ذكرت مدرس القرآن عندما كانت تسكن في بيت خالتها؛ وأخوها "برويز چٹھ" وصديق زوجها "قدرت الله شهاب" وأيضا أسماء جميع أفراد عائلتها لا سيما أبناءها أنيق وأنيس وأسير، وذكرت أسماء الأدباء وعددهم كثير، وغير ذلك كثير من الشخصيات الواردة في كتابها في السيرة الذاتية.

الأماكن في كتابين السيدة بانو قدسية (راه روا و مرد ابريشم):

وكذلك أسماء الأماكن، فقد ذكرت الكاتبة المكان الذي تربت فيه، وهو بلدتها "جرداس بور" حال في الهند، وانقسمت شبه القارة إلى دولتين في سنة ١٩٤٧م وانتقلت إلى باكستان في مدينة "لاهور"، تحدثت كثيرا عن سكنها الذي هو هيامها وعشقها، لدرجة أنها قد استعارت منه لقبها، وذكرت أيضًا الأماكن التي تغيرت وتنقلت في بيوت مختلفة بينها، مثل: ليدي ميكجين كالج، وكنال بارك،

والشارع مزنج، وسمن آباد، وملتان، وذهبت مع أسرته إلى أوربه وفي ولاية المتحدة الأمريكية، إلى أن استقرت أخيراً في "واستان سرائے" فالأشخاص والأماكن كلها حقيقية وواقعية، فهذه دلالات تساعد على جعل نصها السردي ينتمي إلى فن السيرة الذاتية.

وفي نهاية الأمر يمكننا القول: لا بد أن يلتزم كاتب السيرة الذاتية بالميثاق؛ إذ يعد الميثاق حدًا فاصلاً بين الفنون الأدبية، وتكمن أهميته في قضية التجنيس والفصل بين السيرة والفنون الأدبية الأخرى، وبه يتحقق التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، وقد يتنوع الميثاق ما بين علامات خارج النص وأخرى داخله، وبتحققها كلها مجتمعة أو تحقق أحدها يصح نسبة النص السردي إلى جنس السيرة الذاتية، فيقبل القارئ على قراءة النص، ويتعاطف مع الكاتب في مواقف حياته، وبذلك يُعطي الميثاق السيرة حضوراً قوياً واضحاً بين الفنون الأدبية الأخرى.

المبحث الثاني

عتبات النص.



عتبات النص

وظيفة عتبات النص:

تُعَدُّ دراسة العتبات من الدراسات النقدية الحديثة، التي حظيت بعناية كبيرة من الدارسين، وذلك لما تملكه من قوة تمكنها من وضع النص بين يدي القارئ، ويستطيع من خلالهاولوج إلى عالم النص واختراق أجوائه، فهي تعد المفاتيح لمعاني النص المغلقة والمبهمة، فتزيل الغموض والإبهام عنها، وإذا خلا النص الأدبي من العتبات، لا يتمكن القارئ من فهم أي معنى، أو حل أي لغز من ألغازه، ومن هنا "فالعتبات هي الإضاءات التي تأخذ بيد المتلقي إلى تلمس الفكر والمضمون وتجلو جوانب النصّ بشئ من الإيجاز والإيجاء، حيث تصبح المصاييح التي يتلمسها المتلقي ليبحث من خلالها عن معالم النصّ ومعماريتها".^١

وهذه العتبات تتمثل في الآتي: (العنوان الغلاف الإهداء، المقدمة، الحواشي)، وغير ذلك من الجوانب المحيطة بالنص التي توجه القارئ إلى تفسير النص وفك رموزه وشفراته.

تتجلى أهمية العتبات "صورة السيرة الذاتية في الرسم و توجيه محتوياتها وتحديد منطلقاتها وتكريس دلالة الميثاق فيها، بالإضافة إلى دورها في الحفاظ على خصائص النوع الفني وحماية تقاليده وعاداته وخصائصه المعيارية"^٢، فيستطيع بها المتلقي الاطلاع على تجربة الكاتب بكل ما فيه من معطيات وتفصيل.

عُدَّت العتبات أول خطوة يخطوها القارئ للولوج في عالم النص، والغوص في أعماقه وكشف أسرارهِ ومعانيهِ، ولذلك ارتبطت به ارتباطاً وثيقاً، فما العتبات "إلا حواجز أمنية لجسد

١ . عتبات نص في الرواية العربية "دراسة سيميولوجية سردية" د/ عزوز على إسماعيل ط. ٢٠١٣ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ٤٧ .

٢ . المغامرة الجمالية للنص الأدبي (دراسة موسوعية) - د / محمد صابر عبید - الطبعة الأولى ٢٠١٢ م الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان - مصر - ص ٧٠٠

الرواية لأنها المحافظة على هذا الكائن من الضياع، بحكم أنَّها المدخل والممر المؤدي إلى ذلك التناسق والانسجام البنائي البديع، فكما أن البناء له قواعد رئيسية، فإن الرواية لها حدودها وجنودها الذين يحرسونها، وهي العتبات.^١ ومن ثمَّ ينبغي أن تتوافق العتبات مع المفاهيم الداخلية للنص بما تحمله من إشارات ودلالات توصل هدف المرسل وغايته إلى المستقبل.

عتبات سيرة "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية":

١_العنوان:

يعتبر العنوان من أهم العتبات المميزة للنص؛ لأنه يحدد هويته ومضمونه، فهو أول ما تقع عليه عين القارئ عند القراءة، ومن خلاله يستطيع الولوج إلى عالم النص، فهو بمثابة معبر يتجول بين أركانه، ومن ثمَّ كان الاهتمام به، وبدراسته أمرًا ضروريًا وملحاً في الدراسات النقدية. حتى أصبح علمًا قائمًا بذاته يسمى علم العنونة.^٢

وقبل أن نحدد وظيفة العنوان ودلالته في نص "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية"، لا بد لنا من الوقوف أولاً على تعريف العنوان، ووظيفته في النص الأدبي.

فالعنوان "مقطع لغوي"، أقل من الجملة، نصاً أو عملاً فنياً، ويمكن النظر إلى العنوان، من زاويتين:

أ- في سياق ب - خارج السياق.^٣

وقد عرفه "اليوهوك"، بأنه "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل، وحتى نصوص،

١ . عتبات نص في الرواية العربية - د/ عزوز على إسماعيل - ص ٥٦.

٢ . سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي - عامر رضا - مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد ٧ - العدد ٢

- ٢٠١٤ - جامعة ميله - ص ٩٠

٣ . معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - سعيد علوش - ص ١٥٥.

قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف.^١ نفهم من ذلك، أن العنوان له أهمية بالغة في تحديد مضمون النص، وجذب القراء إليه؛ إذ يدل دلالة واضحة على المحتوى الموجود بين دفتي الكتاب، ويدل على أفكار الكاتب بوضوح.

ولذلك أصبح العنوان بنية مركزية ضاغطة للبنية الأسلوبية التي تشكل بنية النص وشكله وتنظيمه. لذا توسّع الاهتمام بدراسة عنوان والكشف عن جماليته و فلسفة بنائه، وأسهمت الدراسات المتخذة من بنية العنوان أساسًا لها في توجيه الاهتمام البنائي نحو مركز باث وبؤرة دائمة الإشعاع في شعرية نص أدبي^٢، فالنصوص التي يقع في بدايتها العنوان تزداد وضوحاً وجمالاً، وتسهل على المتلقي الحصول على الجنس الأدبي الذي يرغب في قراءته، فبدونه لا يتمكن "من وصول إلى عمل إلا عبر فعاليته الخاصة في تلقي العنوان الذي يحمل، بشكل من الأشكال، خصوصية عمله داخل بنيته النصية: خصوصية الدلالة والتنوعية على السواء، هذه وتلك يدخل المتلقي بها إلى العمل مزوداً بأحد أهم مفاتيح الشفرة الرمزية له،^٣ فمن خلاله يتمكن من حل رموزه وفك شفراته، والكشف عن مضمونه ومحتواه؛ لذا يستحق العنوان أن يحتل الصدارة في أي عمل أدبي؛ لأنه "يتضمن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته كلياً أو جزئياً،

^١ . عتبات جبرار جنيت من النص إلى المناص - ص ٦٧

^٢ . المغامرة الجمالية للنص الأدبي دراسة موسوعية - د/ محمد صابر عبيد - ص ١٢٥

^٣ العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي - د/ محمد فكري الجزار - ط. ١٩٩٨ م - الهيئة المصرية العامة لكتاب ص

إنه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص،^١ ومغناطيس الجذب الذي يلفت نظر المتلقي ويشد انتباهه، ومن خلاله يستطيع الوصول إلى عالم النص ومعرفة أجوائه وتحديد جنسه.

وظيفة العنوان:

عندما يُفكر الكاتب في كتابة نص ما، وتكتمل الأحداث في ذاكرته، يفكر أولاً في اختيار عنوان مناسب لهذا النص، عنوان يتلاءم ومضمون النص أو محتواه، فمجئ العنوان في عبارات قوية، وواضحة، وفي شكل جذاب يعمل على شد انتباه المتلقي والاهتمام بهذا العمل" إذ يعد العنوان رسالة لغوية تتصل لحظة ميلادها بجبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظراً لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي.^٢

أما وظيفة العنوان، فتكمن في أنه "يشير إلى ما بداخل العمل من أمورٍ دقيقةٍ، ووظيفة الإفهام، فضلاً عن الإثارة... وأيضاً يضم الوظيفة الاتصالية بين المرسل والمستقبل، بالإضافة إلى وظيفة الإحالة؛ لأن العنوان قد يحيل إلى النص كما أنَّ النصَّ يحيل إلى العنوان،^٣ وبما أن للعنوان أهمية كبيرة في الربط بين القراء والنص؛ لدلالته على مفهوم النص وأهدافه؛ لذا يتفنن المؤلف في اختيار العنوان المناسب لعمله الأدبي ويعتنى به عناية خاصة بحيث يحمل العنوان أسمى المعاني والأفكار، لأنه يعد مرآة عاكسة لمحتوى النص الأدبي ومضمونه.

١. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل - شعيب حليفي - الطبعة الأولى ٢٠١٥ م - رؤية - ص ١٢٠

٢. سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي - عامر رضا - ص ٩٠

٣. عتبات النص في الرواية العربية - د/ عزوز علي إسماعيل - ص ٧٧.

وظيفة العنوان في سيرة "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية":

اختارت "عائشة عبدالرحمن" عنواناً لسيرتها مكوناً من خمس كلمات، وهو "على الجسر بين الحياة والموت"، وهذا العنوان يتميز بالطول، وله أهمية بالغة من حيث "استيفاء المعنى وتقريب الدلالة إلى فهم المتلقي".^١

و اختارت بانو قدسية عنواناً لسيرتها مكوناً من كلمتين و هو "راه رواه"، و هذا العنوان موجز لكنه معبر عما أرادت الكاتبة.

إن صلة هذا العنوان بالنص واضحة تماماً، لأنه يدل عليه دلالة مباشرة، أثارت انتباه المتلقي وجعلته يُقبل على النص، وبالنظر إلى سيرة "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية"، نجد أنها قد اشتملت على عدة أشكال من العناوين يمكن توضيحها فيما يلي:

أ- العنوان الحقيقي:

"وهو ما يحتل واجهة الكتاب، ويبرز صاحبه لمواجهة المتلقي، ويسمى العنوان الحقيقي، أو الأساسي، أو الأصلي ويعتبر بحق بطاقة تعريف تمنح النص هويته فتميزه عن غيره".^٢ وهذا ما ينطبق على عنوان "سيرة عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية" فكانا عنواناً حقيقياً، لأنه منح النص هويته، ودل عليه بوضوح، وميزه عن غيره من الأعمال جاء هذا العنوان تحت اسم "على الجسر بين الحياة والموت"، و "راه رواه" كما أنه احتل واجهة الكتاب من أعلى، لتواجه به الكاتبة المتلقي.

١. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل - د/ شعيب حليفي - ص ١٨.

٢. العنوان في النص الإبداعي - أهميته وأنواعه - أ / عبد القادر رحيم مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - العددان الثاني والثالث - ٢٠٠٨ م - جامعة محمد خيضر. بسكرة الجزائر ص ١٤.

ب. العنوان المزيف:

يأتى هذا العنوان المزيف في الصفحة التي تلي الغلاف مباشرة، أو في الصفحة التي بعدها، ويكون بنفس ألفاظ ومعنى "العنوان الحقيقي" فهو بمثابة "اختصار وترديد للعنوان الحقيقي ووظيفته تأكيد وتعزيز له".^١

ومهمته الدلالة على عنوان الكتاب إذا حدث ضياع، أو تمزيق لصفحة الغلاف،^٢ وهذا ما وجدناه ماثلاً في السيرة، فلم تكتف الكاتبة بوضع العنوان الرئيس لمضمون النص على الغلاف فقط، بل كررته مرة ثانية في صفحة من الصفحات الداخلية.

ج- الإشارة الشكلية:

ويقصد بهذا النوع من العناوين "الشكل أو الجنس الأدبي للكتاب من شعر، أو قصة، أو غيرهما، ومن الأجدر أن يسمى عندئذ بالعنوان الشكلي"،^٣ وإذا وجدت هذه الإشارة الشكلية في النص السيرذاتي يتحدد جنس السيرة الذاتية عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى. وقد وجدنا الكاتبة قد وضعت عبارة "سيرة ذاتية" في الناحية اليمنى من الغلاف بجوار العنوان الحقيقي لتفصل هذا العمل وتميزه عن بقية الفروع الأدبية المتنوعة، ولتدل دلالة واضحة ومباشرة بأن النص المسرود يمثل حياتها.

^١. شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريانق محمد الهادي المطوي مجلة عالم الفكر - المجلد ٢٨ -

العدد ١ - ١٩٩٩ - ص ٤٥٧

^٢. انظر : العنوان في النص الإبداعي، أهميته وأنواعه - أ / عبد القادر رحيم - ص ١٤

^٣. شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريانق - محمد الهادي المطوي - ص ٤٥٧

تحليل عنوان النص:

إن استهلال "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية" سيرتهما بهذا العنوانين الذي ذكرت قد يثير العديد من الأسئلة في نفس القارئ، لكنه لم يستطع الإجابة عليها، إلا بعد انتهائه من قراءة النص، وهذه الأسئلة يهدف المبدع من خلالها إثارة القارئ للإقبال على قراءة النص والغوص في أعماقه، فيريد أن يعرف ماذا يعني الجسر بالنسبة للكاتبة، وما هذا الجسر الذي تصفه بأنه يوجد ما بين الحياة والموت؛ فكلمة الجسر اسم لمكان غير معروف وغير محدد جغرافيًا في فضاء الأرض؛ لأنه لا يوجد جسر موصوف بهذا الوصف بأنه ممتد بين طرفي الدنيا والآخرة، ولكنه جسر يمثل بين الحقيقة والمجاز معبراً خطيراً فصل بين "بنت الشاطئ" ورفيق دربها، وأخيراً بين آلام ومشاق الماضي ومرارة الآتي والمستقبل، ففي منتصف هذا الجسر تقف حائرة ممزقة، تسرد لنا حياتها والماضي وما فيه من أحداث مريرة، وتنظر إلى المستقبل المجهول الذي تراه ظلاماً في ظلام بعد غياب زوجها، فالجسر هنا مجازي وليس حقيقياً، وبناءً على ذلك نجد اختيار الكاتبة لهذا العنوان اختياراً مميزاً من حيث دلالاته على مضمون النص، وعلى الحالة النفسية التي مرت بها والتي بسببها ذقت مرارة الحياة وكابدتها. اعتبرت "بنت الشاطئ" الجسر محطة أساسية في حياتها، فنجدتها تكرره في ثنايا النص عدة مرات حتى أنها قد افتتحت سيرتها بهذا الجسر، استطاعت من خلاله التعبير عن كل ما ذكرنا سابقاً، فنقول:^١

"على الجسر، ما بين الحياة والموت

أقف حائرة ضائعة في أثر الذي رحل:

أطل من ناحية، فأجده ملء الحياة

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ٧ - ١٢ .

وألمح طيفه المائل، في كل من حولي، وما حولي من معالم
وجودنا المشترك، وأتبع آثار خطاه على دربنا الواحد، دفاقة الحيوية سخية العطاء
...{...}¹

وعلى الجسر، التفت إلى الناحية الأخرى :
فأدرك بملء وعيي أنه عبره قبلي... (....) ومملء وعيي كذلك،
أستعيد المشهد الفاجع للزائر المرهوب... (....) أستعيد هذا كله
وأستحضره وأسترجعه بيقظة واعية... فاترنح على الجسر:
ضائعة الحيلة مبعثرة الخواطر ممزقة الرؤى (....) وتتداخل الأبعاد والأمداد
حيث أقف على الجسر، ما بين الحياة والموت وما باختياري أن تبطئ خطواتي عليه...
ولا بإرادتي تخلفت عمن عبر (....) وإلى أن يحين الأجل
سأظل معلقة بين الحياة والموت
لا أدري إلى أيهما أنتمي، وعلى أيهما أحسب؟
{...} إلى أن يحين الأجل، سأبقى محكومًا على،
بهذه الوقفة الحائرة على المعبر ضائعة بين حياة وموت
أنتظر دوري في اجتياز الشوط الباقي، وأردد في أثر الراحل المقيم :

¹. هذه العلامة التي تدل على تقنية الحذف ليست موجودة في نص السيرة، ولكن وضعتها هنا لتدل على حذف بعض السطور، لعدم الإطالة في المثال.

عليك سلام الله إن تكن عبرت إلى الأخرى فنحن على الجسر.

نلاحظ من المقدمة السابقة ارتباط الكاتبة بهذا الجسر، الذي يعد بالنسبة لها مكاناً هاماً تقف عليه تسرد آلامها والمواقف التي واجهتها حتى التقت بأستاذها، ومن ناحية أخرى تنتظر قرب الأجل لتلتقي به مرة ثانية في دار الخلود، وكما افتتحت سيرتها بالوقوف على الجسر ختمتها أيضاً وهي تنتظر الرحيل عليه، فتقول:^١

ومضى عام وما زلت هنا

أنقل الخطو

على الجسر إليك

مرت الأيام تغذوني الجوى

كيف لم أهلك أسى

حزنا عليك؟

كلما قلت دنا ميعادنا

خاني الظن..

ولم أرحل إليك

مزقت أيدي المنايا شملنا

وأراني دائماً.

بين يديك!

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٨٧ - ١٩٠.

{...} هل مضى العام وما زلت هنا

أنقل الخطو

على الجسر إليك؟

أبأنفاسك أحيأ أم ترى

مات بعضي.

وبكى بعضي عليك؟

من خلال العبارات الشعرية، نرى أن الجسر مثل لبنت الشاطئ محطة مركزية في حياتها، فعلى الجسر ابتدأت حياتها وعلى الجسر أيضاً انتهت.

وقد استطاعت بقدرتها الفائقة أن تربط العنوان الخارجي "على الجسر" بالعناوين الداخلية (قبل أن نلتقى، في الطريق إليه، موعدي معه اللقاء، معاً على دربنا الواحد، ثم مضى وبقيت، دنيانا بعده)، وبهذه الخطة المنهجية، رسمت عائشة عبد الرحمن حياتها وإن تأخر ذكر هذا المحبوب إلى الصفحات النهائية للسيرة ومهما يكن من أمر، فقد استطاعت العناوين الداخلية أن تخدم سيرة عائشة عبد الرحمن من انصرافها عن الحديث على ما هو دال منذ البداية وهو العنوان الذي حمل دلالة تتصل بقصة الجسر وحكاية الموت والحياة. لقد ارتبط هذا العنوان أو الجسر، فيه، بين ما هو أولي وعام من جهة وما هو جوهري وخاص من جهة أخرى.^١

وفي نهاية الأمر: نرى أن عنوان السيرة قد أدى وظيفته في الدلالة على مضمون النص وكشف تفاصيله ودقائقه.

^١ . السيرة الذاتية نسائية في أدب العربي المعاصر - أمل تميمي - ص ١٩٨.

و وحدنا نفس الشيء عند بانو قدسية.

٢ - الغلاف:

أصبح الغلاف من العتبات النصية الهامة التي تلفت نظر المتلقي وتجذبه فهو لا يختلف كثيراً في جانب الأهمية عن العنوان، ويعتبر الإشارة الثانية بعد العنوان في لفت أنظار المتلقين فضلاً عن ارتكازه على نقطة مهمة وهي اتصاله بمضمون النص.

فالغلاف يُعتبر عتبة هامة "من عتبات النص تدخلنا إشاراته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص".^١ وقد كان الغلاف في القديم مهمته هي حفظ ما في المتن من البلب والتراب، وغيرهما ولكن في الحديث قد أخذ منحىً جديداً، وهو تسليط الضوء على ما يقوم بحمايته وهو النص أو المتن باعتباره أول ما تقع عليه عين القارئ، لذلك فإن الناشر دائماً يتحرى الدقة في حسن اختيار الغلاف جاعلاً منه نافذة حقيقية للدخول إلى النص.^٢

تحليل غلاف السيرة:

يعتبر غلاف السيرة ذا أهمية كبرى في الدلالة على مضمون النص، فهو يحتوى على عدة إشارات لها علاقة وثيقة بالمتن وهذه الإشارات من أهمها العنوان "على الجسر بين الحياة والموت" و "راه روا" الذي وضع في أعلى صفحة الغلاف يتمركز في منتصفها بلون أسود شديد، ووضعه في هذا المكان، قد يدل على الحالة النفسية التي تمر بها الكاتبة، فكأنها تقف على مكان مرتفع منتصف الجسر و راه، تنظر إلى الحياة الدنيا، وتذكر أيام العذاب

١. سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي - عامر رضا - ص ٩٣

٢. انظر: عتبات النص في الرواية العربية - د/ عزوز إسماعيل - ص ٢٢٢

والألم في رحلتها التعليمية، وإلى الناحية الأخرى تنظر إلى مشهد وفاة زوجها، وتنتظر قرب الأجل.

كما أنه يوجد على يمين العنوان الرئيس عبارة "سيرة ذاتية"، التي تحدد جنس العمل، وتحت العنوان مباشرة صورة فوتوغرافية لبورتريه شاطئ النهر، يطفو على سطح الماء سفينة شراعية، ويحف بالشاطئ من الجوانب رمال وشجرة نخيل، وبداخل هذه الصورة رسم لوجه "عائشة عبد الرحمن" بحجابها الحصين ونظارتها الكبيرة التي تدل على هيبتها، ويبدو من خلال هذه الرسمة علامات الحزن والأسى على وجهها، لفقدائها رفيق الدرب، وجاءت الصورة على هيئتها هذه ممثلة حاضراً "عائشة" في مرحلة متقدمة من السن وليس طفولتها، ووقع صورتها في مقدمة الصورة، وتأخير بقية المكونات خلفها، لعلها تشير بها إلى الماضي وزمن الطفولة. وقد أدت الصورة الفوتوغرافية دورها في توجيه "رسالة إلى المتلقي، تساعده في سبر أغوار النص، وتحفيزه إلى القراءة العقلية البصرية، والتفكير في العلاقة بينها وبين النص المكتوب فضلاً عن تشويقه لاستدعاء الأحداث وإعمال العقل".^١

يقع تحت هذه الصورة الفوتوغرافية من الأسفل ناحية اليسار اسم الكاتبة "عائشة عبد الرحمن"، وتحت مباشرة لقبها المستعار "بنت الشاطئ"، ووضع الاسم في الأسفل إن دل على شيء، إنما يدل على تواضع الكاتبة، وسماحتها وعدم حبها للظهور.

كما أنه يوجد في أسفل الصفحة من ناحية اليسار شعار دار النشر، وهي "الهيئة المصرية العامة للكتاب".

١ . قراءة في "شرفة الهذيان" لإبراهيم نصر الله - زهير محمود عبيدات، وعدنان محمود عبيدات - مجلة اتحاد

الجامعات العربية للآداب - المجلد ٧ - العدد ١ - ١٤٣١/٥١٠ - ص ٧.

أما عن الألوان التي تحيط بالغلاف، فنجد أن الصورة الفوتوغرافية وبقية أجزاء الغلاف يشتركان في اللون الأصفر^١ ولكن لكل منهما درجته في هذا اللون، فيطفو اللون الأصفر على الصورة الفوتوغرافية مائلاً قليلاً ناحية السواد، وكأن الصورة ملتقطة في ساعة غروب الشمس.

أما بقية أجزاء الغلاف فيبدو على سطحها اللون الأصفر الشديد، وهذا اللون من دلالاته، أنه يدل على "الموت والاضمحلال تارة... وجمال المرأة تارة أخرى، فيعتبر هذا اللون من أشد الألوان فرحاً وأكثر الألوان إضاءة لأنه منير للغاية وبما أنه لون الشمس ومصدر الضوء ويمثل قمة التوهج والإشراق والنشاط والسرور. فاستخدمه المصريون القدماء رمزاً لآلهة الشمس وللوقاية من المرض، كما أن للون الأصفر دالة أخرى تناقض الأولى وهي دلالاته على الحزن والهلم والذبول والكسل والموت والفناء،"^٢ وهناك دلالة ثالثة للون الأصفر، فهو يعبر "عن البهجة والأمل أو توقع السعادة. ويدل على قدر من الصراع المراد التخلص منه. إن الأصفر ينقل إلى الأمام حيث الجديد والحديث والتطور والتجديد. وحينما يركّز على الأصفر فهذا لا يعني فقط رغبة قوية في الهرب من الصعوبات المثيرة ولكن التوصل إلى طريق سوف يؤدي إلى هذا التخلص."^٣

١. يوجد هناك طبعة أخرى من السيرة باللون الأزرق ولعل هذا اللون من دلالاته أنه يدل "على الصبر والانتظار والثقة والاحترام وهو يرمز عند كثير من الناس للوفاء والإخلاص" (ينظر: اللون ودلالاته في مجموعة عبر الحائط في المرأة لحسب الشيخ جعفر - م.م وسام محمد منشد الهلالي - مجلة القادسية للعلوم الإنسانية - المجلد الثاني عشر - العدد ١ - ٢٠٠٩ م - ص ٥).

٢. الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي - ليلا قاسمي حاجي آبادي ، مهدي ممتحن - فصلية دراسات الأدب المعاصر - السنة الثالثة - العدد التاسع - ص ٩٧

٣. (اللغة واللون - أحمد مختار عمر - الطبعة الأولى م ١٩٨٢ ، والطبعة الثانية ١٩٩٧ م - عالم الكتب - ص ١٩٣.

وما دام قد وجد من بين دلالاته أنه يدل على الموت والفناء، فمن المحتمل أن تكون الكاتبة قد قصدت بهذا اللون التعبير عن وفاة زوجها، أو أنها تعبر عن الأمنية الشديدة التي تنتظرها في قرارة نفسها، وهي الموت والالتحاق برفيق الدرب في الدار الآخرة.

وهناك احتمال آخر بأن اللون الأصفر قد يعبر عن المعاناة الشديدة التي واجهتها الكاتبة في حياتها، ومحاولتها التخلص منها، ومن المحتمل أخيراً أن يكون هذا اللون من اختيار دار النشر، وليس من اختيار الكاتبة.

كما وجدت نفس الشيء عن البانو قدسية.

٣- الإهداء:

لقد أصبح الإهداء أيضاً من العتبات النصية التي تدل على محتوى النص، وتشير إليه وقد يحمل الإهداء "في طياته معنى الاحترام والتقدير للآخر.... فيكون بمثابة رد الجميل إلى ما قُدِّم إلى الروائي أو الكاتب من قبل الآخرين.^١

وبالنظر إلى سيرة "بنت الشاطئ"، نجد أن الكاتبة قد أشارت بالإهداء إلى علاقة الحب التي ربطت بينها وبين زوجها، والذي رحل عنها فجأة في صمت رهيب، تقول:

"وتجلت فينا ولنا وبنا، آية الله الكبرى الذي خلقنا من نفس واحدة فكنا الواحد الذي لا يتعدد، والفرد الذي لا يتجزأ. وكانت قصتنا أسطورة الزمان لم تسمع الدنيا بمثلها قبلنا، وهيئات أن تتكرر إلى آخر الدهر."^٢

وقد يكون القصد بالإتيان بالإهداء في مقدمة السيرة إثارة وجذب المتلقي، ليشترك الكاتبة عواطفها ومشاعرها تجاه زوجها، فتصديرها السيرة بهذا الإهداء تكون قد وجهت القارئ

^١ . عتبات النص في الرواية العربية - د/ عزوز اسماعيل - ٣١٢

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت - ص. ٥.

بأنها ما كتبت هذه السيرة، إلا لتبين من خلالها مدى حبها وهيامها لذلك الرجل العظيم
أستاذها وزوجها ورفيق دربها، ولذلك نرى أن هذا الإهداء مرتبط بالمقاطع السردية داخل
النص، وقد تكررت كلماته بلفظها في داخل النص مما يدل على صلته بالمقاطع الداخلية
وارتباطه بها.

المبحث الثالث

الدوافع والصراع في السيرة.



الدوافع والصراع في السيرة:

أولاً - الدوافع:

إن فن السيرة الذاتية هو فن البوح والاعتراف بما في ثنايا النفس البشرية ودخائلها، ولقد عمد الكثير من الكتاب في إخراج هذه الاعترافات في قالب السيرة الذاتية، دون أن يجد في ذلك حرجاً من المجتمع الذي يعيش فيه.

ولما كان هذا الفن غير مقبول لدى جمهور القراء في بداية أمره لما فيه من كشف الحقائق والوقائع التي منها ما هو شديد الخصوصية بالكتاب، وربما كشف أيضاً عن حاجات تمس الآخرين ممن شاركوه في سبر أحداث السيرة، لجأ بعض الكُتَّاب إلى حيلة جديدة يقنعون بها القراء؛ ليقبلوا على هذا الفن، وهي أن يلتمس الكُتَّاب في مقدمة كتبهم الأعذار ويسوغوا البواعث التي دعتهم إلى الكتابة عن أنفسهم ولا يقتضي ذلك بطبيعة الحال أن يكون ما يذكرونه هو السبب الحقيقي والدافع الاصيل.^١

وقد يجد الكاتب معاناة في كتابة سيرته الذاتية لما فيها من استعادة الأحداث والذكريات من مخزون الذاكرة، وذلك فيه من الصعوبة ما فيه ولذلك، فلا بد أن يكون هناك دافع قوي، وحافز يجعله يقبل على هذا الفن حتى يخرج به في النهاية عملاً مقبولاً يلقي رواجه وثماره بين القراء، ولذا سنوضح هنا دوافع كتابة السيرة الذاتية عند "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية".

١ . أدب السيرة الذاتية - د/ عبد العزيز شرف - ص ١٢

"دوافع كتابة السيرة عند الكاتبتين":

قد تتولّد عند المرأة دوافع نفسية وذاتية للكتابة والإفصاح عن ذاتها، فمنها: ما يكون بسبب الأسر والقهر الذي تعانيه من الأسرة والمجتمع، ومنها ما يعود إلى بحثها عن الحرية محاولة إثبات ذاتها وكيانها، ولكن قد يكون هناك دوافع أخرى جعلت المرأة تكتب عن سيرتها، ومنها ما يتعلق بطبيعة تكوينها أحياناً في أنها تحب الظهور والإطراء على ذاتها، وغير ذلك من وقوعها تحت مؤثرات نفسية، أو أزمات عاطفية أو وجدانية، أو أنها تكتب سيرتها لتكون رسالة إلى الآخرين تحمل ما تحمله مما تقصده الكاتبة وتكنه في داخلها دون أن تصرح به في كتابتها.

وهذا ما وجدناه في سيرتي "بنت الشاطئ" و"بانو قدسيه" فلم تصرحا في مقدمة أو تمهيد بالدافع الذي جعلهما تقدمان على كتابة سيرتهما الذاتية، وهما في هاتين المكانتين العريقتين كداعية من داعيات الإسلام، وفي هذا السن المتأخر من عمرهما، ولكن إقدامهما على ذلك قد يكون له دوافع وأسباب داخلية لم تستطع الكاتبتان أن تصرحا بهما، ولعل لجوءهما إلى الكتابة عن ذاتهما يُعدّ تعبيراً عن عمق الأزمة النفسية التي عصفت بهما بعد وفاة زوجهما، حيث قادتهما هذه الأزمة إلى الشعور بالحيرة والضياع والتوزع بين عالمين عالم الموت وعالم الحياة، ولعل هذا سبب تسمية كتابهما على الجسر و"راه روا" بين الحياة والموت.

فقد أصبحت روحهما بعد رحيل زوجهما ممزقة، إذ إنهما لم تكن تتمنى أن يفارقهما زوجهما إلى مدى الحياة، أو أنهما قد تمنا أن يفارقا الحياة معاً كما عاشا فيها معاً حيث يتضح ذلك من قول بنت الشاطئ:

"وما تصورت قط أنى أعيش بعده.. بل كان اليقين أن نتابع رحلتنا معا إلى الدار الآخرة ... أن تتجلى فينا وبنا آيته الكبرى، فمضى معا كما تجلت فينا وبنا في حياتنا الأولى فكنا الواحد الذي لا يتعدد، والفرد الذي لا يتجزأ."^۱

ولأجل ذلك ولسيطرة العاطفة المتأججة بلوعة الأسى والحزن عليها أمسكت "بنت الشاطئ" القلم؛ لتدون على صفحات من الأوراق سيرتها الذاتية؛ لتصف من خلالها محتتها ومعاناتها التي واجهتها في مراحل عمرها.

و حدث الشيء نفسه مع بانو قد سية عندما انتقل زوجها إلى جوار رحمة الله تعالى. و بعد رحيل زوجها حاطت حولها الأحزان والهموم. ولهذا هى تتحدث عن زوجها إشفاق أحمد أحمد خان حيث تقول:

"إشفاق احمد کے جانے کے بعد مجھے کئی باتیں سمجھ آئی۔ اب میرے سامنے ہٹو بچو کہتا ہوا، ہو شیار با ادب، ملاحظہ کہتا ہوا اور مجھ سے اڑھائی قدم آگے چلنے والا آدمی نہیں ہے۔ اب میں ٹھوکر کھا جاؤ، گر جاؤں اب وہ شخص نہیں ہے جو مجھے سے آگے چلتا تھا اور مجھے بچاتا جاتا تھا۔ آج مجھے پتہ چل گیا جب میرے گھر ٹیکس کے کاغذات آتے ہیں۔ کبھی کبھی وارنٹ یا قانونی قسم کا سمن بھی آ جاتا ہے۔ پھر میرے پاس وہ بل آ جاتے ہیں جو بجلی کے زائد بل ہوتے ہیں۔ میرے پاس وہ منی آرڈر بھی آتے ہیں جن پر لکھا ہوتا ہے "إشفاق احمد احمد"۔ مجھے معلوم نہیں منی آرڈر کیسے بھرا جاتا ہے۔ چیک بھرنے کی باریکیاں بھی میرے علم کا حصہ نہیں۔ اب مجھے پتہ چلا ہے کہ دو ڈیڑھ گنا کام کرتے تھے اور میرے لیے آدھا چھوڑ دیتے تھے اور کہتے تھے گواہی دینے نہ جانا قدسیہ میں جاؤں گا۔ یہ کام میرے ہیں، باہر کے تمام کام میں سنبھالوں گا۔ تم بس گھر اور لکھنے پڑھنے پر توجہ دو"^۲

ومفهوم هذا النص في كالتالى:

^۱. علی الجسر - ص ۱۷۹-۱۷۸

^۲. راہ رواں ص ۳۰۱

بعد وفاة إشفاق أحمد أحمد فهمت أشياء كثيرة، والآن ليس هناك رجل يقول: ابتعد عني تأدب

تأدب، وامش أمامي خطوتين ونصف، الآن أتعثر، لم يعد الشخص الذي كان يسير أمامي وينقذني، اليوم أعرف متى تصل أوراق الضرائب إلى منزلي. في بعض الأحيان يكون الأمر مطلوباً أيضاً للحصول على مذكرة أو استدعاء قانوني؛ ثم أحصل على الفواتير التي هي فواتير الكهرباء الزائدة؛ لقد حصلت أيضاً على تلك الحوالات المالية التي كتب عليها "إشفاق أحمد أحمد"، لأعرف كيف يتم ملء الحوالة المالية؛ التفاصيل الدقيقة لملء الشيكات ليست جزءاً من معرفتي؛ الآن علمت أنهم كانوا يعملون مرتين ونصف ويتركون لي النصف ويقولون إن لم أذهب للشهادة سأذهب إلى قدسية؛ هذه الأعمال أقوم بها، لأن أنا سأتولى كل الأعمال الخارجية، أنتِ اهتمي فقط بstown البيت والدراسة.

ثانياً - الصراع:

مفهومه:

السيرة الذاتية فن يعرض لأهم الأحداث والمواقف في حياة الكاتب، والتي عملت على تكوين شخصيته وثقافته وبما أنها كذلك، فلا بد من الكشف عن مواطن الصراع فيها سواء الداخلي أو الخارجي؛ لكي يتسم العمل الفني بقيمة فنية حقيقية.

فالصراع هو "السمة الأساسية لأي عمل ... وهو التدفق الحركي المتصاعد الذي يعمل على تجميع العناصر الدرامية المتفرقة والمتباعدة."^١

١. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي)، د/ محمد زكي العشماوي

إذ إنه يصور شخصية الكاتب من الداخل و الخارج؛ ويكشف عن مشاعره وآرائه تجاه المواقف والأحداث.

"فالبوح بما يصطرع في النفس يحقق النجاح للسيرة ويخفف العبء عن الكاتب، بنقل تجربته إلى الآخرين، ودعوتهم إلى المشاركة فيها؛ ففي كتابة السيرة إذن متنفس طلق للفنان حيث يقص قصة حياة جديرة بأن تستعاد وتقرأ وتوضح موقف الفرد من المجتمع."^١

فقدرة الكاتب على تصوير الصراع الذي بداخله ونقله للقارئ بطريقة حافلة بالانفعالات والهواجس تجعله يتشارك معه في محتته بوجدانه ومشاعره، من شأنه أن يحقق نجاح السيرة الذاتية، ويزيد من قيمتها الفنية؛ لأن حظ السيرة الذاتية من البقاء يرجع في الغالب، إلى مدى ما تنقله لنا من إحساس كاتبها بالصراع الذي يثير في نفوسنا ألوانا من المشاعر تحفزنا على مشاركته تجاربه وخبراته، وعلى تعاطفنا مع مواقفه وأفعاله"^٢

"ونظراً لما تعرضت له البلاد من فترات الاضطراب والحرب ومظاهر الاستبداد والثورات كثر إنتاج السيرة الذاتية في هذه الفترة، ولجأ الكتّاب إلى تصوير الصراع الفكري والسياسي فيها، فأدى ذلك إلى ظهور الصراع بشكل واضح في كتابات المؤلفين، وخاصة الكبار الذين منعتهم شيخوختهم من الاشتراك في الحرب وعن طريق الصراع نقلوا مشاعرهم وأفكارهم تجاه المواقف والأحداث وتفاعل معهم القراء؛ إذ كانت لديهم رغبة للهرب من الحاضر إلى الماضي."^٣

١ . السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية - د/ عائشة يحيى الحكمي - ص ٤٦

٢ . الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث - د/ يحيى إبراهيم عبد الدايم ص ١٥٠

٣ . انظر: فن السيرة - د/ إحسان عباس - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م - دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان،

وبما أن الصراع يصور لنا ما مر به الكاتب من أحداث في حياته، وأثر هذه الأحداث عليه؛ لذا فإن كاتب السيرة الذاتية يستطيع أن يأخذ بيد قارئه وهو يواجهه معه ما واجه من أحداث فيجد البطل الذي هو الكاتب يمثل قمة نادرة على التصدي للأمواج وليس مجرد الانحناء أمامها، وحتى حين ترتفع الأمواج بالبطل فإن ذلك سيبدو أمام القارئ انتصاراً لكاتب التجربة وليس توافقاً مع الأمواج.^١

وإذا أردنا تطبيق ذلك اللون الذي يُعدُّ من أهم ملامح السيرة الذاتية ومقوماتها على سيرة "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" نجد قوة الصراع وعمقه واضحاً في السيرة، فهو يرسم الشخصية رسماً دقيقاً في حركتهما الدائبة من أجل الملاءمة بينهما وبين البيئة عن طريق تكيف الشخصية أو تغيير المناخ نفسه.^٢

والآن نتحدث عن نوعين من الصراع، تمثلا في كتابين سيرة "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" وهما:

١: الصراع الداخلي:

وهو الذي يكون داخل النفس الإنسانية، فيعبر عن انفعالات النفس نتيجة التناقضات التي تعانيان منهما.^٣ ويتمثل الصراع الداخلي عند "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" فيما يلي:

أ- صراع الحياة والموت:

١ . مذكرات الهواة والمحترفين، فن كتابة التجربة الذاتية -- د/ محمد الجوادي - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م - دار الشروق - ص ٣١

٢ . السيرة تاريخ وفن - د/ ماهر حسن فهمي - ص ٢٣٨

٣ . انظر: فن كتابة المسرحية - د/ رشاد رشدي - ط . ١٩٩٨ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ٤٤

أول صراع لمسنه في سيرة "بنت الشاطئ" هو الصراع بين "الحياة والموت"، فبعد موت زوجها احتدم الصراع في نفسها بسبب الحب الذي تكنه في قلبها لزوجها، فما كانت تتخيل أن يختطفه الموت في أقل من لمح البصر، وهذا الصراع الذي تولد بداخلها ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، وإنما أصابها من هول المفاجأة التي أملت بها على فجأة، فأفجعتها في زوجها الذي كان قدوة ومثلاً لها في الحياة، فكانت نتيجة هذا الصراع أن عاشت الكاتبة في حزن دائم طوال حياتها، لدرجة أنها رأت الدنيا في عينيها موحشة مظلمة، لا جمال فيها ولا حياة بعد أن كانت نوراً وجمالاً وضياءاً.

عبرت الكاتبة عن محتتها هذه في سيرتها، وذلك في قول عائشة :

"أشهد الموت يغتال من كان يعطي الحياة، ويفيض عليها جمالاً من شجاعته وحكمته، وذكائه وفروسيته. اللهم إني ما جحدت قط بشريته، وكل بشر يموت، لكني ما توقعت أن أعيش بعده."^١

وهنا تجسد الكاتبة انفعالها وغضبها من الموت الذي اغتال زوجها، وتعكس لنا مشاعرها واحساساتها تجاه هذا الموقف المؤلم، فهي لا تجحد الموت ولا تنكره، بل تعترف بأن الموت نهاية كل بشر، ولكنها لم تكن تتوقع أنها ستعيش في الحياة بدون رفيق يؤنسها. كانت نتيجة هذا الصراع ونهايته هو استسلامها لقضاء الله وقدره، كما أن الصراع قد أوجد حالة من الانكسار والألم في حياتها، فهي تقف على الجسر تنتظر الموت، فتقول:

"على الجسر، ما بين الحياة والموت

في متاهة الحيرة والضياع

لا أكف عن رصد حركاتي وإحصاء أنفاسي، مستغرقة في

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٧٩.

! تأمل هذا المشهد الغريب من قصتنا

مرددة مع كل نفس

كيف مضى وبقیت!

أسفار!!^۱

وبسبب هیامها بزوجهها تتمنى أن يتسلمها الموت ويرسلها لرفیقها، فنجدها تبحث دائماً عن الموت، وتنتظره باعتباره المنقذ الوحيد من عذاباتها ويئسها بعد رحيل زوجها، ولذلك ظلت طوال حياتها، تتصارع ما بين الحياة والموت.

و نجد نفس النص عند بانو قدسية حيث قالت:

"کچھ تو خاں صاحب کی بیماری نے کمر توڑ دی تھی کچھ نفسیاتی، قلبی ذہنی طور پر میں خوف سے تتری تتری ہو گئی تھی۔ ایک خوش الحان، راست گو سا تھی سے بچھڑنے کا برا خواب ہر وقت ساتھ تھا جس میں مگس راں سے اڑتی رہتی تھی۔ لیکن نہ خواب در ماندہ پیچھا چھوڑتا تھا نہ ہونی ملتی ہی نظر آتی تھی۔ پتہ نہیں کیوں آنکھوں کو دھوکا ہو رہا تھا کہ تمام خاکستری کتابیں زرد رنگ کی ہو چکی ہیں اور اُن پر ہوائیاں اُڑ رہی ہیں۔"^۲

ومفهوم هذا النص في التالي:

"في بعض الحالات، كان كسر ظهري مرض إشفاق، وفي بعض الحالات كانت تنتابن مخاوف نفسية و عقلية و قلبية، كنت مصابة بالشلل من الخوف؛ وكان يلزمني روما و حلماء سيئاً بفقدان هذا الشريك المخلص ذى الحظ السعيد؛ و كان هذا الحلم لم يراودني دوماً، ولا أعرف لماذا كان يترائى لى أن جميع الكتب مملوءة بالتراب، ولو أنها صار مصفراً و أصبحت بالية لعدم الاستخدام".

۱ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ۱۸۰

۲ . راه رواں . ص ۴۵۷

ب الصراع الفكري:

أما عن الصراع الفكري في سيرتهما، فيتمثل في الثقافتين المختلفتين اللتين برزتا أمامهما، مما دعاها لاختيار إحداها، إما ثقافة التصوف، وإما الميل إلى العلوم الجديدة، ففي بداية الأمر لم تتلاءم طبيعتهم "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" مع هذه العلوم. فوجدتا صعوبة شديدة في دراستهما وتلقيهما.

كما نرى أن عائشة قد أدّى بها الأمر أن رسبت في إحدى المواد العلمية منها وخاصة مادة الطبيعة لعدم تمرنها على الأجهزة المعملية فيها،^١ ولكنها مع ذلك تحددت العقبات وعادت للامتحان فيها مرة أخرى، فحققت فيها النجاح وأتمت بعد ذلك المرحلة الثانوية، ونالت الشهادة التي بها استطاعت أن تخترق أبواب الجامعة. وبالعكس سيدة بانو قدسية ما رسبت في أي مادة من العلوم في كل المراحل ولكن نجحت بدرجة ليس جيدة. كما قالت بانو قدسية:

"فرسٹ ڈویژن ضرور آتی لیکن جس روز میرا ریاضیات کا پرچہ تھا اُس دن جیل روڈ پر آگ لگ گئی۔ ہمیں بس میں بٹھا کر ایف سی کالج لے گئے۔ بڑی افراتفری میں ہنگامی سنٹر بنا ہم لڑکیاں اتنی نروس تھیں کہ پیپر ز زیادہ اچھے نہیں ہوئے۔ اور فرسٹ ڈویژن ماری گئی۔"^۲

ومفهوم هذا النص بالعربية في كالتالي:

"كان من الضروري الحصول على المركز الأول، ولكن في ذلك اليوم الذي كان عندي فيه امتحان مادة الرياضيات، اندلع حريق في طريق السجن؛ وأركبونا في حافلة وأخذونا إلى كلية إيف سي؛ تم إنشاء مركز الطوارئ في حالة من الفوضى، و كنا نحن الفتيات متوترات

١. انظر: على الجسر بين الحياة والموت - ص ۹۳-۸۸

٢. راه روا ۵: ص ۴۴

لللغاية، لدرجة أننا لم نؤدى الامتحان بشكل جيد، ولم يتحقق الحصول على المركز الأول.

لم يكن صراع العلوم الحديثة ومواجهتهما عند "بنت الشاطىء" و "بانو قدسية" فقط، وإنما كان هذا الصراع عند الكثير من الكاتبات والكاتبات سواء الكتاب المصريين والباكستانيين تجاه الثقافة الغربية التي اندفعوا إلى تقليدها ثقافة جديدة عليهم في كل فرع من فروعها، وتضعهم في مواجهة عالم غريب عن واقعهم وتكشف عن حضارة ومجتمعات أكثر تطوراً من حضارتهم، وكان طبيعياً.. أن تفقدتهم اتزانهم في مواجهتها لا يدرون ما يأخذون من هذه الحضارة وما يدعون^١

واستمر الصراع في حياة "بنت الشاطىء" و "بانو قدسية" حتى بعد أن تقدمت عائشة إلى الجامعة، وبانو قدسية تقدمت إلى كلية الحكومية. فوقعنا في حيرة وتردد بين عطاء بيئتهما وبين تطلعتهما إلى مورد جديد تنهل منه ثقافة وإبداعاً. يعتبر بالنسبة إليها بداية انطلاق إلى مستقبل أفضل، ولكن لم تستمر هذه المعركة طويلاً حتى انتهت بمجرد اطلاعها على العلوم الجامعية التي لم تستطع في بادئ الأمر فتننتها وغوايتها واطلعت "بنت الشاطىء" و "بانو قدسية" على الجديد منهما، ونهلنا من موردهما، فاجتازت المراحل الجامعية بتفوق ونجاح.

مثلاً تصور لنا الكاتبة عائشة حالة الصراع التي عاشت فيها من خلال قولها:

"والذي كنت أخشاه من ضغطة الصراع بين عطاء بيئتي وجديد الجامعة

لم يلبث أن انجلى عن معركة وهمية في منطقة السراب

فبقدر ما أعطيت بيئتي منهجها ميراثاً وعقيدة، قدمت لي الجامعة

١ . انظر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٣٨) - د/ عبد المحسن طه بدر - الطبعة

الخامسة - دار المعارف - ص ٢٩٠ بتصرف.

منهجها المحدث تلقينا آليا لا ينفذ إلى ما وراء ظاهر السمع!

وبقدر ما زودتني بيئتي بثقافتها دراية ووعيا، ورسختها في عقليتي بسلطان الوجدان المؤمن، وقوة اليقين بأنها العلوم التي لا يعرف بها الإسلام ويصح الدين.

عرضت الجامعة علومها إلقاء وترديدا، بمنأى عن منافذ التأثير الوجداني ومداخل الاستجابة الروحية.^۱

و نجد نفس الاشياء عند بانو قدسية كتبت في كتابها تحت العنوان روح قالت:

پوری کائنات اور اس کے اندر تمام مظاہرات ایک سرکل میں سفر کر رہے ہیں اور ہر شے دوسری سے متعارف ہے۔ تعارف کا یہ سلسلہ خیالات پر مبنی ہے۔ کائنات کی ہر شے دوسری کو "فکر" کی لہروں کے ذریعے سے جانتی ہے۔ سائنس دان روشنی کو تیز ترین سمجھتے ہیں مگر تفکر کی لہریں ان فاصلوں کو حاضر ہی نہیں سمجھتی جن کو روشنی کم کرتی ہے۔ اس سلسلہ میں حضرت سلیمان علیہ السلام کی مثال دی جاسکتی ہے۔ جب انہوں نے ملکہ سبا کے آنے سے پیشتر اس کے تخت کو منگوانے کو کہ تو جن نے کہا کہ میں آپ کے دربار پر خاست ہونے سے پہلے وہ لا سکتا ہوں جبکہ ایک اہل علم نے پلک جھپکنے میں وہ تخت حاضر کر دیا۔ دراصل اس آدمی کے خیال کی لہریں تخت کے اندر کام کرنے والی لہروں میں جذب ہو کر تخت کو منتقل کرنے کا ذریعہ بن گئیں۔ اس طرح حیوانات اور جمادات صرف تفکر کی لہروں سے گفتگو کرتے ہیں۔ سائنس نے کائناتی تفکر کو توانائی کا نام دیا ہے۔ تصوف میں اس کو روح کا نام دیا گیا ہے۔ مکمل موت نہ توانائی پر وارد ہوتی ہے نہ روح پر۔ روح کو جو علم ودیعت کیا گیا ہے وہی خیالات، تصورات اور احساسات بنتا ہے۔ یہ دونوں لہروں اور شعاعوں پر ہر وقت مصروف عمل رہتے ہیں۔ اگر ہمارا ذہن ان لہروں کو پڑھنے اور ان کو حرکت دینے پر قدرت حاصل کر لے تو ہم کائنات میں تصرف کر سکتے ہیں۔^۲

۱. علی الجسر بين الحياة والموت - ص ۱۲۶

۲. راہ رواں ص ۴۲۳-۴۲۴

ومفهوم هذا النص بالعربية كالتالى:

الكون كله و جميع المظاهر التى بداخله يدورق فى دائرة واحدة، وكل شيء يتصرفه على الآخر؛ وهذه السلسلة من التعارف مبنية على الأفكار؛ كل شيء فى الكون يعرف الآخر من خلال موجات "الفكر"، يعتبر العلماء أن الضوء هو الأسرع، لكن أمواج الفكر لا تأخذ فى الاعتبار المسافات التى يقطعها الضوء، ويمكن أخذ مثال حضرة سليمان عليه السلام فى هذا الصدد. وعندما طلبوا استدعاء عرش ملكة سبأ قبل وصولها، قال الجن يمكنني إحضاره قبل أن تقوم من مقامك بينما قال أحد أهل العلم: أحضر لك العرشا قبل أن يرتد طرفك. والحقيقة أن أمواج أفكار هذا الرجل امتصت فى الأمواج العاملة داخل العرش، وأصبحت وسيلة لتحريك العرش؛ وهكذا فإن الحيوانات والكائنات الحية لا تتواصل إلا من خلال أمواج الفكر، لقد أطلق العلم على الفكر الكوني اسم الطاقة، وتسمى عند الصوفية بالروح؛ الموت الكامل لا يأتي إلى الطاقة ولا إلى الروح، فالمعرفة الموكلة إلى الروح تصبح أفكارا ومفاهيم ومشاعر، كل من هذه الموجات والأشعة مشغولة دائما، فإذا اكتسب عقلنا القدرة على قراءة هذه الموجات وتحريكها، يمكننا التحكم فى الكون.

هذان النصان يدلان على الصراع الفكري كما ذكرت قبل ذلك من بعض النصوص "بنت الشاطئ".

فالجامعة لم تضيف إليهما جديداً من الناحية العلمية، فوجدتا فارقاً كبيراً بين العلوم التراثية التى تلقتهما فى بيئتهما، والتى تأثرت بهما وجدائياً ورسخت فى ذاكرتهما، وبين العلوم الجامعية التى لم تزودها بثقافة جديدة إضافة على المخزون فى عقليتهما، وقد صرحت الكاتبة عائشة بذلك فى سيرتها من خلال قولها:

"فلما وصلت إلى الجامعة، تطلعت إلى جديد علمها وفى حسابي أنها سوف تحاول أن تشدني بعيداً عن منطقة الجاذبية للقديم الذى جئت به وتوقعت أن أواجه عداها السافر

لمنهجنا الإشرافي، وأن تقدم لي من محدث منهجها في المعرفة، لما تحاول به أن تنسخ المنهج الذي زودتني به بيثي وراضني عليه.. لكن عامًا كاملاً مضى دون أن تقدم لي الجامعة ذلك البديل المتوقع".^١

ظلت "بنت الشاطئ" في الفترة الجامعية تتصارع بين الثقافتين المختلفتين، وإذا بالانفراجة تأتي وتهدأ حدة الأحداث، فتقول:

"وانجلي ما حسبته سرايا، فإذا بالجامعة تعطيني من جديدها ما لم يخطر لي قط على بال.. وإذا القديم الذي جئت بها به يجلوه منهج الأستاذ الخولي فيمنحه روح العصر ونبض العصر!"^٢

فهذا الاختلاف القائم بين الثقافتين سبب لهما صراعاً بين القديم والجديد، ولكن

انتهى صراعهما مع العلوم الجامعية بمجرد اطلاعهما عليها، وذلك بفضل الأساتذة و

الزملاء، وخاصة الأستاذ "الخولي". و زميل إشفاق أحمد أحمد.

الصراع الخارجي:

لم يقتصر عنصر الصراع على وجود الصراع الداخلي فحسب، بل وجد أيضاً الصراع الخارجي؛ لتظهر من خلاله انفعالات الكاتبة الخارجية تجاه موقف أو حدث معين يتعارض مع شخصيتها وآرائها.

"وإذا كان الصراع قد عاد بعد انقضاء عصر الكلاسيكية فخرج من داخل النفس إلى خارجها - فإنه اتخذ هذه المرة طابعاً جديداً، وبخاصة في المذاهب الواقعية وهو الطابع

١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ١٢٤، ١٢٥

٢ . المصدر السابق. ص ١٦٢، ١٦٣

الاجتماعي، حيث يجرى هذا النوع من الصراع بين أفراد ينتمون إلى طبقات أو طوائف اجتماعية متصارعة، ولكل طائفة أو طبقة أخلاقها الخاصة وسلوكها المتميز".^١

فالصراع قد ينشأ بين الفرد وبين تعارضه مع العادات والتقاليد الاجتماعية من حوله، أو بين الفرد وطوائف وطبقات أخرى مختلفة عنه تتصادم مع سلوكياته وأخلاقه.

فسيرة (بنت الشاطي) و (بانو قدسية) تمثل فيها الصراع الخارجي يتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ- صراع العادات والتقاليد:

عندما تسرد "بنت الشاطي" و "بانو قدسية" مراحلهما التعليمية، نجد صراعاً دائماً معهما خلال هذه المرحلة، وكان هذا الصراع يدور بين رغبتهما في التعليم وبين المجتمع وعاداته وتقاليده، حيث ساد في العصر الذي كانت تعيش فيه مفهوم خاطئ من أن المرأة لا قيمة لها ولا حق لها في التعليم، بل كان البعض من الآباء يكتفي بتعليم ابنته القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين في البيت، ويرى في خروج ابنته للتعليم في المدارس، أو الجامعات عيباً كبيراً، وذلك مثلما فعل "الشيخ محمد عبد الرحمن" والد "بنت الشاطي"، فكانت تتجادل مع والدها كثيراً من أجل إثبات ذاتها وأحققتها في التعليم، فعندما تطلعت للالتحاق بالمدرسة الأميرية للبنات جاءها الرد من والدها حازماً حاسماً:

"ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن إلى المدارس الفاسدة المفسدة، وإنما يتعلمن في بيوتهن".^٢

١ . الأدب وفنونه - محمد مندور - ط. ٢٠٠٠ م - نخبة مصر - ص. ١٠٦

٢ . على الجسرين الحياة والموت. ص ٤٤.

ومنذ هذا اليوم أدركت "بنت الشاطي" صعوبة تحقيق رغبتها الهائلة وبدأ معها الصراع "صراع بين الرغبة في الخروج إلى المدارس الحديثة والاستزادة بمعارفها، وبين التقاليد التي تأبى خروج بنات العلماء والمشايخ إلى المدارس!"^١. وكما نرى أن بانو قدسية حرمت من ظل والدها في طفولتها، وكانت والدتها امرأة متعلمة وتقوم بالتدريس في الكلية أيضاً، لكنها ما زالت تخشى إرسال بانو قدسية إلى كلية مختلطة إذا لا توجد كلية أو جامعة للبنات خاصة.

ولكن "بنت الشاطي" و "بانو قدسية" لم تقتنعا بهذه العادات والأفكار الخاطئة، فظلّا طوال حياتهما يصارعان هذه العادات والتقاليد؛ للقضاء عليها تماماً فكانت الأولى من بنات جيلها في الدفاع عن ذاتها وحاربت قضية الجهل حتى وصلت إلى الجامعة، كما كانت من أوائل النساء في مصر و العالم العربي اللاتي اتجهن إلى الصحافة، فقد كانت تكتب في مجلة "السيدة لبيبة" باسمها المستعار "بنت الشاطي"، خوفاً من والدها الذي كان شديد التعصب في ذلك الوقت، وهكذا نجد بانو قدسية من أوائل النساء في باكستان وشبه القارة أو كل العالم اللاتي اتجهن إلى الكتابة وكانت تكتب في المجلة "داستان گو" باسم "بانو قدسية".

ومن هنا نشأ الصراع النفسي لديها بين واقع الحياة، وبين عادات وتقاليد بالية تريد أن تقضي عليها.

ب - الصراع الطبقي:

عندما انتقلت "بنت الشاطي" إلى العاصمة بحكم عملها في كلية البنات، واستكمال دراستها، لم تتلاءم طبيعتها مع طبيعة الحياة في العاصمة من حيث المعيشة واختلاف الطباع مما سبب لديها صراعاً نفسياً من العاصمة وأهلها، فقد وجدت فارقاً كبيراً بين الطبقات

^١ . فن المقالة عند بنت الشاطي - د / سعد محمد عطية - ص ١٧

من حيث السلوكيات والأخلاقيات، وذلك بسبب ما رآته من المدينة التي سلبت حق الفلاح وهضمته ويتمثل هذا الصراع في قولها:

"لم تستطع المدينة أن تغويني بسحرها الخلاب، وإنما أنا فيها غريبة نازحة، أراها قد أترعت كأسها بما امتصت من عرق الكادحين من قومي وأتخمت معدتها بما نهشت من ثمار كدهم، وازدهرت متألئة بما سلبت من نور حياتهم، واغتصبت خيرات أرضهم الطيبة لتتخذ منها زينة وهوا" ^١

كان من نتائج هذا الصراع أن تولت الكاتبة قضية الفلاح والدفاع عنه وعن حقه، فأول مقال لها في جريدة "الأهرام" بعنوان (فلاحنا المظلوم) فالصراع قد سبب لها عزلة نفسية، إلا أنه في الجانب الآخر زادها تعلقاً بالريف وأهله، وفي ذلك ملمح من ملامح الشخصية الرومانسية التي تتعلق بالريف.

تنقل لنا الكاتبة مشهداً آخر في سيرتها من مشاهد الصراع الذي جعلها تخوض معركة مع المدينة، وهو تغيير الجامعة قرار النتيجة التي أعلنت رسوب أنصار الحزب الحاكم، وانتقلوا بقوة القانون من فئة الراسبين إلى فئة الناجحين. ^٢

فولد هذا القرار صراعاً عميقاً في نفسية "بنت الشاطئ"، فوصفت هذا الحدث وصفاً مؤلماً، وأظهرت الآلام العنيفة التي احتدمت في نفسها إثر ما أحدثته الجامعة من تغيير لقرارها، وتعبّر الكاتبة عن هذا الحدث المؤلم بقولها:

^١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ١٣٦، ١٣٧.

^٢ . نفس المصدر. ص ١٣٧-١٣٨.

"غضبت لذلك العدوان الصارخ على حرمة امتحان جامعي، وأنكرت شرعية الحق الذي اغتصبه البرلمان، فقرر نجاح طلاب حكمت الجامعة برسوبهم. وفكرت في أن أنسحب نهائي من ذلك السباق بعد أن عبثت الحزبية بقيمه ومقاييسه".^١

فالصراع الذي عاشته الكاتبة هو فساد الأحزاب السياسية التي أهدرت حرمة الدرجات العلمية، والتي هي من حق الطلاب المتفوقين فقط.

الأحداث عند "بنت الشاطئ" تتصاعد بشدة، فتفكر في الانسحاب من الجامعة نهائياً وظلت على هذا الحال لفترات طويلة، ثم تأتي الانفراجة بحديثها مع الشيخ دسوقي جوهرى "الذي أشار عليها بأن تصمد وتستعد للقاء "الشيخ الخولى" وتستفيد من منهجه فتهدأ قوة الأحداث وتراجع عن قرار الانسحاب، ولكنها تضع في خاطرها التحدي والانتقام من الجامعة.

فالصراع لم يسبب عند "بنت الشاطئ" آلاماً داخلية فحسب، بل زادها كبرياءً وعناداً ووعداً بالانتقام، فتحدثنا عن ذلك وتقول:

"توجهت إلى الجامعة مشحونة بالكبرياء والتحدي والعناد وقد آليت على نفسي ألا أدع هذه الجامعة تستدرجني لتسلبنى كنزى القديم في غفلة مني.. وتطوينى في ظلها وتذيب عقليتي في بوتقتها"^٢.

وهنا نرى أن الصراع كان له أثر إيجابي على "بنت الشاطئ" حيث دفعها لأن تكمل دراستها في الجامعة وتثبت ذاتها، وبالتالي يظهر لنا قدرة الكاتبة على تحويل الآلام النفسية إلى قوة تدفعها إلى الأمام.

١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ١٣٨

٢ . نفس المصدر ص ١٤٩-١٥١

ج- الصراع وشائعات الجامعة:

أحدثت علاقة الحب التي قامت بين "بنت الشاطي" وأستاذها "الشيخ أمين الخولي" شائعة كبيرة في الجامعة، وذلك لعدم تفهم العقول معنى التلمذة على يد الأستاذ "الخولي"، فاضطرها ذلك بأن تخوض معركة عنيفة ضد هذه الشائعات، لتثبت للجميع أن علاقتها به؛ إنما هي علاقة مبادئ خلقية وقيم علمية، وإن كانت في داخلها تكن له كل حب وتقدير.

فلم تستسلم "عائشة" لهذه الشائعات، بل أظهرت قوتها وشجاعتها ولم تقطع علاقتها بأستاذها، بل تابرت وتحملت؛ لأن مثل هذه الشائعات لما تنالها هي فقط، وإنما نالت الكثير من زملائها وخاضوا مثلها نفس المعركة دفاعاً عن ارتباطهم بالأستاذ "الخولي" فتقول معبرة عن هذا الحدث:

"واجهتني أزمة من عجز البيئة الجامعية عن فهم معنى التلمذة العلمية بحيث اضطررتني إلى أن أخوض معها معركة عنيفة فكان صراعاً طويلاً مجهداً، احتسبت كل أذى فيه امتحاناً لأهليتي لما تعلق به وطمحت إليه... وإني لأدري أن عدداً من زملائي خاضوها كذلك بصورة أو بأخرى، نضالاً عن تلمذتهم للأستاذ الخولي".^١

وظلت "بنت الشاطي" طوال حياتها، وهي تتعلم وتستفيد من منهج الأستاذ "الخولي"، ولم تلق بالاً بما قاله السفهاء؛ لإيمانها القوي بأن الجهاد في سبيل العلم والتعلم حق وواجب.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص. ١٦٧-١٦٨

المبحث الرابع

الزمان والمكان. 

الزمان والمكان

يمثل الزمان والمكان أهم عنصرين من عناصر في السيرة الذاتية، وذلك تبعاً لوظيفتهما في النص السردي، فالزمن قد يوضح لنا زمان الأحداث من حيث وجودها في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، كما أن المكان يبين البؤرة التي تم فيها وقوع الأحداث من الشخصيات الماثلة في السيرة، ولذلك فإن الزمان والمكان وحدة متكاملة مترابطة لا تنفصل عن بعضها، فلا يوجد زمان بدون مكان كذلك العكس؛ إلا أنه يوجد فرق ما بين الزمان والمكان لأن المكان "يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها.

وإذا كان الزمان يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط و يصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث. وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان. حيث إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي وقد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها^١

وبما أن للزمان والمكان دوراً مهماً في السيرة فسنبين كلاً منهما على حدة.

أولاً: الزمان:

يُعدّ الزمن من العناصر الأساسية، التي يتكون منها النص السردي، وقد تخضع الأحداث فيه لزمن معين، فيرتبها ترتيباً حسب التسلسل المنطقي لها، وقد لا تخضع لذلك أبداً فتبدو مفككة في النص غير واضحة، وتعمل على تشتت ذهن القارئ، "وفي ضوء ذلك يميز علماء السرد بين زمن الحكاية وزمن القصة. يمثل الأخير طول الوقت الذي يمكن أن يكون ساعة أو يوم قبل وقوع الحدث. وقد تكون سنة كاملة ولكن طريقة الزمن المذكورة هي التي اعتمدها الراوي في روايته. ويمكنه أن يكتفي بأجزاء يستغرق حدوثها أياماً تمكنه من كتابة قصة وتمكن القارئ من فهم ما حدث.

^١ . بناء الرواية- سيزا قاسم- ص ١٠٦.

ولا يتصور أن يتم ذلك على مدى سنوات، وأن يتم كتابته وتأليفه بحيث تتوافق المدة الزمنية التي تستغرق كتابته أو قراءته مع الوقت الذي استغرقه حدوثه، فينقسم الوقت المذكور، محذوف، الشرط مطلوب، والإدراج.^١

ويرى "الصكر" الزمن في السيرة الذاتية "سيكون ثلاثي الأبعاد: هناك ماضٍ مُعاد بناؤه، وهو زمن الأحداث، وزمن حاضر، وهو زمن الكتابة و هي زمن غير محدد يلقي بوعي القارئ أثناء عملية القراءة."^٢

وقد يتخذ كاتب السيرة الذاتية عدة أشكال من الزمن، فيسرد قصة حياته من "لحظات متتابة أو متناثرة أو متنافرة. فهو يقوم على الانتقائية، ولكن هذه الانتقائية ليست عشوائية وإنما هناك نوع من الترابط يعتمد إليه الكاتب من خلال إيجاد شبكة من العلاقات تربط الأحداث بعضها ببعض الآخر"^٣

وبالنظر في سيرة "عائشة عبدالرحمن" و"بانو قدسية"، نجد أنهما قد حاولتا سرد الأحداث حسب ترتيبها الزمني ونرى هذا الحدث رتبنا الأحداث زمنياً حسب ترتيبها الطبيعي.

كان للزمن حضوراً فاعلاً في السيرة وقد استخدمته الكاتبتان عن طريق الإشارات الزمنية كالיום والشهر والسنة وتحديد أياً بالصباح والمساء وشروق الشمس وغروبها ومن الأمثلة التي تدل على ذلك ما يلي: **عن اليوم، تقول عائشة:**
"وما زلت حتى هذه اللحظة، أذكر أن يومي السعيد الأول بالمدرسة، كان يوم خميس على التحديد"^٤

وظفت "عائشة عبدالرحمن" الزمن هنا لتصف لنا الجو النفسي الذي كانت فيه، فإن هذا الزمن ذكرى خاصة في حياتها من حيث التحول والتقدم للأمام، فبموافقة والدها

١. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك - د/إبراهيم محمود خليل - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ -

٢٠٠٣ م - دار المسيرة - ص ١٧٧

٢. البوح والتميز القهري - د/حاتم الصكر - ص ١٤

٣. سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات) - خليل شكري هياس - ص ٢١٤

٤ على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٦

على ذهابها إلى المدرسة انتقلت حياتها من الإحساس بخيبة الأمل إلى عالم مليء بالأمل والإشراق.

و قالت بانو قدسية عن اليوم:

"ایسی ہی ایک اداس رات میں گھرتی شام کو میری والدہ بھائی اور میں گھر لوٹ رہے تھے۔ صاف ستھری سڑک کے کنارے بانس کے جھنڈوں میں جگنو جگمگا رہے تھے۔ سڑک کے ساتھ ساتھ بجلی کے بلب روشن تھے۔ سناٹا تھا۔ ایسی خاموشی جو صرف پہاڑوں پر ممکن ہے۔ چلتے چلتے میری نظر آسمان پر گئی۔ ایک ستارہ جو روشنی میں باقی تمام ستاروں سے سوائے مجھے نظر آیا اور پہلی بار مجھے یوں لگا کہ میں جلاوطن ہوں اور مجھے اس ستارے میں لوٹ جانا ہے" ^۱

" وفي تلك الليلة الحزينة، لنا نرجع الى البيت أنا وأمي وأخي، و على ناصية شارع نظيف كانت تلمع فوق شجر البانس، وكانت مصابيح لكهرباء معينة في الشارع، وكان يصم صمت، كصمت الجبال، وأثناء السير نظرت إلى السماء، فرأيت نجماً أكثر ضوءاً من باقي النجوم، وللمرة الأولى شعرت أنني منفية عن وطن وأني أنتمي إلى هذا النجم."

ومن هنا جاء الزمن ليلقى الضوءَ على أهم مرحلة من مراحل حياتهما، ومن ثمَّ كان له دور في نمو الأحداث وتطور الشخصية.

أما عن الشهر والسنة، فتصفها من خلال أول لقاء بينها وبين أستاذها فتقول عائشة:

"انصرفت من درسه الأول في اليوم السادس من نوفمبر عام ۱۹۳۶م، وأنا أحس أنني ولدت من جديد." ^۲

كما قالت بانو قدسية: "۳۱ دسمبر ۱۹۵۱ء کی آدھی رات گزر جانے کے بعد روشنی کے ایک ٹکڑے نے میرے کمرے میں آ کر مجھے جگایا اور کہا "میں تمہارے محبوب کے مقدر کا ستارہ

^۱ . مرد ابریشم ص ۷

^۲ . علی الجسر بين الحياة والموت. ص ۱۶۱

ہوں۔" میں نے لحاف سے سر نکال کر کہا چائے تھر موس میں پڑی ہے اور بسکٹ میرے میز کی دراز میں۔ پھر میں نے اپنا منہ رضائی کے اندر کر لیا۔^۱

بعد مرور منتصف ليلة ۳۱ دسمبر ۱۹۰۱م جاء شعاع ضوء إلى مجرتي وأيقظني قائلة: أنا نجم مصير حبيبيك، فأخرجت رأسي من تحت اللحاف، وقلت: الشاي في الترموس، والبسكويت في درج مكتب، ثم غطيت وجهي باللحاف.

كان لذلك الزمن المحدد بالتاريخ تأثير خاص في حياة "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية، ولذلك حرصتا على تدوينها باليوم والشهر والسنة، وعُدَّ هذا الزمن من أسعد الأوقات في حياتهما؛ إذ إن الأحداث الواردة فيه تمثل حدثاً مصيرياً بالنسبة لها؛ حيث التقت عائشة عبدالرحمن مع أستاذها الذي انتظرته طويلاً، ومن عجيب الأمر أن هذا التاريخ الذي حدده "الشيخ الخولي" جاء مطابقاً ليوم ميلادها فكأنها بهذا الزمن تولد للحياة من جديد.

وأما عن تحديد بداية الزمن ونهايته، فمن ذلك قولها:
"فوجئت بأبي يصحبني إلى كُتَّاب القرية، حيث أسلمني هناك إلى "سيدنا الشيخ مرسي" ليحفظني القرآن الكريم، وانصرف بعد أن اتفق على أن أنتظم في الكُتَّاب، ستة أيام من الأسبوع، من مطلع الشمس إلى قرب صلاة العصر"^۲
لم تستعمل "بنت الشاطئ" الزمن هنا لإلقاء الضوء على حياتها الماضية، وإنما لتربط الماضي بالحاضر من خلال التركيز على المعاناة التي كانت تعانيها في فترة الكُتَّاب، فنحس هنا بثقل الزمن عليها، إنه الزمان المرهق الذي أرهق صاحبه وجعلها تعيش في جو من الملل والضيق، وقد اهتمت الكاتبة هنا بتحديد هذا الزمن بستة أيام من الأسبوع، ومن مطلع الشمس إلى قرب صلاة العصر؛ لتبين لنا معاناتها منذ الطفولة. وإذا نظرنا في السيرة أكثر نجد أن الكاتبة قد حطمت الترتيب الزمني التقليدي واستخدمت ما يسمى بالتقنيات الزمنية الحديثة وهي كما يلي:

۱ . راه رواں ص ۸۶

۲ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ۳۵

الاستدكار:

"هو ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي وصل إليها السرد"^١ بمعنى أن السارد يتوقف عند نقطة معينة من السرد و يعود "إلى الوراء ليكشف عددا من الجوانب التي تسهم في إضاءة النص وتحقق في الوقت نفسه غايات فنية منها التشويق والتماسك والإيهام الحقيقي^٢ "فالاسترجاع" يؤلف نوعاً من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر بالماضي وتفسره وتعلله وتضيء جوانب مظلمة من أحداثه ومسارات هذه الأحداث في امتداداتها وانكساراتها^٣

ينقسم الاسترجاع (الاستدكار) إلى ثلاثة أقسام :

أ-الاسترجاع بعيد المدى:

وهذا النوع يعتمد على التذكر "بالعودة إلى الماضي البعيد"^٤ تتجلى في السيرة تقنية الاسترجاع بعيد المدى لأن الكاتبة عادت إلى الوراء في زمن بعيد لتسرد لنا الأحداث الواقعة في الزمن الماضي، من ذلك تذكرها لحادث غرق جدتها فتقول:

"قبل أن تشب أُمِّي وتزوج، نزلت والدتها إلى شط النهر ذات صباح، ثم لم تعد بعد ذلك قط!

سحبتهما أذرع الموج الهادر، وتاهت صيحة استغاثنها فما كاد أهلها يميزونه من هدير الماء حتى كانت قد غاصت إلى القاع"^٥

نستنتج من المقطع الاستدكاري السابق أن الساردة تعود بنا إلى الوراء؛ لتستعيد من الماضي المشاهد والأحداث المتعلقة بغرق جدتها في مياه النهر وذلك لربط الماضي

^١ .سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)- خليل شكري هياس-ص ٢٣٧.

^٢ .المرجع السابق-ص ٢٣٧.

^٣ .الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا-أ.د إبراهيم جنداري-الطبعة الأولى ٢٠١٣-تموز، دمشق-

ص ١١٩

^٤ . تحولات اللغة والكتابة في ثلاثية أحلام مستغانمي-السهلي عويشي-ص ٤٣.

^٥ .على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٥

بالحاضر من خلال التركيز على معاناة والدتها وحزنها الشديد وسر خوفها على ابنتها من الشاطئ وغدر مياهه.

وهذا الحدث من الأحداث الخارجية ليس له صلة بموضوع النص، وإنما جئ به؛ لأنه متعلق بماضي والدتها، فالكاتبة لم تعاصر هذه الأحداث، وإنما اعتمدت في روايتها على ما سمعته من "داده حليلة" المربية لأولاد الأسرة التي عاصرت الحدث وشاهدته. فالفائدة من هذا الاستدكار، أنه قد ساهم في تفسير دلالة الأحداث الحاضرة من خوف والدة "بنت الشاطئ" من حدوث حالة مشابهة كحالة غرق الجدة. وقد يضفي الاسترجاع غاية وقيمة فنية على المقاطع السردية من حيث التماسك بين الأحداث وتحقيق الإثارة والتشويق لدى المتلقي^١

ب - الاسترجاع قريب المدى:

"يوظف الراوي هذا النوع من الاستدكارات في النص لتسليط الضوء على فترة زمنية حيث الماضي القريب الذي ما يزال حيا في ذاكرة الشخصية. ويبدو واضحاً دور هذا الماضي في صنع أحداث الحاضر"^٢ فمن الأحداث التي ذكرتها الكاتبة والمتعلقة بقصة حياتها قولها:

"بدأت أتصل بالصحافة والحياة العامة عن طريق غير مباشر: فلقد كانت الهواية الوحيدة لجدي بعد أن قيدته الحادثة إلى فراشه، أن يتتبع ما تنشره الصحف من أخبار... فكان من واجباتي اليومية أن أشتري له في طريق عودتي من المدرسة، جريدتي الأهرام والمقطم، لأقرأهما له، ثم أجلس إليه في عطلة آخر الأسبوع، ليملي عليّ "عرض حالات ومقالات" يبعث بها إلى الحكام في مصر، وإلى الصحف اليومية، في موضوع تعطل الميناء وحوادث غرق السفن الشراعية أثناء عبورها البوغاز... وكنت أول الأمر أستجيب فيه لحرصه على أداء بعض ما أدين لجدي. غير أنني ما لبثت أن

^١ . انظر تقنيات السرد . في ضوء المنهج البنوي - د/منى العيد - الطبعة الثالثة ٢٠١٠ - دار الفارابي - بيروت -

لبنان - ص ١١٣

^٢ . سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات) - خليل شكري هياس - ص ٢٤٢.

أحببت الكتابة، وأرضاني أن أطلع في الصحف ما كتبته تعبيراً عما كان الجد يمليه عليّ، فمضيت أتنفن في الأسلوب وأبذل لتجويده كل طاقتي^١ يبدو من هذا الاستذكار، أنه ما يزال حيّاً في ذاكرتها حيث تستعيده الكاتبة بكل وضوح وبكل تفصيل، وهنا ألقت الضوء على فترة زمنية هامة في بداية حياتها وهي اتصالها بالصحافة بطريق غير مباشر، فتعدّ هذه الفترة إرهاصات لتكوين شخصيتها الثقافية، فكان لهذا الزمن دوره في صنع الأحداث الحاضرة عندما كتبت في المجلات والصحف بشكل مباشر، ومن هنا ربط الاستذكار بين الماضي والحاضر، وأدى الزمن دوره في تطور الأحداث ونمو الشخصية.

ج-استرجاع تكرارى:

وهوالذي اعتمدت فيه الكاتبة "على تكرار بعض الاسترجاعات بغية تذكير القارئ بها لأهميتها ودلالاتها"^٢ ومن ذلك قولها :
"نشرت لي "جريدة الأهرام" في صفحتها الأولى مقالتي عن الريف المصري وقضية الفلاح، وقد توثقت صلتى بالجريدة الكبرى من يوم أن أرسلت إليها مقالي الأول، صيف سنة ١٩٣٥م"^٣
ثم تكرره بقولها الذي يحمل نفس المضمون والمعنى : "وكانت صلتى بجريدة الأهرام قد بدأت في مستهل الصيف الذي مضى، بمقالي الأول عن فلاحنا المظلوم"^٤
تكرر "بنت الشاطئ" هذا الاسترجاع في سيرتها لأهمية هذا الحدث في حياتها من ناحيتين.

الأولى: عملها في الصحافة الذي حقق لها شهرة فائقة في المجتمع.

والثانية: لإبراز أهم الأحداث التي تناولتها في حياتها، وهي تبنيها قضية الفلاح المظلوم والدفاع عنه وعن حقوقه المهضومة.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص - ٥٥-٥٦

^٢ . تحولات اللغة والكتابة في ثلاثية أحلام مستغانمي - السهلي عويشي - ص ٤٧.

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٠٧

^٤ . نفس المصدر ص ١٣٤

الاستباق:

هو "تقنية سردية تدل على حركة سردية تروى أو تذكر بحدث لاحق مقدماً"^١ وهذه التقنية قد تحدث أحياناً خللاً في السرد حيث يتوقف السارد في ترتيبه ونظامه التسلسلي للأحداث ليروى حدثاً في المستقبل من المتوقع حدوثه ومن المتوقع عدمه ولكن قد يلجأ إليها الكاتب في بعض الأحيان؛ لكونها "تقنية زمنية تخل بالنسق الزمني وتتلاعب فيه داخل القصة لأغراض جمالية إذ لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والوجود وإنما من حيث الصياغة والترتيب"^٢ ومن وظائف الاستباق الأولى، أنه بمثابة "تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجرى الإعداد لسردها من طرف الراوي فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات"^٣ أما الوظيفة الثانية للاستباق هي الإخبار "عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج بعض الشخص" ^٤ وهذه التقنية الزمنية قد تكثر في السيرة الذاتية دون غيرها من الأنواع الأدبية الأخرى لأن السيرة هي الجنس الوحيد الذي يستطيع فيه الراوي سرد ما يشاء من الأحداث المستقبلية أو تحديدها بإشارة عابرة تدل على احتمال حدوثها في المستقبل وذلك؛ لأن الراوي يحكي قصة حياته حينما تقترب من الانتهاء و يعلم ما وقع، قبل وبعد، لحظة بداية القص ويستطيع الإشارة إلى الحوادث اللاحقة دون إخلال بمنطقية النص ومنطقية التسلسل الزمني^٥ استخدمت الكاتبة تقنية الاستباق؛ للتمهيد أو التنبؤ بحالها في المستقبل بعدفراق زوجها فنها تقول:

"إلى أن يحين الأجل،

١ . سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)- خليل شكري هياس-ص ٢٥٠.

٢ . سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)--ص ٢٥٠ .

٣ . نية الشكل الروائي-حسن بحراوي-ص ١٣٢

٤ . المرجع السابق-ص ١٣٢.

٥ . أنظر : بناء الرواية-سيزا قاسم-ص ٦٥.

سأبقى محكوماً على،
 بهذه الوقفة الحائرة على المعبر
 ضائعة بين حياة وموت
 أنتظردورى فى اجتياز الشوط الباقى،
 وأردد فى أثر الراحل المقيم:
 عليك سلام الله إن تكن
 عربت إلى الأخرى
 فنحن على الجسر.^١

فاستخدمت الكاتبة حرف السين فى الفعل (سأبقى) وهو حرف يدل على زمن المستقبل، وهذه النظرة المستقبلية الحزينة تدل على سيطرة اليأس والضياع على حالة الكاتبة النفسية، فلم تعد تفكر فى أى شئ فى الحياة إلا أن تنتظر الموت الذى سَيَلْحِقُهَا برفيق دربها.

فميزة الاستباق تكمن " فى أن المعلومات التى يقدمها تتصف باليقينية لأن الأحداث التى يسرده الراوى تم حصولها فعلاً قبل بدئه بلحظة السرد"^٢ ومن ثم فهى أحداث حقيقية آلت إليها حالة الكاتبة فى المستقبل بعد رحيل زوجها.

كما أن الكاتبة وظفت تقنية الاستباق أيضاً عن طريق الحلم والرؤى. ففي الحلم روت أحداثاً قد تحققت فيما بعد من مراحل حياتها، فتقول:

"رأيتني فى المنام جالسة فى مقعدي بحجرة الدراسة، وإذا بملاك مجنح يهبط من السماء قرب النافذة المجاورة لمكاني، ويعطيني لفافة خضراء ثم يخلق عالياً فى السماء ولما فتحت اللفافة، وجدت فيها مصحفاً شريفاً لم تكن عيني قد وقعت من قبل على مثله فخامة وبهاء"^٣

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٢

^٢ . سيرة جبرا الذاتية فى (البئر الأولى وشارع الأميرات) - خليل شكرى هياس - ص ٢٥١.

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٥٠

يعد هذا الحلم استباقاً للأحداث المستقبلية وإشارةً وتمهيداً لما آلت إليه الكاتبة فيما بعد من حفظها للقرآن الكريم وتخصصها في دراسة منهج النص القرآني. وبعد هذه الرؤية بأسطر قليلة تسرد الراوية الاستباق قائلة:

"ومن رؤيا الصبا هذه، امتد الخيط غير المرئي، بين ذلك الشوط الأول على شط النهر، وبين ما انتهى إليه طريقي العلمي من تلمذتي للأستاذ أمين الخولي، وتخصصي في دراسة النص القرآني على منهجه."^١

ومن المقاطع الاستباقية التي جاءت في السيرة تلك الرؤيا الصادقة^٢ التي رأتها في منامها عندما كانت في شهادة الثانوية، فتقول:

"سرقني الوقت فغفلت عن إحضار كتاب "تاريخ أوربا الحديث"... ولم أنتبه إلى ذلك حتى افتقدته قبيل الامتحان. ولم يكف الوقت لاستيعاب كل ما في الكتاب... وأخذتني سنة من نوم، فرأيت فيما يرى الحالم أنني في قاعة الامتحان اقرأ من ورقة التاريخ، أول سؤال فيها عن "مارتن لوثر وحركة الإصلاح الديني" وصحوت من غفوتي، فلم أتردد في مراجعة هذا الفصل الذي كان قد فاتني من الكتاب، واثقة كل الثقة أن الامتحان فيه"^٣

ثانياً: المكان:

يُعتبر المكان مكوناً هاماً من مكونات النص السردية، ولذلك نُعدُّ دراسته على قدر كبير من الأهمية البالغة عند كثير من النقاد والباحثين.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٥١

^٢ . الحلمين أوردت الأول بلفظ الحلم والثاني بلفظ الرؤيا؛ على حسب ماورد في سيرة "بنت الشاطئ" ولأن هناك فرقاً ما بين الحلم والرؤية "الحلم هو الإشباع الخفي لرغبة مكبوتة. وسيلة لتحويل المحتوى الكامن إلى محتوى واضح في الحلم. أما الرؤيا [مفرد] : جمع رؤى (لغير المصدر) مصدر رأى، الرؤيا الصادقة: الطريقة الأولى لكشف الغيب، وقد بدأ النبي محمد صلى الله عليه وسلم نبوته برؤيا صادقة. ما الذي يحلم به النائم؟

"رؤيا طيبة (هذاتأويل رءي)" ينظر: معجم المصطلحات الأدبية-ابراهيم فتحى - المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين ١٩٨٦-ص ١٤٦) و معجم لغة عربية المعاصرة-أ.دكتور أحمد مختار عمر-ط-١-المجلد الثاني-

١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م-عالم الكتب-ص ٨٤٠)

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٩٢

فالمكان ليس المقصود به الأبعاد الهندسية فقط، بل هو "كيان من الفعل، تشكله مجموعة علاقات داخلية قائمة بين ما يحتويه من موجودات، و يظهر من خلال ارتباطه بعلاقات جدلية مع الإنسان، والزمان، والأشياء"^١ أما عن مفهوم المكان عند الناقد "ياسين النصير"، فيعرفه "أنه الكيان الاجتماعي الذي يحمل جوهر التفاعل بين الإنسان ومجتمعه. لذا فشأنه شأن أى نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه."^٢ يختلف المكان في السيرة الذاتية عن المكان في الرواية وذلك؛ لأن بيئة الرواية ليست بيئة نموذجية.

"تخلق النصوص الخيالية من خلال الكلمات مساحة خيالية لها خصائصها الخاصة وأبعادها المميزة."^٣

أما نص السيرة الذاتية "فإنه يحاول إعادة خلق المكان الواقعي بالكلمات، بعد أن يضفي عليه المؤلف شيئاً من إحساسه به"^٤.

وبالنظر في سيرة "بنت الشاطي" و "بانو قدسية"، نجد أنهما قدمتا لنا وصفاً للمكان من أول عتبة في النص وهو العنوان "على الجسر بين الحياة والموت"؛ و "راه رواا" إذ يعدّ بالنسبة لهما معبراً تقف عليه تروي قصة رحيل الحبيب، ثم تمتد بذاكرتهما وهي على الجسر؛ و راه، لتصف لنا المكان الذي بدأت أولى خطواتهما عليه، فتقول عائشة عبدالرحمن:

"حين بدأت أعي خطواتي على الدرب، كنت في ملعب طفولتي على شط النيل بمدينة دمياط العريقة، حيث يقوم بيت جدي لأمي "الشيخ إبراهيم الدمهوجي الكبير" مطلاً على النهر، عتيقاً شامخاً تضرب أسسه الصخرية في ماء النيل، ويمتد الأفق أمامه، من ناحيتي الشمال والغرب، فسيحاً رحباً إلى غير مدى"^٥

١. السيرة الذاتية في الأدب العربي-د. تهماني عبد الفتاح شاکر-ص. ١٣٧

٢. الرواية والمكان-ياسين النصير-دار الشؤون الثقافية العام-بغداد-ص. ١٦، ١٧.

٣. بناء الرواية-سيزا قاسم-ص. ١٠٤

٤. السيرة الذاتية في الأدب العربي-د/تھاني عبد الفتاح شاکر-ص. ١٣٦

٥. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٩

ثم تصف لنا أجزاءً مخصصة للاستعمال في حالات معينة يتضح ذلك من خلال قولها:

"أما المدخل الآخر للشرفة، فكان بابه يفتح على منطقة من الماء قريبة الغور، محجوزة بجدران خشبية ساترة، اعتادت سيدات الأسرة الاستحمام فيها، إذ تتحول في موسم التحاريق إلى حمام بحر لحريم البيت... وخلف الشرفة قاعة كبرى لاستقبال الضيوف والتجار المتنقلين ما بين مصر والشام"^١

كربى استقبال الضيوف والتجار املتقني ما بني مصر والشام^٢
يُعدُّ ما سبق وصفًا دقيقًا للبيت، أشارت فيه الكاتبة إلى تقاليد العائلة، من حيث تقسيم البيت إلى أجزاء، جزء للزائرين والضيوف من كل مكان، والجزء الآخر خاص بحريم البيت، وهذا الوصف الدقيق يدل على تعلق الكاتبة بالمكان والتصاقه بذاكرتها لمدة طويلة، فمن الصعب على طفلة في عمرها أن تتذكره، ولكن عندما يكون للمكان أثر في النفس، فإن أوصافه وملاحمه تثبت في الذاكرة لا تتأثر بالنسيان أو البعد عنه.

كما أن من جماليات هذا البيت، أنه كان مطلاً على شاطئ النهر، ومن هنا يتبين لنا سر تعلق "بنت الشاطئ" به وتشبته بذاكرتها.

يأتي تركيز بنت الشاطئ في السيرة على هذا المكان، من حيث إنه مشهد مولدها وقد تربت وترعرعت بين أحضانه، فهو مسرح لهوها ولعبها في صباها، ومجلى هيامها وتأملاتها. فهي وإن انتقلت إلى أماكن عديدة ومتنوعة في مراحل عمرها؛ إلا أنها لم تحدث في نفسها أثراً وبعداً وتكويناً مثل شاطئ النهر.

إنَّ ارتباط "بنت الشاطئ" بهذا المكان يشبه ارتباط الروح بالجسد، فكل منهما لا يفصل عن الآخر؛ إلا بمشيئة عليا، ونتيجة هذا الارتباط الشديد أصبح للمكان حضور دائم في وجدانها وذاكرتها، حتى ولو بعدت عنه لدرجة أنها عندما فكرت في اختيار الاسم المستعار لجأت إلى الشاطئ، فلقت نفسها "بنت الشاطئ" انتماء لشاطئها الذي تربت عليه. فلم يكن هذا المكان بالنسبة لها مجرد فضاء قضت فيه

^١ . على الجسر بين الحياة والموت. ص ٢٠٠

أيامها، ولعبت على أرضه؛ وإنما له تأثير وجاذبية، فهو مرتبط بحالتها النفسية مما دعاها للتأمل لمدة طوييلة، فتقول عن ذهابها إلى الشط: "وكثيراً ما كنت أجدني وحدي مع الفضاء الطليق، فيطيب لي أن أتخذ لي مجلساً في إحدى السفن الشراعية"^١

وتقول أيضاً: "أمضى الساعات الطوال صامتة على الشط، أنسق ما جمعت من خيوط وأحاول أن أنسج منها ما غاب عني من مشاهد، في تأمل مستغرق وشجو مريح!"^٢

كانت تتردد الكاتبة على هذا الشاطئ كثيراً لعلها تجد فيه راحة ونسياناً للهموم، كما أنها كانت تحاول أن تجمع خيوط الأحداث والمشاهد التي غابت عنها، وتحاول تنسيقها حتى تنتظم الأحداث في تسلسلها، معتمدة في ذلك على ما سمعته من أخبار حول الأسرة وعن غرق جدتها.

بانتقال "بنت الشاطئ" من البيت إلى الفضاء الطليق تكون بذلك انتقلت من المكان المغلق إلى المكان المفتوح الذي تجد فيه مجالاً واسعاً للحركة بكل حرية دون قيود، وهناك فرق بين الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.

فالأماكن المغلقة هي "أمكنة تخضع مساحتها لنوع من المحدودية نتيجة انغلاقها، وهي عبارة عن كيانات غير ممتدة وأغلبها عبارة عن هياكل إسمنتية ضيقة المساحة نسبياً وأكثر الأمكنة ارتباطاً بالإنسان (البيوت) وأشد التصاقاً بحياته اليومية وبالنظر إلى انغلاقها تكون حركة الشخصيات في فضاءها تتسم بنوع من الانحصار في حدود ما تسمح به هذه المساحة"^٣

أما الأماكن المفتوحة فهي "مساحة ممتدة غير محصورة تسمح للشخصية بالحركة والانتقال في أرجائها بكل حرية"^٤.

^١ على الجسر بين الحياة والموت. ص. ٢٢

^٢ . نفس المرجع ص. ٢٧

^٣ تقنيات السرد في "رواية البيت الأندلسي" لولاسيني الأعرج - إعداد الباحث عيسى بلخباط - رسالة

ماجستير - جامعة محمد خيضر - بسكرة ١٤٣٥/١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤/٢٠١٥ م - ص ١٢٩

^٤ . المرجع السابق - ص. ١٢٩

ازداد تعلق الكاتبة بالبيت والشاطئ بعد حادث غرق جدتها تعلقاً شديداً يتضح ذلك من خلال قولها: "زاد تعلقي بالبيت الكبير واتجهت إليه بكل عواطف الغصة، ففيه تربت أمي بعد غرق والدتها، وفيه يقيم جدها الثاقلان اللذان تشبثا بها صورة حية لفقيدهما، وعلى حافة النهر هناك كان المسرح الذي شهد مأساة غريقة تربط ثلاثة أجيال من الأسرة"^١ يتضح لنا من هذا النص أن غرق جدتها لم يؤثر تأثيراً سلبياً على حياتها، فلم تبتعد عن الشاطئ، ولم تستجب لأوامر نهيها عن الذهاب إليه، بل زادت ذلك إصراراً وعناداً وتعلقاً بالممنوع. و برغم أنها أحبت القرية وطاب لها العيش فيها، إلا أنها تبوح بأن موطنها الأصلي هو البلدة الساحلية الجميلة، فتقول: "ومهما يكن ارتباطي الوثيق بالقرية، فلن يبلغ مبلغ جي وولائي لأول أرض مس جلدي ترابها الطيب"^٢

تبوح "بنت الشاطئ" بأن بلدتها هي البلدة الساحلية؛ لأن دمياط كانت تتميز بموقع فريد فهي تقع على شاطئ المتوسط مجاورة نهر النيل وبحيرة المنزلة، فنتج عن هذا الموقع المتميز أن تتحول دمياط إلى مدينة عامرة بألوان النشاط العلمي والتجاري، ولذلك كانت "بنت الشاطئ" تتعلق بها دائماً^٣

وتعد "القرية" من الأماكن الهامة والمحطات الرئيسة التي مرت بها "بنت الشاطئ" في حياتها، وقد كان للقرية تأثير خاص في حياتها من ناحية الالتزام بالعادات والتقاليد السائدة هناك، مما جعلها تضيق منها في بداية حياتها بها، ولكنها مع ذلك ألقت هذه القيود وتعودت عليها، فتقول: "وأحببت القرية وأهلها، وطاب لي العيش فيها على خشونته، فكان ذلك مما هون على وحشة فراقي لبلدي دمياط"^٤ وقد قدمت لنا الكاتبة وصفا للبيوت والمزارع التي يعمل بها أقاربها، نذكر من ذلك على سبيل المثال وصفها للمزارع، فتقول:

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٢٦

٢ . نفس المصدر ص ٣٩

٣ . انظر : فن المقالة عند بنت الشاطئ-د/ سعد محمد عطية-ص ١٢٠

٤ . على الجسر بين الحياة والموت -ص ٣٦

"وانطلقت أعدو وأنا لا أكاد أصدق أنني مطلقة السراح، فلما وصلت إلى البستان- ولم تكن مساحته تتجاوز فدانين- غمرني شعور الارتياح المنعش، إذ أستقبل شروق الشمس في ذلك الخلاء الأخضر، وأنشق من عبير الصباح معطرا بشذى الأزهار"^١ ورغم القيود التي واجهتها "بنت الشاطي" في القرية، إلا أنها مرت بمرحلة إيجابية فيها، حيث حفظت القرآن الكريم في أحد الكتاتيب التي بها، تخبرنا عن ذلك وتقول: "وتكررت رحلتنا إلى القرية فيما تلا من عطلات الصيف، حيث أتممت حفظ القرآن الكريم"^٢

نذكر أيضا أن من الأماكن التي مرت بها الكاتبة في حياتها "المنصورة" وقد عاشت بها وقتاً من الزمن، ولكنها في هذا المكان لم تطلعنا على جوانبه وأسراره، ولم تذكر لنا إلا عملها في مدرسة المعلمات والمكتبة التي كانت تتردد عليها؛ لتزود وتنهل من الكتب التي بها ثقافة جديدة، فتقول في ذلك:

"ومضى على عملي في المنصورة عام وبعض عام، ملأت كل دقيقة منها بالتدريس نهاراً والتحصيل ليلاً. وكنت كلما أجهدي العمل المزدوج، روجت عن نفسي بمطالعة كتب من صنف جديد، غير الذي كان متاحاً لي في مكتبة بيتنا. وأدين "المكتبة السروي" في المنصورة بهذا الأفق الجديد الذي فتحت أمامي بأيسر جهد وكلفة"^٣

ومن الأماكن أيضا التي كان لها دورٌ حيوي وبارزٌ في سيرة "بنت الشاطي" المدينة حيث أدى هذا المكان إلى تطور ونمو شخصيتها فكرياً وثقافياً من خلال تعليمها في الجامعة وعملها في الصحافة.

فالمدينة من الأماكن الواسعة الشاسعة، وبرغم كثرة الزحام والضجيج بها؛ إلا أنها من الأماكن التي يسعى إليها الناس من كل مكان؛ رغبة في الاستزادة من التطور الحضاري والعلمي بها.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٣٨

^٢ . نفس المصدر ص ٣٧

^٣ . نفس المصدر ص ٨٠

ومن الملاحظ أيضاً أن أكثر الأدباء والكتاب قد لجأوا إلى الهروب من القرية وما فيها من قيود وضيق في المعيشة إلى المدينة مركز التطور والرقى. وإذا نظرنا في سيرة "بنت الشاطئ"، نجد أنها قد تحدثت في بعض المواطن من سيرتها عن تجربتها العلمية والحياتية والأدبية في المدينة، ولكنها في البداية كانت تعيش في صراع دائم معها، وتحس فيها بالغرابة والضياح، فتخبرنا عن ذلك بقولها:

"لقد جربت معي كل حيلها وأفانينها، فعصيت على غوايتها ولم أشعر في أي لحظة بأنني أنتمي إليها.

كنت أقيم بها، بحكم عملي في كلية البنات الأرستقراطية، في قصرها الفخم، أتناول طعامي في أطباق الليموج على موائد أنيقة تتلألأ ببرق الكريستوفل والكريستال.. وأحن مع ذلك إلى عيشتنا البسيطة في بيتنا العتيق على شط القناة النيل بدمياط، ودارنا الريفية المتواضعة في أعماق المنوفية"^١

ثم نرى بعد ذلك أثر المدينة في حياتها من الناحية الأدبية والمكانة العالية التي حصلت عليها، فتقول:

"مكتبات العاصمة تعرض كتابي الأول عن "الريف المصري"، والمجتمع الأدبي يتحدث عن فوزي بالجائزة الأولى للمباراة الرسمية لوزارة "على ماهر" في موضوع "إصلاح الريف والنهوض بالفلاح"^٢

وبرغم من أن المدينة قد أدت إلى تطور شخصية "بنت الشاطئ"، إلا أنها لم تستسلم لأهواء المدينة وزيفها وفتنتها، وكانت دائماً تحاول التغلب على ما فيها من صعوبات وعقبات حتى حققت فيها شهرة فائقة في المستوى العلمي والثقافي.

يدلنا على ذلك قولها عن العاصمة:

"أمزق الأقنعة عن وجهها القبيح وروحها الهامدة وحسها الأصم وضميرها الميت! مطمئنة إلى أنني محصنة من فتنة المدينة وغوايتها، بمناعة زودتني بها الأرض الطيبة"^٣

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٣٥-١٣٦

^٢ . نفس المصدر ص ١٤٨

^٣ . نفس المصدر ص ١٣٥

وأخيراً يمكننا القول: بأن المكان الذي حظي بعناية كبيرة من الكاتبة هو البيت المطل على الشاطئ، فأسهبت في وصفه بكل أجزائه وتفصيله، وإبراز مواطن جماله وهندسته ومعماريته، واستطاعت الكاتبة بأسلوبها الرائع أن تنقل صورة المكان بكل أبعاده النفسية، مبينة احساساتها ومشاعرها تجاهه من خوف أو حزن أو هو طفلة صغيرة.

المبحث الخامس

الوصف والسرد والحوار.



الوصف والسرد والحوار

لكل كاتب في ميدان السيرة الذاتية أسلوبه الخاص به وطريقته في العرض، فقد يعتمد الكاتب إما على الوصف أو السرد الحكائي في الأحداث. ولكننا عندما نطالع سيرة "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية"، نجد أنهما مزجتا في عرضهما للأحداث ما بين الوصف والسرد والحوار.

أولاً. الوصف:

قبل أن نبين مواطن الوصف في السيرة، نشير إشارة بسيطة إلى تعريف الوصف، وبيان وظيفته في النص الأدبي.

عرف قدامة بن جعفر^١ الوصف بأنه: "ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاهها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته"^٢

وقد وصلت وظيفة الوصف إلى غايتها، من حيث كونها "تكشف عن حياة الشخصية النفسية وتشير إلى مزاجها وطبعها، وأصبح الوصف عنصراً له دلالة خاصة واكتسب قيمة جمالية حقة"^٣

كما أن له دوراً في نمو الحدث، وهو بذلك يُكسب النص السردى قيمة فنية تجذب القارئ وتؤثره؛ ولذلك نرى البعض من كتّاب السيرة الذاتية يميلون في كتابتهم إلى

^١ . قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م)

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكنفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد.

^٢ . نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر - ضبطه وشرحه محمد عيسى منون - الطبعة الأولى،

١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م - المطبعة الملية . القاهرة - ص ٧٠-٧١

^٣ . بناء الرواية (دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ سيزا قاسم - مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م. ص ١١٥.

الابتداء بمشاهد وصفية "تخلو الغموض عن حركة الأبطال، كما تكشف عن قسم من حواراتهم، دون أن ينفلت عنصر الزمن كما المكان من الذكر، ذلك أن العلاقات القائمة بين الشخصيات تقدم مختصرة مفسرة".^۱

وقد وصفت عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية في سيرتهما بعضاً من الأماكن والبلدان والشخصيات، نذكر منها على سبيل المثال:

وصفت عائشة لفناء بيت والدها في قرية "شبرا بخوم" بالمنوفية، حيث تقول :
"وخطوت في بطن إلى فناء الدار، لمحت أكداًس الخطب مكومة قرب فرن عجبت لموضعه داخل البيت، ثم ازداد عجبى وأنا أرى المواشي في زريبة مفتوحة على الفناء، وإلى جانب الزريبة صف من القاعات المظلمة، سألت عنها فقيل لي إنها مخصصة لنوم العائلة في الشتاء؟"^۲

أرادت الكاتبة أن تنقل واقع الحياة الريفية المصرية في ذلك العصر القديم واستطاعت الكاتبة بقدرتها التصويرية أن تصف ملامح البيت وصفاً مطابقاً لمعالم البيوت الريفية القديمة والتي اختفت معالمها غالباً في زماننا هذا.
كما وصفت بانو قدسية و تقول:

"شروع شادی کے دن تھے جب پہلی بار شہاب صاحب ایک شام سمن آباد میں ہمارے ہاں آئے۔ ان دنوں ہم ایک ایسے مکان میں رہتے تھے جس کا باہر والا نکا سارا دن کھلا رہتا تھا۔ اور اندر کے نلکوں سے مستقل سوں سوں کی آواز آتی تھی۔ نلکے کی وجہ سے باہر کے دس فٹے باغ میں کچڑ تھا۔ شہاب جب برآمدے تک پہنچے تو ان کے بوٹ لٹھڑے ہوئے تھے۔"^۳

كان بداية يوم الزواج حينما قدم إلينا تلعب في سمن آباد، و في تلك الأيام كنا نعيش في بيت، يظل صنبور لماء خارجه مفتوحاً طوال اليوم ، و كان يأتي صوت صنابير المياه الداخلية ،وبسبب الماء الذي ينزل من صنبور المياه الخارجي كانت

۱ . البداية في النص الروائي - صدوق نور الدين- الطبعة الأولى، ۱۹۹۴- دار الحوار اللادقية سوريا-ص ۶۳.

۲ . ۱. على الجسر بين الحياة والموت ص ۳۴

۳ . مرد ابريشم ص ۱۵

مسافة عشرة أقدام من أرض الحديقة مفصمة بالطين، و حينما وصل شهاب، امتلأ حزاؤه به.

أما وصفهما للبلدان، فيتمثل من خلال قول عائشة:

"ألقي بنا القطار في منجم الزحام بمحطة مصر، غريبتين ضائعتين، لا نكاد ندري موضع أقدامنا في ذلك العالم الصاخب المجهول، وأذكر أنني أغمضت عيني، كأني أتقى شبح الضياع"^١

بهذا الوصف نقلت لنا حال العاصمة في ذلك الوقت، ومن خلاله عرفنا، أنه يوجد فرق بين الحياة في الريف التي تتميز بالهدوء والسكينة، وبين المدينة التي تمتلئ بالزحام لوفود الناس إليها من كل البلدان.

أما عن وصف الشخصيات فتقدمه من خلال وصفها لزوجها:

"في بهاء فروسيته وعزة كبريائه وجلال إيمانه مناضلاً، حتى النفس الأخير عن الحق والخير ومحتملاً، حتى النفس الأخير، أمانة الإنسان"^٢

ومن خلال ما تقدم ظهر دور الوصف في إبراز معالم وملامح الأماكن والبلدان والشخصيات وكل هذه الأوصاف ترتب عليها "تباطؤ في التتابع الزمني للقصة ووقف للسرد بمعناه المتنامي"^٣

ثانياً: السرد:

للسرد مكانة هامة في السيرة الذاتية وكذلك الأجناس الأدبية الأخرى، فهو يمثل أهم تقنية من العناصر الفنية التي يركز عليها فن السيرة، فيستطيع المؤلف بواسطته نقل الأحداث بأسلوبه وطر يقته، و يوجهها إلى المتلقي، فهو إذن "خطاب السارد أو حوار له من يسرد له داخل النص الروائي"^٤

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦٣

٢ . نفس المصدر ص ٨

٣ . بنية الشكل الروائي - حسن بحراوي - الطبعة الأولى ١٩٩٠م - المركز الثقافي العربي - بيروت - ص ١٧٩.

٤ . السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجاً) - أ.د. عبد الرحيم الكردي - تقديم أ.د. طه وادي -

الطبعة الأولى - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - مكتبة الآداب - القاهرة - ص ١٠٠.

فلذلك اعتبر من أهم المقومات والمؤثرات التي تكشف عن محتوى النص، "ومن ثم فإن دراسته تعمل على كشف الأدوات التي يستخدمها الروائي في تحميل النص بالمضامين والدلالات"^١

ولما كان السرد يمثل أهم عنصر من العناصر الفنية للنص الأدبي، فسنحاول الوصول إلى تعريف محدد من خلال المفاهيم التي ذكرها النقاد حول السرد. فالسرد عبارة عن "نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور، وجعله قابلاً للتداول سواء كان هذا الفعل واقعياً أو تخييلياً"^٢

وهناك تعريف آخر للسرد، بأنه: "الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب جزءاً من الحدث، أو جانباً من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحاً من الملامح الخارجية للشخصيات، أو قد يتوغل في الأعماق، فيصف عالمها الداخلي وما يدور فيه من خواطر نفسية، أو حديث خاص بالذات"^٣ نفهم من خلال التعريفين السابقين للسرد، بأنه يقوم بنقل الأحداث سواء كانت حقيقية أو خيالية من الواقع إلى لغة متدولة، يطرحها و يوجهها المؤلف إلى المتلقي كما أنه يقوم باستحضار الأحداث والذكريات، وإيقاظها من ركودها في الماضي إلى صورة نابضة في الحاضر، وينقل لنا طابع الشخصيات ومؤثرات الزمان والمكان، فيصور الفكرة والتجربة التي يريد أن ينقلها الكاتب للمتلقي عبر فعالية الحكي، ولهذا ارتبط السرد بالنص ارتباطاً وثيقاً لما له من حركة دائبة في تطوير الأحداث ونمو الشخصيات.

السرد في سيرة "عائشة عبدالرحمن" و "بانو قدسية":

كما هو معروف ومعتاد من طرق السرد في السيرة الذاتية، أنها تقوم عادة باستهلال الكاتب سيرته بلحظات الولادة والأهل، فيلتزم بذلك التسلسل المنطقي للأحداث،

^١ . السرد في الرواية المعاصرة ص ٩٠.

^٢ . السرد العربي (مفاهيم وتحليلات) - د/ سعيد يقطين - الطبعة الأولى ٢٠٠٦م - رؤية - ص ٧٢٠.

^٣ . دراسات في نقد الرواية . طه وادي - الطبعة الثالثة ١٩٩٤ - دار المعارف - القاهرة - ص ٤٣.

وقد وجدت هذه الطريقة عند الأغلبية من كُتّاب السيرة، ولكن مع تطور الزمن والدراسات استحدثت طرق أخرى في الترتيب السردى، يمكن توضيحها فيما يلى:-
١-نصوص كانت بدايتها تقليدية حيث تبدأ بالاستهلال بالحديث عن الأسلاف والأهل والولادة.

٢-نصوص بدايتها أقل تقليدية، تبدأ منذ زمن الطفولة الواعية.

٣.نصوص حديثة تبدأ من التركيز على صراع رئيسي للمادة الذاتية^١
و بالنظر إلى سيرة "بنت الشاطئ"، نجد أنها قد اتبعت فى سيرتها الطريقة الأولى، وهي استهلال نصوصها بالحديث عن الأسلاف والأهل والولادة، ومن هذا المنطلق جاءت سيرتها مرتبة حسب الترتيب السردى للأحداث، فأخذت مجراها الطبيعي على مسرح الحياة، فبعد تصوير مشهد الولادة توالى الأحداث بعد ذلك، وابتدأت طريقها فى التعليم بداية من مرحلة الكُتّاب، ثم المدرسة الأولية، ثم الراقية، ثم شهادة المعلمات والقسم الإضافي، ثم الشهادة الابتدائية والثانوية، إلى أن ختمتها بالمرحلة الجامعية، ثم والت القصة بعد ذلك بارتباطها بزوجها وانتقالها فجأة إلى مشهد وفاته. وبالرغم من هذه البداية التقليدية للسيرة؛ إلا أنها ليست بداية خالصة، حيث إنها قد ابتدأتها بمشهد وفاة زوجها، وهذه الأحداث مكانها فى نهاية السيرة، ومثل هذا النوع من السرد يطلق عليه "الاسترجاع"، بمعنى أن "تبدأ القصة من نهايتها وتعود إلى البداية"^٢

وبالرغم من هذه البداية؛ إلا أن أحداث السيرة لم تكن مفككة بشكل واضح، إذ استطاعت الكاتبة أن تنسق معظم المشاهد زمنياً ابتداء من لحظات ولادتها وحتى تصوير مشاهد وفاة زوجها، ولكنها أسقطت الكثير من الأحداث والمواقف، وركزت على المشاهد التي كان لها تأثير فى تكوينها العلمي والثقافي.

ويمكن تبرير ما فعلته بنت الشاطئ فى بداية السيرة بتصوير المشهد المروع لرحيل زوجها، إلى أنه يرجع لسبب نفسي وهو سيطرة الحزن على قلبها، مما جعلها لا

^١ . انظر السيرة الذاتية النسائية فى الأدب العربى المعاصر-أمل تميمي-ص ٢٠٩.

^٢ . الفن الروائي عند أحلام مستغانمي-شهرزاد حرز الله-ط ٢٠٠٣م-دار الغرب-ص ٣٢٠.

تستطيع تأخيرها يؤلمها، فأرادت التخلص منه في البداية.

تقنيات السرد:

وظفت "بنت الشاطئ" تقنيتين من تقنيات الحركة السردية، يمكن توضيحهما في النقاط التالية:-

١- تسريع السرد:

هذه التقنية يلجأ إليها الكاتب، عندما يريد أن يتخلص من مواقف وأحداث لا تعود بفائدة على القارئ، أو يرى أنها تعد سراً خاصاً به وبحياته، أو بحياة الآخرين. تنقسم هذه التقنية إلى قسمين:

أ- التلخيص:

"يعني أن زمن السرد أصغر من زمن الحكاية، وتفرض هذه التقنية بسبب طابعها الاختزالي المرور على الأحداث والسنوات في فقرة زمنية سرية"^١

وللتلخيص فوائد يؤديها للسرد يمكن ذكرها فيما يلي:-

١- المرور السريع على فترات زمنية طويلة.

٢- تقديم عام للمشاهد والربط بينها.

٣- تقديم عام لشخصية جديدة.

٤ عرض الشخصيات الثانوية التي لا يتسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية.

٥- الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث.

٦- تقديم الاسترجاع"^٢

فمن خلال تصفحنا للسيرة، نجد أن الكاتبة قد لجأت إلى استخدام مثل هذه التقنية السردية، وذلك عندما تعلق الأمر بالقيم الأخلاقية والترفع عن الابتذال، وصون الحياة من الأشياء التي تشينها، جعلها كل ذلك تلجأ إلى تلخيص كثير من المواقف التي لا ترى فيها بفائدة على القارئ، ويتمثل هذا عندما قامت فئة من أرباب العقول

١ . الفن الروائي - ص ١٩٥.

٢ . بناء الرواية - سيزا قاسم - ص ٨٢.

الناقصة في الجامعة بشيوع إشاعات حول العلاقة التي قامت بين الأستاذ "الخولي"، وتلميذته "بنت الشاطيء"، فلم تذكر لنا تفاصيل هذه المعركة، وما قيل فيها من الأقوال المبتذلة في حقها وحق أستاذها، وكيف واجهت هذه المعركة وتغلبت عليها؛ وإنما أشارت إليها إشارة بسيطة، تجعلنا نفهم أنها قد تعرضت لمكيدة من الحاقدين والحاسدين، فتقول:

"واجهتني أزمة من عجز البيئة الجامعية عن فهم معنى التلمذة العلمية، بحيث اضطررتني إلى أن أخوض معها معركة عنيفة، لكي أفرض عليها تلميذتي لأستاذ خولي. كانت البيئة الجامعية تنظر إلى هذه القضية، من حيث هي علاقة شخصية أو ظاهرة عارضة مألوفة...ولست الآن ببحث أقص حديث هذه المعركة، وإني لا أدري أن عددًا من زملائي خاضوها كذلك بصورة أو بأخرى"^١

فهى إن كانت تُكِنُّ له في داخلها كل تقدير واعتزاز؛ إلا أن تقديرها له علمياً و عقلياً وأعظم، ولذلك آثرت أن تلخص هذه الفترة من حياتها بكل ما فيها من صراع طو يل بينها وبين فئة الجامعة في عبارات قليلة ووجيزة، زودتنا من خلالها بالمعلومات المهمة عن أهم العقبات والمشكلات التي واجهتها في الجامعة.

ب-الحذف:

وهو التقنية الثانية إلى جانب التلخيص التي تعمل على تسريع السرد، ويسمى أيضاً بالإخفاء، "فهو من حيث التعريف تقنية زمنية تقضى بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة، من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"^٢

وينقسم الحذف إلى عدة أنواع:

الحذف المعلن:

"وهو الحذف الذي يصرح به السارد بحجم المدة المحذوفة"^٣

التي قد تكون يوماً أو شهراً أو عاماً أو أكثر من ذلك، مثال ذلك قول الكاتبة:

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٦٧-١٦٨

^٢ . بنية الشكل الروائي -حسن بحراوي- ص ١٥٦

^٣ . الفن الروائي عند أحلام مستغانمي -شهرزاد حرز الله- ص ١٩٦

"وأطوى حشدًا من ذكريات العامين التاليين بالمدرسة والبيت والقرية،
لأقف عند ذكرى بعينها تشبثت بوجداني في إلحاح، وأثرت في مجرى حياتي
تأثيرًا بعيد المدى"^١

فقد أسقطت الكاتبة في هذه المدة أحداثًا، قد تكون طويلاً يظهر من خلالها الكثير
من التفاصيل الحياتية، وخاصة أن هذه الأحداث المحذوفة تتعلق بثلاثة اتجاهات وهي
المدرسة، البيت، القرية، واهتمت بسرد الأحداث التالية لهذين العامين المحذوفين؛
نظرًا لأهميتها في الكشف عن تدني مستوى التعليم في المدرسة وتفوق الكاتبة على
أقرانها، فجعلها هذا تلجأ إلى تقنية الحذف.

ونلاحظ أيضًا من خلال النص، أن الإعلان عن المدة المحذوفة واضح ومقدر بمدة
معلومة عامين، كما أن الكاتبة قد استهلت المقطع النصي بالإشارة إلى الفترة
المحذوفة، وفائدة هذه الطريقة هي "تجنب الالتباس الذي يمكنه أن يحصل للقارئ
من جراء تأخير الإعلان عن الحذف وعدم تحديد مدته في الوقت المناسب"^٢

الحذف الضمني (غير المحدد):

وهو الحذف الذي لا يحدده السارد بمدة زمنية، وإنما يهتدي القارئ إلى معرفة موضعه
باقتفاء أثر الثغرات والانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينتظم القصة^٣
ومن ذلك أسقطت "بنت الشاطئ" مقاطع عن علاقتها الأسرية بأخواتها من البنين
والبنات، ولم تشر أي إشارة من قريب أو من بعيد لهذه العلاقة، كما أن السنة الثالثة
والرابعة في المرحلة الجامعية لم تشر إليها بأي إشارة، بل أغفلت هذه الفترة تمامًا،
وقفزت في الأحداث من السنة الثانية إلى مرحلة الدراسات العليا.

الحذف الافتراضي:

وهو الذي يشترك مع الحذف الضمني "في عدم وجود قرائن واضحة تسعف على
تعيين مكانه أو الزمان الذي يستغرقه. فليس هناك من طريقة مؤكدة لمعرفة سوى

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٩

^٢ . بنية الشكل الروائي - حسن مجراوي - ص ١٦٠.

^٣ . ينظر المرجع السابق ص ١٦٢.

افتراض حصوله بالاستناد إلى ما قد نلاحظه من انقطاع في الاستمرار الزمني للقصة مثل السكوت عن أحداث فترة من المفترض أن الرواية تشملها^١

يمكن تمثيل الحذف الافتراضي بحالات نموذجية مثل:

-الحذف المقرون بتقنية البياض: وتظهر في شكل تقنيتين.

١- في تقنية النجيمات الثلاثة: (***)

٢- تقنية النقط المتتابة: (...)

١ : تقنية النجيمات الثلاثة (***)

وهي التي تدل على انقطاع الحاضر عن متابعة أحداثه^٢ وقد وجدت هذه التقنية وبكثرة في السيرة لتدل على الانقطاع في تسلسل الأحداث، أذكر مثلاً لذلك قولها عن أول لقاء بينها وبين زوجها:

"انصرفت من درسه الأول في اليوم السادس من نوفمبر عام ١٩٣٦، وأنا أحس أني ولدت من جديد.

* * *

وحين وقفت بعد أسبوع أودى أمامه امتحاني الأول، لم أصمد سوى دقائق معدودات، أقررت بعدها أن حصيلتي من كنز الثقافة الإسلامية، الذي حسبت أني ملكته، لا تعدو القشور والأصداف! وأن بيني وبين ذخائره المكنونة حجباً وأرصداً تحول دون النفاذ إلى الجوهر واللباب^٣

فنرى في هذا المقطع ثلاث نجيمات، تدل على توقف في السرد، وهنا تبرز فجوة سردية تدل على أن هناك كلاماً مسكوتاً عنه، فيُترك الأمر للمتلقي بأن يملأ هذه الفجوات البيضاء بما يشاء من الاحتمالات، التي تدور في ذهنه عن العبارات، أو الأحداث المسكوت عنها، والتي آثرت الكاتبة عدم الإفصاح بها لسبب ما في نفسها، فهي في معرض الحديث عن إعجابها بأستاذها بعد أول لقاء بينهما عن

١ . بنية الشكل الروائي -حسن بحراوي- ص ١٦٤.

٢ . ينظر الفن الروائي عند أحلام مستغانمي -شهرزاد حرز الله ص ١٩٨.

٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٦١

قرب في الجامعة، ومن هنا نرى، أن الكاتبة قد أشركت المتلقي معها في إحساساتها ومشاعرها تجاه شيخها، وله أن يتخيل من العبارات التي أرادت أن تعبر بها الكاتبة عن هيامها به ما يشاء.

٢. تقنية النقط المتجاورة: (...).

فتدل على أن "الكلام له بقية لم تذكر في السرد أو في الحوار المكتوب، رغم أنها قيلت في الحوار المنطوق؛ أي الكلام المصاغ على أنه متفوه به على ألسنة ناطقين، وقد تستخدم النقط المتجاورة أيضاً للدلالة على لحظات من الصمت تتخلل الكلام".^١

وهذه التقنية من الطبيعي أن توجد في السيرتها؛ لأن الكاتبتين تسقطتان الكثير من تفاصيل حياتهما، وأخفتا عنا الكثير من المشاعر والإحساسات التي تكنهما في قلبهما لزوجها، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما نرى عند عائشة عبدالرحمن فعندما أرادت أن تلتحق بالمدرسة مثل بنات الجيرة أمرها والدها أن تتلو من سورة الأحزاب الآيات التي تدل على التزام نساء النبي بيوتهن وعدم التبرج، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا.... كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^٢ فلما فرغت من تلاوتها أخذت الأسئلة تجوب في خاطرها، فتقول:

"وهل أكون من بيت النبوة؟... لعلمي أنه كان يعتز بنسبه الشريف، ويحتفظ بسلسلة آبائه إلى جده الإمام الحسين، ولد الزهراء رضى الله عنها وعنه..

وإنما أردت لأسأله:

"وهل بلغت مبلغ النساء؟

ثم تهيت، فلذت بالصمت..."^٣

و تقول بانو قدسية:

^١ . السرد في الرواية المعاصرة- ٢٠٠٤ عبدالرحيم الكردى. ص ٢٥٩

^٢ . سورة الأحزاب الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٤٥

"لیکن جب ہم گراؤنڈ کے دائیں راستے پر ٹیوب ویل کے پاس پہنچے تو خاں صاحب چلتے چلتے اچانک رُک تھے۔ میں نے حیران ہو کر پوچھا..... "خیر ہے شقو جی طبیعت ٹھیک ہے؟" وہ چند لمحے چپ رہے۔ غالباً سوچ رہے تھے کہ دلازاری کیے بغیر کیسے سچ بولا جائے۔ ہوا کیا ہے؟"

"بات یہ ہے قدسیہ کہ..... کہ.... دیکھو تم اپنا لباس تبدیل کر سکتی ہو؟" لباس۔۔۔۔۔ کیوں اس میں کیا خرابی ہے۔ ہم شادی پر جا رہے ہیں۔ ایسی قیمتی ساڑھیاں ایسے موقعوں پر ہی پہنی جاتی ہیں۔ "آپ حکم دیں آپ چاہتے کیا ہیں۔" حکم نہیں قدسیہ۔۔۔۔۔ تم فیصلہ کرو۔۔۔۔۔ ہمارے گھر میں ساڑھی کا رواج نہیں۔ اگر کسی نے دیکھ لیا تو۔۔۔۔۔ میں۔۔۔۔۔ ویسے ہی معتب ہوں اور۔۔۔۔۔ میں نے جرح کی، کیونکہ میں ساڑھی اتارنا نہیں چاہتی تھی۔ خان صاحب۔۔۔۔۔ مشرقی پاکستان کا یہی لباس ہے۔ ہمیں تو ساڑھی پر فخر کرنا چاہیے۔ ہاں کرنا تو چاہے لیکن ہمارے گھر والوں میں ابھی وسعت نظر نہیں ہے۔۔۔۔۔ وہ کنویں کے مینڈک ہیں۔ جب وہ اصلی پاکستانی بن جائیں گے تو شاید....

وہ چپ ہو گئے۔ ان کے لیے مجھے یہ کہنا بھی کافی ہو جھل ثابت ہو رہا تھا۔^۱
ولكن حينما وصلنا إلى منبع الماء على جانب الطريقة الأعين، كان يمشى إشفاق وتوقف فجأة، فتعجبت وسألته....: "خيرًا، هل انت بخير يا إشفاق؟ ظل صامتًا نبرهة، ففي الغالب كان يفكر كيف يقول الحقيقة دون الشعور بالألم، ماذا حدث؟" انظري يا قدسية.... هل يمكنك تغيير ملابسك؟ الملابس.... لماذا؟ هل فيها مشكلة؟ نحن في طريقنا لحفل الزواج، ومثل هذه الملابس الغالية تلبس في هذه المناسبات، فبماذا تأمر، ماذا تريد؟ بدون أمر يا قدسية.... أنت قررى.... فليس من عاداتنا هذه الملابس.... فلو رآه أحد و..... أنا..... يعاتبني و..... تناقشت معه، لأنني لم أكن أرغب في تغيير ملابس، يا الشيخ.... هذه هي الملابس.... التي يتم ارتداؤها في باكستان الشرفية، وعلينا أن نفتخر بها، نعم علينا

ذلك و لكن ليس عند أهلى مرونة فكرية..... فهم ضيقى الأفق، فحينما يكونوا
باكستانيون حقيقيون ف من الممكن..... و صمت، و كان كلامه هذا بالنسبة لى
مرهفقا جداً.

من خلال النص نلاحظ الثلاثة نقط المتجاورة التي تدل على الكلام المحذوف من
المقطع النصي، ويؤكد ذلك ويثبتة قولها: "فلذت با لصمت" الدالة، دلالة واضحة
على أن الكاتبة كانت تريد أن تفضى بما في خاطرها، ولكنها أثرت السكوت.
هناك مقطع آخر يدل على الكلام المحذوف بتقنية النقط المتتابعة، وهذا الكلام
المحذوف فيما أعتقد كانت تريد به الكاتبة التعبير عن مشاعرها تجاه زوجها وحزنها
الشديد عليه، فتقول عائشة :

"وعلى الجسر، ما بين الحياة والموت

في متاهة الحيرة والضياح

لا أكف عن رصد حركاتي وإحصاء أنفاسي، مستغرقة في

تأمل هذا المشهد الغريب من قصتنا!

مرردة مع كل نفس:

كيف مضى... وبقيت!

أسفا!!".^١

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٨٠

المبحث السادس

الشخصيات.



الشخصيات

أهمية ذكر الشخصيات في الكتابة:

قد تشغل الشخصيات مساحات كبيرة من أجزاء السيرة، بحيث يكون لها دور فعال في التأثير والتأثر ولا يمكن أن ترد السيرة بدون شخصيات تدير حركة الأحداث فيها وقد تكون هذه الشخصيات واقعية أو خيالية وقد يذكرها الكاتب بأسمائها الحقيقية أو بألقاب مستعارة تتوارى خلفها منعاً من حدوث حرج بين الكاتب وشخصه خاصة إذا كانوا على قيد الحياة.

وقبل أن نوضح الشخصيات التي وردت في السيرة التي بين أيدينا ودورها في تطور ونمو الأحداث نقوم بتعريف موجز للشخصية و أنواعها. فالشخصية هي خصائص تحدّد الإنسان جسمياً واجتماعياً ووجدانياً وتظهره بمظهر متميز من الآخرين.

والشخصية قبل أن تكتمل لا بد لها من أن تمرّ بمراحل يتعرّف بها صاحبها بذاته الجسمية ثم بذاته النفسية وأخيراً بذاته الاجتماعية وبذلك تتكوّن الشخصية التي تختلف من إنسان إلى إنسان ومن مجتمع إلى مجتمع. ومع وجود تشابه ملحوظ بين بعض الشخصيات إلا أن بعض المميزات لا بد أن تفرّق بينها^١ أما عن الشخصيات وأنواعها بحسب الدور الذي تقوم به في الأحداث تنقسم إلى الأنواع التالية:

١. الشخصية الرئيسة:

هي "الشخصية التي يدور عليها محور الرواية أو المسرحية وليس شرطاً أن تكون بطل العمل الأدبي إنما يشترط أن تفقد العمل الأدبي، وتحركه بشكل لولبي تظهر فيه. وقد

^١. المعجم المفصل في الأدب - د/ محمد التونجي - الجزء الأول - الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ -، ١٩٩٩ م - دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان - ص ٥٤٦.

يكون البطل في العمل مؤدياً دوراً غير محوري بينما شخصية ثانوية أو شبه ثانوية هي الرئيسية. وقد تكون الشخصية الرئيسية تابعا للبطل أو خصماً له^١

٢. الشخصية المسطحة:

وهي "الشخصية المكتملة التي تظهر في القصة حين تظهر دون أن يحدث في تكوينها أى تغير وإنما يحدث في علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب أما تصرفاتها فلها دائماً طابع واحد"^٢

٣. الشخصية النامية:

وهي "التي تتكشف لنا تدريجياً، خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها، و يكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث. وقد يكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق"^٣

ومن خلال عرضنا لسيرة "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" نرى أنها اهتمتا بتقديم العديد من الشخصيات بدءاً من نفسيهما ومروراً بأقاربهما ومعارفهما وزملائهما في الدراسة وكل من احتكتا بهن في حياتهما سواء كانوا من أقاربهما أو ليس لهما بهن صلة كما أنهما ذكرتا أيضاً كل من قابلهما في بيئات مختلفة سواء المدرسة أو الصحافة أو الجامعة.

وقد ساعدت هذه الشخصيات جميعها في إبراز شخصية صاحبة السيرة وتطورها وتكوّنيتها. والآن سنقوم بتوضيح الشخصية الرئيسة وأبرز الشخصيات الأخرى الواردة في السيرة.

"عائشة عبدالرحمن":

وهي الشخصية الرئيسة في السيرة، وهي شخصية نامية متغيرة حسب مواقف القصة ومن المواصفات التي تتميز بها هذه الشخصية الجرأة والشجاعة والقدرة على مواجهة

١. المعجم المفصل في الأدب ص ٥٤٧

٢. الأدب وفنونه-(دراسة ونقد) د/عز الدين إسماعيل-الطبعة التاسعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م- دار الفكر العربي-القاهرة-ص ١٠٨.

٣. فن القصة-محمد يوسف نجم-ص ١٠٤

الأحداث مهما كانت عواقبها فلم يكن من طبعها الجمود والاستسلام أمام الصعوبات؛ وإنما لديها قوة وإرادة في الدفاع عن حقها ولا يهمها في ذلك تقاليد العصر وعاداته البالية تحدث العقبات التي مرت بها طوال حياتها فما تكاد تتخلص من أزمة إلا وتجد نفسها في أزمة أخرى، حتى وصلت إلى غايتها وهدفها.

أما عن طباعها وملامح شخصيتها، فنجد أن حياتها تتسم بالجد والاجتهاد منذ الصغر، وحب العزلة عن الناس ولعل ذلك يرجع إلى القيود التي فرضها عليها والدها في بداية تعليمها على يديه وعلى أيدي زملائه.

فكانت تقضى معظم وقتها في العلم ولم يكن لديها وقت للمرح واللهو حتى أدى بها ذلك إلى أن أصبحت من حفاظ القرآن الكريم والأحاديث والمدائح النبوية وهي ميزة قلما توجد في فئة البنات في عصرها.

وعلى الرغم من تعرضها لمعوقات في حياتها إلا أنها كانت تؤمن بقضاء الله وقدره وبأنه معها في كل خطوة تخطوها في حياتها وإيمانها القوي هذا جعلها تثبت على طريقها.

أما عن الشخصيات الثانوية فقد كثرت وتعددت في السيرة، ويمكننا أن نحدد معالم هذه الشخصيات فيما يأتي:

الأب:

"الشيخ محمد عبد الرحمن"، وهو رمز السلطة والسيطرة، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة في البيت ولا يجوز لأحد مراجعته ومجادلته مهما كان القرار ومهما كانت العقبات، ولذلك كانت "بنت الشاطئ" تخاف منه خوفاً شديداً، فعندما اتجهت إلى الجامعة تقول:

"ساورني الخوف من عاقبة مخالفتي، خفية، أمر والدي التقى الصالح، واتجاهي إلى طريق غير الذي رضيه لي ووجهني إليه"^١

وبرغم أنه كان يتعامل مع ابنته معاملة شبه قاسية؛ إلا أن الفضل يرجع إليه في ترسيخ قواعد العلوم الإسلامية والعربية، وغرسها في عقليتها منذ الصغر، والتي اكتسبت

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٠٨

بفضلها كل ثقة وقوة، وظلت بهذه الحالة في تميز وتفوق بين أقرانها، فقد ابتدأ تعليمها القراءة والكتابة وهي لم تتعدَّ الخامسة من عمرها، وعندما كان يذهب إلى قريته أسلمها هناك للشيخ مرسى؛ ليحفظها القرآن الكريم فحفظته وهي دون العاشرة من عمرها، كما أنه يرجع إليه الفضل في تشكيل شخصيتها، فمن كثرة القيود التي فرضها عليها منذ الصغر، نشأت محبة للعلم والعمل، فتستطيع أن تثمر وقتها كله في طلب العلم وأصبح هذا طابع حياتها إلى الأبد. ولصنيعه هذا ظلت "بنت الشاطئ" تُكرِّمُ له كل احترام وتقدير وتعترف بفضله وعرفانه عليها.

الأم:

هي رمز المرأة الضعيفة المهمشة وبذلك فهي تمثل أغلبية النساء في المجتمع المصري من حيث طاعة الزوج طاعة تامة وتنفيذ أوامره وبسبب شدة طبع زوجها ذاقَت مرارة الحياة وآلامها، لكثرة الضغوط النفسية عليها فتعبر لنا الكاتبة عنها بقولها:

"أمي هي التي كانت شقية بمحنتي وقد تضاعف همي بشقائها، فإذا بنا معًا في دوامة من العذاب"^١

وبرغم أنها لم تكن متعلمة، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تفهم رغبة ابنتها ووقفت بجانبها وساندتها حتى وصلت إلى الجامعة، فلها الفضل أيضًا في استكمال ابنتها مراحلها التعليمية.

الشيخ "محمد الدمهوجي" جدّها لأُمّها:

لهذه الشخصية الثانوية أثر كبير في حياة "بنت الشاطئ" لأنه كان دائما يمد لها يد العون والمساعدة بمجادلته مع والدها، وأخذ الموافقة منه على دخولها المدرسة، يتضح لنا ذلك من خلال قولها:

"وأصبح جدى فسعى سعيه حتى ألحقنى بالمدرسة بعد مشقة بالغة إذ كانت السنة المدرسية على وشك انتهاء. وقدم الأوراق المطلوبة بوصفه نائبًا عن ولى أمرى."^٢

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٧٣

^٢ . نفس المصدر ص ٤٦

وكان له الفضل أيضا في اتصالها بالصحافة بطريق غير مباشر لإنابتها الكتابة عنه وإرسال المقالات إلى الصحف ، فكان لذلك أثر كبير في تكوين شخصيتها الثقافية منذ وقت مبكر.

الأستاذ "الشيخ موسى قمر":

هو صديق والد عائشة وكان يعمل مدرّسا بالمدرسة السننية للمعلمات ودار العلوم بالقاهرة، ولهذه الشخصية دور هام في حياة الكاتبة، حيث واجه معها الصعوبات التي واجهتها بسبب اللوائح والقوانين وأخذ يتنقل بها من القاهرة إلى طنطا ويطوف بمكاتب الوزارة عدة مرات حتى التحقت بالقسم الإضافي تعبر عن ذلك بقولها:

"ولم ييأس "الشيخ موسى" بل راح يطوف بمكاتب الوزارة مكررا عشرات وعشرين، قصتي من نظارة عمى حتى استطاع آخر الأمر أن يظفر لى بخطاب من سعادة مراقب، تعليم البنات إلى مدرسة معلمات طنطا، لتقبلى بالسنة الثانية بعد أن تعيد الكشف الطبي على^١ كما أن له دورا كبيرا لا ينسى في حياة "بنت الشاطئ"، فلم تكن كاتبتنا تعرف اللغة الإنجليزية، وكانت هذه عقبة شديدة في حياتها، فبادر رحمه الله فالتمس من سعادة المراقب بنقلها من مدرسة البنات الملحقة بمعلمات المنصورة إلى إحدى المدارس الأولية بحى السيدة زينب في القاهرة قريبا من مسكنه، وهناك اصطحبها في منزله بصحبة ابنته حتى تمكنت "بنت الشاطئ" من درس اللغة الإنجليزية^٢

واجتازت بها امتحان الشهادة الابتدائية، وبذلك نرى أن له دورا فعّالا ومؤثرا في حياتها العلمية، وبسببه استطاعت أن تنتقل من مرحلة الابتدائية إلى مرحلة أخرى، حتى كانت هذه المراحل كلها سببا في دخولها الجامعة.

١ . انظر على الجسر بين الحياة والموت ص ٨٣

٢ . نفس المصدر ص ٧٠-٧١

السيدة "لبية أحمد":

هذه السيدة تعرف في الأدب "بليبية هاشم"، هي صاحبة مجلة النهضة النسائية استدعت هذه السيدة "بنت الشاطئ" لتعمل في مجلتها، بل وتركت لها كتابة مقالها الافتتاحي وما فعلته هذه السيدة معها جعلها تتمكن من الكتابة أكثر فكانت نتيجة ذلك أن اتصلت الكاتبة بالصحافة بطريق مباشر وتقدير السيدة لأسلوبها جعلها تتراسل مع بقية الصحف تعبر عن ذلك بقولها:

"وتقدير السيدة الكريمة لأسلوبي، هو الذي أغراني بأن أرسل بعض قصصي إلى الصحف اليومية وإلى مجلة الهلال التي كانت في ذلك الحين تنشر لأعلام من كتاب الجيل"^١

فكان لكل ذلك دور كبير في تكوينها الثقافي والأدبي حتى أصبحت لها شهرة فائقة نالت بها مكانة اجتماعية كبيرة بين عالم القراء.

"الشيخ دسوقي جوهرى":

ومن الشخصيات التي لها تأثير هام في شخصية الكاتبة أيضا شخصية "الشيخ دسوقي جوهرى"، كان يمثل هذا الشيخ بالنسبة لـ "بنت الشاطئ" المعلم الصديق والمستشار المؤمن والراعي الأمين"^٢

وهو الذي كانت تقرأ عليه أمهات كتب البلاغة، وعندما كانت تقع في حيرة أو قلق من أمر ما تلجأ إليه، فيكون لها خير معين، وعن طريقه عرفت الأسرار الغامضة حول شخصية "أمين الخولي"، وإليه يرجع الفضل في تراجعها عن قرار انسحابها من الجامعة بسبب ما رآته فيها من فساد الأحزاب السياسية، فشجعها بأن تثبت على طريقها، وأن تواصل مسيرتها وتستعد لأن تشارف منهج الأستاذ "الخولي"، كما أنه قد كشف لها عن مناطق تكاد تكون مجهولة في حياتها مثل قضية التجديد في الفكر الإسلامى، فكانت كاتبتنا تظن أن الأوائل من العلماء قد وصلوا بالعلوم إلى نهايتها، ومن يأتي من بعدهم لا يمكن أن يضيفوا شيئا، ولكن الشيخ أخذ يُعلمها بأن من

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٠١

^٢ . نفس المصدر ص ١٣٩

حق كل جيل أن يُضيف شيئاً جديداً، غير ما انتهى إليه السلف^١ ومنذ ذلك الوقت علمت "بنت الشاطئ" بهذا الأمر وتفتح وعيها وإدراكها، فكان لهذا الشيخ دور فعال في تطور ونمو شخصيتها بتزويدها بالمعلومات الخفية عنها.

"الشيخ أمين الخولي":

أخيراً كان من أهم الشخصيات التي أثرت تأثيراً مباشراً في صقل وتثقيف شخصية الكاتبة، وبسببه كتبت السيرة "الشيخ أمين الخولي"، فهو أستاذ من أساتذة الجامعة الذين لهم الفضل في "تجديد الفكر الديني وتحرير العقل الإسلامي من أغلال الجمود والتقليد"^٢ كان الشيخ يعمل "بمدرسة القضاء الشرعي، ثم انتقل بعد ذلك إلى المفوضية المصرية في روما، إماماً لها."^٣

فعن طريقه اطلعت الكاتبة على مناهج البحث الجديدة وعرفت الفرق بين المصادر والمراجع، كما أنه علّمها كيفية القراءة في الكتب التراثية والبحث عن روح الكلمة وسر النص.

تعترف الكاتبة بفضل أستاذها عليها فتقول:

"أظل ما عشت تلميذة لهذا الأستاذ الذي علمني كيف أقرأ"^٤
أحب هذا الأستاذ تلميذته فانتهت قصة هذا الحب بالزواج.

بعد الحديث عن الشخصيات عند بنت الشاطئ أريد أن أدرج الشخصيات المتعلقة عن السيدة بانو قدسية من حيث التأثير والتأثير في حياتها من البداية والنهاية ومن الأول إلى الآخر في طول حياتها.

بانو قدسية:

الشخصية الأساسية في سيرتها وكانت هي من عباقرة في عصرها في فن الأدب، ولهذا كانت هي الكاتبة الجيدة والأدبية البارعة لأنها هي كتبت الروايات والمسرحيات

^١ . ١ على الجسر بين الحياة والموت ص ١٣٩-١٤٠

^٢ . نفس المصدر ص ١٣٩

^٣ . نفس المصدر ص ١٤٠

^٤ . نفس المصدر ص ١٦٥

والمجلات الكثيرة، و قد بدأت الكتابة منذ الصف الخامس في المدرسة، وكانت تكتب باللغة الأردنية ولغة أمها البنجابية وأيضاً كانت تعرف اللغة الإنجليزية جيداً. وبعض من الصفات التي وجدت في سيدة عائشة وجدت كذلك في سيدة بانو قدسية التي تتميز بها هذه الشخصية الجرة والشجاعة والقدرة على مواجهة الأحداث مهما كانت عواقبها فلم يكن من طبعها الجمود والاستسلام أمام الصعوبات؛ وإنما لديها قوة وإرادة في الدفاع عن حقها ولا يهمها في ذلك تقاليد العصر وعاداته البالية تحدث العقبات التي مرت بها طوال حياتها فما تكاد تتخلص من أزمة إلا وتجد نفسها في أزمة أخرى، حتى وصلت إلى غايتها وهدفها.

و هي روائية أردنية وبنجابية معروفة وكاتبة خيالية وكاتبة مسرحية من باكستان، وكانت تكتب أيضاً لمجلة كليتها ومجلات أخرى. واشتهرت بروايتها "راجة گدھ" وكتب الأخرى ذكرت في البداية تحت عنوان في شخصيتها ومكانتها الأدبية. وعلى الرغم من تعرضها لمعوقات في حياتها إلا أنها كانت تؤمن بقضاء الله وقدره وبأنه معها في كل خطوة تخطوها في حياتها وإيمانها القوى هذا جعلها تثبت على طريقها.

الأب:

اسم والدها تشودري بدر الزمان چٹھ وهو حصل الشهادة البكالوريوس في الزراعة من الجامعة، و هو يعمل منصب الرئيس مزرعة زراعية كبيرة في القطاع العام. عندما كانت بانو قدسية تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف توفي والدها عن عمر يناهز ٣١ عاماً.

الأم:

هذه الشخصية رئيسية لها أثر كبير في حياة بانو قدسية وكانت تعمل مدرّسة بالمدرسة، ولهذه الشخصية دور هام في حياة الكاتبة، حيث واجهت معها الصعوبات التي واجهتها بسبب اللوائح والقوانين؛ و هي رمز المرأة شجاعة السلطة والسيطرة و صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في البيت ونسب (مسز) سيدة جتهة و اسمها ذاكرة ييجم، و كانت امرأة متعلمة و كانت أيضاً متعلمة جيدة جداً، أصبحت أرملة في

سن السابعة والعشرين واستسلمت لرضا إلهي و ركزت بصبر على تربية طفلها الصغیرین برویز و بانو قدسية؛ و بدأت في تربية أطفالها كأم صبورة و ممتنة و كرسست بقية حياتها لمستقبلهم، و كرس أحلامها في قلبها إلى الأبد، كانت لديها رغبة صادقة في حماية أطفالها الصغار من طغيان العمل.

الأخ:

لهذه الشخصية الثانوية أثر كبير في حياة "بانو قدسية" لأنه كان دائما يمد لها يد العون والمساعدة، اسمه برویز و لقبه ریزی.

قدرت الله الشهاب:

هو صديق إشفاق أحمد زوج بانو قدسية وكان يعمل في الحكومة، وهذه الشخصية دورهام في حياة الكاتبة، حيث واجه معها الصعوبات التي واجهتها بسبب اللوائح والقوانين.

بانو قدسية تأثرت منه تأثراً شديداً. حتى كتبت كتاب على قدرت الله شهاب اسم الكتاب "مرد ابريشم".

إشفاق أحمد:

أخيراً كان من أهم الشخصيات التي أثرت تأثيراً مباشراً في صقل وتنقيف شخصية الكاتبة، وبسببه كتبت السيرة "إشفاق أحمد"، فهو زميل في الجامعة الذين لهم الفضل في "تجديد الفكر وتحرير العقل من أغلال الجمود والتقليد".

كانت بانو قدسية زميلته أثناء دراسته لدرجة الماجستير في كلية لاهور الحكومية، وكانت بانو قدسية تنتمي إلى فيروز بور في شرق البنجاب (الهند)، وبعد هجرته إلى باكستان، بقي في لاهور، وزاد الانسجام العقلي بين الاثنين لدرجة أنهما قررا الزواج؛ فعن طريقه اطلعت الكاتبة على مناهج البحث الجديدة وعرفت الطريقة الكتابة، كما أنه عَلمها كيفية القراءة في الكتب .

تعترف الكاتبة بفضل زميلها فتقول:

ایک روز جب میں لاہور سے باہر نکلی تو برآمدے میں مجھے إشفاق احمد ملے۔ انہوں نے نہ مجھے سلام کیا نہ نوٹس لیا۔ بس آہستہ سے بولے کیا میں آپ کی کتابیں دیکھ سکتا ہوں؟

میں نے کتابیں پیش کر دیں۔ انہوں نے چند لمحے اوراق الٹ پلٹ کر دیکھے اور پھر بولنے دیکھنے اگر آپ چاہیں تو ہم کتابیں Exchange کر لیتے ہیں۔ میں چند دن کے بعد آپ کو یہ ساری لوٹا دوں گا۔" جب میں کتابیں لے کر گھر آئی تو مجھے احساس ہوا کہ میں نے کورس کے متعلق درست چوائس نہیں کی تھی اور میں درست نیچ پر کتابیں نہیں پڑھ رہی تھی۔ ایشفاق صاحب نے مجھ سے جو کتابیں تبادلے کے طور پر لی تھیں ایم اے کے مطالعے کی غرض سے بے کار تھیں، لیکن انہوں نے میری عزت نفس کا پاس رکھا۔ یوں میری انا مجروح کیے بغیر مجھ پر اپنی علمیت کا رعب ڈالے بغیر خاں صاحب نے مجھے تاریخ ادب اردو موازنہ انیس و دہر مولوی عبدالحلیم شرر کے ناول، محمد حسن عسکری کے افکار پیش کر دیئے۔ عورتیں کن بلندیوں کو چھونکتی ہیں اس کی طرف توجہ دلانے کے لیے انہوں نے عصمت چغتائی کی ٹیڑھی لکیر اور قرۃ العین حیدر کے افسانے بھی ساتھ نہتی کر دیئے۔ میں نے اس کے بعد پنجاب لاہریری جانا چھوڑ دیا۔ مجھ تک کتابوں کی ترسیل مسلسل ہو گئی تھی۔ وہ اگر اپنی ذاتی لاہریری سے کتابیں مستعار دیتے تو ہمیشہ ظاہر کرتے گویا یہ بھی پنجاب پبلک لاہریری کی ہیں^۱۔

انا لا اعرف كتب الأدب و أخذت الكتب من المكتبة بدون التحقيق و لكن في الخارج من المكتبة القيت مع إشفاق أحمد الذی وقف امام المكتبة، عندما رأت الكتب الذی فی يد بانو قدسية، قال أعطني هذه الكتب كاستعارة، فأعطيته إياها، فأخذ و يقلب الأوراق لبرهة، ثم قال لو تريدین تبدیل الكتب، و سوف أعيدها جميعاً بعد عدة أيام، و حينما أخذت الكتب و عدت للبيت، فشعرت أنها ليست جيدة للدراسة، و أنني لا اقرأ الكتب المطلوبة، والكتب لی بدلها معی إشفاق لا فائدة منها فی الدراسة الماجستير، ولكنه! أكرمني، حینا قدم لی كتب تتناول تاریخ الأدب الأردی و رواية عبد الحلیم شرر، و أفكار محمد حسن عسکری، و أحد مؤلفات عصمت شغتائی و قصص قرۃ العین حیدر، و بعد ذلك تركت الذهاب لمكتبة البنجاب، و ظلت الكتب تأتيني عن طريقه، و ظل يعطيني الكتب من مكتبة الشخصية، و تبدو أنها تخص مكتبة البنجاب العامة.

أحب هذا زميل فانتھت قصة هذا الحب بالزواج.

خلاصة القول:

ذكرت بنت الشاطئ و بانو قدسية الكثير من الشخصيات في سيرتها بشكل واضح دون تعميم، فمنهم من له تأثير مباشر في تغيير مجرى حياتها، ومنهم من جاء ذكره لوضوح الأحداث والتفاصيل، وقد اقتصر في البحث على ذكر النماذج التي لها تأثير في تكوين حياة "عائشة" و "بانو قدسية" العلمية والثقافية وغضضت الطرف عن بقية الأسماء؛ لكثرتها في السيرة، وأعتقد أن الكاتبتين قد تعمدتا ذكر الشخصيات بأسمائها؛ ليتحقق الكاتب من مصداقيتها في سرد الوقائع، أو لعلها أرادت أن تعترف بفضل من كان له تأثير في تكوينها العلمي.

الفصل الثاني

أسلوب الاستخدام اللغوي لكتاب على الجسر بين 
الحياة والموت "لعائشه عبدالرحمن" و لكتابي مرد
ابريشم، و راه روان "لبانو قدسية".

أسلوب الاستخدام اللغوي

لكتاب على الجسر بين الحياة والموت لعائشه عبدالرحمن
و لكتابي مرد ابريشم و راه روان لبانو قدسية.

أولا اللغة:

مفهوم اللغة:

أصبحت اللغة من قديم الزمان وإلى الآن وسيلة التخاطب بين الأفراد التي يتم بواسطتها نقل المعاني والأفكار بين المجتمعات، فهي على ذلك عبارة عن "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^١ ومن ثمّ تعددت وسائل اللغة ولهجاتها حتى أصبح لكل قوم لغة يتخاطبون بها فيما بينهم تعبر عن مشاعرهم وانفعالاتهم تجاه المواقف والأحداث. و نظراً لما تتمتع به اللغة من مفردات وجمل وتراكيب أصبح لها دور هام في تواصل الشعوب والاطلاع على مختلف الثقافات الأخرى؛ لأنها "كائن حي متطور مع الحياة والواقع."^٢

أهمية اللغة:

واللغة هي التي تمثل الفكر الإنساني والتعبير عما يجول في الأعماق كان لا بد من تحديد نوع اللغة التي يتم بها كتابة الأعمال الأدبية و التي تلقى رواجها بين جمهور القراء وتثير استجابتهم ولا يتحقق ذلك إلا باستعمال اللغة السليمة الفصحى لأن "كتابة القصة المقروءة باللهجة العامية لها خطورتها الحضارية وآثارها السلبية التي تقطع الخيوط الواصلة بين كتاب القصة وجمهور المتلقين قراءةً وتذوقاً وتفاعلاً مع

١. الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني-حققه محمد علي النجار-الجزء الأول-الطبعة الثانية-دار الهدى-بيروت-لبنان-ص ٣٣.

٢. مبادئ النقد الأدبي والفني (دراسة في المنظر والمنظور) . د/ محمد شبل الكومي، تقديم د / محمد عناني . الطبعة الأولى ٢٠٠٧م-الهيئة العامة للكتاب ص ١٧٥.

النص المكتوب في لغة فنية تشكيلية مؤثرة."

١

واللغة الفصحى هي "لغة القرآن الكريم ولغة الحديث وأيضاً لغة أهل الجنة التي يجب الحفاظ عليها حفاظاً على الدين نفسه ومحاولة الارتفاع بلغة الحياة اليومية إلى مستواها بنشر العلم والثقافة والدراية بها وتذوقها بكافة الوسائل"^٢ و وجهة نظر يجب كتابة الأعمال الأدبية باللغة الفصحى باعتبارها اللغة الأم التي تضمن للأعمال الخلود والبقاء وتداولها على مر العصور والأجيال، وعلى الكاتب أن ينتقى من اللغة ألفاظاً رقيقة واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد مبسطة تتلاءم وطبيعة العصر وتُناسب الأذواق العامة والخاصة.

تمثلت اللغة عند "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" في العبارات البسيطة حيث قدمتا حياتهما بأسلوب سلس لا صعوبة فيه ولا تعقيد، فجاءت لغتهما رقيقة سهلة في التداول والفهم لا نجد تعسراً في فهم الكلمات والجمل.

استخدام اللغة العامية ولهجتها والتعبيرات الشائعة المصرية

في الكتابة عند عائشة:

و برغم مكانة الكاتبة عائشة عبد الرحمن العلمية ومحافظتها على اللغة؛ إلا أنها لم تستغن عن اللهجة العامية ولكن بقدر قليل جداً يتضح ذلك في حوارها مع جدها في قرية "شبرا بخوم" بالمنوفية، فعندما كانت تتحدث هناك بلغة حضرية كان يزجرها على هذا الصنيع، فاضطرها ذلك أن تتحدث أحياناً أمامه بلهجة ريفية، تنقل لنا الكاتبة الكلمة التي نطقها بلهجة أهل الريف عندما سألتها جدها كيف حال الخوخ؟، فتقول:

"قلت في ارتباك: عال! فعاد يسألني عما أعني، فلم يسعفني ذهني بجواب، سوى: ضارب إلى الحمرة! وإذ هم بأن يضربني، انطلق لساني بالكلمة التي كان ينبغي أن

^١ فنون الأدب المعاصر - (بين النزعة الواقعية والتجربة التأملية) أ. د / صابر عبدالدايم - الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، ٢٠١٠م - دار الكتاب الحديث القاهرة - ص ٩٨

^٢ الأدب وفنونه . محمد مندور - ص ١١٧ .

أقولها: محمّر^١

فبنت الشاطيء: "قد أوردت كلمة "محمّر" التي نطقها بلهجة ريفية كما هي لتعبر عن واقع الحياة الريفية ومدى تفكير عقول الأشخاص بها الذين يعدّون من يتكلم بلغة حضرية متعالياً متفاصحاً.

استخدمت "بنت الشاطيء" في سيرتها بعض التعبيرات الشائعة في العامية المصرية مثل "علقة ساخنة"، تقول:

"كنت أزهو على أترابي في المدينة بحفظي للقرآن الكريم، فإذا سافرت إلى القرية حيث لا مجال للزهو بما يحفظ مثله أكثر صبية الفلاحين، عمدت إلى المباهاة بما تلقيت من دروس العربية والإسلام. وقد كلفني ذلك الزهو "علقة ساخنة" من جدي لأبي^٢

ومن اللهجات الشائعة أيضاً "عقربا لسعني" فتقول:

"استرابت" "مس قربان" في إصراري على عدم تناول الطعام بالكلية، مع ما يبدو من سلامة صحتي؟ وتطوعت فعرضت على أن تقدمني إلى "مسز جارفس" كبيرة الطبيبات في زيارتها الدورية القادمة للكلية! وأحسست كأن عقربا لسعني.^٣ و استخدمت أيضاً في لغتها الأغاني الشعبية وأجرتها على لسان أحد الشخصيات الواردة في السيرة فمن ذلك قولها:

"و ما شعرت قط أن أمي طاب لها المقام في الريف بعيداعن أهلها بل كنت أسمعها في وحدتها تشدو هامسة بأغنياتها المفصلة: زوروني في السنة مرة حرام تنسوني بالمرّة"^٤

استخدام اللغة البنجابية ولهجتها في كتابة عند بانو قدسية:

أما بانو قدسية استخدمت اللغة البنجابية بدلا من اللغة العامية، و اللغة البنجابية مثل اللغة العامية، وايضاً استخدمت بانو قدسية اللغة البنجابية قليلا جداً.

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٣٩

٢. نفس المصدر ص ٣٨

٣. نفس المصدر ص ٣٨

٤. نفس المصدر ص ٩٦

استخدمت "بانو قدسية" في سيرتها بعض التعبيرات الشائعة في اللغة البنجابية مثل:
تقول: "بڈھے ہونا ایک نہایت ای بُری عادت اے جو نسی انسان بُری عمر ماں پہنچ کے سکھ
جاندا اے۔ اگر اوہ مصروف رہے اور مسجد آندا جاندا رہے تاں ایسے بُری عادت پے ای نہیں
سکدی۔" ^۱

"إن التقدم في السن عادة سيئة للغاية، كيف يمكن للإنسان أن يكون سعيداً بعد
الشيخوخة؟ لو كان مشغولاً ويذهب إلى المسجد لصلاة بانتظام، لما وقع في هذه
العادة السيئة.

و تقول: "ایہ راہ ماں کیا پھسار رکھیا اے۔"
"ما هذا الطريق يا أمي الذي أبقاك مشغولاً هكذا؟"
و تقول:

"ڈاکٹر نے کہا اماں! میں تیریاں سب بیماریاں سن لیاں ہیں۔ میں آپ نوں جوان نئیں بنا
سکدا۔ اماں بولی میں کد کندی ایں جوان بنا دے۔ میں تاں کندی ایں بڈھا ای بنا دے۔ ایہ
راہ ماں کیا پھسار رکھیا اے۔" ^۲

قال الطبيب: "يا أمي! سمعت كافة الأمراض، ولا أستطيع أن أجعلك شاباً"، أجابت
الأم: متى أقول منك أن تجعليني شاباً؟ أنا أقول لك أجعل عجوزاً، وما نوع الضغط
الذي وضعته في هذا الطريق يا أمي؟

استخدام اللغة غير العربية عند عائشة:

تستعمل "بنت الشاطئ" كلمة غربية في سيرتها وهي كلمة "الفرنجية". "الإفرنج" ^۳ وقد
كررتها عدة مرات في السيرة أذكر منها على سبيل المثال قولها:
"كيف تصورت أني عرفته قبل أن ألقاه وإني لمن قوم يتقربون إلى الله بلعن الفرنجية
الذين عاش بينهم وخالطهم" ^۴

^۱ . راہ رواں ص ۶۲

^۲ . راہ رواں ص ۶۲

^۳ . الإفرنج: اسم أطلقه العرب على الأوروبيين بعد الحروب الصليبية في الشرق، بلاد الإفرنج أوروبا (ينظر:

معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر، جلد الأول-ص ۱۰۲)

یُعدُّ هذا مأخذًا على "بنت الشاطئ" كان عليها أن تستخدم بدلًا منها كلمة "العجم" التي تتوافق مع اللغة الفصحى ولكن يبدو أن هذه الكلمة كانت متداولة بلفظها هذه في بيئتها، و هي كلمة معربة قريبة من الفصحى تستعمل كثيرا لا سيما في كتب التراث و ثمة فرق بينها و بين العجم. حيث كانوا أشد الناس حرصًا بالبعد عن تداول هذه اللغة والقرب منها لحرصهم على التراث الإسلامي والعربي.

استخدام اللغة غير الاردية عند بانو قدسية:

استخدمت بانو قدسية بعض الكلمات غير الاردية، في اللغة الانجليزية و لغة فارسية ولغة هندية و لغة البنجابية. مثلا تستعمل "بانو قدسية" كلمة غريبة في سيرتها وهي كلمة "ٹھیلتا" وقالت:

"وہ آکیلا تن تہا Old man & the Sea کی طرح چومار مار کرا پی کشتی ٹھیلتا رہا۔ اس میں زندگی کی امنگ اب بھی باقی تھی۔"^۱

"لقد كان وحيدًا، مثل الرجل العجوز والبحر، يبحر بالقارب بهدوء، لا زال هناك أمل في الحياة فيه."

و تستخدم كلمة "ٹھیلتا" بدلًا منها كلمة "دهكيلنا"، حيث كانوا أشد الناس حرصًا بالبعد عن تداول هذه اللغة والقرب منها لحرصهم على التراث اللغة الاردية والبنجابية؛ و ايضاً قالت في لغة الفارسية:

"پھر بھی" ہر کسے را بہ ہمت اوست "کو مد نظر رکھتے ہوئے میں نے قلم اٹھا لیا ہے۔ منظر کشتی کے لیے میرے پاس خان صاحب تک ترسیل کے کئی ذرائع تھے"^۲

ومع ذلك، آخذًا بعين الاعتبار المقولة 'لكل شخصِ همةٌ تُعينه، فقد حملتُ القلم، وكانت لديّ عدة وسائل لإيصال المشهد إلى الخان صاحب."

كلمة "ہر کسے را بہ ہمت اوست" لغة الفارسية وايضا تستعمل كثيرا في اللغة الاردية

^۴. على الجسر بين الحياة والموت ص ۴۰

^۱ راہ رواں ص ۵۱۶

^۲. راہ رواں ص ۸

٥. نفس المصدر ص ١٠٨

اللغة الصوفية عند عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية:

استخدمت "عائشة عبدالرحمن" أيضاً عبارات صوفية مثل عبارة "سره البائع" يتضح ذلك من قولها:

"كانت أُمِّي أقرب إلي أن تحميني بأي ثمن، غير أنني ما كدت أذكر ما أصاب جدي بسببي حتى تهيئت التضحية الفادحة التي تريد أُمِّي أن تتحملها من أجلى؟ وروعي التفكير في احتمال أن يصيبها مثل ما أصاب الجد، إن هي جازفت بإغضاب أبي، على ما نعلم من سره البائع"^۱

كما استخدمت بانو قدسية عبارات صوفية و قالت:

"ہر انسان اول و آخر کھنکھاتی مٹی سے بنا ہے اور ٹوٹ کر پھر مٹی ہی کا حصہ ہو جاتا ہے۔ اگر وہ یہ دعویٰ کرے کہ اس میں بشریت کے جملہ خصائص نہیں ہیں تو حتمی طور پر یہ دعویٰ غلط ہوگا۔ میں بھی اُن لوگوں کی احسان مند رہوں گی جو اس کتاب سے معروضی انداز کے تخمینے لگائیں گے۔ اگر اُن کی آواز مجھ تک جیتے جی پہنچ گئی تو میں اُن کی شکر گزار رہوں گی۔"^۲

"كل انسان مخلوق من طين، و حينما ينكر يكون جزء من الطين ايضاً، وإذا أوعى أنه ليس فيه كل صفات الإنسانية، فقطعاً هذا ادعاء خاطئ، أنا أحسن إلى أولئك الذين سيكون لهم تقارير موضوعية من هذا الكتاب، وإذا وصل صوتهم إلى حال حياتي، سأظل أشكرهم."

مهارات اللغة عند عائشة و بانو قدسية:

"بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" بملكتهما اللغوية والأدبية أن تجعلا الألفاظ القوية الجزلة القريبة المعاني والدلالة تنثال على قلمهما أثناء الكتابة، وبرغم ما ورد في السيرة من ألفاظ غريبة وعامية وبنجابية و فارسية والانجليزية لم يحدث ذلك خللاً فيها، أو يقلل من قيمتها اللغوية، لغلبة الفصحى السليمة عليها، ولعل ذلك ما يعزز العلاقة بينهما وبين القارئ و يقويها.

^۱ . على الجسر بين الحياة والموت ص ۷۲

^۲ . راہ رواں ص ۹

نوعت "بنت الشاطئ" و"بانو قدسية" في استخداماتهما المتعددة للغة؛ ليكون نصهما أقرب إلى نفس القارئ لالتصاقه بالواقع، والتعبير عنه وعن مجريات الأحداث فيه بكل صدق وأمانة.

كما أن هناك مواقف وأحداث في السيرة تستدعي من الكاتبان أن تؤديها بلغتهما الأصلية في الحياة لتؤدي الهدف والغرض المطلوب منها مثل حوار عائشة مع جدها في الريف، فاستخدام الألفاظ الفصيحة لا تؤدي المعاني المطلوبة كما تؤديها اللغة العامية التي نطقها الجد، كما أنها لا تكشف عن شخصيته وطباعها ومن هنا لا تؤدي اللغة الفصيحة الحقيقة المطلوبة في السيرة ولم تتوثق الصلة بين الكاتبة والقارئ. كما أن الغرض من التنويع في اللغة، قد يكون لوضوح فكرة، أو بيان رؤية أو كشف عن طبيعة الشخصيات الواردة في السيرة ومستواها العقلي والثقافي.

والثاني الأسلوب:

مفهوم الأسلوب وخصائصه:

من الخصائص الفنية التي تعتمد عليها السيرة الذاتية "الأسلوب" أي الطريقة التي يتبعها الكاتب أثناء سرده للأحداث فلا بد أن يكون هناك انسجام وتوافق بين الكاتب وأسلوبه يجعلنا عند قراءة ألفاظه وعباراته نلمح سمات وملامح شخصيته ودائمًا يردد النقاد في تعريفهم الأسلوب أنه "هو الأديب أو هو الرجل"^١ فإذا كان "صاحب السيرة مفكرًا كان أسلوبه يعكس هذا الاتجاه".^٢

وقد أكد هذا الاتجاه وأيده "د. يحيى عبد الدايم" "الذي رأى ضرورة وجود علاقة قوية بين الكاتب وأسلوبه، بل جعله من أبرز سمات الترجمة الذاتية لدلالته على قرائن من خلال الاستعمالات اللغوية التي يتميز بها كاتب الترجمة الذاتية، تمثل لنا ملامح شخصيته تمثيلاً صادقاً"^٣

١. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) - أحمد الشايب - الطبعة الثامنة

١٤١١ هـ، ١٩٩١ م - مكتبة النهضة المصرية - ص ١٢١

٢. السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية د. عائشة يحيى الحكمي ص ٥٦٧.

٣. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث - د. يحيى عبد الدايم ص ١٥٣.

كما وصف "أحمد الشايب" الأسلوب بأنه "طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية، فهو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"^١

ومن هذا يتحتم على الأديب أن يتخير الألفاظ الفصيحة والمعاني المواءمة لها وأن يجعل عباراته سهلة بسيطة بعيدة عن التعقيد والتكلف "حتى يجمع الأسلوب بين وضوح التفكير وجمال التصوير"^٢

وإذا نظرنا إلى سيرة "بنت الشاطئ" و"بانو قدسية" نرى أن أسلوبهما يعكس لنا ملامح وسمات شخصيتها التي تمتاز بالروح الإسلامية والشجاعة وقوة الإرادة والعزيمة، فمن أهم التشكيلات الأسلوبية التي استخدمتها في سيرتها ما يلي:

الأول الاستطراد وتعريفه:

وهو "أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه"^٣

ومن ذلك نجد أن أسلوب الاستطراد قد ورد في السيرة عائشة و بانو قدسية ولكنه ليس كثيرا، فبينما "عائشة عبد الرحمن" تقص الأحداث التي رأتها في حلمها المنامى والتي تحمل إليها البشارة من السماء على أنه المصحف الشريف سيظل معها طوال حياتها تنتقل إلى قصة أخرى توضح فيها تقدير العقول البشرية في المجتمعات العربية لمثل هذه الرؤيا من ناحية الاعتقاد بها فهي تتعجب من أمرهم، فهم يصدقون كل ما يأتي من الغرب من قصص وحكايات خرافية ولا يؤمنون بالأحلام والرؤى ولا يصدقونها"^٤

١. الأسلوب د. أحمد الشايب ص ٤٤.

٢. نفس المرجع ص ٤٨.

٣. الصناعتين في الكتابة والشعر. أبي الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري-تحقيق على محمد البجاوى،

محمد أبو الفضل إبراهيم-الطبعة الأولى، ١٣١٧ هـ-١٩٥٢م-دار إحياء الكتب العربية ص ٣٩٨.

٤. أنظر على الجسر بين الحياة والموت ص ٥١٠.

فهذا الاستطراد لم تعتمد إليه الكاتبة، ولكنه جاء عفواً لبيان هذه الرؤية وتوضيحها ولذلك سرعان ما انتبهت إلى ذلك وعادت لاستكمال سردها الحكائي يتضح ذلك جلياً من خلالها قولها:

"وأراني استطردت من حيث لم أقصد، فلأعد إلى ما كنت فيه من تتبع آثارخطاي الأولى على دربي البعيد"^١

والغرض من هذا الاستطراد هو الإشارة إلى حدث سابق واجهته الكاتبة في حياتها، وهو إنكار أهلها لرؤياها؛ لأنها صبية لم تُكْمِل العاشرة من عمرها، كما أن الاستطراد يوضح لنا بأن هذا الحلم من المحتمل أن تكون سبقته أحلام أخرى في حياة الكاتبة لم تفصح عنها، فإنكار أهلها لرؤياها لم يكن في هذه الرؤية التي قصتها لنا، فمن المحتمل أنه كان في رؤى سابقة ومن هنا جاء الاستطراد لبيان حالة سابقة.

الثاني التكرار ومفهومه:

عرفه ابن الأثير بقوله: "دلالة اللفظ على المعنى مردداً"^٢ لجأت الكاتبة في بعض المواطن من سيرتها إلى تكرار بعض العبارات، مما يخلق نوعاً من الإيقاع الموجود في الشعر و يظهر ذلك من خلال قول عائشة:

"عدتنا الدنيا اثنين في الحساب الرقمي والواقع العددي. وبهذه الثنائية العديدة يتعاملان مع الدنيا والناس ولكنهما في جوهر حقيقتهما واحد لا يتعدد.

لا كما تخيلت الأساطير عن النفس والقرين.

ولا كما تغنى الشعراء بالروح الواحدة في جسدين.

ولا كما تمثل الصوفية رؤيا الفنان في ذات الحليب.

ولا كما تأمل الفلاسفة في وحدة الوجود.

ولا كما تحدث العلماء عن الخلية الواحدة قبل أن تنقسم.

وإنما هو سر وراء ذلك كله.

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٥٣

^٢. المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر-لابن الأثير-تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-الجزء

الثاني-ط١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م-مطبعة مصطفى البابي الحلبي-ص١٥٧.

تجلت فيه آية الله الذي خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها.^١ نلاحظ من العبارات السابقة إيقاعًا موسيقيًا يشبه الإيقاع الشعري من خلال تكرار "ولا كما" في بداية كل سطر من سطور النص السردى. وقد جاء التكرار هنا بشكل رأسي متوالي؛ ليحدث نغمة إيقاعية موسيقية في بداية كل سطر فتطرب له الآذان عند سماعه وتألفه النفوس وتتلذذ به. فتكرار عبارة "ولا كما" في بداية كل سطر تمنح القارئ فرصة الوصول إلى هدف الكاتبة من هذا التكرار، فإن له مضمونًا يرتبط بالحالة النفسية عندها فهي تريد أن تؤكد للمتلقى بأنه لا توجد علاقة ثنائية على وجه الأرض في المخلوقات والكون مثل علاقتها بزوجها والسريفي ذلك هو آية الله الذي خلقهما من نفس واحدة، فتجعل علاقتها تكاد تكون روحين في جسد واحد. و من هنا تجعل أسطورة حبهما قد فاقت ما يمكن أن يتخيله البشر، فليس يوجد أي شئ في الكون يشبه أو يماثل هذه العلاقة.

يوجد نوع آخر من التكرار، وهو تكرار بعض الموضوعات مُجملة بعد أن تحدثت عنها بالتفصيل تمثل ذلك في السيرة من خلال ثلاث موضوعات:

الأول: عندما كانت تؤدي امتحان اللغة الإنجليزية في الشهادة الابتدائية.^٢

والثاني: الرؤيا الصادقة في امتحان التاريخ بشهادة الكفاءة الثانوية.^٣

والثالث: عملها في مجلة النهضة النسائية، وتشجيع وتقدير صاحبة المجلة لها.^٤

فكل هذه الموضوعات كانت قد عرضتها بالتفصيل ثم كررتها مرة ثانية عن طريق الإجمال. ولعلّ هذا التكرار يرجع إلى هدف في نفس الكاتبة، وهو تأثير هذه الأحداث عليها حيث مرت في كل موقف منها بمحنة شديدة ولكن عناية الله بها

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٧١-١٧٢

٢. نفس المصدر. ص ١٢٤

٣. نفس المصدر. ص ١٢٤

٤. نفس المصدر ص ١٥٠

كانت دائماً تحيطها، فتستطيع التغلب على المعوقات ولهذا كررت الكتابة هذه الموضوعات لأهميتها ولتذكير القارئ بها.

و وجدت نفس الشيء عند بانو قدسية، كررت بانو قدسية شيئاً واحداً عدد مرات، وقد ضمت الكتابة مقالات الأشخاص الآخرين أيضاً في هذا الكتاب الذين كتبوا مقالات في مدح إشفاق أحمد وبانو قدسية، نفس الصفات التي كتبها المؤلفة عن إشفاق أحمد شوهدت أيضاً في مقالات كتاب آخرين غير معروفين وخلقت حالة من التكرار. ومن هنا قد يظن القارئ أن هذه المقالات المديحية كتبها شخص بنفسه. على سبيل المثال كتبت بانو قدسية في مرد ابريشم اثناء قدرت الله شهاب على مائة الصفات و بعد ذلك تشمل في هذا الكتاب مقال إشفاق أحمد "چندن كاپيتر" الذي كتب في ثناء قدرت الله شهاب بنفس الكلام.

الثالث الاقتباس ومفهومه:

هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه^١ طغت الروح الإسلامية متمثلة في كتاب الله عزوجل على كتابات "بنت الشاطيء" و "بانو قدسية" فكل من يقرأ مؤلفاتهما على اختلافها في المجالات والتخصصات يرى نزعة الروح الدينية واضحة وبارزة في أسلوبهما وعبارتهما فاستعانت بالاقتباس في سيرتهما لتقرب المعنى ولتناسب بين الأحداث على سبيل المثال تقول عائشة:

"وما باختيارى أن تبطئ خطواتي عليه.

ولا بإرادتي تخلفت عن عبي

ولا علم لي بموضع قدمي في الخطوة التالية

قصارى ما أعلمه هو أن "كل نفس ذائقة الموت"^٢

"وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت"^{٣،٤}

١. الإيضاح في علوم البلاغة. (المعاني البيان البديع) الخطيب القزويني-وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين-

الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م-دار الكتب العلمية-بيروت-ص ٣١٢.

٢. جاءت هذه الآية في ثلاث سور من القرآن الكريم وهم آل عمران الآية رقم (١٨٥)، والأنبياء

الآية رقم (٣٥)، والعنكبوت الآية رقم (٥٧).

وهنا تشرح لنا الكاتبة موقفها من أن الأمر لو كان بيدها ماكانت تأخرت يوماً عن زوجها ولكن لكل أجل كتاب وهنا نشعر بإيمانها العميق وقبولها بقضاء الله وقدره، وقد أتت بهذه الآيات المناسبة الموقف فهي في معرض الحديث عن وفاة زوجها وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن أن كل نفس سوف تذوق الموت مهما طال العمر فلكل منا عمر مقدر ينتهي أجله فيه، وبقعة أرض معينة تقبض روحه فيها، فسبحان من له الدوام.

ولذلك تستخدم الآيات في الصبر، معلمة الدنيا كلها، و مذكرة للناس أن الإنسان إذا أملت به المصائب فلا نجاة له؛ إلا في العودة إلى الله وإلى كلامه تبارك وتعالى. كما نرى من الاقتباس في قولها:

"عاماً كاملاً مضى، دون أن تقدم الجامعة ذلك البديل المتوقع وكان حصاد ذلك العام الأول، عزلة نفسية وفكرية عن هذه الجامعة التي تلوح من بعيد،" كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً"^٢

استدعت "بنت الشاطيء" هذه الآية القرآنية للمناسبة بينها وبين حال الظمآن، الذي يظن من بعيد أن السراب ماء، فلما انتهى إليه بعد جهد طويل ومشقة لم يجده شيئاً، وكذلك الأمر بالنسبة "لبنت الشاطيء"، كانت تظن من بعيد أن الجامعة بها من العلوم الإسلامية والعربية ما يفوق ويزيد على ما تعلمته في بيئتها المتصوفة لكي تروي نهمها وظمئها للعلم ولكنها عندما وصلت إليها لم تجد شيئاً من ذلك. و نرى أن اقتباسها من القرآن الكريم قد ناسب الموقف، وعبر عنه تعبيراً تاماً وارتبط ارتباطاً وثيقاً بتجربتها القاسية.

وهذا الاقتباس اقتباس مباشر من القرآن، حيث اقتبست الآية بلفظها ومعناها، أما الاقتباس غير المباشر فيتمثل ذلك في قولها:

٣. سورة لقمان الآية رقم ٣٤

٤. على الجسر بين الحياة والموت ص ١١

١. سورة النور رقم الآية ٣٩.

٢. على الجسر بين الحياة والموت -ص. ١٢٥

"دفنوه في ترابها الذي جاء منه وإليه كان المآب"^۱

فهذا النص اقتبست كلماته من معنى هذه الآية الواردة في القرآن قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ"^۲

ووجدت عند بانو قدسية نفس النص اقتبست كلماته من معنى على هذه الآية و تقول: "ہر انسان اول و آخر کھنکھاتی مٹی سے بنا ہے اور ٹوٹ کر پھر مٹی ہی کا حصہ ہو جاتا ہے"^۳

والهدف الذي يعود على القارئ من هذا الاقتباس هو أخذ العبرة والعظة فالإنسان مهما علا شأنه في الحياة ووصل إلى درجة كبيرة، فإن عاقبته ونهايته تكون في العودة إلى التراب الذي هو أصله ومرجعه، فمنه الإنسان خلق وإليه سيعود مرة أخرى.

كما تقول بانو قدسية: "یہ سارے شوق ہل من مزید کا نعرہ لگاتے ہیں"^۴
"كل هذه المشاعر تُردد هتافاً: 'هل من مزيد؟'"

فهذا النص اقتبست كلماته من معنى هذه الآية الذي الواردة في القرآن قوله تعالى: °
{ يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ }

الرابع تضمين وتعريفه:

هو "أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء"^۵

ويندرج التضمين عند "بنت الشاطئ" و "بانو قدسية" في الآتي:

۱. الشعر:

سيرة بنت الشاطئ و بانو قدسية مزيجاً من الشعر والنثر سواء كان شعرهما الذي

۱ . على الجسر بين الحياة والموت ص ۱۷۸

۲ . سورة طه رقم الآية ۵۵

۳ . راه رواں ص ۹

۴ . راه رواں ص ۹

۵ . سورة ق اية ۳۰

۶ . الإيضاح في علوم البلاغة . الخطيب القزويني . ص ۲۳۶.

نظمته بنفسهما أو شعر سواهما. وعلى سبيل المثال فمن شعر عائشة قصيدتها في

الحنين إلى "دمياط" مطلعها:^١

دمياطُ حُبُّكَ حَرَّكَتْ أَشْجَانُهُ آلامُ قَلْبٍ فِي الْغَرَامِ مُصَقَّد

أما تضمينها السيرة من شعر غيرها نذكر منها قولها بعد موافقة والدها على ذهابها
المدرسة الأولية: "وفرجت وكنت أظنها لا تفرج"^٢ فقد ضمنت نصها نصف البيت
الثاني من شعر الشافعي رحمه الله.

وَلَرَّبْ نَازِلَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فَرَجَتْ، وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ^٣

أتت الكاتبة بهذا التضمين لمناسبة الموقف، فعندما رفض والدها دخولها المدرسة
ضاقت عليها الدنيا بهومها فتدخل الجد لحسم الموقف وأخذ من والدها الموافقة
على دخولها المدرسة الأولية. ومن هنا أحست بالفرج.

كما بينت بانو قدسية مجموعة شعرية في كتابها:

"اے اللہ ہم پر تو ہمیشہ

اپنا فضل قائم رکھیں تاکہ ہم

اس دنیا میں کامیاب ہوں

ہماری دعا عاجزی پر ہو

نہ کہ خوف پر ہو

تو سب سے بڑا اور نہایت ہی مہربان ہے

اللہ تیرا سایہ مجھ پر

اور میرے گھر والوں پر ہمیشہ

قائم و دائم رکھ۔

١ . علی الجسر بین الحیاة والموت ص ٧٦

٢ . نفس المصدر ص ٤٦

٣ . دیوان الشافعی. الإمام أبی عبد اللہ محمد بن إدريس الشافعی رضی اللہ عنہ . تحقیق الدكتور محمد عبد

المنعم خفاجة . الطبعة الثانية ١٤٠٥ھ - ١٩٨٥م . مكتبة الکلیات الأزهریة . ص ٦٤

آمین۔^۱

"یا اللہ آدم فضلك علينا دائماً،

حتى ننجح في هذه الدنيا.

اجعل دعاؤنا بالتواضع

وليس خوفاً،

فأنت الأعظم والأرحم

يا إلهنا الرحيم آدم على

وعلى أهلي ظلك وسترك.

آمین.

و في مكان الاخر قالت:

"آج میری وجہ سے بالکل نہیں

بس جو بھی ہے وہ اوپر کی ذات ہے

باقی سب ایک دم سب جھوٹ

کیا لکھوں بس دعا ہی دعا ہے

کہ سب کچھ اس کی اور میری

خوشی سے ہو جائے

کوئی ایک خیال ہی انسان کی نجات کا سبب

بن سکتا ہے

اللہ کا ذکر ہی وہ نجات ہے جو ایک خیال ہے

باقی سب مسئلے ہیں

کہ کیا ہے اور کیا نہیں۔ یا اللہ

بہت دنیا کا رنگ دیکھ لیا

اب کچھ اپنا بھی رنگ

تودكها "١

"اليوم ليس بسببي

فالأمركله بيده الله (كل ما هو موجود هو من عند الله)

وكل ما عدا ذلك فهو زائل وباطل

فماذا أكتب سوى الدعاء فقط،

فكل شيء يعود إليه،

وهو مصدر سعادتي،

فيمكن لفكرة واحدة ان تكون سبباً لنجاة الإنسان

ذكر الله نجاة،

و ما عداه مشكلات

ما يكون وما لا يكون يا الله

فقد رأيت الكثير من ألوان الدنيا

والآن اجعل لي نصيب في النظر إليك". (فأرني الآن لوناً من جمالك.)

ولكن هذا مجموعة شعرية لأثير احمد ابن بانو قدسية، وشملت بانو قدسية في سيرتها.

تستهدف الكاتبتان من وراء هذا التضمين، أن تُعلِّم الناس من خلال تجاربهما

الحياتية الصبر والجلد، فمهما ضاق الأمر بالإنسان لا بد أن يلزم الصبر، وأن يستعين

بالله، فهو بيده الخير كله، فبعد الضيق الشديد يأتي الفرج وبعد العسر يأتي اليسر،

وقد يكون من وراء المنع خير كثير لا نعلمه إلا عندما يأتي في وقته.

٢. الحكمة:

بينت عائشة و بانو قدسية في سيرتهما حكمة شائعة في الاستعمال بين الناس،

يتضح ذلك من خلال قول عائشة:

"وأسرعت إلى ديوان وزارة المعارف أستعدي" سعادة مراقب تعليم البنات".

وفي مكتبه بالوزارة وجدت عددًا من رجال التعليم، لم يكادوا يسمعون قصتي حتى

١ . راه رواه ص ٣٠٥-٣٠٦

راحوا يتندرون بحكاية "الترمس" التي كانت فكاهة الموسم في لجان تصحيح الامتحان:

ورب ضارة نافعة!

لقد كشفت هذه الفكاهة للأستاذ المراقب عن المشقة التي أكابدها في عبور الطريق التعليمي، فبادر من فوره وأمر بنقلي من وظيفة معلمة بالمدارس الأولية إلى وظيفة كاتبة بكلية البنات للجيزة^١

فكما يقول أهل البلاغة لكل مقام مقال، فالسبب الذي دعا "بنت الشاطئ" إلى استخدام هذه الحكمة هو تغيير حالها من الأسوأ إلى الأفضل، فرسوبها في امتحان مادة "الطبيعة" كان سبباً لإنقاذها من المكابدة في طريقها العلمي.

كما أنها قد استفادت من نقلها إلى الوظيفة في كلية البنات بالجيزة من تدريبها على اللغتين الإنجليزية والفرنسية ودخولها العمل في بعض ساعات الفراغ من العمل وإقامتها بالقسم الداخلي في الكلية مقابل الإشراف على عودة الطالبات الخارجيات إلى بيوتهن في سيارة المدرسة^٢

والهدف من إيراد هذه الحكمة في السيرة، أن الكاتبة أرادت أن تعطي درساً حياً للناس، وهو عدم الخوف والقلق كثيراً من المستقبل ومن الأمور السيئة والمعقدة في الحياة، فعلى الإنسان أن يصبر وألا يجزع من أي أمر في حياته حتى ولو كان في بدايته سيئاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى له حكمة بالغة في ذلك، وهو وحده سبحانه وتعالى من بيده الأمر ومن بين الليل والنهار يقلب الأمر على أحسن حال للإنسان.

٣. المثل:

كما استخدمت الكاتبتين الحكمة في السيرتهما استخدمت كذلك المثل ومن ذلك قول عائشة:

"وازددت تشبثاً ببضاعتي التي تزودت بها من مدرستي الأولى لعلمي أنها وحدها هي التي فرضت وجودي على مجتمع العاصمة، وحققت لي ما لا يتناول إليه أحلام

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ٩٤

٢. نفس المصدر ص ٩٤

زملاء لي من طلاب الجامعة فيهم من ينطق بلكنة أعجمية، وفيهم من يقع في حيص بيص، إذا ما سئل أن يكتب بضعة أسطر باللغة الفصحى.^١ فقولها: "حيص بيص" مأخوذ من الأمثال السائرة عند العرب وهذا المثل السائر عندهم هو "تركته في حيص بيص أو حيص بيص". ومعنى الحيص الفرار. والبوص الهرب والتستر يضرب لمن وقع في أمر لا مخلص منه ولا فرار^٢

كشفت لنا "بنت الشاطئ" من خلال استخدامها هذا المثل عن تدني مستوى التعليم في مصر في تلك الفترة وضعف المستوى العلمي للطلاب الذين يقعون في شدة واضطراب، عندما يطلب منهم كتابة بضعة أسطر باللغة العربية، فيريدون الفرار والهرب من ثقل المسؤولية التي تلقى على عاتقهم، كما أنها تعتر وتفتخر بما تعلمته من بيئتها الصوفية، ذلك التعليم الذي أعطى لها قدرًا ومكانة في العاصمة. ونلاحظ من خلال الأمثلة السابقة للاقتباس والتضمن، أن الكاتبة قد وفقت في اختيار ما يناسب مواقفها في الحياة، و يعبر عن تجربتها التي تريد الإفصاح عنها تعبيرًا تامًا، وهذا مما يؤثر المتلقي ويجعله يتشارك مع الكاتبة في محنتها.

الخامس الاستفهام:

استخدمت بنت الشاطئ و بانو قدسية أسلوب الاستفهام في سيرتهما نوضح ذلك من خلال طرحها لعدة أسئلة، فنراها قول عائشة: "كيف مضى وبقيت؟" أهو ابتلاء لا يعاني ببشرية الإنسان؟ إذ أشهد الموت يغتال من كان يعطي الحياة، ويفيض عليها جمالًا من شجاعته وحكمته وذكائه وفروسيته؟ اللهم إني ما جحدت قط بشريته، وكل بشر يموت، لكني ما توقعت أن أعيش بعده فهل هو الموت، لا يرى فينا إلا اثنين، لكل منهما أجله المقدر بالثواني وعمره المحسوب بالأنفاس؟^٣

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٤٨

٢ . المنجد في اللغة والأعلام-لويس معلوف-الطبعة التاسعة عشرة-المطبعة الكاثوليكية-بيروت-ص ٩٣٧.

٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٧٩

تعبر الكاتبة بهذه الأسئلة عن الأسى والحزن والحرمان الذي أصابها بفقد زوجها ورحيله وتتساءل أهو الموت لا يشعر بمعاناة الإنسان أم أن الموت قد رأى فيها هي وزوجها اثنين لذلك أخذ زوجها وتركها. أم أن الحياة قد أمهلتها لتروي قصة حبهما على مسمع الزمان. أم أن القدر قد أراد لها بأن تذوق طعم المعاناة بعد رحيل المحبوب كما ذاق نعمة الحياة بحياتها معه.

كل هذه الأسئلة تعبر عن تحسر الكاتبة على زوجها وتمزق روحها بعد رحيله، ولكن الكاتبة كانت على إيمان شديد بأن الموت نهاية كل بشر وبهذا تعزي نفسها و تواسيها.

تستهدف الكاتبة من وراء تساؤلاتها هذه، أن توقظ المتلقي على حقيقة مؤلمة ومعروفة لكل إنسان وهي حقيقة الموت وبأن الإنسان مهما علا شأنه فإن مصيره إلى الموت وبأنه راحل من الدنيا التي هي ليست دار قرار ولا استقرار وهذه حقيقة مسلم بها لا يستطيع أحد منّا إنكارها.

السادس الطباق:

و يوجد الطباق في واجهة الكتاب، يتمثل ذلك من خلال عنوان السيرة "على الجسر بين الحياة والموت"، فبين الحياة، والموت طباق.

وأيضاً: قولها: "الزميلات يتعثرن في تلاوة آية قرآنية من قصار السور ويقرآن النص من الشعر أو النثر قراءة مضحكة مبكية تمسخ النص أعجمياً"^١

فالتباق هنا بين مضحكة، مبكية وأيضاً قولها:

"وقد يمضى أحدها إلى أقصى المشرق والآخر إلى أقصى المغرب"^٢

فبين المشرق والمغرب طباق.

وقد جاء الطباق هنا لإثارة انتباه المتلقي ولتوضيح المعنى وتوكيده وثباته في ذهن السامع.

^١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١١٤

^٢. نفس المصدر ص ١٧٢

السابع الجناس:

وكما نرى الطباق واضحًا في سيرتها يأتي الجناس أيضًا ليؤدي دوره في إحداث الجرس الموسيقي الرنان في النص. ومن الأمثلة التي تدل على الجناس قولها:
 "تبدو معالم الجسر المارد العجيب المتد بين الوجود والعدم.. وتتطاول أبعاده فتطوي
 الآفاق من بر وبحر وهواء وفضاء"^١

نلاحظ في النص جناس بين (هواء وفضاء) فأحدث هذا الجناس نغمًا موسيقيًا حزينًا
 وعبر عن تجربة الكاتبة النفسية التي تشعر بالأسى والألم.

الثامن الاستعارات:

ومن مظاهر الانزياح الأسلوبي الممثل في الاستعارة قولها:
 "سارت خطاه تشع الدفء والنور وتفجر ينابيع الحب والخير والجمال"^٢
 شبهت الكاتبة هنا خطوة زوجها على الحياة الدنيا بالشمس التي تملأ الدنيا بطلعتها
 إشعاعًا ونورًا وحذفت المشبه به ورمزت إليه بشئ من لوازمه وهو الدفء والنور كما
 شبهته بالأفهار في عطائها وحذفت المشبه به ورمزت إليه بشئ من لوازمه وهو الينابيع
 وكل ذلك على سبيل الاستعارة المكنية.
 وقد أتت الكاتبة بهذا المثال لتوضح بأن الشيخ كان له مكانه كبيرة بين تلاميذه
 وعلماء عصره لما يملك من علم وحكمة وشجاعة يستقى منهم كل من حوله وعندما
 يخطو خطوة في الحياة يملأ أرجاء الكون إشعاعًا ونورًا من هيئته و يفيض بالحب
 والجمال على من حوله.

أتت الكاتبة بأسلوب استعاري آخر يتمثل في قولها:
 "لم تستطع المدينة أن تغويني بسحرها الخلاب وإنما أنا فيها غريبة نازحة، أراها قد
 أترعت كأسها بما امتصت من عرق الكادحين من قومي وأتخمت معدتها بما نهشت

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١١-١٢

٢. نفس المصدر ص ١٧٨

من ثمار كدهم وازدهت متألقة بما سلبت من نور حياهم، واغتصبت خيرات أرضهم الطبية لتتخذ منها زينة وهوا^١

توضح لنا الكاتبة من خلال النص معاناتها مع المدينة، فهي قد أتت إلى هذه المدينة المتطورة ثقافيًا وعلميًّا، ولكنها كانت دائماً تحس فيها بأنها غريبة نازحة وبأن هذه المدينة لم تستطع أن تغويها بأضوائها وسحرها الخلاب.

وهنا شبهت الكاتبة المدينة وأهلها بالعدو الذي يسلب ويمتص ويغتصب خيرات البلاد ثم حذفت المشبه به ورمزت إليه بشئ من لوازمه وهو السلب والنهب على سبيل الاستعارة المكنية ثم تسترسل الكاتبة هنا لتوضح بأن الحكام الغاشمين ومن ييدهم السلطة قد امتصوا عرق الكادحين، وسرقوا خيرات البلاد، واغتصبوا حق الفلاحين المهضومين وكل هذا قد ترك في نفسها آثاراً سيئة عن المدينة وأهلها وهذا ما يفسر لنا صراعها الدائم مع المدينة.

استطاعت "بنت الشاطئ" من خلال توظيفها للصورة البيانية السابقة أن تعكس لنا مستواها الثقافي ونزعتها القومية تجاه أهلها من الفلاحين الكادحين وأن تصف لنا حياتهم المليئة بالهموم والأوجاع فنفسهم مُستعبدة من جهة الحكام الغاشمين الذين اتخذوا من عرق الفلاحين زينة وهوا لهم في حياتهم.

وبعد عرضنا لكثير من الخصائص الأسلوبية التي وردت في السيرة، نرى أن استخدام الكاتبة لهذه الخصائص قد أضفى على النص قيمة فنية جمالية؛ لتثير مشاعر المتلقي وتجذبه كما أنها عبرت عن مشاعر الكاتبة وآلامها وتجربتها القاسية ووضحت فكرتها وآرائها.

كما أننا نلاحظ في أسلوبها الدقة ووضوح الفكرة وسلاسة التراكيب والملاءمة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني والنغمة الموسيقية التي تتناسب مع طبيعة الكاتبة المليئة بالشجن والحزن.

١. على الجسر بين الحياة والموت ص ١٠٥

الباب الرابع

الباب الرابع

دراسة مقارنة بين سيرتي الأدبيتين . 

الفصل الأول: 

أوجه التشابه بين سيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية.

الفصل الثاني: 

أوجه الاختلاف بين سيرة (عائشة و بانو قدسية).

الفصل الأول

 أوجه التشابه بين سيرة (عائشة عبدالرحمن و بانو
قدسية).

أوجه التشابه بين الأدبيتين

أهم نقاط الاتفاق في حياة الأدبيتين:

تحدثنا في الأبواب السابقة عن حياة الكاتبتين وملاحظتهما الأدبية وأفكارهما الاجتماعية والآن بعد ما تقدم من عرض سريع لسيرة عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية الذاتيتين وما فيهما من نظرات سياسية وفكرية وكذلك وصف لواقع الحياة والبيئة التي أثرت فيها وكذلك مدى الصدق الفني في عملهما. نبدأ الآن في جزء الأخير وهو من بحثنا وهو مقارنة بين الكاتبتين فيما اتفقا فيه وما اختلفا.

خلال الدراسة لقد وجدنا بعض الأشياء المشتركة بين عائشة عبدالرحمن و بانو قدسية، وبعض الأشياء التي تختلف عن بعضها البعض. ولكل كاتب أسلوب، وأسلوب خاص يميزه عن غيره في وصف مواقف وظروف حياته. وهذه اختلاف أمر طبيعية وفطرية، لم يلتق المؤلف بالمؤلف الآخر أو يعيش معه، ولكن هناك بعض الأشياء المشتركة بين المؤلفين، وبعض الحالات التي يختلف فيها شخص عن آخر، إما بسبب المجتمع أو البيئة أو الطبيعة، وسأذكر أوجه التشابه والاختلاف بين الكاتبتين هنا في هذا الباب.

فنبداً الآن في عرض ما اتفقت فيها المؤلفتان فنياً و واقعياً .

التشابه في بعض الظروف بين الكاتبتين:

١. عصر الأدبيتين و أسرتهما:

أول ما يلاحظ القارئ هو نقاط الاتفاق في حياة الأدبيتين. هو أنهما يعيشان حقبة زمنية واحدة وهو قرن العشرين حيث ولدت عائشة عبد الرحمن عام ١٩١٣م في مصر وتوفيت عام ١٩٩٨م في بلدها، بينما ولدت بانو قدسية عام ١٩٢٨م في الهند وتوفيت عام ٢٠١٧م في باكستان، هذا هو وقت الاحتلال البريطاني لكلا البلدين، الهند حيث يشكل الهنود الأغلبية، ويشكل المسلمون حوالي نصف سكانها، ومصر حيث يعيش المسلمون، وكانت القبضة

الاستعمارية قوية لدرجة أن الإنجليز سيطروا على مصر والهند سياسياً وإدارياً واقتصادياً، رغم بعد المسافة بينهما. وعلى هذا، نرى أن كلتا الأدبيتين على الأقل في بداية حياتهما، عاشا مرارة الاستعمار والكوارث التي حلت بالبلدين.

ولدت بانو قدسية في مكان يسوده الفقر والبؤس والفقر، وكان جدها مزارعاً، وكان يعيش حياة قروية بائسة، وكان يذهب من منزله إلى الحقول في الصباح، ويعمل حتى المساء ليوفر لأسرته حياة كريمة، وفي هذا الصدد عاشت كاتبتنا حياة صعبة أثرت في شخصيتها وأدبها، أما عائشة عبد الرحمن، فقد كان والدها من كبار العلماء، حصل على دخل كبير تمتع به هو وأسرته وأبناءؤه، وهكذا نجد كاتبتنا نشأت في حالة من نعم الله التي أثرت حياتها وشخصيتها وأثرت في أدبها.

ولم تشتت أسرة بانو قدسية بالعلم، لما كانوا عليه من فقر مدقع لم يمكنهم من الاتصال بأسباب العلم، وكانت كاتبتنا هي أول من شق طريقة إلى العلم، وأخلص فيه حتى بلغ غاية بعيدة وبلغت من الشهرة الأدبية والعلمية ما لم يبلغه أحد من أبناء جيلها على مستوى باكستان.

أما عائشة عبد الرحمن فكان أبوها عالماً، وكان يحب العلم والأدب، كما روي عنها أنها كانت تشارك في مجالس العلماء والأدباء. وهكذا نرى أن عائشة عبد الرحمن كانت من أسرة مثقفة، وكانت لها اسهامات من الأدب.

٢: العائلة والنسب:

بالنظر إلى أسرة الكاتبتين فهما تنتميان إلى عائلة مسلمة أدبية و علمية، فعائلة عائشة عبد الرحمن كانت عائلة علمية، حيث كان جدها يراعى بَرِيَّةً وَتَعْلِيم ابنه محمد بن علي بن عبد الرحمن، كما أنها بدأت من الطفولة بحفظ القرآن الكريم و متن الحديث، ومن أجل هذه التربية ألحقها بجامعة الأزهر الشريف، وتعلم على كبار علماء الأزهر الشريف. وبدأ بالكتابة من صغر عمره، وكان تكتب البحوث الإسلامية في الموضوعات المختلفة، ركّز على الأدب والكتابة حتى أصبح من كبار كتاب وشيوخ الأزهر. لقد قدم للأمة ثروة من الكتب والمؤلفات التي لا يمكن للكتاب والمفكرين الإسلاميين الاستغناء عنها. هكذا بانو قدسية تنتمي إلى أسرة

مسلمة وعلمية وأدبية، وكانت والدتها مدرسة. وكان والدها أيضًا يحب الأدب وأحيانا يشارك في الأمسيات الأدبية.

٣: التشابه في استخدام اللغوي:

استخدمت الكاتبتان اللغة البليغة السهلة والهادئة، وحتى لا يملَّ القارئ من كتاباتهما حاولا أن يقدم كتاباتهما باللغة الفصحى، ولكن الأدبيتان كانتا تجيدان اللغة الانجليزية، فلذا استعملتا بعض المصطلحات والكلمات الانجليزية، و ترجموها مباشرة إلى اللغة الرسمية. إن الكاتبة بانو قدسية عندما تستعمل الألفاظ الانجليزية، ترجمها مباشرة باللغة الأردنية، حتى يتمكن المتحدثون باللغة الأردنية من فهم كتاباته ولا يواجهون الصعوبة والغموض، هكذا كانت عائشة عبد الرحمن عندما تستعمل ألفاظ اللغة الانجليزية ترجمها مباشرة باللغة العربية الفصيحة، حتى يتمكن الناطقون باللغة العربية من فهم أهدافها.

٤: نظرات الأدبيتين الفكرية:

مما لا شك فيه أن كلتا الأدبيتين عندما أخذ يؤرخان لحياتهما لم يكن الهدف الأساسي هو سرد سيرتهما فقط. بل أرادا كلُّ منهما أن يمنع أيدينا علي سلبيات المجتمع الذي عايشاه وأثر فيهما سواء كان تأثيرا إيجابيا أم سلبيا فلقد أخذ كل منهما في وصف البيئة المحيطة وما فيها من سلبيات أثرت في نموها أو أعاققت انطلاق الحياة عند كل على منهما. و لم يركنا إلى الوصف فقط بل أخذنا في رفض جوانب عديدة من هذه السلبيات وأخذنا في تقريب الصورة لنا حتى يجعلنا القارئ على قرب منهما ويستطيعا بعد ذلك أن يوجها اليه ما أراداه من نظريات فكرية متأملة تفيد المجتمع حتي تتلاشى هذه العراقيل من طريق الجيل الجديد.

فعرضها عقب ظلم المجتمع له يكي ينصب من المجتمع ذاته شاهدا على هذا الظلم ومما لاشك فيه أن هذين الهدفين من الأدبيتين يستلزمان منهما أن يعلقا على ما مر عليهما من أحدث ويقفا على هذه الأحداث موقف المتأمل ولا بد من أن يشير إلى نظراتهما الفكرية والثقافية وإن كانا قد تركا بعض المواقف لفطنة القارئ مع التعليق على البعض الآخر وطرح وجهة نظرهما من هذه القضايا.

و عندما ننظر لبعض النظرات الفكرية التي اشتملت عليهما سيرة كلتا الأدبيتين نجد فيها نظرة السخط العنيفة التي واجه بها المؤلف ما تموج به القرية من عادات وتقاليد. يسترجع مظاهر الجهل والظلم التي عاش فيها، فهما يضعان بين أيدينا المواقف السلبية في البيئة ليقف القارئ شاهداً على جهل البيئة وظلمها وحتى يُهَيِّ القارئ لكي يتقبل منه أى نظرة أو فكرة تجعل المجتمع في مأمن من الجهل والظلم. ونرى التشابه بينهما واضحاً في كون كل منهما جعل من نفسه باحثاً اجتماعياً حيث وضع يده على كثير من قضايا المجتمع ويبدو ذلك واضحاً عن البيئة التي عاشت فيها وعن أسرتها وصباها متجاوزاً ذاتها وحياتها الخاصة إلى حياة الآخرين الذين يحيطون بها في تلك القرية التي تعاني من الجهل والتخلف. وكذلك نرى واضحاً أن المؤلفة قد تركت الحديث عن ذاتها وأخذت في تصوير واقع المجتمع الريفي وسلبياته واضحة يدها على قضايا تم المجتمع.

٥: التشابه في استخدام اللغة العامية و اللغة البنجابية:

وما لا شك فيه أن المؤلفتين التزمنا اللغة الفصحى المعربة الخالية من الأخطاء وهذا لم يمنعهما عند الحديث بلسان الشخصية أن يعدلا عن الفصحى إلى لغتهما - فنجد الدكتور عائشة قد تحدثت بالعامية في بعض الفقرات تمشياً مع الشخصية التي تتحدث عنها حيث تقول: "قلت في ارتباك: عال! فعاد يسألني عما أعني، فلم يسعفني ذهني بجواب سوى: ضارب إلى الحمرة وإذ هم بأن يضربني، انطلق لساني بالكلمة التي كان ينبغي أن أقولها: محمر"^١

أما بانو قدسية تتكلم أيضاً باللغة الأردية ثابتة ولكن أيضاً تتكلم باللغة البنجابية وتستخدم بعض الألفاظ وتقول - "مثل باكستان و سده"^٢. و تقول: "ايه راه ماں کیا بھسار رکھیا اے"^٣.

١ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٣٩

٢ . راه روان ص ٢٠

٣ . انظر هذا الرسالة ص ٢٩٥

أولا الدوافع والغايات:

كثيرة تلك الأحداث التي أثرت في تطور الإحساس بالفردية والشعور بالذات لدى الإنسان العربي في العصر الحديث سواءً كانت هذه الأحداث سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويعد هذا التطور في أدب السيرة الذاتية أرضاً خصبة تحقق له النمو و من ثم كان هذا التطور في الشعور بالفردية سبباً في ازدهار السيرة الذاتية بين صنوف الأدب العربي لا سيما في العصر الحديث.

ورغم ما يبدو من دوافع، وغايات لكتاب السيرة الذاتية نؤمن أنَّ ثمة دوافع أخرى يقبض عليها صاحب السيرة بيديه ويطويها بين جوانحه، ويأبى أن يطلع عليها غيره، كما أن هناك دوافع وغايات فنية عامة يتغياها صاحب السيرة في سيرته، ويعد الشعور الذاتي هو الدافع الأول والباعث المشترك لدى كتاب السيرة الذاتية الذين يختلف دوافعهم وغاياتهم تبعاً لاختلاف شخصياتهم.

ومن أهم الدوافع النفسية التي ذكرناها في كتابة السيرة الذاتية بين عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية للسيرة الذاتية! الآلام والمعاناة وما ينتج عنها من قلق نفسي، وقد وجدناه دافعاً لبنت الشاطي لكتابة سيرتها الذاتية على الجسر، كما وجدناه دافعاً لبانو قدسية لكتابة سيرتها الذاتية "راه روا"، وبالنظر إلى الحاليين نرى أن سبب هذه المعاناة والقلق النفسي قد جاء مختلفاً بما يتناسب مع طبيعتهما.

وجاء سبب الآلام بما يتنا سب مع طبيعة المرأة حيث باتت بنت الشاطي تشكى الالم فقد الزوج الراحل والقلق النفسي، وحالة الحزن التي سيطرت عليها بعد وفاته، مما دفعها لكتابة سيرتها. وقد بدا أن المرأة هي الأكثر تأثراً واستجابة لآلام التفجع وموت الأحبة، وربما كانت هي أيضاً الأكثر - احتياجاً للتعبير عن آلام الفقد في صورة عمل أدبي - وأحسب أن الالم الفقد هي داعي الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي إلى أن تكتب سيرتها الذاتية "على الجسر" وتجعل محوراً زوجها الفقيد الأستاذ أمين الخولي يرحمه الله.

ونرى تصريح الأديبة بهذا الدافع في كل سيرتها التي تحكيها - بجميع مراحل عمرها - وهي تقف حائرة على ناحية من الجسر تنتظر العبور إلى الراحل الحبيب، تقول في

بدايتها تصور ما قبل رحيله.

أحاول قدر ما أستطيع أن أستعيد الماضي كما كان حريصة ألا تتداخل المشاهد وتختلط الذكريات في قصتنا التي ما سمع الزمان بمثلها من قبل، وهيهات أن تكرر أبد الدهر -

و تقول في نهايتها تصور ما بعد رحيله وقد تملكها الحزن والأسى: "كيف مضى وبقيت؟ أهو ابتلاء لإيماني ببشرية الإنسان إذ أشهد الموت يغتال من كان يعطى الحياة، ويفيض عليها جمالا من شجاعته و حكمته وذكائه وفروسيته؟ - أم لعلها الحياة أمهلتني ريثما أروى قصتنا على مسمع الزمان تفسيراً لآية الله العظيمة فينا خلقنا من نفس واحدة و خلق منها زوجها."

ووجدت نفس الشبي عند بانو قدسية محورها زوجها إشفاق أحمد يرحمه الله. و تبين في بداية السيرة الذاتية و قالت:

"لقد بذلت أيضاً مجهوداً صغيراً لإشفاق أحمد من أجل أن استنيربك، أن التقت بانو قدسية بإشفاق أحمد في الكلية، ثم انتقلا للعيش معاً، وتبادلا المنازل المستأجرة، وفي النهاية بنأى منزلهم الخاص في ١٢١ سي "موديل تاون"، حيث غادر إشفاق أحمد إلى منزله الأصلي، يعني إلى جوار رحمة الله - وهذا المنزل لم يعود منزله بعد وفاته بل أصبحت الشهرة كنزه الأخير، واريده ان أرد لهم لطفهم وعطفهم و تلمذتهم بطريقة خاصة." (١)

" وبعد عام من التفكير استطاعت بانو قدسية أخيراً أن تجمع شجاعته وتقنع نفسها بتذكر شريك حياتها وهي تجلس بمفردها على مقعد في الحديقة، و تذكر أوراق الشجرة وهي تتساقط في فصل الخريف، و برودة الهواء في شهر نوفمبر، ويتراء لها طفولة الأطفال في الحديقة البعيدة و رؤية مجموعة من أصدقاء إشفاق يجلسون بجوار النافورة الأخيرة، و غياب ضوء الشمس وقت الغروب وعود الطيور إلى أعشاشها، ومن زاوية ما في الظلام، يتقدم إشفاق ويعيدني إلى منزلي مع رغم

^١ .أنظر في هذا البحث ص ١١٩-١٢١

تقصيري." ١.

لذا فإن سيرة بنت الشاطي "على الجسر" و سيرة بانو قدسية "راه روا" و مرد ابريشم" تعد من أكمل السير الذاتية - عملاً فنياً - لاسيما وأن كاتبه امرأة والعالم العربي و الأردني.

ثانياً: في المراحل العمرية:-

بين مولد صاحب السيرة وكتابة سيرته مراحل عمرية، طفولة وشباب و شيخوخة وليس سيرة ذاتية مكتملة أن تغفل الحديث عن أية مرحلة من مراحل صاحبها. وعلى ذلك حين بدأت بانو قدسية وعائشة عبد الرحمن في كتابة سيرتها الذاتية لم تغفل هذه. فلا شك أن أتيحت لها هذه التجربة العاطفية. و لكن حيائها وصمتها وأعراف مجتمعهما الشرقي كل ذلك يمنعها غالباً من الاستطرد في الحديث عن هذه العاطفة، فنجدها تتحدث عن شبابها عند انفصالها عن طفولتها، أو عن حديثها عن تطور حياتها التعليمية والعملية، عدا تجاربها العاطفية التي قد يأتي ذكرها في سيرتها الذاتية - لا سيما إذا توجت بزواج - ولكن دون جعلها محوراً لسرد مرحلة شبابها. و حين وجدنا بنت الشاطي و بانو قدسية تقرن حديثها عن مرحلة شبابها بحديثها عن الزواج.

ثالثاً: في الحياة التعليمية:

تُعد الحياة التعليمية أكثر موضوعات السيرة الذاتية - استحواداً على السرد في الكتابة. حيث بداية الإدراك الحقيقي والتسجيل والحفظ والتكوين الثقافي والمعرفي ولم تكن الحياة التعليمية في سيرة المرأة أسعد حظاً في السرد من موضوعات السيرة السابقة عدا ما تميزت به في حكايتها عن بداية حياتها التعليمية في طفولتها المبكرة من المدارس الخاصة في المنازل بسبب طبيعة المرأة الاجتماعية التي حرّمها طفلة من أهم مرحلة تميزت بها ، وهي التلميذة في الكُتّاب قبل و بعد نشأة المدارس الأولية، ولولا ما وجدناه من ذكر لُكُتّاب في سيرة بنت الشاطي حين دفع بها والدها إلى

١. أنظر في هذا البحث ص ١٢١ و راه روا ص ٧-٨

الكتاب لتحفظ القرآن الكريم لسقنا هذا الحكم على إطلاقه.

ويعد الحديث عن جلب الأسرة لمن يقوم بتعليم فتياتها في المنزل ظاهرة في السيرة الذاتية للمرأة -

وقريب من هذا أيضا ما تميزت به سيرة عائشة في حديثها عن حياتها التعليمية من المدارس الثانوية ذات الأقسام الداخلية التي جعلت من المدرسة بالنسبة للفتاة الفصل و الدرس والمسكن واللعب والحديقة والأصدقاء. أما عن التعليم الجامعي والدراسات العليا فمن الملاحظات التي تعد أيضا ظاهرة في حياتها التعليمية في سيرتها وكتابتها فكرة السفر إلى أوروبا في البعثات التعليمية. و وجدت نفس الشيء عند بانو قدسية.

رابعًا: في الحياة العملية:

ليست قيمة العمل إلا قيمة الإنسان، وقد كانت الحياة العملية من أهم محاور السرد في السيرة الذاتية في كتابة عائشة و بانو قدسية -

المؤثرات الخاصة والعامة في كتابة السيرة الذاتية:

ومن أهم المؤثرات الخاصة في سيرة بنت الشاطي. و حدثت من بيئات ثلاث: الريفية، والشاطئية والدينية، إلا أنها أفاضت في حديثها من موروثها الأسري، تم قصرت سيرتها للحديث عن زوجها.

والثانية: تحدثت عن بيئتها القرية لكنها آفردت الصفحات الطوال لحديثها عن أسرتها، ولا شك أن هذا الميل إلى الداخل بالحديث عن الأسرة يتفق مع عاطفتها وأنوثتها.

فرغم دخولها بعض المعارك الأدبية وتأثير ذلك على ثقافتها لم تصور شيئاً من ذلك في سيرتها- و يدل لذلك كثير من المعارك الأدبية التي خاضتها بنت الشاطي.^١ عن الريف المصري، ونهضة المرأة وكذلك أدبيات جيلها، ولم نجد لذلك أثرا في سيرتها الذاتية.

أما بانو قدسية هي أيضا كتبت أحوال عن حياتها و حياة المجتمع و كتبت كيف شاركت في بعض المعارك الأدبية، وكيف بدأت و هي في عمرها صغيرة.

^١ . بنظر رحلة في أمواج الحياة ص ٥٥

ظواهر الأسلوب :

توطئة: ليس للنقد قواعد ثابتة وقوانين عامة بحيث يتخذها الناقد لتكون عمدته في نقده فهو يختلف باختلاف ذكاء واستعداد صاحبه، وكذلك الأثر الذي يحدثه العمل الأدبي في نفسه، ولكن هناك بعض المعايير النقدية التي ينبغي على الناقد مراعاتها. وقد حاولت من طريق الفن والذوق مراعاة هذه المعايير وتطبيق أسس النقد الفني على أدب السيرة الذاتية فيما بدالى فيه من ظواهر أسلوبية، وسمات فنية، وصور بلاغية وإخراج فني، وبدأت هذه الدراسة بقراءة متأنية وتصور هدايني إلى التطبيق ومنه إلى التحقيق، لتتم الفائدة، فلا شك أن التصور والتطبيق والتحقيق هي مراحل التطور الطبيعية للدراسات النقدية والفنية، وحين يكون النقد بطريق الفن والذوق فأول ما تقع عليه العين ظواهر الأسلوب، حيث يتفاوت الناس في اتجاهات العقل والشعور والتأثر، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتبع هذا التفاوت تفاوت في الأسلوب وحين يصدق هذا على الإنسان بعامه، فإنه يصدق على الأديب بطريق أولى. فليس الأديب إلا الأسلوب الذي "هو مركب فني من عدة عناصر تؤلف صورة مؤتلفة من العقل والفكر والشعور و الذوق".^١

و بدورها تعبر هذه الصورة عن عناصر الأسلوب. التي تتمثل في الأفكار والمعاني والألفاظ والعاطفة والصور، ولا شك أن لكل منها أثره في الأسلوب.. وعلى ذلك كان من يعرض لأسلوب كاتب بالنقد والوصف والشرح، والتحليل، يكون قد عرض لكل شيء فيه. ولصاحب السيرة الذاتية الأدبية أسلوب خاص يتميز بحسن العرض وجمال التقسيم وعذوبة العبارة. وبث الحياة والحركة والتصوير، ويقوم على أساس واضح من الوحدة والاتساق في البناء والروح حسب مقتضى السرد.^٢

أسلوب بنت الشاطئ و بانو قدسية فقد كان أسلوبهما في كتابة سيرتهما جماعاً بين هذه الأساليب حيث مزجت بين الروائية والفن، وبين الواقعية الصادقة والبعد عن

^١ . من مقدمة أحمد حسن الزيات لكتاب في بلادي الجميلة لعنات أحمد فؤاد . ص ٢.

^٢ . أدب السيرة الذاتية بين الرجل والمرأة في العصر الحديث. دراسة موضوعية فنية موازنة . ص ٣٣٩

المبالغة وزخارف اللفظ ويبقى أهم ما يُعرف به أسلوبها: النطق بالأصالة ذودًا عن تراث الأمة، واستشرافاً لمستقبلها في كل كلمة خطها يرجعها، وقد جاءت سيرتها الذاتية: "على الجسر"، و "راه روان" تأكيداً لأسلوبها فكانت من أكمل السير التي كتبتها.

وعلى حد سواء بين كتابة الرجل وكتابة المرأة يتميز أدب السيرة الذاتية بعدة صور أسلوبية.

مثل الرمز والإحالة، والانتقال بالضمائر، والسخرية والفكاهة، والحوار وغيرها من الظواهر التي فجرها، ووجدت في هذا اللون من الأدب أرضاً خصبة، وسهلاً رحباً، و من ثم كان لها بالغ الأثر في أسلوب أصحاب السير.^١

الإستشهاد د:

من أكثر ظواهر الأسلوب وضوحاً في أدب السيرة الذاتية، ولا غرو! فقد أبان أكثر كتاب السيرة الذاتية أنهم في طفولتهم استظهروا النص القرآني والحديث النبوي فإذا ما أراد كاتب السيرة أن يفصح عن رأى أو فكرة في سرده فإن ذاكرته تستشرق هذه النصوص بما يتفق مع فكرته بنزعة فطرية تأخذ القارئ وتتأثر بمخيلته ربما قبل أن يبلغ المعنى أفق الإدراك.

وأكثر ما نجد هذه الظاهرة الأسلوبية في سيرة عائشة عبد الرحمن وبانو قدسية، حتى يستشهد بالنص القرآني والحديث النبوي والشعر والأثر والمثل العربي والشجى، وكل ما صح الاستشهاد به تقول من مستشهادة بالنص القرآني:

"يُنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسُنَّتْ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا" (٣٢) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" (٣٣) وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" (٣٤)

١ . أدب السيرة الذاتية بين الرجل والمرأة في العصر الحديث ص ٣٤٣.

٢ . سورة الأحزاب آية ٣٢ الى ٣٤.

و نجد نفس الاسلوب عند بانو قدسية و قالت: "هل من مزيد".^١
 فصاحبة السيرة حين تذكر ان أقرانها الذين كانت تشير الدلائل إلى بروزهم وتبوءهم مكانه عالية ثم لم يتحقق لهم ذلك يقفز في ذهنها المعنى القرآني أن ذلك فضل الله عز وجل الذي، لا يقف عند حد، فيقضى صاحب السيرة كلامه بالنص مؤكداً هذه الحقيقة الإيمانية.

ومن الاستشهاد بالنص القرآني في سيرة بنت الشاطئ ذكرها قوله تعالى:
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرٍ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .^٢
 وذلك في حديثها عن محاولتها استجلاء كنه تلك القوة الخفية التي تدفعها وتوجهها إلى مواصلة مسيرتها نحو الجامعة ، فلا تجد لها تفسيراً سوى إرادة الله عز وجل ومشئته النافذة.

الأفكار والمعاني:

ليست السيرة الذاتية مجرد سرد الحوادث والوقائع فحسب، و إنما هي الإطار الأدبي الذي اختاره الأديب صاحب الموهبة والتجربة الشعرية لتصوير افكار ومعاني هذه الأحداث، وقد تعرضنا من خلال الدراسة الموضوعية إلى كثير من الأفكار والمعاني الذاتية الظاهرة التي يحصل فهم القارئ لها حيث يكون صاحب السيرة طرفاً مباشر فيها أو شاهد عيان عليها، أما في هذه الصفحات فنميل: بالدراسة إلى جهة الفن حيث الأفكار والمعاني التي تحتاج إلى دقة نظر و إمعان فكر، ورؤية نقدية قد لا تتأتى لغير النقاد والدارسين. ومن هذه المعاني في أدب السيرة الذاتية: الأفكار الرئيسية التي تدور حولها السير مثل فكرة التحدى والصراع، ولمسة الزهد والتصوف ونزعة التمرد، والحرية والشعور بالقهر والذاتية، والتفرد وغير خفى أن هذه الأفكار الرئيسية تضم في طياتها كثيراً من المعاني التي يدور حولها هذا اللون من الأدب وعن معنى التحدى فأكثر ما وضع عند بانو قدسية في جميع مواضع سيرتها التي كانت على حد تصويرها و صرخة من أعماق نفس عانت الفقر والمرض والجهل،

^١ .سورة ق اية ٣٥ والحديث النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم، برقم (٢٨٤٨)

^٢ . سورة الطلاق من الآية من ٣.

وقد أشعلت حاستها الناقدة في كل ما يسمع محاولة إثبات تفوقها بالحجة والعقل والسخرية أحياناً متحدية كل ما يواجهها من صعاب، وقد كثرت المواقف التي تصور هذا المعنى في سيرتها إلى حد لا يحوجنا إلى تمثيل.

ومن هذه المعاني الرئيسية في الأدب السيرة الذاتية فكرة التصوف، وقد بدت في كثير من السير الذاتية، غير أنها سيطرت على بنت الشاطي، وجدت واضحة في سيرتها التي جاءت تفصيلاً لقولها له سبحانه ما أكرمه رحيماً، وما أعظمه مؤدباً، وما أجله هادياً هو الذي أنقذنا من وادي الأفاعي ومتاهة الظلام، واصطفى جيلنا لمعركة تحدى اليأس فمضينا على الطريق وشعارنا. الهادي اذن لله عبداً إذا أرادوا أراد. ^١ وغير خفى أن هذه الأفكار الرئيسة تضم في طياتها كثيراً من المعاني التي يدور حولها هذا اللون من الأدب و يشترك في الاحتفال لها كثير من أصحاب السير الذاتية، ومنها:

أ - معنى التعليل والتبرير:

فقد تعلو درجة الصدق في كتابة السيرة الذاتية إلى حد الصراحة الكاشفة والجاهرة بالنقد الجارح، حين يكتب صاحب السيرة كل ما يفد على خاطره دون احتياط، وإن كان هذا منهجاً في الأدب إلا أن صاحب السيرة يجد نفسه عند ذلك مترلقاً إلى تبرير تلك النقائص، وقد يقتصر تعبيره عن هذا المعنى أو يطول حسب درجة المصارحة والصدق التي يتبناها الأديب.

و حين نرصد معنى التبرير والتعليل في كتابة سيرة الذاتية نجد له أمثلة كثيرة عند بنت الشاطي، مما قد يضيق بذكرها المقام، لكن ما يجدر ذكره هو هيمنة روح التعليل. والتبرير على أسلوب بانوقدسية في سيرتها الذاتية. فهي تعتمد إلى تصوير بعض مشاهد حياتها الشخصية التي ترى فيها تعدياً من المجتمع على أنوثتها وعلى بنات جنسها، وغايتها من ذلك أن تبرز نضالها الكبير منذ طفولتها الأولى من أجل ما تراه حرية للمرأة وتحرراً لذاتها.

^١ . رحلة في أمواج الحياة ص ٢٢٠ -

ب: مدح الذات:

يعد مدح الذات من أكثر المعاني ذبوعاً في كتابة السيرة الذاتية رغم ثقل الحديث عن النفس فضلاً عن مدحها، ضمن الطبعي أن حديث الإنسان عن نفسه يدعوه للمريح، ولو بطريق غير صريح، يقول احسان عباس: ليس في الناس من يكره التحدث عن نفسه حتى الذين يقولون ذلك بألسنتهم إنما يعانون ألماً شديداً لكفّ أنفسهم عما تشتهي، إذا هم قدروا على كفها؟^١

وربما صح هذا القول لكن الخطأ في إطلاق الحكم وليس أدل على هذا الخطأ من سكوت كثير من العظماء عن كتابة سيرتهم الذاتية، ربّما لكرهه الحديث عن النفس ولذلك لا يشاع الحديث عن النفس إلا بضروب من اللباقة وأفانين من اللياقة ورغم توافر هذه الصفات في كثير من أصحاب السير الذاتية إلا أنه يندر أن نجد فيهم من يسلم من آفة مدح الذات التي قد تتحول إلى عجب وزهو وغرور.

ومما يعرف عن بنت الشاطئ أنها لم تمدح نفسها إلا حين يكون الزهو محمّدة تغبط عليها وكان ذلك في طفولتها، تقول: "أقبلت بكل طاقتي على العلم، وقد استثار زهوى ما كنت أسمع من زملاء أبي عن أهليتي لما وهبت له من علوم الدين، وأرضى غروري أن أجدهم يصغون في طرب وعجب إلى تلاوتي للقرآن، و إنشادي لما أحفظ من قصائد الصوفية، وكنت أزهو على أترابي في المدينة يحفظى للقرآن الكريم، فإذا سافرت إلى القرية حيث لا مجال للزهو بما يحفظ مثله أكثر صبية الفلاحين عمدت على المباهاة بما تلقيت من دروس العربية، والإسلام"^٢

و قد عاشت الدكتورة عائشة عبد الرحمن حياتها محبة للكتابة و عاشقة للصحافة لكنها لم تسع كما يفعل غيرها. إلى أضواء أو شهرة، وقد عاشت حياتها في محراب العلم الذي كان بالنسبة لها هدفاً، ولا يعنيه ما يحصل لشخصها من فائدة، حتى إنها زهدت في ذبوع اسمها فظلت تتوارى.

١. فن السيرة - إحسان عباس - طبعة دار الثقافة - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ ص ٩٨

٢. على الجسر بين الحياة والموت - ص ٣

خلف اسمها الصحفي المستعار "بنت الشاطي" حتى إن العامة قد لا يعرفون اسمها ومثل هذه الشخصية يصعب أن تضم ظواهر أسلوبها زهواً أو مديحاً لذاتها. وربما يقترب من هذا الحد ما نجده عند بانوقدسية في سيرتها الذاتية من مدحها لذاتها والزهو والعجب بالنفس، ولعل السبب في اقتراب الشخصيتين في هذا المظهر ما تعرفان به من قوة الشخصية وخوض المعارك القلمية التي تعد الزهو والعجب الذاتي والاعتداد بالنفس والمباهاة بالمواهب الشخصية من أهم أسلحتها... وفي نهاية دراسة مدح الذات في كتابة عائشة - عبد الرحمن وبانو قدسية للسيرة الذاتية يمكن القول أن محركهم نحو هذا المعنى هو الإحساس بالتمايز والفن الذي يُعدّ مظهرًا مؤثرًا من مظاهر الدفاع عن الشخصية غير أنه في ذات الوقت قد يضع صاحب السيرة أمام القارئ موضع اتهام ولوم، حين يؤثر على عناصر الفن والمتعة التي يتطلبها العمل الأدبي.

نقد ذات:

كاتب السيرة الذاتية إنسان ذاتي بطبعه، دائم التفكير والنظر إلى نفسه يسلط عليها. اضواء النقد ودقة الملاحظة، فهو أول ناقد لذاته وكثيراً ما يحوى قاموسه اللفظي كلمات تعبر عن التفكير التعليم والتأمل وحديث النفس، حين يتناولون أحداث حياته بالسرد بين رسام يشكل ملامح شخصيته أو شاعر يغازل نفسه وذكرياته، أو فيلسوف متصوف يخلق بدنه في آفاق عليا يبحث عن التطهير أو قصاص روائي عبقرى السرد، يحكى قصته بما فيها من أحداث في قالب درامي يأخذ القراء وهو في كل ذلك يجمع شتات نفسه و يتعرض لها بالنقد، لكنه كثيراً ما يساق مزهواً مع غرورها و تعلقها بذاتها وجبها لإعلاء شأنها.

وقد تجد كاتب السيرة قاسياً على نفسه ومبغضاً لها، فيجرد نفسه من كل خير دون أن يسمع من ضميره منها، أو يجد من نفسه زاجراً فيبدو وكأنه يحاكم نفسه أو يجلد ظهره، وقد تتعدى قسوته على نفسه - في تصوير ذاته - محاكمة النفس وجلد الظهر إلى رقص الذبيح.

ورغم أن نقد الذات قد يتنافى مع ما تُعرف به المرأة من حب المديح والاهتمام برأى الآخرين نجد معانى نقد الذات في كتابة سيرتها، وربما كانت جليلة رضا أكثرهن ميلاً إلى هذه المعاني مكان من نقدها لذاتها في سيرتها أن تعلن عن عيوب شخصيتها وأكبرها الانطواء، تقول: أنا انطوائية أصل إلى العزلة، ولكن رغماً عني، كم كنت - أحب أن أكون آنسية جليسة أحضر السهرات الأدبية، أناقش وأجادل وأبدى الآراء، ولكن عبثاً - لا أستطيع لى شيء أُسميه الخجل، لكنه عدم الثقة بالنفس، دائماً أحس بالفراغ أمام الناس، وأشعر وحدي بامثلاء مع الناس أرى الغابة والصقور والقهر والعدم ووحدى أحتضن الجمال والخير والعدل والحق وفوق ذلك كله الحقيقة العارية لمعاني الحياة.^١

و ممن اتخذت من نقدها لذاتها أسلوباً في كتابة سيرتها: بنت الشاطي، ولعل من ذلك إقرارها بعد امتحانها الأول أمام أستاذها في الجامعة. حصيلتها من كثر ثقافة الإسلامية الذي حسبت أنها ملكته لا تعدو القشور والأصداف وأن بينها وبين ذخائره المكنونة حجباً وأزصاداً تحوّل دُون النفاذ إلى الجوهر واللباب، تقول: "فهمت أن قراءتي ذخائر مكتبنا لم تكن سوى مطالعة سريعة مرتجلة، تلتقط الدلالة العابرة، والملحظ القريب المبدول، ويعوزها ضبط المنهج - وأناة التمثل فيخطئها لمع سر الكلمة و روح النص --- ويفوتها الإصغاء إلى إحياء النبوة وببض الحرف، وكان -- - على أن أعود فأبدأ القراءة في كتب القومى من حيث ظنت أنى بلغت منها أقصى ما تعطى -

ورأيناها تقسو على نفسها، وربما بلغت القسوة مداها فيما قالته شعراً في ختام قصيدة صورت زيارة طيف زوجها الراحل الحبيب:

قلت: لا أدري قلت لا أدري، أحلم ما أرى؟
أم بعثنا! وانتهى الصوت وthan
وصحونا فإذا تلك روى.

^١. صفحات من حياتي، ص (٥٧-٥٦) جليلة رضا - ط دار الهلال عدد يوليو ١٩٨٧ م

بعثرتها الريح في تيه القلاه .

وَإِذَا نَحْنُ كَمَا كُنَّا هُنَا

فِي قَرَارِ الْكَهْفِ لَمْ تَفْتَحْ كَوَاهِ

تَلْحَقُ الْمَرُونَقَاتُ الْجَوَى

عَاقِنَا الْمَوْتَ وَعَافَتْنَا الْحَيَاةُ.^١

وليس أقسى من ذلك نقدا للذات ، فرغم إيمانها بقضاء الله تعالى و قدره نراها تعد وفاة زوجها وبقائها عدم جدارة منها بالموت الذي عافها، وكذلك الحياة لتجعل عمرها الباقي انتظاراً "على الجسر" حتى يرضى عنها الموت فتلحق بزوجها.

ثانياً: التشابه في استخدام التشبيه:

التشبيه من الصور البيانية و يستخدم لإيضاح البيان والكلام، و قد استخدمت عائشة عبد الرحمن التشبيه كثيراً في السيرة الذاتية مثلاً قولها في قصيدة "بعد عام" عامنا ...

قَدْ كَانَ دَهْرًا مِنْ عَذَابِ

وَلَمَّا خَلَّنَاهُ كَالْحِلْمِ الرَّهِيْبِ

دَرْبَنَا،

صَارَ كَالْقَفْرِ الْيَابِ^٢

غَيْرِ طَيْفٍ مِنْكَ، عَنْهُ لَا يَغِيْبُ^٣

في السطر الاول تشبيه بليغ رائع، فقد شبهت العام الذي مر عليها بعد رحيل زوجها بدهر من العذاب، فالعام أعوام، ولكنه أعوام من العذاب، وقد نكرت كلمة دهرًا للتهويل والتفطيع، وهذا يشير إلى وطأة خطوات الزمن بعد رحيل الحبيب، وأظن أنه

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٥٧، والابيات من بحر الرمل التام.

^٢ . القفر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه و لا ناس و لا كالأ (ينظر: المعجم الوسيط- مادة "قفر").

الياب: ياب أى خراب ، وعند العرب الذي ليس فيه أحد (ينظر: معجم لسان العرب لابن منظور مادة "يب").

^٣ . على الجسر بين الحياة والموت ص ١٨٨

لايستثقل خطوات الزمن إلا من يتمنى اللقاء بمن أحب، ثم في السطر الثاني شبهت العام الذي مضى من حياتها بعد رحيل زوجها بالحلم الرهيب، بجامع الفزع والهول في كل منهما، وهنا أتى التشبيه مكتمل الأركان، فالمشبه هو "العام"، والمشبه به هو "الحلم الرهيب"، وأداة التشبيه هي "الكاف"، وقد أتت الكاتبة بهذا التشبيه لتدل على شدة الفزع والهول من المصيبة والصدمة التي ألمت بها نتيجة فقد زوجها، فهذا العام لم يكن فيه إلا العذاب والخوف، وكأنه كالحلم المفزع الذي من الممكن أن يراه النائم كل يوم، فجراحها دائمة ولم تشف بعد.

وأنت الكاتبة بتشبيه آخر في هذه الأبيات السابقة، وهو تشبيه الدرب بالقفر اليباب، فقد شبهت الشاعرة الدرب الذي مشت عليه مع رفيقها وكانا يعيشان فيه معاً في جو يملؤه، الدفء والحنان والشعور بالسعادة والهناء بالقفر اليباب وهو الخلاء من الأرض الذي لاماء فيه ولا ناس ولا كلاً، بجامع الخراب والدمار في كل منهما، وهنا أتى التشبيه أيضاً مستوفي جميع أركانه من المشبه وهو (الدرب) والمشبه به وهو (القفر اليباب) وأداة التشبيه وهي (الكاف)، قد أتت الكاتبة بهذا التشبيه حتى تقرب وتبين للقارئ الحالة التي وصلت إليها بعد رحيل زوجها، فقد أصبحت الدار خالية من كل شئ حالها حال القفر الذي يخلو من جميع الأشياء التي يشعر معها الإنسان بالأمان والاطمئنان، فصورت الدرب خالياً من كل شئ يُعمره، ومع أن الكاتبة صورت لنا الدرب خالياً من كل شيء، إلا أنه قد يأتي عليه خيال زوجها، ولا شك أنها لحظات سعيدة تمر بها الكاتبة و بذلك تتقلب حياتها على الدرب بين الحزن تارة والفرح تارة أخرى، ولكنها أتت بهذا التشبيه مبالغة في وصف حالتها التي أصيبت باليأس والحرمان، فالتشبيه جعل الصورة شاخصة أمام الأبصار، وكأن القارئ يراها ويحس بها، فلم يكن المقصود من هذا التشبيه هو رصد العلاقة بين المشبه والمشبه به؛ وإنما المقصود هو "تجسيد الحقائق النفسية والشعورية والذهنية"^١ ولذلك أتت الشاعرة بهذه الصورة لتعبر عن الحالة البائسة التي تريد أن تعبر عنها. وهكذا الكاتبة استخدمت التشبيه كثير في السيرة الذاتية.

^١ . بناء القصيدة العربية الحديثة - د/على عشريني زائد - ص ٧١ .

ووجدت نفس الشبی عند الکاتبة الثانية بانو قدسية تستخدم التشبيهات في سيرتها عدة مقامات مثلاً هي قالت:

"وقت اس طرح گزرنے لگا جیسے ریت میں دھنسے ہوئے پیسے۔"^۱
بدأ الوقت يمر مثل العجلات عالقة في الرمال.

تعلق چھتری ہوتی ہے۔^۲
العلاقة كمظلة.

ہماری روح جسم میں پنجرے کے طوطے کی طرح قید ہے^۳
روحنا سجينة في الجسد مثل البغاء في قفص.

"شہاب صاحب بھی عجائب گھر میں رکھے ہوئے کسی ایسے مجسمے کی طرح ہیں جو خود تو کم بولتے ہیں۔

لیکن ان کے متعلق مختلف قسم کی باتیں زیادہ مشہور ہو جاتی ہیں۔"^۴

"أخي شهاب كمثال مجسد في متحف، لا يتكلم من لكقاء نفسه، ولكن اشتهرت جميع أنواع الأحاديث المتعلقة به."

ثالثاً: التشابه في بنية الوصف:

نجد الوصف عند الكاتبتين في كتاباتهما، تستخدم الوصف عندما تتحدثان عن الأشخاص والأمكنة أو عن الأشياء، كما تصف بنت الشاطي في سيرتها بعضاً من الأماكن والبلدان والشخصيات، نذكر منها على سبيل المثال:

وصفها لفناء بيت والدها في قرية "شبرا بخوم" بالمنوفية، حيث تقول:

"وخطوت في بطاء إلى فناء الدار، لحت أكداس الخطب مَكُومة قرب فرن

عجبت لموضعه داخل البيت، مَث ازداد عجي وأنا أرى المواشي في زريبة

مَفْتُوحَة عَلَى الفناء، وَإِلَى جَانِب الزريبة صَف مِنَ القَاعَات المِظْلَمَة، سَأَلْتُ

عَنْهَا فَقِيلَ لِي إِنَّهَا مَخْصَصَة لِنُوم الْعَائِلَة فِي الشَّتَاءِ؟"^۵

۱ . راه رواں ص ۱۵۵

۲ . نفس المصدر ص ۱۹۶

۳ . نفس المصدر

۴ . مرد ابریشیم ص ۲۵

۵ . علی الجسر بين الحياة والموت ص ۳۴

أرادت الكاتبة أن تنقل واقع الحياة الريفية المصرية في ذلك العصر القديم واستطاعت الكاتبة بقدرتها التصويرية أن تصف ملامح البيت وصفًا مطابقًا لمعالم البيوت الريفية القديمة والتي اختفت معالمها غالبًا في زماننا هذا.^١

أما وصفها للبلدان، فيتمثل من خلال قولها:

"ألقي بنا القطار في مجتمع الزحام بمحطة مصر، غريبتين ضائعتين، لا نكاد ندري موضع أقدامنا في ذلك العالم الصاخب المجهول، وأذكر أنني أغمضت عيني، كأني أتقى شبح الضياع"^٢

بهذا الوصف نقلت لنا حال العاصمة في ذلك الوقت، ومن خلاله عرفنا، أنه يوجد فرق بين الحياة في الريف التي تتميز بالهدوء والسكينة، وبين المدينة التي تمتلئ بالزحام لوفود الناس إليها من كل البلدان.

فهكذا تصف الأشخاص عندما تتأثر بهم، فتصف، فتقدمه من خلال وصفها لزوجها مثلاً..

"في بهاء فروسيته وعزة كبريائه وجلال إيمانه مناضلاً، حتى النفس الأخير عن الحق والحير ومحتملاً، حتى النفس الأخير، أمانة الإنسان"^٣

أما بانو قدسية فأجادت الوصف في كتابها في مواضع كثيرة، حيث قلنا أنه يُعتبر و يبدأ بوصف المسلسل، الذي يُحير القارئ ويخوض مع الكاتبة في بحر الوصف، وأحياناً عندما يبالغ في الوصف، فيشعر القارئ بالدونية النفسية عن عصره وبيئتها وأسرتها، والظروف الموجودة في عهد القارئ.

تصف بانو الأماكن والأشخاص، ووصفه للأشخاص له وجهان، الوجه الأول: تصف الناس من حيث الأخلاق والطبيعة والعلم والفضيلة، والوجه الثاني: من حيث الحب والعشق تصف وتمدح الناس بالجمال والوسامة والبشرة والمظهر. كما أنها عقد

^١ . انظر في هذا البحث ص ١٢

^٢ . على الجسر بين الحياة والموت ص ٦٣

^٣ . نفس المصدر ص ٨

باباً خاصاً فی وصف الأشخاص المشاهیر الذین أثرت شخصیاتهم وعاداتهم وطبیعتهم فی الکاتبۃ، فعقد باباً خاصاً فی وصفهم تحت عنوان: (بابانوروالے اور دیگر)

"بابا صاحب الضوء وآخرون" و "باب الناس الناس" (لوگ لوگ)۔^۱

بعض الشخصیات الغریبة فی عصر الکاتبۃ، عندما تتحدث بانو عن هؤلاء قبل أن يبدأ ظروف حیاتهم، تصفهم و تمدح أخلاقهم وطبائعهم وعاداتهم النادرة، كما تصف صديق الإشفاق أحمدو قالت "وہ کوہ غزم، آہن کردار، آفتاب کوب، خوف نا آشنا، بات کے پکے، دھن کے پورے ضد کے بچے، طبعاً شبنم خو، جھک کر ملو تو شاخ سایہ دار، میلے اور بڑے جیوٹ اور بے حد جھلاہٹ کے مالک تھے"۔^۲ وصفت بانو قدسیة صديق الإشفاق أحمد بالشجاعة والکرم والطبیعة والأخلاق والعادات الجمیل، و وصفت بانو بالحسن والوسامة والجمال۔

خامساً: التشابه فی إختيار العنوان لسيرة الذاتية لکلا الکاتبتین:

السيرة الذاتية تتكون من حکایات وقصص حياة الإنسان، ولا يستطيع الإنسان كتابة سيرته إلا بذاكرة قوية، والشخص الذي يتأمل فی لمحات من حیاتہ والأحداث التي واجهته فی عصره ودوره، والقضايا المحفورة فی قلبه، بعد هذه المرة يبدأ الکاتب فی كتابة سيرته الذاتية، وهكذا حال کلا الکاتبتین عندما ننظر إلى عائشة عبد الرحمن، وضعت عنوان کتابها: "على الجسر بين الحياة والموت" وتعرض قصصاً من ظروف حياتها۔

أما بانو قدسیة التي حملت سيرتها الذاتية عنوان: راه رواں، و مرد ابریشم فإنها ينبها القارئ إلى أن کتابها ليس فکاهة ومزاحاً، لكنها جمع فيه أشياء تذكرها وأثرت قلبها، وبقيت فی ذهنها وبعد أن أصبح من الصعب نسيانها، بدأ يقدمها للقارئ. فالمهم من کلا العنوانین هو التذکر والتذکر، لأن الدرس لا يفيد بدون حفظ وتذکر، و العناوین فی بقية الکتاب فیشبه بعضها بعضاً۔

۱. راه رواں ص ۵۰۰

۲. نفس المصدر

سادسا: التشابه في الميثاق والتطابق:

الميثاق والتطابق من شروط صحة السيرة الذاتية، ونجد الميثاق والتطابق في كتب كلا الكاتبين، كما أن عائشة تعبر عن هذا التطابق والميثاق بضمير المتكلم، عندما تحكي قصتها، وتبدأ قصتها أنا، أو قلت، أو شاهدت، أو رأيت، وغيرها من الأفعال بصيغة المتكلم، كما تعبر عنها الكاتبة قائلاً: "في ذاك الفصل من قصتي، أعود إلى طفولتي البكرة، فأسترجع من ذكرياتها ما لم تطوه الأيام والليالي في متاهة النسيان".^١ وتقول أيضاً: أحوال قدر ما أستطيع أن أستعيد ماضيا كما كان حريصة على ألا تتداخل المشاهد و تختلط الذكريات".^٢

هكذا بانو قدسية تستعمل صيغة المتكلم في سيرتها الذاتية، كما في السطر الأول من كتابها قائلاً: "خان صاحب کی وہ یاداشتیں جو ساتھ رہنے کے باعث میسر آئیں میرے پاس موجود تھیں، پورا سال سوچنے کے بعد آخر کار میں نے ہمت کی اور اپنے آپ کو اس بات پر راضی کر لیا کہ اپنے ہم سفر کو کسی باغ کی اکیلی بنچ پر بیٹھ کر یاد کریں اوپر سے خزاں دیدہ پتے درخت سے گریں، ہوا میں نومبر کے مہینے کی خنکی ہو، دور لان میں بچوں کا بچپن نظر آئے اور آخری فوارے کے کنارے بیٹھے خان صاحب کے دوستوں کا جھرمٹ دکھائی دے۔ ہولے ہولے شام کی سرخی غائب ہو جائے پرندے گھروں کو لوٹ جائیں اور اندھیرے میں کسی گوشے سے خان صاحب آگے بڑھیں اور مجھے میری غلطیوں سمیت اپنے گھر اپنی کابک میں واپس لے جائیں۔"^٣

قد كانت لدي ذكريات خان صاحب التي حصلت من خلال العيش معاً، وبعد عام من التفكير استطاعت بانو قدسية أخيراً أن تجمع شجاعتها وتقنع نفسها بتذكر شريك حياتها وهي تجلس بمفردها على مقعد في الحديقة، و تذكر أوراق الشجرة وهي تتساقط في فصل الخريف، و برودة الهواء في شهر نوفمبر، ويتراء لها طفولة

^١ . على الجسر بين الحياة والموت - ص ١٧

^٢ نفس المصدر - ص ١٧

^٣ . راه رواں ص ٨

الأطفال في الحديقة البعيدة و رؤية مجموعة من أصدقاء إشفاق يجلسون بجوار النافورة الأخيرة، و غياب ضوء الشمس وقت الغروب وعود الطيور إلى أعشاشها، ومن زاوية ما في الظلام، يتقدم إشفاق ويعيدني إلى منزلي مع رغم تقصيري.

اتضح من العبارة السابقة أن الكاتبة تستعمل ضمير المتكلم في كتابها: موكب الذكريات، ويؤيد هذا الاستخدام الميثاق والتطابق بين القارئ والأديب.

سابعاً: التشابه في الصدق والصراحة:

السيرة الذاتية إذا خلت عن الصدق والصراحة، فلا يطلق عليها اسم السيرة الذاتية؛ لأن القارئ يقرأها بثقة واعتماد على الكاتب، ونجد الصدق والصراحة عند عائشة عبد الرحمن في سيرتها الذاتية، كما أتت بأخبار عن حياتها لا يستطيع أي انسان أن يذكرها أمام الآخرين، كما تحدثت عن ظروف ولادتها وأمها وأبيها وعن أسرتها.

هكذا نجد الصدق والصراحة في سيرة بانو قدسية، إذ لم تهتم بانتقاد النقاد واعتراض المعترضين، وعرض الأمور التي حدثت في حياتها، وأخبرتنا عن طبيعتها وعاداتها، لذلك أصبحت شخصيتها هدفا للرماة.

أثر الزمان والمكان:

يحدد الزمان عمر صاحب السيرة، و يحدد المكان وجوده و بينهما حياة الإنسان بما يكتنفها، من أحداث ويعتريها من حسن وقبح، وكمال و نقص، وقوة وضعف، ومن ذلك كله تتضح شخصية صاحب السيرة وثقافته، ومن ثم كانت أهمية عنصري الزمان والمكان في هذا اللون من الأدب.

وقد اهتمت بانو قدسية و عائشة كثيراً بعنصري الزمان والمكان في كتاباتهما الذاتية، و لعل من اهتمامهما بعنصر المكان ما تحكيه عن ذكرياتها تحت عناوين:

فى بيتى، وفى المدرسة - وفى المحطة، وفى المستشفى، وغير ذلك من الأماكن ذات التأثير البالغ على أحداث حياتها.

ومما يدل أيضاً على تحديد المكان عند ذكرها، البيت والسلم والسطح والمقهى والحدة، وغيره من الأماكن التي تمثل عالمها الخاص، وتؤكد احتفاله بعنصر المكان في أصداء سيرتها وربما أكثر من عنصر الزمان الذى اقتصر على ذكر الإطار الزمني

المحدود للوقائع حين تذكر فصول السنة أو الشهور أو العقود. واستطردت الكاتبة تعنى بوصف الليل والنهار وأوقات الأصيل والغروب، وما توحى به هذه الأوقات من مشاعر و ذكريات مما يؤكد اهتمامها بعنصر الزمان في كتاباتها الذاتية و ربما في جميع كتاباتها- وهذا من الكثرة - في هذا اللون من الأدب بمالا يعوزنا إلى تمثيل-

الموسيقى الإيقاع الصوتي:

تنطوي اللغة على ألحان من المعنى وأنغام من اللفظ لا يبلغ بدونها الكلام ولا يقوى غيرها السرد الفني لاسيما حين تكون من بنية الأسلوب في باطنه وهي لا تكون كذلك إلا إذا كانت في أسلوب الكاتب سجية وطبعًا، فكما لا يستطيع البلبل أن يكون غرابًا ينطق ولا ضفدعًا تنق، كذلك لا يستطيع الفنان الصادق أن يكون فجًا على الذوق ولا ثقیلاً على الأذن.^١

وأدب السيرة الذاتية أحد ألوان النثر الفني تنطوي لغته على أنغام موسيقية وإيقاعات قد تكون مخبوءة بين المفردات، وقد تطفو على سطحها حين تشيد بالأديب موسيقاه وهي مقدرة قل أن نجدها عند كتّاب النثر، لا سيما في هذا اللون من الأدب الذى يقترب في معناه من التاريخ . وعلى هذا الإيقاع الصوتي جاءت كثير من المواضع في سيرة بانو قدسية رغم ميلها بها ناحية التاريخ ولعل من هذه المواضع قولها: لم أتهيب شيئًا من تأليف ما تهيبت من أخراج هذا الكتاب فإن كل ما أخرجته كان غيرى المعروف وأنا العارض، والواصف والموصوف والعين لا ترى نفسها إلا بمرأة.^٢

فقد أضفت بلاغة الجناس والمقابلة على الألفاظ موسيقا رائقة على الاستماع غير أنها مقيدة بالحقيقة التي لم تترك مجالاً للخيال.

ومن ذلك أيضا ما جاء في أسلوب بنت الشاطئ في سرد سيرتها تصور نفسها

^١ . ينظر الى مقدمة أحمد حسن الزيات الكتاب نعمات أحمد فؤاد " فى بلادى الجميلة ص ٥٠ (ط)

^٢ . راه رواه- ص ٥٠

واقفة على الجسر تناجي زوجها الراحل الحبيب تقول "وأصغى إلى نجواه، في الصمت وفي الفجيع وسكون الخلوة وفي صخب الزحام وأطوف بأرجاء عالمنا الرحب الذي ضمنا معاً، فلا أتصور أنه الراحل الذي لا يثوب وعلى الجسر ألتفت إلى الناحية الأخرى، حيث المصير المحتوم لكل حي لا عاصم منه ولا مفر، فأدرك بكل وعي أنه عبره قبلي".^١

جاءت ألفاظ الإصغاء والنجوى والصمت والخلوة وهي ألفاظ هدوء وسكون مع ألفاظ الضجيج والصخب والزحام، والفرار، وهي ألفاظ حركة. وسرعة، لتعطي موسيقا متوازنة ربما كانت أكثر بريقاً وجاذبية وأخذاً للأسماع.

معرفة اللغة الانجليزية:

أن الكاتبتين كانا يجيدان اللغة الانجليزية، كما أنّ الكاتبة عائشة مكثت في بريطانيا وأمريكا، أما الكاتبة بانو قدسية، فقد درست في الكليات، ومن الأساتذة و ذهبت أيضاً إلى بريطانيا و امريكا.

الاشتراك في الأعمال الأدبية:

الاشتراك في الأعمال الأدبية، لم تكتف بانو بكتابة السيرة الذاتية فقط، بل كتبت في مجالات مختلفة. هكذا كتبت الكاتبة عائشة عبد الرحمن في عدة مجالات وفي فنون مختلفة.

التشابه في الأفكار الثقافية:

تحدث الكاتبتان عن الأفكار الثقافية في كتاباتهما، وأبرزنا لنا ثقافة الدولتين باكستان ومصر، كما تحدثتا عن المكونات الثقافية كالملايس والمساكن واللغات واللهجات، وأيضاً عن الأطعمة المشهورة، ونمط حياتهم وعن تقاليدهم وعاداتهم، وعن مهرجاناتهم التي تحتفل بها الدولتان، كما تحدثت عائشة عبد الرحمن عن ظروف جيلها وجيل والدها وقارن بينهما، أي كيف تغيرت الأمور في هذه الفترة بين الجيلين في الملايس والمساكن والأطعمة وغيرها من العناصر الثقافية.

^١ . على الجسر بين الحياة والموت ص.٩٠

هكذا تحدثت بانو قدسية عن المكونات الثقافية، والأشياء المشهورة والمستخدمه في شبه القارة الهندية، مثل: ثقافة الملابس والأطعمة والأشربة، كما تحدثت عن ثقافة الملابس، حيث قسم الناس إلى ثلاث مجموعات المجموعة الغربية، والمجموعة الشرقية، والمجموعة المتوسطة فيما بينهما، وتظهر آثار هذه المجموعات الثلاثة في ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم.

التشابه في الأفكار الاجتماعية في سيرتهما الذاتية:

أولاً: التشابه في الزواج، كنظام اجتماعي:

وتحدث الكاتبتان عن زواجهما، وزواج والديهما، والظروف التي واجهوها في الزواج، واهتما بالتحدث عن الزواج، وكأنه مكون أساسي من مكونات المجتمع، وأشارا إلى الصراعات المؤدية إلى فسخ عقد الزواج، كما أن عائشة عبد الرحمن ألقى مع استاذها و تزوجت. . عائشة عبد الرحمن كانت طالبة جامعة الأزهر و تحب استاذها امين خولى و تتزوج معها.

هكذا بانو قدسية تحدثت عن الزواج كنظام اجتماعي، ولكن تزوجت مع زميلها . و هكذا بانو قدسية طالبة كلية الحكومية و تحب زميلها إشفاق أحمد أحمد و تتزوج.

التشابه في الأفكار الدينية والنظرية:

الدين والنظرية من الثقافة الفكرية ونجد هذه الفكرة في كتابات الكاتبتين، حيث اختارا عنوانا منفصلا للدين في كتابيهما وأن الكاتبتين من عائلتين مسلمتين حيث كان أجدادهما وأبواهما مهتمين بالدين والإسلام، كما أن والد عائشة عبد الرحمن كان من شيوخ الأزهر، وألف كتباً حول الدين والشريعة العربية، معنى أن أباه كان متديناً، ودائماً كان يكتب حول الإسلام، و كاتبة عائشة عبد الرحمن تتبع على والدها و كتبت كتب الدينية.

هكذا الكاتبة بانو قدسية عندها ميول دينية و إسلامية حتى أفكار الصوفية ولكن ما كتبت أى كتاب خاص على الدين كما كتبت عائشة تفسير البياني.

الفصل الثاني

أوجه الاختلاف بين سيرتي أدبتين (عائشة عبدالرحمن 
و بانو قدسية).

أوجه الاختلاف بين أدبيتين:

الاختلاف والتباين من طبيعة الحياة في الكون، حيث نجد الاختلافات في المجتمعات والبيئات والعادات والطبائع. إذا لم تكن هناك فروق واختلافات في هذا العالم، فلا أحد يستمتع بالسير والسفر إلى أماكن مختلفة وبعيدة، وبالتالي نجد الاختلاف في اللغات والألوان كما أشار إليه سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^١

كما قلنا بأن الاختلاف أمر طبيعي، فنجد بين شخصيتين، حتى لو كانا من نفس الأب والأم و هما متشابهان في نواح كثيرة، ولكن لا بد من وجود اختلافات في بعض الأمور: كالطبيعة والأخلاق والعادات، هكذا حال الكاتبتين، حيث وجدنا تشابهات في أشياء كثيرة، لكن الاختلاف والتباين في كتاباتهما موجود أيضا في الأفكار والآراء والعادات والفن الأدبي.

سنلقي الضوء على هذا الاختلاف والتباين في بعض الأمور من خلال سيرتهما الذاتية في هذا الفصل.

الاختلاف في اغفال الأسماء والتاريخ:

وإذا نظرنا إلى الكاتبتين نجد أن الكاتبة عائشة عمدت إلى اغفال الأسماء أسرتها و أطفالها والتواريخ إلا في مواضع نادرة فنجد الدكتورة عائشة أغفلت الشخصيات هذه البيئة ولم يصرح حتى بوالدها أو والدتها وجدها وأستاذها ولم تذكر إلا بعض الأسماء. وكذلك أغفلت عن اولادها - وكذلك أغفلت الإشارة إلى التواريخ والأماكن ولم تذكر إلا تاريخ موت زوجها. والتاريخ رحيلها لطلب العلم وكان صباح يوم من أيام

^١. سورة الروم آية ٢٢

الخميس من خريف سنة... وهو اليوم الذي ارتحل فيه من بلدتها لطلب العلم بالأزهر.

وكذلك نلاحظ أن بانو قدسية ذكرت الأسماء والتواريخ و الأماكن بالتفصيل و ذكرت الشخصيات كثير حتى أصدقاء زوجها و أبناءها و صديقات الام ايضا - حتى نلاحظ ان تختص باب خاصا "لوگ لوگ." و ايضا باب آخر اسم "بابانور والے اور دیگر"

و لكن نلاحظ أن الدكتورة عائشة قد اغفلت ذكر الأسماء والتواريخ والأماكن إلا في إشارات بسيطة فكان يطلق على والدها ووالدتها وجدتها وكذلك لم يذكر اسم أحد من اخوتها وإخواتها. ولكننا نجدها قد ذكرت اسم "دادو حلیمه" و كذلك اسم الشيخ أمين الخولي و ذكرت بعض الأستاذات.

مسؤولية الأساتذة في التنشئة التعليمية في المجتمع:

درست الكاتبتان في الكليات، وتلقيا المعرفة من أساتذة متميزين، وتحدثا عن ظروفهما وأوصافهما في كتاباتهما، لكن الرأي والفكر لديهما تختلفان من حيث المسؤولية والرعاية، كما أن عائشة عبد الرحمن تحدثت عن مسؤولية الأساتذة وعن أسلوبهم الدراسي، وعن البيئة التعليمية في الكليات والجامعات، و تدرس ايضا في الجامعات و اصبح مدرسة كبيرة و لكن بانو قدسية لم تدرس في اى كلية والجامعة.

الاختلاف في الثقافة الموسيقية عند الكاتبتين:

الموسيقى جزء من الثقافة العالمية، حيث لكل أمة موسيقاها الخاصة، وإيقاعاتها المتخصصة، والتي تختلف من مجتمع إلى آخر بهذه الخصائص والألحان الموسيقية، نجد بانو قدسية تحب الموسيقى، وذكرت الموسيقى في سيرتها الذاتية، وتحدثت عن مشاهير الفنانين الذين كان لهم دور بارز في الموسيقى والألحان في بلادها، كما يعبر عنها قائلاً:

"اپنی وقت کئی کایک راستہ نکالا اور اپنے لیے موسیقی کا ایک استاد رکھ لیا۔ کیونکہ قدسیہ بانو کو ان دنوں گانے بجانے کا شوق تھا۔ ماسٹر صاحب باقاعدگی سے آنے لگے اور قدسیہ بانو کا سارا وقت ان کی شاگردی

کی نذر ہونے لگا۔^۱

"المضی وقتہا بانو قدسیۃ ووجدت مخرجًا، وعینت مدرسًا للموسیقی لنفسہا، لأن بانو قدسیۃ كانت مولعة بعزف الأغاني في تلك الأيام، و بدأ المعلم يأتي بانتظام وبدأت قدسیۃ بانو تکرس وقتہا کله لتعلم الموسیقی."

و شرکت بعض الموسیقی الذی نسب إلى استاذہا. و قالت:

" ایک دن استاد صاحب کہنے لگے بی بی ایک بات تم سے کہنی تھی۔ میں ادھر شاہی محلے میں بیویوں کو تعلیم دینے جاتا ہوں۔ وہ میری کبھی بھی اتنی عزت نہیں کرتی جیسی آپ نے کی، آپ کو شاید پتہ نہیں نور جہاں بیگم کو بھی اس کے استاد کی دعا ہے کہ ترقی کر رہی ہے۔ میں بھی آپ کو دعا دیتا ہوں اللہ آپ کا اقبال بلند کرے، عروج حاصل ہو۔"

بانو قدسیۃ منہ جھکا کر شکریہ کہنے لگیں تو استاد نے کیا۔ "میری ایک فرمائش ہیں۔" اور وہ یہ کہ مجھے یہ سارا علم میرے استاد کررپیا نے سکھایا ہے۔ جب آپ کسی مقام پر پہنچ جائیں تو مہربانی فرما کر ان کا کلام ضرور چھاپ دیں۔ اسے ضائع نہیں ہونا چاہیے۔ ساتھ ہی انہوں نے بانو قدسیہ کو استاد کررپیا کے کلام کے کچھ کاغذات پکڑا دیئے۔ پھر بانو قدسیۃ اسے بطور نمونہ اس کلام میں سے کچھ کلام شیر کرتی ہیں تقریباً ۲۰ صفات اسی کلام سے بھرے پڑے ہیں۔

"قال المعلم ذات يوم "انت تکرمنی أبداً." ربما انت لا تعلمین أن نور جہان تتلقى أيضًا دعاء معلمتها بأنها تتقدم؛ أنا أيضًا أدعو لك، بارك الله فيك ورفع مقامك."

وعندما انحت بانو قدسیہ برأسها وقالت شكرًا. قال المعلم، "لدي طلب"، أي أن كل هذه المعرفة علمني إياها أستاذي كار بيا، يرجى طباعة كلماتهم عندما تصل إلى مكان ما، لا ينبغي أن تضيع، وإلى جانب ذلك قام بتسليم بعض رسائل البروفيسور كرابية إلى السيدة قدسیۃ، ثم أعطى بنجود بعض الأمثلة من هذه الكلمة والوصف اللاحق مليء بنفس الكلمات."

أما عائشة عبد الرحمن فلم تذكر عن الموسیقی ولا الأغاني المصرية في سيرتها الذاتية.

قضیۃ الفقر والثروة:

تعتبر مشكلة الفقر من أهم المشاكل الاجتماعية وتوجد هذه المشكلة في مختلف دول العالم، وهذه مصيبة كبيرة تواجه أي مجتمع وأي بلد، كما أن بانو قدسية تحدثت في سيرتها الذاتية عن هذه مشكلة، حتى لو كانت تنتمي إلى عائلة جيدة، لكنه تحدثت عن الموضوع وكأنه منزعج منها، هذه هي الفكرة التي جعلت حياتها أفضل وطيب بها خواطر القارئین، كما تتحدث عن هذه القضية قالت:

"زندگی میں خصوصی مشکلات جو درپیش رہتی ہیں ان میں غریبی ہے وفائی سرالی جھگڑے ساس نندوں سے اڑ پھس، بے روزگاری اولاد کی آزمائش بیماری، موت جیسی تکلیفیں کس وقت کیسے آتی ہیں ان کا قیام کس قدر لمبا ہوتا ہے یہ انسانوں کی اپنی Genetics ان کے فیصلے اور ان کے ماحول سے نبرد آزما کار ہونے کی قوت پر منحصر ہے۔"^۱

تخلصت من الفقر والفاقة بمجرد انتقالها إلى هذا المنزل، لأنها تقول أنه كلما نشأ الإنسان في فقر، تنتهي طرقه الصغيرة بطريقة أو بأخرى في الطريق مغلق، وتشرح في هذا المقال تجارب ومحن الفقر والكفر والمشاجرات والبطالة والمرض، ومساوئها ومزايها.^۲

و قالت بانو قدسية:

"جو کچھ مجھے سمجھ آئی وہ یوں ہے۔ جب بھی کسی شخص کو غریبی سے پالا پڑتا ہے اس کے چھوٹے چھوٹے راستے کسی نہ کسی طور پر بند گلی میں جا پہنچتے ہیں بالکل معمولی ضرورتیں ادھوری خواہشیں، ناآسودہ احساس کمتری کی فضاء خود اعتمادی اور بے مائیگی کی فضا ہر لمحہ قائم رہتی ہے... یوں سمجھئے کہ غریبی میں انسان اپنی اس کمزوری کے ہاتھوں مجبور رنجور اور منہ اٹھائے آسمان کو تکتا رہتا ہے کہ کب حالات بدلیں۔ کب وہ ڈیپ فریئر میں جے گوشت کی صورت باہر نکلے۔۔۔ نہ بوباس نہ ذائقہ۔۔۔ بس گوشت ہی گوشت۔ وہ بھی مجبوری میں صبر کی طرح ٹھنڈا اور جما ہوا ہوتا ہے۔"^۳

^۱ . راہ رواں ص ۱۸۱

^۲ . فی هذا الرسالة ص ۱۹۱

^۳ . راہ رواں- ص ۱۸۱

الذي أفهمه أن أى إنسان نشأ فقيراً، فإن طريقه العنين ينتهي إلى حارة مفلتة، حيث شعوره بالنقص في كل شئ حتى ضرورات الحياة، و هكذا يفهم أنه في الفقر يتم الإنسان إلى السماء و أنى يستجاب له، مثلما تُخرج اللحم من الثلاجة، لا رائحة ولا طعم، فقط اللحم، كذلك يتجمد الإنسان كالصبر في وقت عجزه.

كما تحدثت عن قضية الاغنى و قالت:

"اس کے برعکس امیری کچھ کم امتحان نہیں۔ امیری عجب تیزاب کا مٹکا ہے۔ اس میں آسائش زینائش اسراف لاپردائی کام چوری بہت کچھ آدمی کو اپنے میں گھولنے لگتی ہے۔ وہ اس تیزاب کے ملے میں یوں حل ہونے لگتا ہے جیسے نمک کا ڈھیلا ہولے ہولے پانی میں حل ہوتا رہے۔"^۱

"و على العكس من ذلك فإن الأغنياء ليسوا أقل اختباراً، أقصى الغنى يتم امتصاص الإنسان في الراحة والجمال والإسراف والسرقة وغيرها، ويزوب في هذا الأشياء تملوء كما يذوب الملح في الماء."

وقد أشارت المؤلفة إلى هذه القضية في مواضع مختلفة من سيرتها الذاتية، وكثيراً ما تحدثت عنها، وشددت على أنه لا يجوز لأحد أن يُظلم الفقراء والمساكين. أما عائشة عبد الرحمن رغم انتمائه لعائلة فقيرة ومعتدلة، كما نشأت في بلد فقير، والناس أيضاً كانوا يواجهون هذه القضية، أو هي مشكلة الفقر، لكنها لم تهتم بهذه القضية كما ناقشها بانو قدسية.

البيعة والتزكية:

التصوف والبيعة والتزكية هي مصطلحات صوفية يتبعها الناس لتطهير أنفسهم وتخليص أنفسهم من الشر، والتحلية بالفضائل، وأيضاً بسبب هذا الأسلوب، ويبعد الإنسان عن الصراعات والمشاكل في المجتمع. مثل: الظلم والغيبة والغيرة والكراهية، كما أشارت بانو قدسية التي تحدثت عن مبايعتها لشيخها، وتأثيره عليه في تلك الأيام، قائلاً:

^۱ . . . راہ رواں ص ۱۸۱

"باباجی نورانی شکل خوبصورت ڈاڑھی اور اس اُمی بزرگ کے چہرے پر بڑی شائستگی، شانتی، اور نرمی نئی چھاؤں جیسی مسکراہٹ تھی" (۱)

"فی الوقت نفسه بايعة بانو المرشد ذي صورة الملائكية و حسن الجمال وفي هذه الأثناء، كانت بانو تصلي صلوات طويلة في خشوع وخضوع، ويعبد الله. أما عائشة عبد الرحمن رغم أن أباهما من شيخ الأزهر الشريف، ولكنها لم تلتفت إلى هذا الموضوع في سيرتها الذاتية.

العاطفة والحب:

الحب والعاطفة قضية عالمية وطبيعية، ولا يوجد أحد في المجتمع لا يعاني من هذه المصيبة، ونجد هذه المشكلة في كتابات كلا الكاتبتين، لكنهم مختلفون تماماً في النهج والسلوك والأيدولوجية تماماً. نتحدث بانو قدسية و قالت:

"اس کے بعد محبت کا مقام و مفہوم بتاتے ہوئے کہتی ہیں کہ محبت کا دماغ میں وہیں وقوف ہے جہاں عادت، نشہ اکساہٹ " اور لذت کا مقام ہے۔" سگریٹ، ہیروئن، چرس، بھنگ، افیون یہ سارے شوق ہل من مزید کا نعرہ لگاتے ہیں اور کچھ ایسی ہی کیفیت محبتوں کی بھی ہے، محبت کا متلاشی کبھی کبھی جان سے گزر جانے کو بھی کھیل سمجھتا ہے۔ مشکل تب پیش آتی ہے جب محبت میں اعتراف کی گانٹھ دُونوں رسیوں میں مضبوط ہو جاتی ہے۔" (۲)

"ثم تشرح و توضح مكان ومعنى الحب فتقول: أن الحب يستقر في الدماغ حيث يوجد مكان والإدمان والإثارة واللذة؛ السجائر، الهيروين، الحشيش، البانجو، الأفيون، كل هذه الرغبات تحتف 'هل من مزيد؟'، وحالة الحب مشابهة لها إلى حد كبير، الباحث عن الحب قد يعتبر أحياناً حتى التضحية بحياته مجرد لعبة؛ تأتي المشكلة الحقيقية عندما تصبح عقدة الاعتراف في الحب متشابكة بقوة بالحب من كلا طرفين.

أما عائشة ما تكلمت عن هذا الموضوع.

۱ . راہ رواں۔ ص ۴۵۰

۲ . نفس المصدر۔ ص ۴۵۰

والشیء الآخر عائشة عبدالرحمن بدأت كتاب "على الجسر بين الحياة والموت" مباشرة على حزن زوجها مستبعده الحياة بعده.

أما بانو قدسية بدأت كتاب "راه روا" من بيت إلى بيت. و ذكرت فبه عن نفسها وإشفاق أحمد أقل وذكر جد إشفاق أحمد وعائلته بالتفصيل. ثم ذكرت جد إشفاق صاحب بالتفصيل ماذا مهنته و كيف يعيش مع عائلته.

أما عائشة عبدالرحمن لم تذكر عائلة الشيخ أمين خولي. رغم أن أمين خولي هو شيخ جامعة الأزهر.

والفرق الآخر ذكرت بانو قدسية قصتها، وحبها لإشفاق أحمد، وكيف التقت بإشفاق أحمد، ثم كيف وما هي المشاكل التي حدثت في زواجها. بينما لم تذكره عائشة عبد الرحمن في كتابها.

الحرص والبخل:

حرص و بخل من القضايا الاجتماعية، كما هي موجودة في كثير من الناس في المجتمعات مختلفة، حيث يتسبب البخل والحرص في صراعات المجتمع، عادة قبيحة تجعل الشخص في عيون الناس صغيراً، حتى لو كان البخيل من الأصدقاء والأقارب والخاصة، كما نجد هذه القضية في سيرة بانو قدسية، عندما كانت تتحدث عن صديق زوجها، فيذكر معها عاداتها المشهورة، حيث تقول:

" شہاب صاحب سے ملاقات اشفاق احمد نے شادی کے بعد کروائی۔ اور اس ملاقات کے بارے میں وہ بتاتے ہوئے کہتی ہیں کہ شہاب صاحب اشفاق احمد کے واحد پہلے دوست تھے جنہوں نے ایک بے دھیانی نظر بھی نہیں ڈالی انہیں نہ میرے نفسیاتی تجزیوں کی ضرورت تھی نہ میری دل جوئی کی نہ میری مالی مدد کی۔ یوں جب پہلی بار میری شخصیت کی نفی ہوئی اور میری خدمات کو فروغی سمجھا گیا تو میری بہت شیم شیم ہوئی اور میری انانے یہ بدلہ لیا کہ چوری چوری شہاب کے خلاف دل میں دیوار چین تعمیر کروادی اور جگہ جگہ ایسے کمپاؤنڈر کا پہرہ بٹھا دیا جنکے ذمہ صرف ایک ہی کام تھا کہ شہاب کے متعلق دیوار چین میں کہیں شکاف نہ آنے پائے۔ بھلا ہوا اس سسٹم کا کہ تاحال دیوار چین قائم ہے۔" (۱)

"التقى إشفاق أحمد بشہاب بعد الزواج، و هي تقول عن هذا اللقاء، أن شہاب

كان صديق إشفاق الوحيد الذي ينظر إليها نظرة عامة، فلم يكن بحاجة إلى تحليل نفس، أو إعطاء أهمية خاصة، و هكذا حينما لا تلتفت الىّ و تعتبر جهودى شيئاً فرعياً، شعرت بالاحراج الشديد، و أصبح هناك مثل حائط يحول بينى و بينه. أما عائشة ما تتحدث عن هذه القضية".

الاختلاف في الحلم والرؤيا عند الكاتبتين.

نجد ذكر الحلم والرؤيا في سيرة عائشة، وزين كتابها وأقاصيصها بالأحلام والرؤيا، كما أنّها حينما يواجه أي مشكلة أو قلق في حياتها، فيرى الرؤيا التي ترشده إلى تحليل تلك المشكلة، أو ييشر له في النوم عندما يقع في الصعوبة.

أما بانو قدسية، فلم تتحدث في سيرتها عن الحلم والرؤيا، ولا عن نفسها، ولا عن والدها أو والدتها ولا عن أحد أصدقائها، بل قدم حكايات وقصص يقظته.

الاختلاف في الأفكار الثقافية والسياسية بين الكاتبتين:

تتوزع الأفكار السياسية والثقافية والدينية في السيرة الذاتية للكاتبتين، لكن هذه الأفكار مختلفة. بسبب اختلاف البيئة والمجتمع. وكل أمة لها ثقافتها وسياساتها الخاصة، وبالتالي فإن هذه العناصر تؤثر على الأفكار والأيديولوجيات، حيث نذكر بعضاً منها.

أولاً: الثقافة السينمائية عند الكاتبتين:

السينما ثقافة عالمية تشمل الفنون الأخرى، مثل: القصة، والشعر والمسرحية، والفكاهة، وهكذا مع بقية الفنون، حيث تدور أحداثها في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والتاريخية، كما تقدم مثالا للمجتمع، وأحيانا تعرض العيوب والنقائص الموجودة في الناس، ثم تعرض للمشاهدين في قاعة السينما كي يجتنبوا تلك القبائح والعادات السيئة، وأحيانا تعرض الأحوال السياسية والاقتصادية، والتاريخية، ولكن بمرور الزمن اختلفت الأساليب والهيئات والمقاصد التي أسست السينما لأجلها.

فنجد ذكر السينما في السيرة الذاتية بانو قدسية في عدة مواضع، كما تحدث عنها في فترة الطفولة حين كان تذهب إلى السينما، وتعمل في بعض الأفلام مع أشفاق أحمد. أما بنت الشاطئ فلم تتطرق إلى هذا الجانب، ولا ندري لأي سبب من الأسباب لم تذكر السينما، لأن الكاتبة لم تذهب إليها أو لم تشترك فيها.

الاختلاف في الألعاب الثقافية عند الكاتبتين :

تعتبر الألعاب من أهم العناصر الثقافية مثل الفنون الأخرى، وينعكس المجتمع والبيئة في ألعاب كل الناس، وفي بعض الأحيان تعتبر بعضا من الحفاظ على التاريخ، والعادات والتقاليد القديمة التي كانت موجودة عند كل أمة. ونجد ذكر الألعاب في سيرة عائشة، حيث ذكرها بالتفصيل، وتحدث عن الألعاب التي كانت تلعب في طفولتها موجودة وتم لعبها في تلك الفترة، أما بانو قدسية فلم تذكر الألعاب الثقافية الهندية ولكن تذكر الألعاب التي كانت تلعب كانت تمارس في تلك الفترة.

خاتمة البحث

خاتمة البحث

وفيها:

نتائج البحث

و

التوصيات والمقترحات

خاتمة البحث

الحمد لله على كرمه ونعمته والصلوة والسلام على نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أما بعد:

لقد أكملت بفضل الله هذا البحث بعد جهد كبير، ومعلوم أن لكل بداية نهاية، كل عمل له هدف، وعليه أعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

❖ السيرة الذاتية فن أدبي يعكس المجتمع والبيئة والثقافة والسياسة والمواقف العامة والخاصة، واستعرضنا في هذه الرسالة أوضاع وأحداث البلدين الشقيقين باكستان و مصر، وهكذا على الأديتين عائشة عبد الرحمن و بانو قدسية. وكذلك دولة مصر دولة عربية ذات حضارة عريقة ولغتها العربية وهي لغة قديمة مر عبر العصور والأزمنة، ولهذا تتميز هذه الحضارة عن غيرها من المجتمعات والدول، وكذلك الحفاظ على اللغة المتدفقة بين مصر والدول العربية، وظهر أدباء وعلماء و عظماء أضاءوا العالم بنورهم وأرشدوا الناس بحكمتهم وفضيلتهم وأخلاقهم.

❖ ومن هؤلاء الأبطال البارزين "شيخ أحمد الدهوجي" الذي يعد من كبار شيوخ الأزهر الشريف، ومؤلفاً له العديدة من المؤلفات في الفكر الإسلامي والشرعية الإسلامية، وبعده ظهرت ابنته عائشة عبد الرحمن الأدبية الجليلة، وعالمة التفسير، التي اهتمت بالأدب العربي. كما ألقت الكتب العديدة في مجالات مختلفة.

❖ وبقدر ما يتعلق الأمر باللغة الأردنية، فهي لغة وليدة، ولا نخطئ إذا قلت لغة حديثة، لأن هذه اللغة مشتقة من لغات مختلفة، وعلى رأسها اللغة العربية، كما أن اللغة الأردنية تشبه اللغة العربية من حيث النحو والنقوش و في كثير من النواحي، ولكنها تختلف عن العربية في بعض النواحي، ومع ذلك كانت كاتبنا بانو قدسية مشتهرة في ميدان الأدب عامة والأدب الأردني خاصة.

ولها ايضاً عدة كتب في اللغة الأردنية، حتى أصبحت تعتبر أحد الكتاب المشهورين والمتميزين في اللغة الأردنية.

❖ اشتهرت عائشة بأنها مفكرة قرآنية. وقد حصلت على العديد من الأوسمة في هذا المجال داخل وخارج البلاد. شاركت في العديد من الندوات والمؤتمرات في مصر ودول أخرى. تم تعيينها في عدة مناصب ولكن معظم حياتها قضيت في الدراسة والتدريس، وظلت مدرسة للقرآن الكريم في عدة جامعات حتى النهاية، وأعربت عن حبها لهذه المهنة في كتاباتها.

❖ أما بانو قدسية فما حصلت على درجة الدكتوراه، ولم تُعين مدرسة في الكليات والمدارس والجامعات بل استمرت في حضور الندوات الأدبية.

❖ كما ناقشنا في هذه الدراسة أيضاً القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية، وعندما يرى المرء هاتين الأدبيتين، يشعر بالارتباك تجاه هاتين الشخصيتين و بذل جهودهما في الأدب العربي و الأردني .

❖ كما نرى حياة عائشة عبد الرحمن حيث تخرجت من الكلية الإسلامية و حصلت على شهادة الماجستير والدكتوراه، ثم نمت مدرساً في جامعات مختلفة، ونجد في كتاباتها العديد من الرؤى حول مشكلات علم الاجتماع التربوي والإداري والمعرفي، وتعاملها مع طلاب وأعضاء الجامعة. ولم تهمل الأدب العربي وبذلت جهوداً كبيرة في الأدب العربي.

❖ هكذا عاشت الكاتبة بانو قدسية حياة الترف في حب و عشق كما تناقشها في كتابها، حينما تشعر القارئ مع الارتباك، وهو يتساءل عن مدى سهولة تأليف مثل هذه الكتب الضخمة عن الأدب الأردني بأسلوب الحياة هذا، وكيف أصبحت أدبية مشهورة في الأدب الأردني.

❖ ومن حيث العائلة والنسب، فهما ينتميان إلى عائلتين مستعدين للتضحية في سبيل الإسلام والمسلمين، حيث كان آباؤهم وأجدادهم يساعدون في أعمال الخير الإسلامية.

- ❖ كلتا الأدبيتين لديهما خلفية مشتركة، لذلك نرى بعض الاختلافات في الشخصية وبعض القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية .
- ❖ ونجد الاختلاف في الأدبيتين عند مستوى التعليمية حيث درست عائشة عبد الرحمن في الجامعات، وحصلت شهادة الدكتوراه.
- ❖ مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن نحصل على رؤى وتحليلات حول المجتمع الأكاديمي والإداري، حيث استوعبت جميع القضايا الراهنة في المجتمع الأكاديمي والتدريسي في سيرتها الذاتية مثل: الأسلوب الأكاديمي للجامعات وطرق تدريس الأساتذة حتى عن المشكلات في الامتحانات.
- ❖ اهتمت عائشة عبد الرحمن في سيرتها ذاتية القضايا المجتمع التعليمي، حيث شاركت في العديد من الندوات و المؤتمرات في داخل الدولة وخارجها. وكانت تعتبر أحد المفكرين الإسلاميين البارزين.
- ❖ أما بانو قدسية، ورغم رغبتها الشديدة في الدراسة، إلا أنه لم تكمل تعليمها، فبعض المشاكل لم تسمح لها بذلك، أهمها وفاة والدها.
- ❖ إن بانو قدسية كانت أديبة متميزة، وهذه الرغبة كانت لديها منذ صغرها عندما كانت في الفصل الخامس. وكانت تشارك في برامج والمؤتمرات الادبية حتى أطلق عليها أحد الأدباء المشهورين في اللغة الأردية هذا اللقب، لذلك نجد في كتاباتها عديدة.
- ❖ وهكذا اهتمت الكاتبة بانو قدسية بعض القضايا الاجتماعية، وعرضت المشكلات، والصعوبات التي تواجه أفراد المجتمع، وظهرت الكاتبة نفسها وكانت تواجه هذه المشاكل مثل: مشكلة الفقر وأحوال الفقراء والسكن في المجتمع.
- ❖ يشترك البلدان باكستان و مصر، في العديد من المشاكل الاجتماعية التي يواجهها شعب باكستان و مصر مثل: الفقر والفساد وعدم المساواة.
- ❖ ويتأثر كلا البلدين بسيطرة الحكومة الأمريكية، كما يؤثر التدخل الأمريكي الكبير في سياسات البلدين: باكستان و مصر.

❖ كلتا الكاتبتين كانتا معاصرتين، لذلك وجدنا أوجه تشابه في كثير من القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية.

❖ استخدمت الكاتبتان التشبيهات والاستعارات والأمثال في سيرتهما.

❖ تعد الأدبية عائشة عبد الرحمن من كبار المفكرين والاسلاميين في دولتها وخارجها، ولها مؤلفات كثيرة.

❖ تعد الكاتبة بانو قدسية من الادباء المشهورين في الأدب الأردني، حيث ألقت كتباً في الموضوعات العديدة.

❖ تمتعت الكاتبتان بإصلاح والإنسانية والجمال، كما نجد أوصافاً ومدحاً لأهل الجمال والحسن في كتاباتهما، ويعطون العزة والشرف لأهلها.

هذه هي أهم النتائج التي وصلت إليها ومن خلال هذا البحث إن أحسنت فيه فهو نعمة من الله، وإن قصرت فيه أو أخطأت فمني، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التوصيات و الاقتراحات

تعتبر تأليف السيرة الذاتية من أهم الفنون الأدبية في الأدب العربي، لأنها تشمل مجالات عديدة، وعلينا أن نوسع هذا النطاق ونركز على المواضيع المتعلقة بالسيرة.

وأخيراً، أقدم بعض الاقتراحات لتطوير الأدب العربي:

١. يرجى من الباحثين والعلماء إجراء البحوث في مجال الدراسة المقارنة للكتب

الأردية و العربية لما فيها من فوائد لأهل اللغتين.

٢. اقترحت التوجه لتسجيل رسالة علمية حول الجهود البلاغية لبنت الشاطئ

من خلال تفسيرها البياني.

٣. المجال مفتوح لطلاب قسم الدراسات العربية أن يقوموا بدراسة وصفية لكتب

بانو قدسية.

٤. على طالب الأدب واللغة أن يوسع آفاقه وأن يحاول تجاوز الآفاق الضيقة

ليتناول موضوعات من شأنها أن تعود بالنفع على العام والخاص.

٥. يعتبر الفكر الاجتماعي من أهم المفاهيم التي ينبغي تناولها في جامعات

باكستان والدول الإسلامية.

٦. وعلينا أن نوسع نطاق الأدب والمقارنة بين البلدين لتتلمع من الأجانب

التجارب والأشياء التي تجعلهم يزدهرون ويتجنبون الأشياء التي تسبب لهم

الفشل والخسارة.

٧. التركيز على المقارنة والترجمة للتعرف على الثقافات الأخرى في الأدب واللغة

وتوسيع مجال المقارنة مع الآداب المختلفة من جميع أنحاء العالم في اتجاه محدد

من وجهات نظر مختلفة، حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى الهدف

المنشود.

٨. الدكتورة عائشة عبد الرحمن كاتبة دينية، ولها كتب ومقالات عن الأفكار الدينية، لذلك يجب الاستفادة من هذه الأفكار ضمن المقارنة في الأدب الأردني أو غيره من الآداب.

٩. قدسية بانو كاتبة مشهورة باللغة الأردنية، لكي يتعرف كُتّاب على العالم العربي، لذا لا بد من المقارنة في كتبها الأخرى، من أجل الاستفادة والتعرف على أفكارها.

وأخيراً أتمنى من الله تعالى أن أكون قد وُفقت في معظم جوانب هذا الموضوع، والكمال لله وحده. و أرجو من الله تعالى أن يجزي كل من ساهم و مدّ يد العون وساعد في إنجاز هذا البحث خير الجزاء. و خاصة الدكتور رفعت علي محمد و الدكتور نور زمان المشرفين على هذه الرسالة أطال الله عمرهما، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة رافعة بي بي

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية الكريمة	الصفحة
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	ي
﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾	٧
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٠
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾	٢٧٩- ٣٢٢
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفُ السِّتَاتِ وَالْوَانِكُمْ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾	٣٣٨

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث النبوي الشريف
ي	من لا يشكر الناس لا يشكر الله.. الحديث

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع للغة العربية

بعد القرآن الكريم	
أ	
١	أدب السيرة الذاتية لدكتور عبد العزيز شرف، طبعة مكتبة لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٢م. والطبعة الثانية الشركة المصرية العالمية للنشر، اونجمان، مصر، ١٩٩٨.
٢	الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس)، مناهج جامعة المدينة العالمية.
٣	الأدب وفنونه (دراسة ونقد) لدكتور عز الدين إسماعيل الطبعة الأولى دارالفكر العربي القاهرة، ١٩٨٣م - والطبعة التاسعة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م - دار الفكر العربي - القاهرة.
٤	الأدب وفنونه - محمد مندور - ط. ٢٠٠٠ م - نهضة مصر
٥	الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط/١٩٤٥م. الطبعة الثامنة ١٤١١هـ، ١٩٩١م - مكتبة النهضة المصرية.
٦	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، النحوي، عدنان علي رضا، ط / ١، دار النحوي للنشر والتوزيع.
٧	أصداء السيرة الذاتية نجيب محفوظ - دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى - ١٩٩٥م.
٨	الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، د. فيصل سامر، بغداد - ط / ١، ١٩٨٦م.
٩	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لبننت الشاطي دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٤م.
١٠	أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية الشعر، المسرح، القصة، النقد الأدبي)، د/ محمد زكي العشماوي - ٢٠٠٠ م - دار المعرفة الجامعية.
١١	أعلام الأدب الإنجليزي، كامل عبد الحميد، وفؤاد فهمي، ط / ١، الدار القومية للطباعة والنشر.
١٢	الأغاني الأبي الفرج الأصفهاني - تحقيق لجنة من الأدباء - بإشراف عبد الستار أحمد الفراج. طبعة دار الثقافة بيروت. الطبعة الثامنة. ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

١٣	أنا، عباس محمود العقاد، ص / ١٦٨، ط / ١، دارالمعارف القاهرة.
١٤	إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة - د/ محمد الباردي - ٢٠٠٠م - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق.
١٥	الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان البديع) الخطيب القزويني-وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين-الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م-دار الكتب العلمية-بيروت
ب	
١٦	البداية في النص الروائي - صدوق نور الدين-الطبعة الأولى، ١٩٩٤-دار الحوار اللاذقية سوريا-
١٧	البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي، ج/٢، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط / ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٨	بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د. سيزا قاسم، سلسلة مهرجان القراءة للجميع، هيئة الكتاب القاهرة، ط / ٢٠٠٤م.
١٩	بنت الشاطئ: السياق المعرفي: دراسة بيليو جرافية ببليومترية لمقتنيات مكتبتها ومؤلفاتها، مجلة سياقات اللغة والدراسات اللبينية، لمحمد أحمد عثمان. المجلد ٣، العدد ١، أبريل ٢٠١٨م
٢٠	بنت الشاطئ : رحلة في أمواج الحياة، وفاء الغزالي طه ، دار أخبار اليوم - عدد مايو ١٩٩٩م -
٢١	بنية الشكل الروائي-حسن بحراوى -الطبعة الأولى ١٩٩٠م-المركز الثقافي العربي-بيروت.
٢٢	البيئات المختلفة وأثرها في الأدب العربي، د. تمساح نخيلة، دارالطباعة المحمدية، القاهرة، ط / ١، ١٩٨٧م.
٢٣	البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، محمد عبد القادر الفقهي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
ت	
٢٤	تاج العروس، الزبيدي الحسيني الغرباوي، ط / ١٩٦٧م.

٢٥	تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشوفسكي أغناطيوس يوليانونوفيتش، ترجمة من الروسية، صلاح الدين عثمان يوسف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط / ٢، ١٩٨٧م.
٢٦	تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني، د. حسن إبراهيم، ج / ٤، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ط / ١، ١٩٦٧م
٢٧	التحرير الأدبي، د. حسين علي محمد حسين، مكتبة العبيكان، ط / ٢٠٠٤م.
٢٨	التربية ومشكلات المجتمع، د. سيد إبراهيم الجبار، مكتبة غريب - القاهرة، ط / ٢، ١٩٧٧م.
٢٩	الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٤م.
٣٠	الترجمة الشخصية - د. شوقي ضيف - طبعة دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٨٧م
٣١	تطور الأدب الحديث في مصر. و أحمد هيكل طبعة دار المعارف بمصر.
٣٢	تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ١٩٤٧م - ١٩٨٥م، د. شريط أحمد شريط، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ط / ١٩٩٨م.
٣٣	تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٣٨) - د / عبد المحسن طه بدر - الطبعة الخامسة - دار المعارف -
٣٤	التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دارالفضيلة، القاهرة - مصر.
٣٥	التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، دت، ١٢/١
٣٦	تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي، بمنى العيد، دارالقارئ - بيروت ط / ٢ - ١٩٩٩م.
٣٧	تقنيات السرد في " رواية البيت الأندلسي " لواسيني الأعرج عيسي بلخباط - جامعة محمد خيضر - بسكرة ١٤٣٥ / ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ / ٢٠١٥ م

٣٨	تقنيات السرد . في ضوء المنهج البنوي-د/مبنى العيد-الطبعة الثالثة ٢٠١٠-دار الفارابي - بيروت-لبنان-
٣٩	تهذيب اللغة، حمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ج / ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط / ١، ٢٠٠١م.
٤٠	التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط / ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
ث	
٤١	ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة، جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
ج	
٤٢	جريدة الأهرام، ١١ ديسمبر، ملف رقم، ١/٨٥٢
٤٣	جريدة الأهرام. الجريدة القومية المصرية اليومية أعداد ٨ فبراير ٢٠٠٤ م. ٢٥ فبراير ٢٠٠٤ م.
٤٤	الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، محمد محمود محمد، مكتبة الخريجي، الرياض، ط/٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤٥	جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط / ١، ١٩٨٧م.
٤٦	الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي - ليلا قاسمي حاجي آبادي ، مهدي ممتحن - فصلية دراسات الأدب المعاصر - السنة الثالثة - العدد التاسع ١٩٣

٤٧	جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ج/١، المكتبة العصرية، بيروت.
ح	
٤٨	حاضر العالم الإسلامي، لوثرروب ستودارد، ترجمة: عجاج نويهض، تقديم: أشكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٤٩	الحكاية والتأويل (حكايات في السرد العربي)، عبد الفتاح كيليطو، ص / ٣٤، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط / ١، ١٩٨٨م.
٥٠	حوار أجرته ليلي نوري الأهرام ٢٧-١١-٨٨/ملف في جريدة الأهرام رقم الملف ١/٨٥٢
٥١	الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، فاتج عند السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط / ١٩٩٩م.
٥٢	حياة قلم - عباس محمود العقاد - طبعة انخفضة مصر ١٩٩٧م.
٥٣	الحياة في القرن الثامن الهجري كما تصوّرها رحلة ابن بطوطة، أحمد أمين مصطفى، مطبعة السعادة ميدان أحمد ماهر.
خ	
٥٤	الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني - حققه محمد علي النجار - الجزء الأول. الطبعة الثانية - دار الهدى - بيروت - لبنان.
٥٥	خليل أحمد خليل، موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين، دار الفارس، عمان، ط ٢٠٠١م.
د	
٥٦	ديوان الإمام الشافعي، الإمام الشافعي محمد بن إدريس، ص/٥٥، جمعه وحققه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/٣، ١٩٩٩م.
ر	

٥٧	رواد أعلام الدقهلية، علي أمياي، ص / ١٣٧-١٤٣، مكتبة الإيمان، ط ١٩٩١ م.
٥٨	رواية السيرة الذاتية الجديدة: قراءة في روايات البنات في مصر في التسعينات - خيرى دومة - دار الكتاب الحديث ٢٠٠٣ م.
٥٩	روبرت كاميل، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط ١٩٩٦، ١ م.
ز	
٦٠	زكي مبارك ناقدًا - د. زكي مبارك - طبعة دار الجليل - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٨
٦١	زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي، الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي، ج/١، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب.
س	
٦٢	السرد العربي (مفاهيم وتحليلات)، لدكتور سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط - المغرب، ط ١، ٢٠١٢ م.
٦٣	السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا) - أ.د. عبد الرحيم الكردي - تقديم أ.د. طه وادي - الطبعة الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م - مكتبة الآداب - القاهرة.
٦٤	سمات النص السير ذاتي في أثقل من رضوى نهلة راحيل - مجلة الجديد - العدد ٨ - نشر في ١-٩-٢٠١٥ م.
٦٥	السيرة تاريخ وفن - ماهر حسن فهمي - الطبعة الأولى ١٩٧٠ - مكتبة النهضة المصرية .
٦٦	سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات) دراسة - خليل شكري هياس - ط. ٢٠٠١ م - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق.
٦٧	السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية لدكتور شعبان عبد الحكيم محمد. الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، دار العلم والإيمان.

٦٨	السيرة الذاتية في الأدب العرب لتهاني عبد الفتاح شاكر، طبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.
٦٩	السيرة الذاتية في الأدب العربي-د. تهاى عبد الفتاح شاكر الرواية والمكان-ياسين النصير-دار الشئون الثقافية العام-بغداد-
٧٠	السيرة الذاتية في الأدب العربي تهاى عبد الفتاح شاكر - طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى - ٢٠٠٢ م.
٧١	السيرة الذاتية في التراث د. شوقي محمد المعاملى طبعة مكتبة النهضة المصرية - ١٩٨٩م
٧٢	السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي لفيليب لوجون ، ترجمة عمرحلي, دار النهضة العربية ، بيروت ، طبعة - أولى ، ١٩٩٤.
٧٣	سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي - عامر رضا - مجلة الواحات للبحوث والدراسات المجلد ٧ - العدد ٢ - ٢٠١٤ - جامعة ميله.
ش	
٧٤	شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفاريق محمد الهادي المطوي مجلة عالم الفكر - المجلد ٢٨ - العدد ١ - ١٩٩٩.
ص	
٧٥	الصحيح للبخاري، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط/ ١، ١٤٢٢هـ.
٧٦	الصحيح للمسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٧	صفحات من حياتي، (٥٦-٥٧) جليلة رضا - ط دار الهلال عدد يوليو ١٩٨٧م

٧٨	الصناعتين في الكتابة والشعر. أبي الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري-تحقيق على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم-الطبعة الأولى، ١٣١٧ هـ-١٩٥٢م-دار إحياء الكتب العربية.
ع	
٧٩	عائشة عبد الرحمن ومنهجها في التفسير، لريم صالح عياد ، قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية الآداب-فرع سند الحسيني، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٢م
٨٠	عتبات جزار جنيت من النص إلى المناص - عبد الحق بلعابد - تقديم د. سعيد يقطين - الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ ٢٠٠٨ م - الدار العربية للعلوم ناشرون.
٨١	عتبات النص في الرواية العربية (دراسة سيميولوجية سردية) د/ عزوز على إسماعيل ط. ٢٠١٣ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٢	علم الاجتماعي التطبيقي، د.صلاح العبد، دارلثقافة-القاهرة ١٩٨٢م.
٨٣	علم الأسلوب مبادئة وإجراءاته، فضل صلاح، ط/١، دارالشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.
٨٤	على الجسر بين الحياة والموت لبنت الشاطئ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٩٩م.
٨٥	العنوان وسيمي وطبقا الاتصال الأدبي - د/ محمد فكري الجزار - ط. ١٩٩٨ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٦	العنوان في النص الإبداعي - أهميته وأنواعه - أ / عبد القادر رحيم - مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
٨٧	العين، خليل ابن أحمد الفراهيدي، ج/١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط/ ١٩٨٨م.
ف	

٨٨	فصول مجلة النقد الأدبي " مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة لكتاب . عدد شتاء و ربيع عدد ٦٣ ٢٠٠٤ م.
٨٩	الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا-أ.د إبراهيم جنداري-الطبعة الأولى ٢٠١٣-تموز، دمشق-
٩٠	فكر وفن وذكريات، لوسي يعقوب، المؤسسة العربية الحديثة، ط/١، بدون التاريخ.
٩١	الفن الروائي عند أحلام مستغانمي - شهرزاد حرز الله - ط. ٢٠٠٣ م - دار الغرب
٩٢	الفنون الأدبية وأعلامها - أنيس المقدسي . طبعة دار الكتاب العربي ١٩٦٣ م.
٩٣	فن السير الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي . و عبد اللطيف محمد السيد الحديدي طبعة دار السعادة للطباعة - الطبعة الأولى ١٩٩٧ م
٩٤	فن السيرة - د/ إحسان عباس - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م - دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان ، الأردن.
٩٥	فنون الأدب المعاصر- (بين النزعة الواقعية والتجربة التأملية) أ.د / صابر عبدالدايم- الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٠ م- دار الكتاب الحديث القاهرة..
٩٦	فن السيرة - إحسان عباس - طلعة دار الثقافة بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م
٩٧	فن كتابة المسرحية - د/ رشاد رشدي - ط . ١٩٩٨ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩٨	في صالون العقاد - كانت لنا أيام، أنيس منصور، دارالشروق، ط/٣، ١٩٨٣ م.
٩٩	في الأدب والنقد - أ.د غراء مهنا - الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م دار العين
١٠٠	في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد - د/ عبد الملك مرتاض - ط. ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - عالم المعرفة - الكويت.
ق	

١٠١	قاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكوت، ص/ ١٣٧ - ١٣٨، الهيئة العامة المصرية للكتب - القاهرة، ٢٠١٥.
١٠٢	القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة لبنان. ط/٨.
١٠٣	قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، عربي-إنجليزي-فرنسي، إميل يعقوب، سيام حركة، مي شيخاني، دارالعلم للملأين بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
١٠٤	القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة) - تودوروف كنت وآخرون - ترجمة وتقديم : د/ خيرى دومة - مراجعة : أ.د سيد البحراوي - الطبعة العربية الأولى ١٩٩٧ - دار شرقيات للنشر والتوزيع
١٠٥	قراءة في " شرفة الهذيان " لإبراهيم نصر الله - زهير محمود عبيدات، وعدنان محمود عبيدات - مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب - المجلد ٧ - العدد ١ - ٥١٤٣١ / ٢٠١٠ م
ك	
١٠٦	الكتابات الذاتية (المفهوم ، التاريخ ، الوظائف ، الأشكال) - توماس كليرك - ترجمة محمود عبد الغني - الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٥ م - دار أزمنة - عمان - الأردن
١٠٧	كتاب مسيرة المرأة المصرية علامات ومواقف هدى الصدة عماد أبو غازي - مراجعة وتقديم جابر عصفور - الجزء الأول - الطبعة الثانية ٢٠٠٣ . المجلس القومي للمرأة.
ل	
١٠٨	لسان العرب، ابن منظور، تحقيق نخبة من الأساتذة، دار صادر بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
١٠٩	اللغة واللون - أحمد مختار عمر - الطبعة الأولى م ١٩٨٢ ، والطبعة الثانية ١٩٩٧م - عالم الكتب

١١٠	اللون ودلالته في مجموعة عبر الحائط في المرأة لحسب الشيخ جعفر - م.م وسام محمد منشد الهلالي - مجلة القادسية للعلوم الإنسانية - المجلد الثاني عشر - العدد ١ - ٢٠٠٩ م -
م	
١١١	مبادئ النقد الأدبي والفني (دراسة في المنظر والمنظور) . د/ محمد شبل الكومي، تقديم د / محمد عناني . الطبعة الأولى ٢٠٠٧م-الهيئة العامة للكتاب.
١١٢	المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر-لابن الأثير-تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-الجزء الثاني-ط١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م-مطبعة مصطفى البابي الحلبي-
١١٣	مجلة الأدب الإسلامي منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العددان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م.
١١٤	مجلة العربي - شهرية ثقافية كويتية - عدد أغسطس ١٩٩٨ م . وعدد ديسمبر ٢٠٠٦ م.
١١٥	محمل اللغة، ابن الفارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، تحقيق/ زهير سلطان، ج/ ٣، مؤسسة الرسقة، بيروت-لبنان، ط/٣، ١٩٨٦م.
١١٦	المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، التحقيق: عبد الحميد هندواوي، عدد الأجزاء / ١١، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١٧	مذكرات الهواة والمحترفين، فن كتابة التجربة الذاتية - د/ محمد الجوادى - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م - دار الشروق.
١١٨	مذكرات المرأة المصرية، محمد الجوادى ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، دار الشرق.
١١٩	المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بربري، المشروع القومي للترجمة، لس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط/ ١- ٢٠٠٣.

١٢٠	المعجم الأدبي للدكتور جبور عبد النور، دار العام للملايين ،بيروت_لبنان ،طبعة ثانية ١٩٨٤ .
١٢١	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - سعيد علوش - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م - دار الكتاب اللبناني - بيروت دار سوشيريش الدار البيضاء المغرب.
١٢٢	معجم مصطلحات نقد الرواية - د/ لطيف زيتوني - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ - مكتبة لبنان ناشرون ، درا النهار للنشر.
١٢٣	المعجم المفصل في الأدب-د/ محمد التونجي-الجزء الأول-الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ، ١٩٩٩م-دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
١٢٤	المعجم الوسيط إبراهيم أنيس وآخرون :نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.
١٢٥	المغامرة الجمالية للنص الأدبي (دراسة موسوعية) - د / محمد صابر عبيد - الطبعة الأولى ٢٠١٢ م الشركة المصرية العالمية للنشر لوتجمان - مصر
١٢٦	مقال بنت الشاطئ-ببليوغرافيا متخصصة، لسمية رشاد مجلة الفهرست، القاهرة، العدد ١٧، يناير ٢٠٠٧.
١٢٧	ملف في أرشيف جريدة الأهرام، ٣ ديسمبر ١٩٩٨، رقمه ٨٥٢\١.
١٢٨	المنجد في اللغة والأعلام-لويس معلوف-الطبعة التاسعة عشرة-المطبعة الكاثو ليكية-بيروت
١٢٩	موسوعة نساء ورجال من مصر لمعي المطيعي، دار الشروق، القاهرة، ط٢٠٠٣، ١م.
١٣٠	الموسوعة الفلسفية - روزنتال، يودين - ترجمة سمير كرم ، وآخرون - دار الطليعة للطباعة والنشر.
١٣١	المعجم العربي، عبد النور جبور، ط/٢، دارالملايين - بيروت، ١٩٨٤م.
١٣٢	معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج/١، ط/١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٣	المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة ، ط / ١٤٠٤ هـ.
١٣٤	معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط / ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٥	معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، ط / ١٩٧٤ م.
١٣٦	مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، التحقيق: عبد السلام محمد هارون، عدد الأجزاء / ٦، دار الفكر - بيروت، ط / ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
ن	
١٣٧	النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك - د/إبراهيم محمود خليل - الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٣ م - دار المسيرة -
١٣٨	نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر - ضبطه وشرحه محمد عيسى منون - الطبعة الأولى، ١٣٥٢ هـ، ١٩٣٤ م - المطبعة الملية . القاهرة.
١٣٩	النقد التطبيقي التحليلي، (مقدمة لدراسة الأدب وعناصره في ضوء المنهج النقدي الحديثة)، دكتور عدنان خالد عبد الله، ص / ٨٥، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط / ١ - ١٩٨٦ م.
هـ	
١٤٠	هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل - شعيب حليفي - الطبعة الأولى ٢٠١٥ م - رؤية

البحوث والرسائل العلمية

ت	
١	الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث - يحيى إبراهيم عبد الدايم جامعة عين الشمس كلية الأدب ١٩٧١ م.
٢	الترجمة الذاتية في النثر المصرى الحديث - شوقي محمد طلبة المعامل - جامعة القاهرة عليّة دار العلوم - ١٩٨٢ م
٣	الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث حتى القرن الثامن عشر يحيى إبراهيم عبد الدايم . - جامعة عين الشمس كلية الآداب . ١٩٦٥ م.
ف	
٤	فن السير والتراجم عند ابن الجوزى (سيرة عمر بن عبدالعزيز نموذجًا) رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير الفلسفة في اللغة العربية وأدابها كلية اللغات قسم اللغة العربية الباحثة فوزية رشيد، إشراف الدكتور حافظ محمد بادشاه الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية الجامعة الوطنية اللغات الحديثة ، إسلام آباد والمشرف المساعد الدكتور محمد إسماعيل الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية الجامعية الوطنية اللغات الحديثة ، إسلام آباد الحديثة إسلام آباد العام الدراسي ، ٢٠١٥-٢٠١٨ م.
٥	فن السيرة الذاتية عند نجيب الكيلاني (دراسة تحليلية نقدية) أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية اللغات. إعداد محمد سيف الرحمن الإشراف الدكتورة فضيلة داؤد أستاذة بقسم اللغة العربية الجامعة الوطنية اللغات الحديثة ، إسلام آباد. العام الدراسي ٢٠١٧ م
٦	فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين رشيد مهران عيسى - جامعة الإسكندرية كلية الآداب ١٩٧٥ م

المصادر والمراجع للغة الأردية

ا	
۱	آتش زیر پا، بانو قدسیہ، سنگ میل پبلی کیشنز لاہور ۲۰۰۰
۲	اردو ادب بیسویں صدی میں، تالیف: رشید احمد گوریہ، علمی کتب خانہ لاہور، اشاعت/۱۹۹۰ء۔
۳	اردو افسانے میں اُسلوب اور تکنیک کے تجربات (مقالہ پی ایچ ڈی۔ اردو)، فوزیہ اسلم، نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز، اسلام آباد۔ ۲۰۰۵ء۔
۴	اسلوب، سید عابد علی عابد، سنگ میل پبلی کیشنز۔ لاہور، ۲۰۰۱ء۔
۵	اشفاق احمد بندگلی سنگ میل پبلی کیشنز لاہور ۲۰۱۸
۶	ایک دلیر خاتون فتح محمد ملک (مشمولہ) راوی مجلہ گورنمنٹ کالج لاہور جلد، ۹۸، ۲۰۰۲
ب	
۷	بانو قدسیہ: احوال و آثار مقالہ برائے پی۔ ایچ۔ ڈی (اردو) اقلیمہ ناز نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز۔ اسلام آباد۔ جنوری ۲۰۱۵ء۔
۸	بانو قدسیہ، (انٹرویو) از راقمہ، لاہور، ۲۷ جون ۲۰۱۴ بوقت ساڑھے بارہ بجے دوپہر
۹	بانو قدسیہ، (انٹرویو) از راقمہ، لاہور، ۱۸ ستمبر ۲۰۱۳ بوقت ساڑھے تین بجے سہ پہر
۱۰	بیسویں صدی کا نثری ادب، ڈاکٹر رشید احمد گوریہ، علمی کتب خانہ۔ لاہور، ۱۹۹۰ء۔
پ	
۱۱	پاکستان میں اردو ادب (محرمات اور اجماعات کا تشکیلی دور)، ڈاکٹر معین الدین عقیل، مولانا آزاد ریسرچ انسٹی ٹیوٹ، پاکستان۔ کراچی۔ طبع اول۔ ۱۹۹۵ء۔

۱۲	پاکستانی ادب گورنمنٹ سرسید کالج راولپنڈی ج، ۴ حصہ اول ۱۹۸۸
ت	
۱۳	تاریخ شخصیت اور فن، ڈاکٹر غفور شاہ قاسم، اکادمی ادبیات پاکستان، پطرس بخاری روڈ، سیکٹر H-۸/۱، اسلام آباد، ط/۲۰۱۸۔
۱۴	تاریخ ادب اردو، ڈاکٹر وہاب اشرف، ج ۳، ایجوکیشنل پبلشنگ ہاؤس دہلی، ط/۲۰۰۷۔
ج	
۱۵	چہار نامہ، ڈاکٹر ظہور احمد اعوان، تاج کتب خانہ پشاور۔ ۱۹۹۳ء۔
د	
۱۶	راہ رواں بانو قدسیہ سنگ میل پبلی کیشنز لاہور ۲۰۱۱
۱۷	روز نامہ جنگ انٹرویو ۲۲ جولائی ۱۹۸۸
ز	
۱۸	زبان، اُسلوب اور اُسلوبیات، ڈاکٹر مرزا خلیل بیگ، ادارہ زبان و اسلوب، علی گڑھ۔ انڈیا، ۱۹۸۳ء۔
ف	
۱۹	فیروز اللغات، مولوی فیروز الدین، فیروز سنز لمیٹڈ۔ لاہور، ۱۹۷۵ء۔
ک	
۲۰	کشاف تنقیدی اصطلاحات، ابوالاعجاز حفیظ صدیقی، مقتدرہ قومی زبان، اسلام آباد۔ ۱۹۸۹ء۔
م	

۲۱	الکھ نگری، ممتاز مفتی، سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور ۱۹۹۳
۲۲	بانو قدسیہ پتی بھگت (مشمولہ) اور اوکھے لوگ: ممتاز مفتی،، فیروز سنز لاہور ۱۹۹۱
۲۳	مرد ابریشم بانو قدسیہ سنگ میل پبلی کیشنز، لاہور ۱۹۸۹
۲۴	ممتاز مفتی، ایک المیہ۔۔ بانو قدسیہ (انٹرویو) ماہنامہ چہار سُرور اولپنڈی ۱۹۹۳

فهرس الآعلام

8	إبراهيم أنيس
18-16	إحسان عباس
3	اسماعيل عبد الرحمن
-3-2-1	بانو قدسية
8	جبور عبد النور
3	ابن الجوزي
3	حافظ محمد بادشاه
18	طه حسين
2-1	عائشة عبد الرحمن
18	عباس محمود العقاد
14-10-9-8	عبد العزيز شرف
9	عبد اللطيف الحديدي
3	عمر بن عبد العزيز
8	فرانسيكو
21	فريدة عبد السلام منتصر
3	فوزيه رشيد
11	فيليب لوجون
19	محمد أمين
9	محمد صابر عبيد
18-16	محمد عبد الغني حسن
25-22-19	محمد علي عبد الرحمن الحسيني

20	منصور أبو هيكل الشرقاوي
11	منظور الحكي
٧	أبن منظور
3	نجيب كيلاني
13	أبو عبد الله ياقوت الحموي
16-15-13-12-11-9	يحي إبراهيم عبد الدايم

فهرس الأماكن

٣	اسلام آباد
١٤-١٢-١٠	بيروت
٣٨	جامعة الإمارات العربية
٣٨-٢٣	جامعة الجزائر
٣٨	جامعة عين شمس
٣٣	جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا)
٢١	جامعة القدس فلسطين
٣	جامعة الوطنية اللغات الحديثة
٣٦-٣٣	الجيزة
٩	دمشق
٣٠-٢١-٢٠-١٩	دمياط
٣٨	رياض
١٩	شاطئ النيل
٢٠	شمال دلتا مصر
٢٨-٩	القاهرة
١٤-١٢-١٠	لبنان
٣٥	مدرسة الراقية
٢٩	المدرسة الكوزى الأميرية للبنات
٣١	مدرسة طنطا
٣٠	مدرسة المنصور
١٠-٨-٩	مصر
٢٨	معهد دمياط

اللقاء الشخصي

١	مع أخ الأدبية (عائشة عبد الرحمن) أستاذ د. اسماعيل عبد الرحمن في متنزة نموذجي بمصر (دمياط) على ١١/٠٢/٢٠٢٤ م.
---	--